كليــة الآداب
قســم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي

الحياة العلمية
فى إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين
(٤٥٨ ـ ٥٣٢هـ / ١٠٦٦ـ١١٣٨م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
فى الآداب (فرع التاريخ الإسلامي)

إعداد
شوقى درهم عبد الله الفضلى

إشراف

ا.د/ محمود عرفة محمود عرفة
أستاذ التاريخ الإسلامـــي
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

د/ احمد شوقى إبراهيم العمرجـي
مدرس التاريخ الإسلامـــى
كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

٢٠٠٥م

كليــة الآداب
قســم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي

رسالة ماجستيــر

اســم الطالــب : شوقــي درهــم عبد الله الفضلي .

عنوان الرسالــة : الحياة العلمية فى إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين (٤٥٨ ــ ٥٣٢هـ / ١٠٦٦ــ١١٣٨م)

الدرجـــــة : ماجستيـــــر .

لجنة الإشــراف :

ا.د/ محمـــود عرفة محمود عرفــة

أستاذ التاريخ الإسلامـــي ــ كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

د / أحمــد شوقــى إبراهيم العمرجي

مدرس التاريخ الإسلامي ــ كلية الآداب ــ جامعة أسيوط

لجنة المناقشة :

ا.د/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقــى

أستاذ التاريخ الإسلامي ــ كلية الآداب ــ جامعة القاهرة .

ا.د/ محمد أحمد محمد أحمد

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ــ جامعة أسيوط

تاريخ المناقشة : / /

التقــديـــــر :

إعداد
شوقى درهم عبد الله الفضلى

إشراف

ا.د/ محمود عرفة محمود عرفة
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

د/ احمد شوقى إبراهيم العمرجي
مدرس التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة أسيوط

٢٠٠٥م

إهداء

إلـــى والـــدىّ الغاليين
عرفانا بما غمرانى به من حب وحنان وبما بذلاه لأجلي من غال ونفيس سائلا المولى عز وجل أن يتقبل منهما وأن يبارك في عمرهما

وإلى روح جدى العزيز وأول من علمني
الحاج / عبد الله ثابت الفضلـــي
رحمه الله رحمة واسعة وجعله من أهل الفردوس الأعلى

إلى زوجتـــى الغاليـــة
التى وقفت إلى جواري في أهم مراحل هذه الرسالة

لهم جميعاً أهدى هذا العمل المتواضع

شـــوقـــي

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل ــ بعد شكر الله عز وجل ــ لكل من مد يد العون والمساعدة لإنجاز هذا البحث وأخصهم بالذكر ، أستاذي العزيز والعالم الفاضل الأستاذ الدكتور / محمود عرفة محمود ــ أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة ، والذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة وأخذ بيد الباحث فى جميع مراحلها ، وغمره بحبه وتشجيعه المتواصل ولم يدخر أدنى جهد فى سبيل إرشاد الباحث إلى ما يفيده في مجال بحثه ، فكان نعم المعلم لتلميذه فجزاه الله خيراً وجعل ذلك فى ميزان حسناته .

كما أتوجه بالشكر لأستاذي العزيز الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم الذى تكرم بالمشاركة فى الإشراف على هذه الرسالة ولم يبخل بوقت أو جهد فى مراجعتها وتصويبها ، وكانت لآرائه أهمية كبيرة في إخراج الرسالة بصورتها النهائية فجزاه الله خيراً.

وأتقدم أيضا بخالص الشكر والتقدير للعالم الجليل الأستاذ الدكتور / عصام الدين عبد الرؤوف الفقي على تكرمه بالموافقة على مناقشة الرسالة ، سائلاً المولي عز وجل أن يطيل فى عمره وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذي العزيز الأستاذ الدكتور / محمد أحمد محمد رئيس قسم التاريخ على تكرمه بقبول مناقشة الرسالة وعلى التسهيلات التي قدمها للباحث والتي ذللت للباحث العديد من الصعاب فجزاه الله خيراً .

كما لا يفوتني أن أسجل شكري وعميق امتناني لأساتذتي الأعزاء ولزملائي في قسم التاريخ في جامعتي صنعاء وإب على كل ما قدموه لي لإنجاز هذه الرسالة فجزاهم الله خيراً.

ولأساتذتي الأعزاء ولزملائي في قسم التاريخ بجامعة أسيوط ولكل العاملين بالكلية جزيل الشكر وعميق الإمتنان ، وأسأل الله أن يوفقهم إلى كل خير.

كما أتوجه لكل من ساهم فى مراجعة هذه الرسالة ، ولكل من أخذ بيدى بمشورة أو توجيه أو نحوه.

لهؤلاء جميعاً جزيل الشكر وعميق الإمتنان سائلاً المولى عز وجل أن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال ، وأن يلهمنا التوفيق والسداد .

والحمد لله رب العالمين

الباحث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين ، ومن سار على هديهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ... ،

لا يزال تاريخ اليمن فى جانبه الحضاري بحاجة ماسة لجهود الباحثين لإزالة غوامضه ، والكشف عن جوانبه المختلفة ، وفى الآونة الأخيرة ظهرت بعض الدراسات التاريخية التي تناولت بعضاً من المظاهر الحضارية للتاريخ اليمني ، لا سيما في جانبه المتعلق بالحياة العلمية ، فركز بعضها على دراسة إقليم بعينه ، في حين تناول البعض الآخر عموم بلاد اليمن خلال فترة زمنية محددة ، ورأيت أن أضم جهدي المتواضع إلى جهود من سبقوني في هذا المجال حتى تكون الصورة المتعلقة بهذا الجانب أكثر وضوحاً وشمولية .

ويرجع اختيار إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين كموضوع للدراسة ، نظراً لأهميته السياسية والعلمية التي كان يتمتع بها الإقليم فى ذلك الوقت ؛ فمن ناحية وقع اختيار الصليحيين على مدينة جبلة لتكون عاصمة لدولتهم ، الأمر الذى أكسبها ثقلاً سياسياً على غيرها من المدن اليمنية ، ومن ناحية أخرى ، شهد الإقليم حركة علمية واسعة فى العديد من المدن والقرى التابعة له ، نتج عنها ظهور شريحة واسعة من الفقهاء وإنتاجاً علمياً فى العديد من المجالات . أما عن الفترة الزمنية للدراسة فبدأت بعام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م ، وهو العام الذي اختطت فيه مدينة ذي جبلة مركز الإقليم في ذلك الوقت ، وأنتهت بعام ٥٣٢هـ/١١٣٨ ، وهو العام الذي انتهت فيه الدولة الصليحية بوفاة السيدة الحرة بنت أحمد الصليحي .

وعند تناول موضوع البحث برزت أمام الباحث جملة من الصعاب كان من أبرزها صعوبة الحصول على المصادر الإسماعيلية التي تؤرخ لعلماء المذهب ودعاته ، إذ كان أتباع المذهب يحرصون على إبقاء كتبهم فى سرية تامة بحيث يصبح الوصول إليها أمراً فى غاية الصعوبة ، وعلى الرغم من ذلك تسرب عدد من تلك المؤلفات وخرج إلى النور سواءً كان ذلك برغبة أتباع تلك الفرقة أو رغماً عنهم ، وفى تلك المؤلفات ما يكفي لإلقاء الضوء على أفكار ومعتقدات فرقتهم الإسماعيلية ، إلا أنها لا تفي بالحديث عن دعاة

المذهب ودورهم فى خدمة دعوتهم ، وحاول الباحث أن يعالج هذا الأمر بقدر ما أتاحته المصادر المتوفرة .

ومن الصعاب التي اعترضت هذه الدراسة قلة المادة العلمية ، لا سيما وأن الإطار الزمني والمكاني لم يتركا للباحث فرصة كافية لتغطية جميع جوانبها ، وحاول الباحث معالجة هذه المسألة من خلال تتبع سير بعض العلماء الذين عاشوا جزءاً من حياتهم العلمية في فترة لاحقة لفترة الدراسة على اعتبار صعوبة الفصل بين حياتهم العلمية خلال العصر الصليحي والفترة التي أعقبته .

وتتكون هذه الدراسة من تمهيد وخمسة فصول ، تناول التمهيد التعريف بإقليم جبلة وطبيعته الجغرافية ، كما تناول أيضا الحديث عن الأوضاع السياسية فى عموم بلاد اليمن خلال عهد الصليحيين ، بداية بقيام الدول الصليحية عام ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م وانتهاءً بوفاة السيدة الحرة عام ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .

أما الفصل الأول فاختص بدراسة المراكز العلمية للإقليم حيث تم التعريف بتلك المراكز وأهميتها ، سواءً كانت مدناً أم قرى علمية ، ثم تطرقت الدراسة بعد ذلك للحديث عن المؤسسات العلمية فى تلك المراكز ، والتي تمثلت في الكتّاب والمساجد وبيوت العلماء وقصور الأمراء ودورها في الحركة العلمية التي شهدها الإقليم .

واهتم الفصل الثاني بنظام التعليم الذي كان سائداً في ذلك الوقت من خلال الحديث عن مراحل التعليم والمواد المقررة والطرق التى كانت متبعة في التدريس وكذا المدة الزمنية للدراسة في كل مرحلة .

وتناول الفصل الثالث الحديث عن الفرق المذهبية في الإقليم ، قدم له بمبحث عن ظهور المذاهب الإسلامية ووصولها إلى اليمن وأماكن انتشارها والعوامل التي ساعدت على ذلك ، ثم تناول بعد ذلك الحديث عن الفرق المذهبية في الإقليم وجهود علماء تلك الفرق في خدمة مذاهبهم ، كما تناول أيضا طبيعة العلاقة بين أتباع تلك الفرق .

وفى الفصل الرابع اهتمت الدراسة بالحديث عن عوامل ازدهار الحركة العلمية في الإقليم ؛ والتى تمثلت في توفر موارد الإنفاق والرحلات العلمية (الداخلية والخارجية) وتشجيع العلماء وطلاب العلم ودور العاملين المذهبي والسياسي في العملية التعليمية .

أما الفصل الخامس فاختص بالحديث عن الإنتاج العلمي لعلماء الإقليم في مجالات

العلوم الشرعية واللغة العربية ، وفى مجال التاريخ وعلم الكلام .

واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، كما أتبعت الخاتمة ببعض الملاحق الهامة الموضحة لبعض جوانب البحث .

أما عن المنهج المتبع فى هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة ودراستها ، ومن ثم تحليل الأسباب التي أدت إلى حدوثها والنتائج التي ترتبت عليها ، مبتعداً قدر الإمكان عن الأسلوب السردي عند تناول موضوعات الدراسة .

والباحث إذ يتقدم بهذا العمل المتواضع لا يدعي أنه أتى بجديد في مجال بحثه ، وإنما هي محاولة قام من خلالها بجمع ما أمكنه من مادة علمية متفرقة ثم صاغها بأسلوب حرص على أن يكون واضحاً قدر المستطاع ، راجياً أن يكون بذلك قد وضع قدمه في الاتجاه الصحيح ، فإن أصاب فبتوفيق من الله تعالى ، وإن أخطأ فحسبه أنه اجتهد .

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

عرض وتحليل
لأهم مصادر ومراجع البحث

إن الإقدام على دراسة الجوانب الحضارية يتطلب بذل الكثير من الجهد لاستخراج المادة العلمية من مضانها المختلفة ، إذ أن أكثر ما تناولته المصادر التاريخية هو التأريخ للجانب السياسي ، في حين كانت الإشارة إلى الجوانب الحضارية قليلة لا تكاد تفي بالغرض المطلوب ، ومع ذلك فهناك مصادر أخرى وجد فيها الباحث ما يفيد في دراسة الجوانب الحضارية مثل كتب الطبقات والتراجم أو كتب الجغرافيا أو كتب الملل والنحل ، بالإضافة إلى بعض المراجع المتخصصة والتى وقف أصحابها على بعض المصادر الهامة التى تعود لفترة الدراسة ، وفيما يلى عرضا وتحليلاً لأهم تلك المصادر والمراجع :

أولا : كتب الطبقات والتراجم :

١ــ كتاب "طبقات فقهاء اليمن" للفقيه الشافعي عمر بن على بن سمرة الجعدي (ت عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) ، ويعد من أهم كتب الطبقات إذ أصبح معولاً عليه لدى كثير من المؤرخين ممن صنف في هذا المجال ، وهدف مؤلف هذا الكتاب إلى تعريف كل فقيه يمني بحال اليمن منذ عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى وقته هو، وتضمن ذلك ذكر كل من تولى الأحكام والقضاء والفقه في هذه الفترة مع إيراد ما وقف عليه من أخبارهم ومصنفاتهم ، كما تطرق أيضا لذكر بعض الحوادث التاريخية المتصلة بذلك ، وكان اعتماده فى ذلك على العديد من المصادر التاريخية أو الفقهية أو كتب الحديث ، بالإضافة إلى ما نقله عن شيوخه من الأخبار[1]. واستفادت الدراسة من هذا المصدر فى أغلب فصول الرسالة ، حيث وجد فيه الباحث مادة علمية لا غنى عنها لموضوع البحث سواءً فى الحديث عن المذاهب الدينية أو فى مجال الحياة العلمية من خلال ما قدم من تراجم لعلماء وفقهاء الإقليم خلال فترة الدراسة ، كما أنه لم يخل من ذكر بعض الحوادث التاريخية الهامة خلال العهد الصليحي والتى كانت على قدر كبير من الأهمية لقرب عهد المؤلف منها .

٢ــ كتاب "السلوك فى طبقات العلماء والملوك" لأبى عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي (ت٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) ، ويتألف من قسمين تناول المؤلف فى قسمه الأول تراجم علماء وفقهاء الشافعية حتى عصره ، معتمداً فى ذلك بشكل أساسي على كتاب

---

[1] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ، دار القلم ، (دون تاريخ) ، مقدمة المحقق ، ص هـ ، ص١٤٢.

"طبقات فقهاء اليمن" لابن سمرة الجعدى مضيفاً إليه ما ليس فيه من التراجم حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، أما القسم الآخر من الكتاب فخصصه للحديث عن تاريخ اليمن السياسي منذ عند الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبتدءاً بذكر عمال الرسول الذين أرسلهم إلى اليمن وانتهاءً بذكر من عاصرهم من الملوك ، معتمداً فى ذلك على عدد من المصادر منها كتاب "المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد" لعمارة اليمني ، وكتاب "تاريخ صنعاء" للرازي ، وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان وغيرها من الكتب[1]. واعتمدت هذه الدراسة على كتاب الجندي فى أغلب فصول الرسالة ، حيث أشبع فى كتابه الحديث عن حياة العلماء والفقهاء ، وطلاب العلم وما قدموه من إنتاج علمي ، وتأتي أهمية كتاب الجندي فى أنه لم يقتصر في ذلك على كتاب ابن سمرة وإنما أضاف إليه العديد من التراجم الهامة التى لم يذكرها ابن سمرة فى كتابه ، كما استفادت الدراسة من هذا المصدر فى دراسة الأوضاع السياسية خلال عهد الصليحيين ، وأيضا فى ضبط العديد من المناطق والتعريف بها.

٣ــ كتاب "طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن" ويعرف بـ "العقد الفاخر الحسن فى طبقات أعيان اليمن" (مخطوط) ، لأبى الحسن على بن الحسن بن أبى بكر الخزرجي (ت٨١٢هـ /١٤١٠م) ، اشتمل على مقدمة فى سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ، مع تراجم الأعيان مرتبة على ثمانية وعشرين باباً على حروف المعجم ، ثم بابان آخران أحدهما للكنى والآخر لأسماء النساء[2]. واعتمد الباحث على هذا المصدر فى الحديث عن علماء الإقليم وإنتاجهم العلمي .

٤ــ كتاب "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر" لأبى محمد بن عبد الله الطيب بامخرمة (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) ، ويتألف من جزئين فى وصف مدينة عدن وتاريخها ، وفى تراجم العلماء والأعيان ، بدأه بالسنة الأولى من الهجرة النبوية وحتى عصره ، معتمداً على عدد من المصادر منها كتاب "مرآة الجنان" لليافعي وكتاب "السلوك"

---

(1) الجندى : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، ط١ ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ج١ ، ص٢٤،٢٣.

(2) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامي ، القاهرة ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٤م ، ص١٦٢.

للجندي وغيرها من الكتب[1]. واستفادت الدراسة من هذا المصدر فى الحديث عن علماء الإقليم وإنتاجهم العلمي فى العديد من فصول الرسالة .

٥ــ كتاب "تحفة الزمن فى تاريخ اليمن" لأبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) ، اختصره من كتاب السلوك للجندي ، وزاد عليه زيادات نافعة حتى عصره ، ولم يكن ليكتفي بمجرد النقل عن الجندي وإنما كان يعمل فكره فيما ينقل ويصحح ما يرى أن الجندى قد وهم به ، فجاء كتابه مكملاً لكتاب الجندي ومن المصادر التاريخية الهامة لا سيما في الفترة التي عاصرها . واستفادت الدراسة من هذا المصدر فى الفصول المتعلقة بالحياة العلمية والإنتاج العلمي للعلماء.

ثانيا : المصادر التاريخية :

١ــ كتاب "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة" لأبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) [2] ، ومؤلف هذا الكتاب فقيه سني كان معاصراً للداعي على بن محمد الصليحي . ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب فيما أرخ له من قيام الدولة الصليحية ، وكان هذا الفقيه قد التحق بالدعوة الإسماعيلية في محاولة منه لكشف حقيقتهم ، فلما تبين له فساد معتقدهم تركهم وألف هذا الكتاب ليحذر المسلمين من خطرهم[3] ، ويعد هذا الكتاب أول مصدر يمني يتحدث عن الدعوة الفاطمية في اليمن[4] بدءً بعهد ابن الفضل وابن حوشب ثم من تلاهما من دعاة المذهب الإسماعيلي في اليمن ، وصولاً إلى عهد على بن محمد الصليحي وقيام

---

[1] أيمن فؤاد سيد : المرجع نفسه ، ص٢٠٧.

[2] لا تعرف سنة وفاته على وجه التحديد ، غير أن المرجح أنه توفي قبل وفاة الداعي الملك على بن محمد الصليحي ، إذ أنه لم يتطرق في كتابه إلى حادثة مقتل الصليحي عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م .

[3] الحمادي : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، ط١ ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٩٤م ، ص٦٣ــ٧٠.

[4] أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٨م ، ص٢٤.

الدولة الصليحية التي عاصرها المؤلف وذكر أنها كانت عام ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧م[١] وأفاد هذا المصدر فى دراسة الأوضاع السياسية فى اليمن ، كما أفاد أيضا فى الفصل المتعلق بالفرق المذهبية فى الإقليم.

٢ـ السجلات المستنصرية (سجلات وتوقعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ...) وهى عبارة عن ستة وستين سجلاً أرسلت من الخلفاء الفاطميين إلى دعاتهم فى اليمن خلال أربعة وأربعين عاماً (من عام ٤٤٥ ـ ٤٨٩هـ/ ١٠٥٣ـ١٠٩٦م) أثناء خلافة المستنصر بالله الفاطمي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وأوائل خلافة إبنه المستعلي (ت٤٩٥هـ/١١٠٢م) ، وتعد هذه السجلات مصدراً تاريخياً هاماً لا سيما فيما يتعلق بالعلاقة بين الخلافة الفاطمية فى مصر والدولة الصليحية في اليمن ، ومما يزيد من أهميتها اتفاق ما ورد فيها من معلومات مع المصادر التاريخية الأصلية التي تعود لنفس الفترة . وشملت هذه السجلات موضوعات مختلفة مثل مظاهر العلاقات بين البلدين والأخبار السياسية الداخلية والخارجية وأوامر من الخليفة الفاطمي للدعاة في اليمن والبشارة بالميلاد والتعزية عند الموت إلى غير ذلك من الموضوعات التي تناولتها السجلات[٢]. واستفاد الباحث من هذا المصدر في مواضع متعددة فيما يتعلق بالحديث عن العلاقة بين الصليحيين والخلفاء الفاطميين سواءً كانت هذه العلاقة دينية أم سياسية .

٣ـ السيرة الصليحية المسماة "سيرة السلطان المعظم الأمير الأجل المكرم شرف الأمراء عز الملك منتخب الدولة وغرسها ذي السيفين الداعي الأريحي أحمد بن على الصليحي أعلى الله قدسه" (مخطوط) لمؤلف مجهول ، كان معاصراً للملك المكرم أحمد بن على الصليحي (ت٤٧٧هـ /١٠٨٤ م) ، تناول فيها الأوضاع السياسية لليمن خلال عهد المكرم ممهداً لذلك بالحديث عن الدعوة الإسماعيلية وانتقالها إلى الداعي على بن محمد الصليحي ، ويشير باختصار إلى ذلك الأمر ذاكراً أن هناك سيرة أخرى تناولت سيرة الملك على بن محمد الصليحي لم تصلنا ولعلها من الكتب

---

[1] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٢٣.

[2] السجلات المستنصرية : سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين... ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي (دون تاريخ) ، مقدمة المحقق ، ص١٨،٢٤) .

التى يتكتم عليها أتباع الدعوة الإسماعيلية ، وفى سيرة المكرم يتناول المؤلف انتقال ولاية العهد إلى المكرم بعد وفاة أخيه الأعز عام (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ثم دور المكرم في حكم اليمن عقب مقتل والده على الصليحي عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م ، ودوره في القضاء على المتمردين وإعادة بناء دوليته ، وكان آخر ما تناولته السيرة سجل بعث به الخليفة المستنصر بالله عام ٤٦١هـ /١٠٦٨م يهنئ فيه المكرم على ما حقق من انتصارات متلاحقة مضفياً عليه مزيداً من الألقاب . وتكمن أهمية هذه السيرة في معاصرة مؤلفها لعهد المكرم من جهة وفى التفصيلات الدقيقة للأحداث التي أرخت لها . وقد اعتمد الباحث على هذه السيرة في الحديث عن الأوضاع السياسية لليمن خلال عهد المكرم ، وكذا في الإشارة إلى بعض الإنتاج الأدبي لشعراء الدولة الصليحية .

٤ـ كتاب تاريخ اليمن المسمى "المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد..." لنجم الدين عمارة بن على اليمني (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) ، ويعد من أهم مصادر التاريخ اليمني ومنهلاً استقى منه كثير من المؤرخين مادتهم في ما كتبوه عن تاريخ اليمن منذ مطلع القرن الثالث وحتى منتصف القرن السادس الهجري ، ولم تقتصر أهمية الكتاب على النواحي السياسية فحسب ، وإنما شملت أيضا النواحي الأدبية فيما قدمه المؤلف من تراجم لأهم أدباء وشعراء عصره ، ولم يذكر عمارة من المصادر التي اعتمد عليها سوى كتاب "المفيد في أخبار زبيد" للأمير النجاحي جياش بن نجاح (ت٤٩٨هـ/١١٠٥م) في حين اعتمد في كثير من الأحداث التي أرخ لها على شهود العيان لتلك الأحداث أو بالاعتماد على ما علق في ذاكرته منها ، ولعل هذا ما يفسر وقوعه في عدد من الأخطاء التاريخية على الرغم من قربه زمنياً من تلك الأحداث ، على أن ذلك الأمر لا يقلل من القيمة التاريخية ، لذلك الكتاب الذى أصبح عمدة الكتب التاريخية فى اليمن والذى نقل عنه كثير من المؤرخين اليمنيين وغيرهم أمثال الجندي والحمزي والخررجي وابن خلكان والعماد الأصفهاني وغيرهم. واعتمدت الدراسة على هذا الكتاب في الحديث عن الأوضاع السياسية في اليمن خلال العهد الصليحي ، وأيضا فى الحديث عن الإنتاج الأدبي لشعراء وأدباء الإقليم .

٥ـ كتاب "كنز الأخيار في معرفة السيرة والأخبار" لعماد الدين إدريس بن علي بن

عبد الله الحمزي (ت٧١٤هـ /١٣١٤م) وهو كتاب عام فى التاريخ الإسلامي ، اختصر فيه مؤلفه كتاب ابن الأثير ، وأضاف إليه أخبار العراق ومصر والشام حتى عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م وأخبار اليمن حتى عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م ، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء ، اشتمل بعض الجزء الثالث وكل الرابع على أخبار اليمن[١] منذ عهد الرسول حتى عهده . واستفادت الدراسة من هذا المصدر فى الجانب المتعلق بالأوضاع السياسية وعلاقة الصليحيين بغيرهم من القوى اليمنية .

٦ـ كتاب "العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك" لشمس الدين على بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) ويتألف من قسمين ؛ يتناول المؤلف فى القسم الأول بعضاً من سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين ، وكذلك خلفاء بني أمية وبنى العباس وسائر أئمة أهل البيت . أما القسم الآخر فجعله للحديث عن ملوك مصر والشام وأفريقيا والقيروان والأندلس والمغرب الأقصى ، ثم ذكر ملوك صنعاء وعدن وزبيد[٢]. واستفاد البحث من هذا المصدر فى الحديث عن الأوضاع السياسية في اليمن خلال العهد الصليحي وكذلك عند الحديث عن بناء مدينة جبلة.

٧ـ كتاب "عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار ووصية على بن أبى طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار" للداعي الإسماعيلي عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله القرشي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) . ويعد من أهم كتب تاريخ الإسماعيلية ويقع فى سبعة أجزاء تناول فى أجزائه الستة الأولى خلق العالم والتأريخ للدعوة الإسماعيلية منذ ظهورها حتى عهد المستنصر بالله الفاطمي وخصص الجزء السابع من تاريخه للحديث عن الخليفة المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية ، كما تحدث عن عهد السيدة الحرة وانقسام الدعوة بعد وفاة المستنصر إلى مستعلية ونزارية ثم خروج الدعوة اليمنية عن مركزها في مصر في عهد السيدة الحرة وظهور الدعوة الطيبية برئاسة الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي ، واعتمد المؤلف فى الجزء السابع على كتاب "المفيد"

---

[1] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص١٣٩.

[2] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص١٦٢.

لعمارة وكتاب "المفيد" لجياش بن نجاح ومصادر أخرى نادرة[1]. واعتمدت الدراسة على الجزء السابع من هذا الكتاب فى الحديث عن الأوضاع السياسية وأيضا فى الجانب المتعلق بالدعوة الإسماعيلية وأهم علمائها وكذا بعض الإنتاج الأدبي لشعراء الدولة الصليحية .

٨ـ كتاب "غاية الأماني فى أخبار القطر اليماني" ليحي بن الحسين بن القاسم (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م) وهو مختصر لكتاب آخر كان قد وضعه المؤلف بعنوان "إنباء أنباء الزمن فى تاريخ اليمن" [2] ، وكتاب "غاية الأمانى" تاريخ عام لبلاد اليمن حتى عام ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م ، اتبع فيه المؤلف الأسلوب الحولى في سرد الأحدث ، وتتمثل أهمية الكتاب في أن مؤلفه اعتمد على العديد من المصادر التاريخية الهامة مثل تاريخ عمارة والرازي وغيرهما ، فضلاً عن أن المؤرخ يحي بن الحسين يعد من أوثق المؤرخين اليمنيين[3] لا سيما فى تناوله الأحداث من وجهة النظر الزيدية . واستفادت الدراسة من هذا المصدر فى الحديث عن العلاقة بين الصليحيين والأشراف الزيديين .

ثالثا : كتب الملل والنحل :

١ـ كتاب "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم" لعبد القاهرة بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) .

٢ـ كتاب "فضائح الباطنية" للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١ م) .

٣ـ كتاب "قواعد عقائد آل محمد في الرد على الباطنية" لمحمد بن الحسن الديلمي (من علماء أوائل القرن الثامن الهجري).

واستفادت الدراسة من هذه المصادر وغيرها فى الفصل الخاص بالفرق المذهبية لا سيما عند الحديث عن الفرقة الإسماعيلية .

---

[1] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص١٨١ ، ص١٨٢.

[2] أيمن فؤاد سيد : المرجع نفسه ، ص٢٤٨.

[3] أيمن فؤاد سيد : المرجع نفسه ، ص٢٤٦.

رابعا : كتب الجغرافيا :

١ــ كتاب "صفة جزيرة العرب" لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمداني" (ت بعد عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م) [١] ويعد من أهم المصادر الجغرافية التي يعتمد عليها الباحثون في مجال الجزيرة العربية لا سيما بلاد اليمن ، اعتنى فيه مؤلفه بالوصف الدقيق لشبه جزيرة العرب من ذكر لجبالها وسراتها ومدنها ولغات أهلها ونباتها إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بها . واعتمدت الدراسة على هذا المصدر فى التعريف بالعديد من الأماكن التي ذكرت في متن الرسالة لا سيما عند الحديث عن الموقع الجغرافي للإقليم .

٢ــ كتاب "معجم البلدان" لأبى عبد الله ياقوت الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وهو معجم جغرافي شهير ، تناول فيه المؤلف الحديث عن الجانب الجغرافي للعديد من البلدان التي زارها أو سمع عنها ، أو رجع فى ذكرها إلى ما توفر لديه من مصادر ، ولم يقتصر الحموي فى معجمه على الجانب الجغرافي ، بل كان يتطرق أيضا للحديث عن بعض الجوانب الأخرى كأن يترجم لمشاهير العلماء فى البلاد التى يعرف بها مع ذكر مصنفاتهم أو أن يتطرق لذكر بعض الحوادث التاريخية ، غير أن ما يؤخذ على مؤلف الكتاب وقوعه في عدد من الأخطاء عند تعريفه ببعض المناطق اليمنية ، واستفادت الدراسة من هذا الكتاب في التعريف بالعديد من المناطق التي ذكرها البحث ، بالإضافة إلى بعض المعلومات المتعلقة بالحياة العملية .

٣ــ كتاب "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز" لأبى الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)[٢] ، تناول فيه المؤلف وصفاً جغرافياً لبلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ولم يقتصر على مجرد الوصف الجغرافي لتلك المناطق الذي أمتاز بأهميته ، وإنما شمل أيضا الحديث عن جوانب أخرى تتعلق بأوضاع الناس الإجتماعية وأحوالهم المعيشية وعاداتهم وتقاليدهم ، واختلاف لهجاتهم ، وكان للجانب

---

[1] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، ط١ ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ١٩٩٠م ، ص٣١.

[2] حول اسم المؤلف ونسبة الكتاب إليه أنظر : عبد البارى طاهر : اليمن والحجاز كما رآها ابن المجاور ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء ، العدد ٣١ ، ١٩٨٨م ، ص٥٣ــ٥٦.

التاريخي حظاً من اهتمام المؤلف وإن كان أقل أهمية من الجانب الجغرافي لاعتماد المؤلف على الطابع الأسطوري وبعده عن الحقائق التاريخية وإن كان الأمر لا يخلو من فائدة لاعتماد المؤلف على كتابين هامين أحدهما مفقود وهو كتاب "المفيد في أخبار زبيد" للأمير النجاحي جياش بن نجاح (ت٤٩٨هـ/١١٠٥م) ، وكتاب "المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد..." لعمارة بن على اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م) [١]. واعتمدت الدراسة على هذا المصدر فى الحديث عن مدينة ذي جبلة وفى التعريف ببعض المناطق التى ذكرت في المتن وفى مواضع مختلفة من الرسالة .

٤ـ كتاب "النسبة إلي المواضع والبلدان" لأبى محمد عبد الله الطيب بامخرمة (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) ، سبق ذكر مؤلف الكتاب عند الحديث عن كتب الطبقات والتراجم ، أما بالنسبة لهذا الكتاب فيتناول فيه المؤلف الحديث عن البلدان ومن نسب إليها من الأعلام من خلال ضبطه للبلد وإعطاء وصف جغرافي له ، ثم يقوم بترجمة من نسب إليه[٢] . واستفاد البحث من هذا المصدر في الحديث عن مناطق الإقليم وفى الترجمة لبعض الأعلام .

خامسا : المراجع العربية :

اعتمد الباحث على عدد من المراجع التاريخية المتخصصة التي وجد فيها ما يثري موضوعات الدراسة ، سواءً في الحديث عن الجانب السياسي أو في الفصول المتعلقة بالحياة العلمية في الإقليم . ومن أهم هذه المراجع :

١ـ كتاب "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ " للدكتور حسين بن فيض الله الهمداني بالإشتراك مع الدكتور حسن سليمان محمود.

٢ـ كتاب "اليمن في ظل الإسلام ، منذ فجره وحتى قيام دولة بنى رسول" للدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي .

٣ـ كتاب "تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري" للدكتور أيمن فؤاد السيد .

---

[1] عبد البارى طاهر : المرجع نفسه ، ص٥٧ ، ٥٩،٦٠.

[2] أيمن فؤاد السيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص٢٠٨.

٤ــ كتاب "الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري" للـــدكتور محمـــد رضـــا حسين الدجيلي .

٥ــ كتاب "الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المـــستقلة مـــن سنة ٤٢٩هـــ/١٠٣٧م إلى سنة ٦٢٦هـــ / ١٢٢٨م" للدكتور محمد عبده السروري.

هذا بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع والرسائل العلمية والـــدوريات التـــي رجع إليها الباحث فى إعداد هذه الرسالة وجعل لها ثبتاً فى قائمة المصادر والمراجع .

التمهيـــــــد

أولا : الموقـع الجغرافـــى للإقليـم
ثانيا: الأوضاع السياسية فى اليمن
خلال عهـد الصليحييـــن

إقليم ذى جبـلـة*
أولا: الموقع الجغرافى

يقع هذا الإقليم بين خطى عرض (١٣,٧٥° ــ ١٤,٥٠°) شمال خط الاستواء[١]. وبين خطي طول (٤٣,٥٦° ــ ٤٤,٧٥°) شرق جرينتش[٢]، وهو إلى الجنوب من صنعاء ، ويبعد عنها بنحو مائتى كيلو متر تقريباً[٣].

ويعد هذا الإقليم من أجمل أقاليم اليمن وأكثرها خيراً وأوفرها أمطاراً[٤]. إذ يبلغ متوسط ما يسقط فيه سنوياً من الأمطار نحو ١٠٠٠مم[٥]. لذلك فهو يعرف بميزاب اليمن الكبير المدرار[٦].

أما مناخ هذا الإقليم فمائل إلى الإعتدال صيفاً وشتاءاً ، والسبب فى ذلك راجع إلى مقدار ارتفاعه عن مستوى سطح البحر ؛ فكلما زاد الإرتفاع عن مستوى سطح البحر انخفضت درجات الحرارة فيه بمعدل درجة مئوية واحدة لكل ١٥٠متر[٧]. ولما كان ارتفاع هذه الإقليم يصل فى بعض جهاته إلى ٢٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر ــ لا سيما فى مدينتى " إِبّ " و"ذى جبلة" ــ لذا فمناخه يتسم بالاعتدال صيفاً وشتاءً[٨].

---

* يقصد بالإقليم ما يعرف اليوم بلواء إب (اللواء الأخضر) .

(١) الويسي : حسين بن على: اليمن الكبرى ، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ،١٩٩١م ، ج١ ، ص٦٠ ؛ الموسوعة اليمنية : مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ،٢٠٠٢م ، جـ ١ ، ص٨٨ .

(٢) الموسوعة اليمنية : الجزء والصفحة .

(٣) الأكوع : إسماعيل بن محمد : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ، ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د.ت) ، ص١٥ حاشية ٢ .

(٤) الويسى : المرجع والجزء ، ص٦١.

(٥) محمد متولى : جغرافية شبه جزيرة العرب ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د.ت) ، جـ ٣ ، ص٩١ .

(٦) الثور : عبد الله أحمد : هذه هى اليمن ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ، ج٥ ، ص١٢٢ .

(٧) محمد متولى : المرجع والجزء ، ص٨٥.

(٨) الموسوعة اليمنية ، ج١ ، ص٨١ ، ج٢ ، ص٨٥٣.

عرف هذا الإقليم فيما مضى بمسميات عدة منها : مخلاف[١] ، الكلاع[٢] ، نسبة إلى قبائل الكلاع من حمير ، كانت قد استقرت فى بعض مناطق الإقليم فنسبت إليها[٣] ، كما عرف بعد ذلك بمخلاف جعفر ، نسبة إلى الأمير جعفر[٤] بن إبراهيم المناخى[٥] .

ويمتد هذا الإقليم (المخلاف) من نقيل صيد[٦] شمالا إلى جبل

---

[١] مخلاف : المخلاف مصطلح كان يطلق على وحدة إدارية قد تكون مقاطعة أو إقليم أو محافظة بمصطلح اليوم ، على أن يكون لذلك المخلاف مركزا ينظم أمور المناطق التابعة له (الموسوعة اليمنية ، جـ ٤ ، ص٢٥٦٦) .

[٢] الكلاع : نسبة إلى قبائل من حمير عددها ثمانى عشر قبيلة ، اجتمعت وتحالفت فيما بينها على أن لا يملك عليها إلا من أرادوا من حمير ، ومن هذه القبائل : أحاظة وميتم والسحول وريمان وبعدان والثجة ونحلان وغيرها (الأشراف الرسولى : عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ، تحقيق د. و. سترستين ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٧٧ ؛ الحجرى ، محمد بن أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق إسماعيل الأكوع ، الطبعة الثانية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٩٦ ، جـ ٢ ، ص٦٦٥) .

[٣] الحميرى : نشوان بن سعيد : منتخبات فى أخبار اليمن ، من كتاب شمس العلوم ، جمعها: عظيم الدين أحمد،الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦م ، ص٩٣ ، الأشراف الرسولى:المرجع والصفحة .

[٤] هو الأمير جعفر بن إبراهيم بن محمد ذي المثلة المناخى الحميرى ، كان حاكما للمخلاف الذى عرف باسمه (مخلاف جعفر) ، وكانت المذيخرة مركز حكمه الذى استمر زهاء خمسين عاما قبل أن يتمكن الداعى الإسماعيلى على بن الفضل القرمطى من القضاء عليه فى عام ٢٩٢هـ (الهمدانى : الحسن بن أحمد : الإكليل ، تحقيق : محمد الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة (د.ت) ، جـ٢ ، ص٩٣ ، ٩٤ ؛ الحمادى : أبو عبد الله محمد بن مالك : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق محمد الأكوع ، الطبعة الأولى ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، ١٩٩٤ ، ص٩٩) ولعل تسمية المخلاف ـــ كما يذكر الشجاع ـــ أخذت من اسم الأسرة نفسها ـــ أسرة الأمير جعفر ـــ إستنادا لما ذكره الهمدانى من أن لقب الجعافر كان يطلق عليها الشجاع : عبد الرحمن عبد الواحد : اليمن فى عيون الرحالة ، دار الفكر بيروت ، دار الفكر ، (د.ت) ، ص٥٨ .

[٥] الهمدانى : المصدر والجزء ، ص٩٣ ؛ نفسه : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد الأكوع ، الطبعة الأولى ، مكتبة الإرشاد ،صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص١٩٦ ، حاشية ٩ ، ابن الديبع : أبو الضياء عبد الرحمن بن على : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد الأكوع ، المطبعة السلفة ، (د.ت) ، ص١٩١ .

[٦] نقيل صيد : النقيل ما كان أصعب وأمنع من العقبة ، وصيد جبل فى بنى سرحة من ناحية المخادر وأعمال إب ، كان ينسب إليه نقيل صيد الذى يعرف اليوم بنقيل سمارة (الجندى : بهاء الدين محمد بن يوسف: السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد الأكوع ، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٣=

المصابيح[١] جنوبا[٢] وتحده من الشمال والشمال الغربى محافظة ذمار[٣] ، ومن الجنوب محافظة تعز[٤] ، ومن الشرق والجنوب الشرقى محافظة الضالع[٥] ، ومن الشمال الشرقى محافظة البيضاء[٦] ، ومن الغرب محافظة الحديدة[٧] .

ويشتمل الإقليم على عدد من الجبال الشامخة التى تمتاز بعلوها وصعوبة ارتقائها ، وهى فى نفس الوقت ملائمة للسكن ، فاشتمل بعضها على عدد من الحصون والقلاع الشماء وأبرز هذه الجبال جبل التعكر[٨] ، جبل

=، ج١ ، ص٣٠٦ حاشية ٣ ؛ الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص٥٤٨ ؛ المقحفى: إبراهيم أحمد معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الحكمة ،صنعاء ، ٢٠٠٢م ، جـ ١ ، ص٩٢٨) .

[١] جبل المصابيح : يقع إلى الشمال من مدينة القاعدة (الجندى : السلوك، ج ٢ ، ص١٥٤ حاشية ٢) .

[٢] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٣] ذمار : تقع إلى الجنوب من صنعاء ، على بعد مرحلتين منها (٩٥ كم تقريبا) ، كانت واحدة من أهم مراكز الإشعاع العلمى فى اليمن فى فترة التاريخ الإسلامى (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص١٠٠ حاشية ٥ ؛ الحجرى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص٣٤١ ؛ عبد الله الحبشى : اليمن فى لسان العرب ، الطبعة الأولى ، مطابع المفضل للأوفست، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص٦١) .

[٤] تعز : مدينة مشهورة فى السفح الشمالى لجبل صبر فى الجنوب الغربى من صنعاء وتبعد عنها ٢٤٥ كم ، كانت من أعمال مخلاف الجند قبل أن يعد الجند من أعمالها، (ياقوت الحموى: معجم البلدان ، تحقيق : محمد البجاوى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، سوريا ، جـ ٢ ، ص٢٩٧ ؛ الحجرى : المرجع نفسه، ج ١ ، ص١٤٥ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٦٠ حاشية ٤ ؛ المقحفى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص٢٣١).

[٥] الضالع : بلدة مشهورة من نواحى عدن جنوب مدينة قعطبة ، كانت تسمى قديما بلاد الأعضود والأجعود، ثم صارت مركز إمارة الضالع مع بداية القرن الرابع عشر (المقحفى : المرجع نفسه ، جـ ١ ،ص٩٣٥).

[٦] البيضاء : تقع فى الجنوب الشرقى من اليمن فى واد منخفض تحيط بها الجبال من جهاتها الأربع ، ويقال أن تسميتها جاءت نسبة إلى جبل أبيض فيها (الحجرى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص١٣٤ ؛ الويسى : اليمن الكبرى ، جـ ١ ، ص٦٦ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص٢١٠) .

[٧] الويسى : المرجع نفسه ، ص٦٠ ، الموسوعة اليمنية ، جـ ١ ، ص٨٨ ، ٨٩ .

[٨] جبل التعكر : جبل فى العدين (الكلاع) تقع فى سفحه الشمالي مدينة ذي جبلة ، ومن جنوبه مدينة ذي السفال ، وهو من الجبال المنيعة ، ويزيد ارتفاعه عن ٣٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . (الأكوع : المرجع نفسه، ص٦١ حاشية ٢ ؛ الأكوع ، محمد بن على : اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية،=

بعدان[١] ، جبل مشورة[٢] ، جبل العود[٣] وجبال الشوافي[٤] ، جبال يريم[٥] ، جبال ظفار[٦]، جبال العدين[٧] وغيرها من الجبال التى يشتمل عليها الإقليم[٨].

كما يشتهر الإقليم أيضا بعدد من الأودية أبرزها وادى بنا ، وهو

=١٩٨٢م ، ص٤٢ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٣٣).

[١]جبل بَعْدَان : جبل مشهور ، يطل على مدينة إب من الجهة الشرقية ، ينسب إلى بعدان بن جُشم بن عين شمس الذى ينتهى نسبه إلى حمير بن سبأ . وهو من الجبال ذات المزارع والأنهار والعيون وفيه قرى وحصون كثيرة ، منها حصن حبّ (الهمدانى : الإكليل ، ج٢ ، ص١٠١ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص١٨١) .

[٢]جبل مشورة : جبل على بعد ثمانية كيلومترات من مدينة إب غرباً ، ويقع جنوب حبيش ، ويطل على العدين من جهة الشرق (الويسى : اليمن الكبرى ، ج١ ، ص٦٣ ؛ المقحفى : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٥٤٢) .

[٣] جبل العود : جبل من بلاد النادرة بالشرق من مدينة إب ، سمي نسبة إلى العود بن عبد الله بن الحارث بن ذى أصبح المنتهى نسبه إلى حميَرْ ، وهو جبل أشم يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول يزيد على أربعة أميال. (الهمدانى : المصدر نفسه ، ص١٤٧ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ،ص١١٤٢).

[٤] جبل الشوافى : نسبة إلى الشوافى فى بن علقمة من آل ذى جَدَن ثم من سبأ الصغرى ويقع فى مخلاف السحول فى الشمال الغربى من مدينة إب ، ويبلغ ارتفاعه ٢٥٠٠م عن مستوى سطح البحر (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص١٤٩ ، حاشية ٢؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص٤٤؛ المقحفى :المرجع نفسه ، ج١ ، ص٨٨٣).

[٥] جبال يريم : نسبة إلى يريم ذى رعين الأكبر المنتهى نسبه إلى حمير بن سبأ ، وأشهر جبال بريم ، جبل بني مسلم وهو على ارتفاع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ، بالغرب من بريم على بعد ٢٠كم منها (الهمدانى: الإكليل ، ج٢ ، ص٢٣٥ ؛ الويسى ، المرجع والجزء ، ص٦٣؛ المقحفى : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٩٠٦) .

[٦] جبال ظفار : وهى بالجنوب الشرقى من يريم على بعد ٢٠ كم منها (الويسى ، المرجع والجزء والصفحة) .

[٧] جبال العدين : سلسلة جبلية مترامية الأطراف فى الجهة الغربية الشمالية من مدينة إب وأشهر جبالها جبال بنى عواظ بشمال العدين وبنى مليك . (الويسى : المرجع والجزء ، ص٦٤ ؛ المقحفى : المرجع نفسه : ج٢، ص١٠٢٩، ١٠٣٠) .

[٨] الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج١ ، ص١٧٢ ــ ١٧٧ ؛ الويسى : المرجع والجزء ، ص٦٣ ، ٦٤ ؛ الثور : هذه هى اليمن ، ج٥ ، ص١٢٨ ، ١٢٩ .

من أشهر وديان اليمن وتأتى مساقطه من بلاد يريم وقاع الحقل[١] ، ويمر بالسدة[٢] ودمت[٣] وشرقى بلاد النادرة[٤] ، وينتهى به المطاف فى البحر العربى على بعد ٤٠ كم إلى الشرق من عدن[٥] ، ثم وادى زبيد والذى يبدأ من شمال مدينة إب[٦] ماراً بوادى السحول[٧] ، فتنضم إليه مياه شرقى جبل حبيش[٨]وشماله وغرب جبل بعدان وشماله

---

[١] قاع الحقل : سهل ممتد تحيط به الجبال من جميع جهاته ، يقع فى منطقة يحصب السفل غرب يريم ، وكان يدعى حقل يحصب وحقل قتاب ويقع فى طرفه الشرقى ظفار ذوريدان العاصمة الحميرية، ويمتد هذا الحقل نحو ٣٠ كم طولاً ، و١٥ كم عرضاً (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج٢ ، ص٦٣٦ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٠١ ، حاشية ٢ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ص١٢٣٨) .

[٢] السدة : قرية فى وادي بنا من أعمال يريم تقع بالشرق الشمالى من نقيل سمارة على بعد ٢٢ كم (الحجري: المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٨ ؛ المقحفى : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٧٨١) .

[٣] دمت : صقع متسع يحوى العديد من القرى ويقع بالشرق الجنوبى من يريم بمسافة ٤٥ كم ويجتمع فيه وادي بنا بوادى خبان ، وتشتهر به الجبال البركانية ومنابع المياه الحارة التى تصل إلى ٤٨ عيناً (ابن سمرة: عمر بن على : طبقات فقهاء اليمن ، بتذييل المحقق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، (د.ت) ، ص٣١٤ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص٦٢٠) .

[٤] النادرة : قرية فى وداي بنا من مخلاف عمار تتصل بشماليها بيريم ، ومن الشرق برداع ، ومن الجنوب قعطبة ومن الغرب إب التى تبعد عنها مسافة ٦٠ كم (الحجرى : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٧٢٧ ؛ المقحفى: المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٧٠٥) .

[٥] الحجرى : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٣٨٠ ؛ الويسى : اليمن الكبرى ، ج١، ص٦٢ ، ٦٣ ؛ المقحفى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص١٩٧ .

[٦] مدينة إب : سيأتى التعريف بها فى حينه .

[٧] السحول : بلد معروف من أعمال إب ، وسمى بالسحول نسبة إلى السحول بن سوادة بن عمرو بن سعد الذي ينتهى نسبة إلى الهميسع بن حمير بن سبأ ، وهو من أخصب بلاد اليمن وتنسب إليه الثياب السحولية وهو ما بين إب والمخادر ويرتفع عن سطح البحر ١٧٠٠م وتسيل مياهه فى وادي زبيد (الهمدانى : الإكليل، ج٢ ، ص٢٤٤ ؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج٣، ص ١٩٥ ؛ تحقيق محمد البجاوى : ط١، سوريا ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤م ، جـ ٢ ، ص٦٩٦ ؛ الحجرى : المرجع نفسه، ج٢ ، ص٤١٧ ، ٤١٨ ؛ الحبشى ، : اليمن فى لسان العرب ، ص٦٣ .

[٨] حبيش : مخلاف فى الشمال الغربى من مدينة إب تبعد عنها مسافة ٤٢ كم تقريباً ، (المقحفى : المرجع نفسه ، ج١، ص٤١٢).

ومياه المنار[١]والمخادر[٢]وغرب بلاد يريم، لينتهى به المطاف بعد ذلك فى البحر الأحمر، ومياه هذا الوادى كثيرة دائمة ، وأكثرها يغور تحت الرمال حيث تظهر فى الفازة[٣]. أما وادى عنة[٤] ، فتنصب إليه المياه من جبل مشورة الغربية من إب وجنوب حبيش وشمال العنسيين[٥] وشمال مذ يخرة[٦] وجنوب بنى مليك من العدين كما يمر بوادى الدور[٧]جنوب مدينة العدين ويتجه غرباً فيلتقى بوادي زبيد شمال جبل راس[٨]. ولأن الماء فيه دائم الجريان ، فإن أرضها خصبة تمتلئ فيها أشجار البن والموز وسائر الفواكه والخضراوات والحبوب[٩].

---

[١] المنار : جبل من جبال بعدان (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ١، ص٧١٩) .

[٢] المخادر : بلدة شمال مدينة إب بمسافة ٢٠كم ، بينهما قاع السحول ، وهى على هضبة من جبل عُقَّد كانت قديماً مقراً لسلاطين التبايعة من حمير (الحجرى : المرجع والجزء ، ص٦٩٧ ؛ المقحفى : معجم البلدان، ج٢ ، ص١٤٤٦ ، ١٤٤٧) .

[٣] الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص١٣٢ ؛ الأكوع : اليمن الخضراء ، ص٤٨ ؛ ٤٩ ؛ الويسى: اليمن الكبرى ج١ ، ص٦٢) .

[٤] عنة : قيل أنها سميت بهذا الأسم نسبة إلى عَنَّه بن مَثوب الأكبر بن عُريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ (الهمدانى : الإكليل ، ج٢ ، ص٩ ، المقحفى : المرجع والجزء ، ص١١٣٤).

[٥] العنسيين : جبل ومركز تابع لذي السفال ، وتسيل مياهه فى وادي عنة ثم زبيد (المقحفى : المرجع والجزء، ص١١٣٣).

[٦] مذيخرة : بلدة عامرة فى العدين من أعمال إب وكانت عاصمة للجعافرة ثم لعلي بن الفضل القرمطى ، وهى بلدة جميلة تقع فى قمة جبل من الكلاع ، وعلى مسافة يوم من تعز شمالاً (الهمدانى:المصدر والجزء، ص٩٣ ، ٩٤ ؛ الحجرى : المرجع نفسه،ج٢،ص ٥٩٢؛ الأكوع : البلدان اليمانية ص٢٦٥حاشية١).

[٧] وادى الدور : وادٍ مشهور فى جنوب العدين ، يقع فيما بين منطقتى (الجبلين) و(بنى عواض) ويتجه غرباً حيث يصب فى وادي زبيد، ويتميز هذا الوادى بطبيعة ساحرة (الحجرى : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٣٣٣؛ المقحفى : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٦٣٠ ، ٦٣١) .

[٨]جبل راس: جبل وبلدة من أعمال زبيد بالشرق الجنوبى منها (المقحفى : المرجع والجزء ، ص٦٦٤).

[٩] الهمدانى : المصدر والجزء ، ص١٠ ؛ الويسى : المرجع والجزء والصفحة ؛ المقحفي : المرجع نفسه، ج٢، ص١١٣٤) .

ومن الأودية كذلك وادى نخلـــة وهو مسيل لعدد من الأودية النازلة بالجهة الـــشمالية من مدينة تعز ، والجبال الجنوبية الغربية من مدينة إب ، إذ تنضم إليه مياه الوادى الكبير النازل من مـــشارف جبـــال العـــدين الجنوبيـــة ويـــصب فـــى أراضـــى حـــيس[١].[٢] ومنها أيضا وادى ميتم ومنبع مياهـــه من مدينة إب ، وتنـــضم إليـــه أوديـــة جبلـــة[٣] ، وأودية بعدان الجنوبية وأودية صهبان[٤] والسبرة[٥]وصولاً بعد ذلـــك إلـــى تـــبن[٦] فـــى الجنوب[٧].

---

[١]حيس : مدينة مشهورة من تهامة وأعمال زبيد قال عنها الهمدانى أنها أقدم مدينة تهاميـــة علـــى الإطـــلاق (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص٩٦ ؛ الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ص٣٠٦ ؛ المقحفـــى :معجـــم البلدان، ج١ ، ص٥٤٦).

[٢] الهمدانى : المصدر نفسه ، ص١٣٩ ؛ الأكوع : اليمن الخضراء ، ص٤٨ ، الويسى : اليمن الكبرى ، ج١ ، ص٦٢.

[٣] جبـــلة : سيأتى الحديث عنها .

[٤] صهبـــان : مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال يشتمل على عدة قرى وحصون ويقع جنوبى مدينة إب قرب ذي جبلة ، وصهبان بطن من مذحج من بنى زيد بن كهلان ، وهم بنو صهبان بن سعد بن مالك بن النخع ، باسمهم سمى مخلاف صهبان الذى كان يعرف بمخلاف نعيمة (الهمدانى : الإكليل ، ج٢ ، ص٢٤٤ ؛ ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٣٢٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ،ص٢٨٤ ؛ الحجـــرى : المرجـــع نفسه ، ج٢ ، ص٥٤٨ ؛ المقحفى : المرجع والجزء، ص٩٢٣).

[٥] السبـــــرة : من أعمال إب فى الجهة الشرقية الجنوبية منها وتجتمع فيها مسايل جبال بعـــدان (المقحفـــى: المرجع والجزء ، ص٧٦٨) .

[٦] تبـــن : وادٍ مشهور من أودية اليمن ، يشكل الجزء الشمالي من وادى لحج ، مأتاه من بلاد جبلة وبـــاب ميتم وجنوبى إبّ وبعدان والشعر والعود ويمر من سفح جبل الحشأ ويجتمع بأودية الجند ثم إلى وادى لحـــج لينتهى به المطاف بعد ذلك فى خليج عدن قرب الحُسْوَة (الحجرى : المرجـــع نفـــسه ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص٢٢١).

[٧] الويسى : المرجع والجزء، ص٦٢ ؛ الثور : هذه هى اليمن ، ج٥ ، ص١٢٦ .

ثانيا : الأوضاع السياسية فى اليمن خلال عهد الصليحيين :

كانت اليمن فى بداية القرن الخامس الهجرى فى حالة شديدة من التمزق والانقسام ، إذ كانت تفتقر إلى قيادة واحدة ، تلم الشمل ، وترأب الصدع ، فتلونت الخارطة السياسية بقوى متعددة ، ومختلفة فيما بينها وسواء كان ذلك الاختلاف مذهبيا أم سياسيا ، فقد أفضى إلى عداوات شديدة بين تلك القوى[١] .

ومما شجع على ذلك الأمر ، اختفاء الدولة الزيادية من مسرح الأحداث بعد وفاة الحسين بن سلامة[٢] ، وانتقال الحكم إلى أسرة النجاحيين (الحبشية) فى زبيد سنة ٤١٢هـ/١٠٢٢م ، وهو ما لم تقبل به بقية القوى فى اليمن ، حيث سعى أمراء الأقاليم للاستقلال كل بما تحت يده من نفوذ[٣] ، فضلا عن طبيعة بلاد اليمن الجبلية التى ساهمت فى خلق كيانات قبلية منعزلة عن بعضها البعض مما عزز نزعات الاستقلال لدى تلك الكيانات فأصبحت مسألة السيطرة على تلك المناطق وإخضاعها لحاكم

---

[١] حسن سليمان محمود ، تاريخ اليمن السياسى فى العصر الإسلامى ، الطبعة الأولى ، المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٦٩م ، ص١٧٢ .

[٢] الحسين بن سلامة : كان وصيفا لرشيد الذى استوزر لابن أبى الجيش بعد وفاة والده وهو ــ الحسين ــ من بلاد النوبة ، انتقلت إليه الوزارة بعد وفاة سيد رشيد ، وقد استطاع أن يعيد الدولة الزيادية إلى ما كانت عليه ، وسار فى الناس سيرا حسنا ، وتوفى عام ٤٠٢هـ/١٠١١م وقيل ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، بعد حكم دام نحوا من ثلاثين عاما ، (عمارة : نجم الدين بن على اليمنى : تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثالثة ، المكتبة اليمنية للنشر ،صنعاء ، ١٩٨٥م ، ص٦٥ ، ٧٥ ؛ العمر ى : حسين عبد الله : الأمراء العبيد والمماليك فى اليمن ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص٢٧ ؛ الحريري : محمد عيسى: دراسات وبحوث فى تاريخ اليمن الإسلامى ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص١٨٣ ، ١٨٤) .

[٣] الهمداني : حسين بن فيض الله : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ، الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة، صنعاء ، ١٩٨١م ، ص٦٢ ؛ الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن فى ظل الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٤٥ ، محمد كريم إبراهيم : عدن ، دراسة فى أحوالها السياسية والاقتصادية ، مركز دراسات الخليج العربى ، البصرة ، ١٩٨٥م ، ص٩٣ .

واحد من الصعوبة بمكان[١] .

كانت القوى السياسية التى تمتعت بالنفوذ فى القرن الخامس الهجرى على النحو التالى:

١ــ الإمارات الحميرية :

وهى إمارات متعددة ومتفاوتة فى النفوذ تمثلت فى إمارة بنى الكرندى[٢] التى امتد نفوذها ليشمل مخلاف جعفر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر[٣] ، بما اشتملت عليه تلك المخاليف من حصون[٤] ، وإمارة بنى التبعى[٥] التى تمكنت من بسط سيطرتها على

---

[١] السروري : محمد عبده : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن فى عهد الدويلات المستقلة ، الطبعة الأولى ، مطابع الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٢١ .

[٢] بنو الكرندى : قوم من حمير ، يرجع نسبهم من جهة النساء إلى الصحابى أبيض من حمال ــ بن مرثد بن ذى لحيان المأربى السبئ ــ الذى كان قد أقطعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) جبل الملح ، أما من جهة الآباء ، فهم من بنى ثمامة من ذرية سبأ الأصغر وهم ملوك المعافر ، (عبد الباقي بن قانع أبو الحسين : معجم الصحابة ، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ، جـ١ ، ص٦٢ ؛ ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٢؛ الأشرف الرسولى : طرفة الأصحاب ، ص٥٠ ؛ ابن حجر : أحمد بن على : الإصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق على محمد البجاوى ، الطبعة الأولى، دار الجبل ،بيروت ، ١٩٩٢ ، جـ ١ ، ص٢٣ ؛ الشجاع : عبد الرحمن عبد الواحد : الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٦م ، ص٥٩) .

[٣] المعافر : هى الحجرية من أعمال تعز ، والمعافر نسبة إلى معافر بن يعفر بن مالك وينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ وقيل إلى حمير (الحجرى : مجموعة بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص٧١١ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٧١ حاشية ١) .

[٤] عمارة : المفيد ، ص٧٨ ؛ ابن المجاور : جمال الدين بن الفتح يوسف بن يعقوب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتاريخ المستبصر ، الطبعة الثانية ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٧٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٣٥ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٣ .

[٥] بنو التبعى : نسبة إلى ذى تبع ، وهم قوم من حمير ، وقد أسس إمارتهم السلطان أبو عبد الله الحسين التبعى، وكانت وفاته عام ٤٧٨هـ (عمارة : المصدر نفسه ، ص٧٩ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٢٦) .

حصون حب[١] وعزان[٢] وبيت عز[٣] وأنور والنقيل والسحول والشعر[٤] وبعدان وخدد والشوافى ، وقد كان عدد من تلك المناطق خاضعا لسيطرة بنى أصبح[٥] ، إلا أن بنى التبعى تمكنوا من بسط سيطرتهم عليها ، واتخذوا من الشعر مركزا لحكمهم[٦] .

ومن الإمارات الحميرية أيضا إمارة بنى وائل بن عيسى[٧] الذين تغلبوا على مخلاف أحاظه[٨] ومقر عزها حصن يريس[٩] ، ومن حصونها دهران[١٠]

---

[١] حصن حب : حصن مشهور فى مخلاف بعدان وأعمال إب (الأكوع: البلدان اليمانية، ص٨٧،حاشية ٤).

[٢] عزان : هو المعقل الموجود أطلاله أعلى جبل ريمان ببعدان المطل على مدينة إب من الزاوية الشرقية الجنوبية (ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٣٦ حاشية ١) .

[٣] بيت عز : حصن مشهور فى عزلة ميسان من مخلاف بعدان وأعمال إب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٥٢١ ، الأكوع : المرجع نفسه ، ص٥٠ حاشية ٤) .

[٤] الشعر : مخلاف واسع من ناحية النادرة شرقى إب بمسافة ٤٥ كم ، كثير الخيرات ، به عدد من الحصون القديمة (ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٣١٨ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٨٦٩) .

[٥] بنو أصبح : بطن من قبائل حمير ، وهم قوم الفقيه مالك بن أنس الأصبحى إمام دار الهجرة (عمارة : المفيد ، ص٧٩ ؛ المقحفى : المرجع والجزء، ص٧٥) .

[٦] عمارة : المصدر نفسه ، ص٧٨ ، ٧٩ ؛ الخزرجى : أبو الحسن على بن الحسن بن أبى بكر : العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوط مصور ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١ ، ص١٠٥ ؛ ابن الديبع : المصدر نفسه ، ص٣٣٥ ــ ٣٣٧ ؛ يحيى بن الحسن بن القاسم : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، (د.ت) ، جـ١ ، ص٢٤١.

[٧] بنو وائل : بطن من ذى الكلاع من حمير ، وكان لهم رأسه متأثلة وزعيمهم السلطان أسعد بن وائل ، وكان مقرهم فى مخلاف شاحط (عمارة : المصدر نفسه ، ص٨١ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص٦٠) .

[٨] أحاظه : ويقال لها أيضا وحاظه ، نسبة إلى وحاظه بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن سرد بن زرعة وهو حمير الأصغر ، وهو مخلاف يشتمل على جبل حبيش وأغواره وغيرها من المناطق (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص١٤٨ حاشية ٢ ؛ البكرى : عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م ، جـ ١ ، ص١١٦ ؛ ياقوت الحموى : المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص٣٦٣ ، ٣٦٤ ؛ ابن الديبع: المصدر نفسه ، ص٣٣٧ حاشية ٣).

[٩] يريس : عزلة من ناحية حبيش وأعماله إب (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص٧٧٩) .

[١٠] دهران:حصن فى عزلة بنى عواض من ناحية حبيش وأعمال إب (الأكوع : طائفة من أوزان أسماء القبائل= =والبلدان فى اليمن ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٧م ، ص٢٦٤) .

ويفوز[١] وعزان وشعب[٢] ومدينتها شاحط[٣] ، إلى أن حل محلهم بنو التبعى فى الشمال وبنو الكرندى فى الجنوب[٤] ، ومنها إمارة بنى عبد الواحد[٥] الذين امتد حكمهم ليشمل مناطق برع[٦] ولعسان[٧] والعمد[٨] ، وإمارة بنى معن[٩] الذين كانوا فى بداية أمرهم عمالا لبنى زياد ، غير أنهم ما لبثوا أن استقلوا عنهم بعد وفاة الحسين بن سلامة ، وقد امتد نفوذهم ليشمل عدن ولحج وأبين والشحر[١٠] وحضرموت[١١] .

=والبلدان فى اليمن ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٧م ، ص٢٦٤) .

[١] بفوز : حصن فى عزلة بنى عواض من العدين تعرف الآن بالقفلة (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٣١٠ ، حاشية ٣) .

[٢] شعب : جبل باليمن أو حصن فى جبل خضراء أعلى جبل حبيش (السرورى : الحياة السياسية ، ص٢٦) .

[٣] شاحط : قرية فى عزلة يريس من ناحية حبيش وأعمال إب (الأكوع : المرجع نفسه ، ص١٥٩ حاشية١).

[٤] عمارة : المفيد ، ص٧٩ ــ ٨١ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٣٧ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص١٠٥ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٢ ؛ محمد عبده السرورى : قيام الدولة الصليحية فى اليمن ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ٥١ ، ٥٢ مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، ١٩٩٣م ، ص٢٢٣ .

[٥] بنو عبد الواحد : قوم من حمير ثم من الصنابير (عمارة : المصدر نفسه ، ص٨٢ حاشية ٧) .

[٦] برع : جبل مبارك فى قعر تهامة (عمارة : المصدر والصفحة ، حاشية ٨) .

[٧] لعسان:هى البطائح والمواطن الواقعة فيما بين باجل وسهام وبرع مراز(عمارة:المصدر والصفحة، حاشية٨).

[٨] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الحداد : محمد يحيى : التاريخ العام لليمن ، الطبعة الأولى ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، جـ ٢ ، ص٢٢٩ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٢٦ .

[٩] بنو معن : من حمير ثم من الأصابح ، من ولد القيل ذى أصبح الحميرى ، وكان مؤسس هذه الإمارة ، على بن معن الحميرى فى حدود عام ٤١٢هـ (عمارة : المصدر نفسه، ص٧٧ حاشية ٤ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٣٤ حاشية ٣ ؛ الواسعى : عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن ، الطبعة الرابعة ،الدار اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٤ ، ص١٦٨ ؛ محمد كريم ، المرجع نفسه، ص٩٢).

[١٠] الشحر : صقع ممتد من شرق حضرموت إلى المهرة (الأكوع : المرجع نفسه ، ص١٦٣ حاشية١) .

[١١] عمارة : المصدر نفسه ، ص٧٧ ؛ الحمزى : عماد الدين ادريس بن على : تاريخ اليمن من كتاب كتر الأخيار فى معرفة السير والأخيار ، تحقيق د. عبد المحسن مدعج المدعج ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الشراع العربى ، الكويت ، ١٩٩٢ ، ص ٤٧ ؛ ابن الديبع : المصدر نفسه ، ص٣٣٤ ؛ الواسعى : المرجع والصفحة ؛ محمد كريم : المرجع نفسه ، ص٩٣ .

٢ ــ الإمارات الهمدانية :

كانت المناطق الشمالية من اليمن موطنا لتلك الإمارات ومناطق نفوذ لها ، فقد كان زعماء همدان يحاولون بسط سيطرتهم على صنعاء لما لها من أهمية سياسية لدى اليمنيين، ورغم أن الأمور لم تسر على ما يرام نظرا لما وجدوه من منافسة شديدة من زعماء خولان أو من الأئمة الزيدية ، إلا إنهم تمكنوا من الاستئثار بحكم صنعاء أغلب الأوقات[١].

وبالنسبة للمناطق الغربية من صنعاء ، فآلت هى الأخرى إلى بنى شاور[٢] الهمدانيين ، كما تمكن قوم من بكيل (من همدان) من السيطرة على حصن أشيح[٣] ومقرى[٤] ووصاب ومخاليفها[٥] .

٣ ــ الدولة النجاحية :

أسسها نجاح[٦] فى زبيد سنة ٤١٢هـ /١٠٢٢م ، على إثر تغلبه على منافسيه ، بعد

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٨٤ حاشية ٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٣٥ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٥٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ ١ ، ص٢٤٢ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٣ .

[٢] بنى شاور : شاور بفتح فكسر ، بطن من حاشد الهمدانية ، وهم بنو شاور بن قدم بن قادم بن زيد بن غريب بن جشم بن حاشد (المقحفى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٨٤٢)

[٣] حصن أشبح : فى بلاد آنس ، يعرف اليوم بحصن ظفار ، وهو من بنى سويد من مخلاف ابن حاتم من أعمال آنس (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ١ ، ص٨٢ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٣١ حاشية٢) .

[٤] مقرى : مخلاف مكون من مخلاف المنار من أعمال آنس ، ومن ناحية مغرب عنس وبعض مخلاف وادى الحار من أعمال ذمار (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ ٢ ، ص٧١٧ حاشية ٢ ؛ الأكوع : المرجع نفسه ، ص٢٧٢ حاشية ١) .

[٥] عمارة:المصدر نفسه ، ص٨٢ ؛ ابن الديبع : المصدر نفسه ، ص٢٤٤؛ السروري:الحياة السياسية ، ص٢٧٢.

[٦] نجاح: كان وصيفا لمرجان ، أحد عبيد الحسين بن سلامة،حيث وصل إلى سدة الحكم بعد إطاحته بمرجان ونفيس،واستمر فى الحكم زهاء أربعين عاما،إلى أن قتل بالسم بتدبيرمن على الصليحى ــ كما سيأتى (عمارة : المصدر نفسه، ص٧٥ ــ ٧٧ ؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص٧٢ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص١٠٤ ، ١٠٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ ١ ، ص٢٥٣ ؛ الجرافي : عبد الله عبد الكريم: المتقطف من تاريخ اليمن ، الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتب الحديث ، بيروت،١٩٨٤م ، ص٧٥ ؛= =زاهر رياض : دولة حبشية فى اليمن ، القاهرة ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ، الجمعية المصرية

معارك طاحنة بين الطرفين ، كتب له النصر فى نهايتها ، وتمكن على إثر ذلك من بسط سيطرته على زبيد وأعمالها من التهائم[١] .

٤ ــ الدولة الزيدية :

تمكن الأئمة الزيدية من بسط سيطرتهم على صعدة وما حولها من المناطق دون التبعية لأحد[٢] .

كانت تلك هى أهم القوى اليمنية التى وجدت قبيل قيام الدولة الصليحية فى اليمن ، والتى تنازعت فيما بينها السيطرة على أقاليمه المختلفة ، وقد حرص كل طرف منها على أن تكون له الغلبة على غيره ، فاحتدم القتال بين الجميع واشتد أواره ، وبقى على البسطاء من الناس أن يتحملوا عواقب ما لا يملكون فيه ناقة ولا جمل ، ويعيشون حياة بائسة فرضتها عليهم تلك الحروب ، فمن صعوبة فى الحصول على الزاد إلى خراب فى العمران ثم إلى ضياع الأمن والأمان[٣] .

٥ــ الدولة الصليحية :

تعد شخصية على بن محمد الصليحى[٤] من أبرز الشخصيات اليمنية التى كان لها

للدراسات التاريخية ، القاهرة، ١٩٥٩م ، ص١٠٩ ، ١١٠ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون فى اليمن مع مدخل فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٠م ، ص٤٢ ؛ العمرى: الأمراء العبيد ، ص٢٨ ؛ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٨١ .

[١] عمارة : المفيد ، ص٧٦ ، ٧٧ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص٦٢ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام، ص١٤٥ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٣ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص٢٤٢ ؛ السرورى : قيام الدولة الصليحية ، ص٢٢٠ .

[٣] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن فى تاريخ اليمن (مخطوط) مصور عن نسخة الدكتور عبد الرحمن الشجاع ، ص١٤٦ ، ١٤٧ .

[٤] هو أبو الحسن على بن محمد الصليحى ، من قبيلة الأصلوح ، من بلاد حراز، وإلى آل الصليحى من بنى عبيد من أوام بن حجور ثم من همدان، ولد فى قرية قتر من حراز عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م،ونشأ فى بيئة سنية ،ثم لم يلبث أن تحول إلى المذهب الإسماعيلي بتأثير من الداعي الإسماعيلي سليمان الزواحي،ليصبح على الصليحي فيما بعد أهم شخصية إسماعيلية فى اليمن ومؤسساً للدولة الصليحية عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م.= =(أنظر : الهمداني : الإكليل ، ج١٠ ، ص١١٤ ؛ الواسعي : تاريخ اليمن ، ص١٧٢ ؛ العرشي : حسين

دور فى صناعة الأحداث ، إذ تمكن بما جبل عليه من ذكاء وقاد وشجاعة نادرة من الوقوف أمام جملة من الصعاب كانت قد اعترضت سبيله منذ توليه أعباء الدعوة الإسماعيلية وصولا إلى إعلان قيام دولته فى مسار ــ كما سيأتى ــ وقد تمكن هذا الشاب الطموح من تحقيق ما تصبو إليه نفسه ، فاستطاع أن يؤسس دولته الصليحية ، التى وحد بها أرجاء اليمن وانفرد بالحكم دون منافس ، ولم يقف طموحه عند حدود اليمن ، بل تعداه إلى ما جاوره من بلاد .

اضطلع الصليحى بأعباء الدعوة الإسماعيلية فى سن مبكرة ، فاستوعب ذهنه فلسفتها ، كما استوعب آلية العمل الدعوى الذى كان ينطوى على قدر كبير من الخطورة ، فالمذهب الإسماعيلى إلى ذلك الحين ، مذهب لا يقبل به كل أهل اليمن ، وهو فى رأيهم فيه خروج عن ملة الإسلام[١] ، لذا كان من الطبيعى أن ينخرط الصليحى ومن معه فى العمل السرى حتى لا ينتهى أمرهم إلى ما انتهى إليه أمر من سبقهم من دعاة الإسماعيلية ممن قتلوا أو شردوا .

كانت خير وسيلة لجأ إليها الصليحى تعينه على أمر الدعوة وقيادتها ، إقامته دليلا للحجيج على طريق السراة[٢] والطائف خمس عشرة

بن أحمد : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، د.ت ، ص ٢٤ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٦٤ ؛ العقيلى : محمد بن أحمد : تاريخ المخلاف السليماني ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، د.ت ، جـ ١ ، ص١٤٢ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٤٠٢ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٢٩.

[١] الحمادى : كشف أسرار الباطنية ، ص٦٤ .

[٢] اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ج٣ ، ص١٠٣؛ بامخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله : تاريخ ثغر عدن ، الطبعة الثانية ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦م ، ص١٦٠ ؛

Jean Moncelon, Lada'Wa Fatimid Au yemen, WWW.univ–aix .fr/cfey/chronic/moncelon.html, 1995.10pp. ;

Farhard Daftary, The Ismailis : Their history and doctrines. London. Cambridge University Press, 1992, P.208.

والسراة أعظم جبال العرب ، يبدأ من قعرة اليمن ويمتد حتى أطراف بوادي الشام (الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص٨٥).

سنة[١] ، استطاع من خلالها أن يتواصل مع أهل دعوته فى مناطق اليمن المختلفة بعيدا عن أعين المترصدين ، كما كانت طريقة ناجحة فى إظهار نفسه للناس واكتساب ثقتهم ، لما كان يبديه الصليحى من دماثة الخلق وحسن السلوك[٢] .

استمر على بن محمد الصليحى على النهج الذى رسمه لنفسه ، فثابر من أجل إرساء قواعد الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، وكانت أنجح طريقة وصل من خلالها إلى ذلك الأمر هى العمل دليلا للحجاج ــ كما ذكرنا آنفا ــ فقد هيئت له هذه الطريقة الظروف المناسبة للالتقاء بأتباعه الإسماعيلية والتباحث معهم فى شئون الدعوة والعمل على وضع الترتيبات اللازمة لإظهار الدعوة واختيار التوقيت الملائم لذلك الأمر ، ومن خلال هذه الطريقة تقوت أواصر العلاقة بين الصليحى وبعض الزعامات اليمنية ممن أنس فيهم ميلا إلى نصرته . ويبدو أن أوضاع اليمن الممزقة وانعدام وجود قوة سياسية واحدة تدين لها بقية القوى فى اليمن بالطاعة كانت محركة لعلى الصليحى فى السعى لإيجاد موطئ قدم له ولأتباعه بين تلك القوى .

ففى موسم الحج من عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م رتب الصليحى مع أتباعه أمر إظهار الدعوة ، فبايعه ستون رجلا من قبيلة همدان[٣] على الموت أو الظفر بقيام الدعوة ، "وما منهم إلا من هو فى قومه وعشائره فى منعة وعدد كثير" [٤] ، فبإنضمامهم عز جانب

---

[١] اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣، ص١٠٣ ؛ العامرى : غربال الزمان ، ص٣٧٦ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٦٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٤٣ ؛ العقيلى : المخلاف السليماني ، ص١٤٢.

[٢] عمارة : المفيد ، ص٨٩ .

[٣] لم تخضع جميع بطون همدان للصليحى ولم تقبل دعوته ، بل اقتصر الأمر على بعضها (الهمدانى : الصليحيون ، ص٧١) .

[٤] عمارة : المصدر نفسه، ص٨٨ ، ٩٨ ؛ ابن عبد المجيد : تاج الدين عبد الباقى : بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٥٢ ؛ حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن السياسى ، ص١٧٥ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ج ٤ ، ص٢٠١ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، الطبعة الأولى ، لندن ، قبرص ، ١٩٩١ ، جـ ٣ ، ص١٥٣ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٤٠٣.

الدعوة وقوى أمرها ، كما كان مشجعا لمن تردد من المستجدين لأن يحذو حذوهم[١].

حرص الصليحى على تهيئة نفوس أصحابه وشحذ هممهم ، فبث فى نفوس الخاصة منهم أنهم إنما يحاربون لنصرة الإمام وإعلاء كلمة الله ، وليس لأمر من أمور الدنيا ، كما حرص على جذب عامة الناس إليه من خلال استمالتهم بإستقامته ومسلكه الدينى[٢]. وبعد أن اطمأن الصليحى إلى جاهزيته القتالية ، بدأ يعد العدة لنزال القوى فى مناطق اليمن الأعلى ، لذا كان عليه أن يواجه الزعامات القبلية من جهة ثم القوى الزيدية من جهة أخرى .

خاض الصليحي عدة معارك مع زعماء القبائل المعاصرة ، فمن ذلك حربه ضد جعفر بن عباس الشاورى زعيم مغارب اليمن الأعلى ، لا سيما بعد أن شعر الأخير بخطورة الصليحى على نفوذه فى المنطقة ، فجهز جيشا كبيرا قوامه ثلاثون ألف مقاتل[٣] لمحاربة الصليحى فى عقر داره مسار ، واستئصال شأفته ، وألتقت تلك الجموع بقوات الصليحى قرب حصن مسار ، فدارت بين الفريقين معركة حاسمة فى رمضان[٤] سنة ٤٣٩هـ ــ ١٠٤٧م ، انتهت بانتصار الصليحى وقتل جعفر بن عباس الشاورى وكثير من أصحابه[٥]. وكان الشريف جعفر بن الإمام القاسم العيانى صاحب صعدة هو الآخر قد خرج إلى قتال الصليحى ، فقصد حصن الأخروج وكان به جماعة من أنصار الصليحى ، فقام بحصار الحصن وقتال من فيه ، رغبة فى الاستيلاء عليه والإنطلاق منه لقتال

---

[١] الهمدانى : الصليحيون ، ص٧١ ، حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن ، ص١٧٦ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ ٣ ، ص١٥٣.

[٢] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٧٢ ؛ الحداد : التاريخ العام ، جـ ٢ ، ص٢١٦ .

[٣] الخزرجى : العسجد ، ص٥٧ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٦٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ ١، ص٢٤٩ .

[٤] إدريس : عماد الدين إدريس بن الحسين : عيون الأخيار وفنون الآثار (مخطوط مصور) ، مكتبة الفاو ، صنعاء (د.ت) ، جـ ٧ ، ص١٣ وقيل فى شعبان ، انظر بامخرمة : المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة .

[٥] الحمزى : كنز الأخيار ، ص٧٨ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ، يحيى بن الحسين : المصدر والجزء ؛ الكبسى : محمد بن إسماعيل : اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (د.ت) ، ص٣١ ؛ الجرافى : المقتطف ، ص٧٧ ؛ عارف تامر : المرجع والجزء ، ص١٥٧ .

الصليحى،إلا أنه عدل عن هذا الأمر بعد علمه بهزيمة الشاورى ومصرعه[١].وقد كان من أهم الأسباب التى ساعدت الصليحى فى الانتصار على جعفر بن العباس الشاورى فى هذه المعركة هى أن المناطق التى كانت تحت نفوذ الشاورى كانت أهم مناطق انتشار المذهب الإسماعيلى منذ عهد ابن حوشب،لذلك لم يخلصوا له فى المعركة رغم كثرة عددهم[٢].

كان لذلك الانتصار الذى أحرزه الصليحى وقع كبير فى نفوس المناوئين له من أهل حراز ، الذين بادروا بالدخول فى طاعته ، ولم يتمنع عن ذلك سوى أبو النور بن جهور صاحب حصن لهاب ، الذى أعلن عن تمرده ، فحاصره الصليحى وشدد عليه الخناق حتى اضطره إلى التسليم[٣] ، ووجد الصليحى بعد ذلك أن الفرصة مواتية لتحقيق المزيد من المكاسب العسكرية ، ففى عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ، تمكن من الاستيلاء على حصن حضور ثم أتبعه بعد ذلك بالإستيلاء على حصن يناع[٤] .

شعرت القبائل فى مناطق اليمن الأعلى بخطورة الموقف ، فلم يجدوا بدا من وضع حد لإنتصارات الصليحى المتتالية ، فعقدوا العزم على مواصلة قتاله ، وانضووا تحت لواء السلطان[٥] حاشد بن يحيى أمير صنعاء ، وكان لقاء الطرفين عند يازل فى وادى صوف[٦] ، وهناك أنزل بهم الصليحى هزيمة نكراء[٧] ، وقتل من أعداء الصليحى ألف رجل، وفيهم زعيمهم حاشد بن يحيى مع عدد من رؤساء القبائل[٨] وكانت وقائع تلك

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، جـ ٧ ، ص١٣ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٥٧

[٢] السرورى : الحياة السياسية ، ص٤١ ، ٤٢ .

[٣] الهمدانى:الصليحيون،٧٩؛ الحداد: التاريخ العام ،جـ ٢،ص٢٢٠؛حسن سليمان، تاريخ اليمن ، ص١٧٨ .

[٤] السرورى : قيام الدولة الصليحية ، ص٢٣٦ .

[٥] السلطان: تلقب به العديد من مشايخ القبائل ولا ينم عن سلطنة حقيقية وإنما هو إلى الإمارة أقرب وسيتكرر هذا اللقب خلال هذه الدراسة .

[٦] صوف قرية بين حضور وبلد بنى شهاب (ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٤٥) .

[٧] الحجورى ، يحيى بن سليمان: روضة الأخبار وكنوز الأسرار ، (مخطوط) بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، رقم ٤٣٦ ، ، تاريخ ، بعثة اليمن الشمالي ، ج٤ ، ق٣٠٦ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٣١ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣١ .

[٨] الحمزى : كنز الأخيار ، ص٧٨ ؛ الحجورى : المصدر والصفحة ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٢ ؛ زبارة : محمد بن محمد : أئمة اليمن ، مطبعة النصر الناصرية ، تعز ، ١٩٥٢م ،جـ١، ص٩٢ ، ٩٣ ؛=

المعركة فى يوم الأحد من شهر ربيع الأول عام ٤٤٤هـ /١٠٥٢م[١]، وبذلك يكون الصليحى قد استكمل القضاء على أغلب رؤساء القبائل فى اليمن الأعلى،من همدان وحمير وخولان وبنى الحارث وغيرهم[٢]،فإزداد استفحال أمره وطار ذكره فى أنحاء اليمن[٣].

كان من نتائج معركة صوف أن الطريق إلى صنعاء غدا مفتوحا أمام الصليحى ، الذى أسرع بدخولها فى نفس العام ، غير أنه لم يطل فيها البقاء ، وإنما غادرها إلى زبيد بعد أن ترك عليها من يقوم بشئونها ، وبقى فى زبيد فيما بين ٤٤٤ ـ ٤٤٧هـ / ١٠٥٢ ـ ١٠٥٥م ليعود بعدها إلى صنعاء لحمايتها من زحف القوات الزيدية[٤] .

أما بالنسبة لحروب الصليحي مع الزيدية فلابد من الإشارة فى بداية الأمر إلى أن الزيدية والإسماعيلية فرقتان من فرق الشيعة ، تجتمعان تحت مسمى التشيع وتختلفان عن بعضهما فى أمور جوهرية عدة ؛ من ذلك أن الزيدية تعتقد بأن الإمامة تكون فى أولاد فاطمة الزهراء (رضى) الحسن والحسين معا فى حين تحصرها الإسماعيلية فى أولاد الحسين فقط من أحفاد إسماعيل بن جعفر الصادق[٥] .

كان اليمن مسرحا لعداء شديد بين هاتين الطائفتين ، كل منهما تريد لمذهبها أن يسود ، وتدعى لنفسها الحق دون الأخرى ، ولعل الدوافع السياسية كانت المحرك الرئيسى لذلك العداء ، وذلك عندما وجدت الزيدية فى ظهور الإسماعيلية خطرا حقيقيا يتهدد مصالحها السياسية وخصوصا فى مناطق اليمن الأعلى ، وهى المناطق التى كانت مسرحا لنشاط المذهب الزيدى السياسى والدينى .

سعت الزيدية لمقاتلة الصليحى منذ البدايات الأولى لظهوره فى مسار ـ كما سبق ـ

=حسن سليمان : المرجع نفسه ، ص١٧٩ .

[١] الربعى ، مفرج بن أحمد : سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ، ومحمد ابن جعفر ابن الإمام القاسم بن على العيانى ، تحقيق رضوان السيد ، عبد الغنى محمود ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص٧٦ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٤٦ .

[٢] السرورى : المرجع والصفحة .

[٣] المطاع : تاريخ اليمن ، ص ٢٣١.

[٤] الربعى : المصدر والصفحة ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٣٣ ؛ السرورى : المرجع والصفحة .

[٥] السرورى : المرجع نفسه ، ص٤٧ .

عندما بادر الشريف جعفر بن القاسم العيانى بجموعه نحو حصن الأخروج سنة ٤٣٩هـ ـ ١٠٤٧م ، إلا أنه تخلى عنه بعد علمه بمقتل جعفر الشاورى[١] ، غير أن الفرصة كانت مواتية للزيدية عندما أعلنت قبائل اليمن الأعلى مناصرتها لها فى حربها ضد الصليحي ، حيث تم تجهيز جيش لملاقاة الصليحي جعل على رأسه الأمير عبد الله بن جعفر نظرا لخبرته بمسالك الطريق ـ نواحى الحيمة ـ ولأن بعض أهلها عشيرته ، وتم اللقاء بين الفريقين فى منطقة المحارم من عزلة الحدب بالحيمة الداخلية ، حيث أسفرت المعركة عن انتصار الصليحى وقتل الكثير من أعدائه ، ووقع الأمير عبد الله فى الأسر ، وحمل إلى حصن مسار ، فأقام فيه مدة ثم أطلق سراحه بعد أن تعهد بعدم مقاتلة الصليحى[٢] ، ومن المرجح أن هذه المعركة كانت فى عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م[٣] .

تجدد اللقاء بين الفريقين بعد ذلك عندما كررت قبائل اليمن الأعلى المحاولة للنيل من الصليحى ، وفى هذه المرأة أسندت القيادة إلى الأمير جعفر بن القاسم ـ والد الأمير عبد الله ـ الذى سار بالقوات إلى صيد البرار[٤] فى ريدة ، حيث احتدم القتال بين الفريقين ، وتمكنت قوات الصليحى ـ كعادتها ـ من إحراز النصر على القوات الزيدية وحلفائها ، ووقع الأمير جعفر فى الأسر وحمل إلى مسار حيث بقى لبعض الوقت ، ثم أطلق سراحه بعد تعهده هو الآخر بعدم العودة لقتال الصليحى[٥] ، ويحتمل أن تكون هذه المعركة قد جرت أحداثها فى العام نفسه[٦] .

لم تكن تلك الهزائم كافية لكبح جماح الأشراف الزيدية وأعوانهم ، فإذا كان الأميران السابقان ، عبد اله ثم والده جعفر ، قد فشلا فى مواجهة الصليحى فقد آثر الشريف

---

[١] إدريس : عيون الأخيار ، جـ ٧ ، ص١٣ .

[٢] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص٧٣ ، ٧٤ ؛ المطاع : أحمد بن أحمد بن محمد : تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ، الطبعة الأولى ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٢٣٠ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٤٨ .

[٣] السروري : المرجع والصفحة .

[٤] صيد البرار : من المحتمل أن تكون واقعة بين ريدة وخارف فى البون الأسفل ، أو أن المقصود بها صيد حضور وهو الأقرب (عمارة : المفيد ، ص٩٢ حاشية) .

[٥] عمارة : المصدر والصفحة ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٣٠ .

[٦] السروري : المرجع نفسه ، ص٤٩ .

الفاضل ــ القاسم بن جعفر ــ أن يجرب حظه هو الآخر عله أن يحقق ما عجز عنه من سبقوه ، وقد جاءت له الفرصة سانحة بعد نزول الصليحى إلى زبيد وبقائه فيها فيما بين (٤٤٤ ــ ٤٤٧هـ / ١٠٥٢ ــ ١٠٥٥م) ، حيث قام الشريف الفاضل بهدم منازل وحصون الإسماعيلية فى بنى الحذيفى بالحيمة والبون ، وعندما شعر بالخطر من قبل الصليحى ، سارع فى تأليب الناس وحثهم على قتاله ، كما حثهم للإستيلاء على صنعاء ، وتم لهم ذلك ، غير أن الصليحي تمكن من خلال مراسلة زعماء القبائل الموالية له من تفريق الجموع التى كانت قد أيدت الشريف الفاضل ، لا سيما بعد سماعها بقدوم الصليحى نحو صنعاء ، عندها لم يجد الشريف الفاضل بدا من الخروج منها والتوجه إلى بلد بنى صريم ليدخل الصليحى صنعاء دون قتال فى عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م[١] .

أخذ الشريف الفاضل بعد خروجه من صنعاء فى إعداد العدة لقتال الصليحى يؤازره فى ذلك ويحظه عليه عدد من زعماء همدان ، منهم سلامة بن الضحاك وعلى بن دغفان وغيرهم ، الذين أخذوا فى تجميع القوات اللازمة من قبائل حاشد وبكيل ، وانتهى المطاف بلقاء الفريقين عند قراتل بجوار حاز[٢] ، ليسفر عن انتصار جديد للصليحيين وهزيمة الشريف الفاضل ومن معه من قبائل همدان ، وذلك عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م[٣] .

بعد معركة حاز لاذ الشريف الفاضل ومن معه من زعماء القبائل بالفرار والاحتماء بحصن الهرابه[٤] خوفا من قوات الصليحى ، الذى قام بدوره بفرض حصار شديد على الحصن من كل جانب ، ونصب نحوهم المنحنيات والعرادات[٥] ، واستمر فى تضييق الخناق عليهم سبعين يوما ، حاول خلالها الشريف الفاضل طلب العون من شريف مكة

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٩٦ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٣٣ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٤٩ .

[٢] حاز : فى الشمال الغربى من صنعاء تبعد عنها مسافة سبع ساعات (عمارة : المصدر نفسه ، ص١٩٧ حاشية ١) .

[٣] يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ ١ ، ص٢٥٢ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٨٢ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٥٠ .

[٤] الهرابه : أكمة فى بلاد وادعة ببلاد حاشد (عمارة : المصدر نفسه ، ص٩٧ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣٢) .

[٥] يحيى بن الحسين : المصدر والجزء والصفحة ؛ الكبسى : المرجع والصفحة ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٣٥ .

شكر بن أبى الفتوح الحسينى[١] ولكن دون جدوى[٢] ، وقد وقعت بين الفريقين العديد من المناوشات ، أبلى خلالها الشريف وأنصاره بلاءاً حسنا ، وانتهى أمر الحصار باستسلام الشريف ومن معه ومن ثم أخذ الشريف أسيرا إلى صنعاء[٣] .

واستكمالا لصراع الصليحى مع زعماء الزيدية ، بقى لنا أن نشير إلى صراعه مع الإمام أبى الفتح الديلمى[٤] ، الذى قدم إلى اليمن من بلاد الديلم عام ٤٣٧هـ /١٠٤٥م ودعا لنفسه بالإمامة[٥] ، وقد أيده جماعة من أهل اليمن من صعدة وصنعاء وذمار ، غير أن ذلك التأييد تلاشى بظهور الصليحى وعلو شأنه ، مما دفع بالإمام إلى التنقل من منطقة إلى أخرى خوفا منه ، فسار إلى بلاد خولان وعنس[٦] وذيبين[٧] ، وفى عام ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م قصده الصليحى إلى بلاد عنس وكان لقاء الطرفين عند نجد الجاح[٨] بالقرب من

---

[١] فخر المعالى أو تاج المعالى ، أبو عبد الله شكر بن أبى الفتوح ، أصله من ملوك مكة السليمانيين من بنى حسن ، نسبة إلى سليمان بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، تولى ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠هـ وكان شاعرا محبا للأدباء (الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٩ حاشية ١) .

[٢] المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٣٦ .

[٣] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٦٠ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣٢ ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٣٧ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٥١ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٧٩ .

[٤] الإمام الديلمى : هو أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد وينتهى نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب (رضى) وقيل إلى الحسين (رضى) ، كانت دعوته فى بلاد الديلم عام ٤٣٠هـ ، وصل إلى اليمن عام ٤٣٧هـ ودعا لنفسه بالإمامة ، ينسب إليه اختطاط حصن ظفار ، له من التصانيف ، البرهان فى تفسير غريب القرآن ، ورسالة فى الرد على المطرفية ، وغيرها من التصانيف (زبارة : أئمة اليمن ، ص٩٠ ــ ٩٢؛ الواسعى : تاريخ اليمن ، ص١٨٤) .

[٥] زبارة : محمد بن محمد : إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ، مطبعة المقام الشريف ، صنعاء ، ١٣٤٣هـ ، جـ ١ ، ص٥١ .

[٦] عنس : مخلاف ينسب إلى عنس بن مالك المنتهى نسبة إلى كهلان بن سبأ ، ويقع فى مغرب مدينة ذمار ومشرقها (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص١٦١ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص١١٣١) .

[٧] ذيبين : تقع شرقى خمر وشمال ريدة بمسافة ٢٠ كم (المقحفى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص٦٥٧) .

[٨] نجد الجاح : من بلاد رداع ويعرف اليوم بقاع الديلمى وهو إلى الشرق من ذمار (المقحفى : المرجع نفسه، جـ ٢ ، ص١٧١٩) .

رداع[١] حيث انتهى بمصرع الإمام الديلمى وكثير من أصحابه[٢] .

بعد أن تمكن الصليحى من بسط سيطرته على مناطق اليمن الأعلى ، عقد العزم على تكملة مشوار بناء الدولة وتحويل العمليات العسكرية إلى مناطق اليمن الأسفل موطن الإمارات الحميرية ، ففى المحرم من عام ٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م[٣] توجهت قوات الصليحى للقاء جعفر بن أحمد الكرندى الذى كان مسيطرا على بلاد المعافر والدملوة والجند والتعكر ، فضرب عليه حصارا فى السوا[٤] ، حيث كان يقيم ، واستمر الحصار مدة تسعة أشهر ، انتهى بتسليم يعفر الكرندى نفسه إلى الصليحى الذى أخذه معه أسيرا إلى صنعاء[٥] .

خاض الصليحى جملة من المعارك فى تلك الأنحاء ، منها معركة السمدان[٦] ،

---

[١] رداع : بالفتح ، مخلاف بين نجد حمير ونجد مذحج ، تقع إلى الشرق من ذمار (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص٣٩ ؛ المقحفى : معجم البلدان، ص٦٨١) .

[٢] زبارة : إتحاف المهتدين ، ج١، ص٩٣ ؛ الواسعى : تاريخ اليمن ، ص١٨٤ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣١ ؛ الآنسى : عبد الملك بن حسين الآنسى الصغانى : إتحاف ذوى الفطن بمختصر أنباء الزمن ، تحقيق القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافى ، منشورات جامعة صنعاء ، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب ، ١٩٨١م ، ص٢١ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٥٢،٥١؛

Madelung, W., The sirat Al – Amirayn, Al – Qasimwa – Muhammad Ibnay Jafar, in : Studies in the history of Arabia, vol. I, sources for the History of Arabia, Part 2, Riyad , 1977, p.71 – 72.

[٣] المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٣٧ ؛ أما يحيى بن الحسين فيذكر أن توجه الصليحى لقتال الكرندى كان فى سنة ٤٤٩هـ : غاية الأمانى ، جـ ١ ، ص٢٥٢ ؛ ويرى السروى أن نزل الصليحى نحو بنى الكرندى فى أواخر سنة ٤٤٩هـ عن طريق زبيد ،(المرجع نفسه ، ص٥٢) .

[٤] السوا : عزلة من المعافر مركزها النشمة ، تقع شمال مدينة التربة ، أعلاها حصن منيع كان من المعاقل الرئيسية لبنى الكرندى (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٥٦ حاشية ٢ ؛ المقحفى : المرجع نفسه ، جـ١، ص٨٢٤) .

[٥] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص١٠٩ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٦٠ ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٣٧ ؛ السروى : المرجع نفسه ، ص٥٢ .

[٦] السمدان : حصن من عزلة الشمايتين من الحجرية وأعمال تعز ، يبعد عن تعز ٦٤ كم (الأكوع : المرجع نفسه ، ص١٥٥ حاشية ٤ ، المقحفى : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص٨١١) .

ومعركة فى ريمة المناخى (المذيخرة) وغيرها من المعارك التى انتهت بإنتصاره[١] كما تمكن من الاستيلاء على حصنى صبر[٢] والدملوة[٣] ، بالإضافة إلى سيطرته على حصن حب وبعدان والسحول والشوافى التى كانت تحت نفوذ بنى التبعى[٤]، ويبدو أن تلك الإنجازات العسكرية التى حققها الصليحى كانت فى عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م[٥] .

ثم توجه الصليحى بقواته نحو إمارة بنى معن ، فتمكن من الاستيلاء على عدن وأبين وأحور بعد فرار بنو معن منها ، إلا أنهم لم يلبثوا أن عادوا وقدموا فروض الولاء والطاعة لعلى الصليحى الذى قبل منهم وثبتهم نوابا عنه فيما كان لهم من مناطق[٦] ، بعد أن فرض عليهم دفع مائة ألف دينار سنويا مقابل ذلك[٧] ، ثم قفل عائدا بعد ذلك إلى صنعاء[٨] .

قام على الصليحى بنقل العمليات العسكرية إلى جبهة أخرى هى المناطق التهامية ، وكانت تهامة إذ ذاك منطقة نفوذ للدولة النجاحية ممثلة بقائدها نجاح ، الذى كان يرى فى نفسه ممثلا للخلافة العباسية فى اليمن ، لا سيما بعد أن أعطته الخلافة العباسية تفويضا بذلك "فنعت بالمؤيد نصير الدين وفوض إليه تقليد القضاء لمن يراه والنظر العام فى الجزيرة اليمنية ..."[٩] ، وأذعن لتلك السيادة زعماء القبائل فى مناطق الجبال وإن لم يزد

---

[١] السروري : الحياة السياسية ، ص٥٣ .

[٢] صبر:جبل مشهور مطل على قلعة تعز فيه عدة قرى وحصون (البكرى : معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص٤٥٦ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ،جـ٣،ص٣٩٢ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٨٩٤) .

[٣] الدملوة : قلعة منيعة فوق قرية المنصورة من جبل الصلو على بعد ٦٠ كم ، (المقحفى : المرجع والجزء، ص٦٢١) .

[٤] الجرافى : المقتطف ، ص٧٨ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٥ .

[٥] السروري : المرجع والصفحة .

[٦] الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٦ نقلا عن رسائل القمى ١٩ ــ ٢٢ .

[٧] السروري : المرجع والصفحة .

[٨] الهمدانى : المرجع والصفحة .

[٩] عمارة : المفيد ، ص٧٧ .

الأمر عن كونه اعترافا إسميا بها[١] .

على الرغم من ظهور الصليحى كقوة ناشئة فى مناطق الجبال ، إلا أن نجاح لم يقم بأى محاولة جدية للوقوف أمام تقدمه ، واكتفى فى بداية الأمر بتحريض الإمام الديلمى للوقوف فى وجهه ، أو بوضع عراقيل حاول من خلالها أن يسد الطريق على أنصار الصليحى ويمنعهم من الوصول إليه[٢] ، ولعل ما أسكت نجاحا عن مواجهة الصليحى بشكل جاد منذ البداية ، راجع إلى أن نجاحا لم يكن بمقدوره أن يفعل أكثر مما فعله زعماء القبائل فى مناطق اليمن الأعلى ، لا سيما وأنه كان يفتقر إلى الإمكانات المالية التى تمكنه من فرض سيطرته على جميع بلاد اليمن[٣] ، كما أن الصليحى كان قد نجح منذ البداية فى إيجاد نوع من الوفاق بينه وبين نجاح ، ولم يعكر صفوه سوى الإمام الديلمى فيما بعد[٤] ، وبالإضافة إلى ذلك كله ، فقد كان لالتزام الصليحى السرية الكاملة فى حركته الإسماعيلية وعدم الإعلان عن حقيقتها أثر كبير فى توفير الحماية لها منذ البداية[٥] .

قرر الصليحى أن يبدأ المواجهة العسكرية مع النجاحيين فى تهامة ، لذلك قام فى عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م بدخول مدينة زبيد وفيها أظهر أمره بأن ضرب دينارا يحمل اسم ولقب الخليفة الفاطمى المستنصر "المعد"[٦] ، غير أنه لم يلبث أن تصالح مع نجاح ومن ثم عاد إلى مسار فى نفس العام[٧] .

لم تستمر المصالحة طويلا بين الطرفين ، فقد أعطى انتصار الصليحى فى صوف ودخوله صنعاء دفعة قوية لتحقيق المزيد من المكاسب ، فآثر أن يتحول مرة أخرى إلى

---

[١] الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٨٧ ؛ الحريرى : دراسات وبحوث ، ص١٩٢ .

[٢] السرورى : الحياة السياسية ، ص٥٥ ؛ نقلا عن مجهول : تاريخ اليمن ، ق١٧٣ .

[٣] السرورى : المرجع نفسه ، ص٥٤ .

[٤] الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٣ .

[٥] الحريرى : المرجع والصفحة.

[٦] العش : محمد أبو الفرج : المسكوكات فى الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة الإكليل ، العدد الخامس ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨١م ، ص٤٣ .

[٧] السرورى : المرجع نفسه ، ص٥٥ ؛ نقلا عن مجهول : تاريخ اليمن ، ق١٧٣ .

زبيد ليدخلها عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م إلى ٤٤٧هـ /١٠٥٥م أصدر خلالها عددا من الدنانير حرص من خلالها على إظهار موالاته للخليفة الفاطمى ولمذهبه الإسماعيلى[١].

ويبدو أن توجه الصليحى لقتال نجاح فى تلك الفترة أنه كان على علم بأحوال نجاح وبعدم قدرته على المواجهة ، فبقاء الصليحى فى زبيد طيلة تلك السنوات يكشف عن ضعف واضح فى أوضاع الدولة النجاحية وعدم مقدرتها على توفير الحماية لأهم مدنها ، ولعل نجاح اكتفى بالحفاظ على أعمال شمال زبيد وهى مناطق الكدراء[٢] والمهجم[٣] والواديين؛ موروبيش ، وهى الأعمال التى كان نجاح قد تولاهما قبل قيام دولته[٤].

وتعد معركة الزرائب فصلا مهما من فصول المواجهة بين الصليحيين من جهة والنجاحيين وأنصارهم من جهة أخرى ، وقد دارت أحداثها فى تهامة عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٥] ، فى منطقة الزرائب من أعمال بن طرف الذى كان قد جمع جيشا كبيرا لقتال الصليحى ، يقدرون بعشرين ألف مقاتل أما الصليحى فيذكر أنه أعد جيشا قوامه ألفين وسبعمائة فارس ، وفى منطقة الزرائب احتدم القتال بين الطرفين ، استطاعت قوات بن طرف أن تكسب جولاته الأولى ، إلا أن صمود الصليحى وأتباعه مكنهم من إحراز النصر فى نهاية المعركة ، ولاذا المنهزمون بالفرار واحتموا بجبل يعرف بالعكوتتن[٦] .

كان على الصليحى يطمح إلى بسط سيطرته على كل بلاد اليمن ، وقد تمكن من قطع شوط طويل فى ذلك الأمر ، غير أنه وجد أن تلك السيطرة لن تكتمل إلا بالتخلص من عدوه نجاح ، فأخذ يعمل الحيلة فى التخلص منه ، وتمكن من ذلك عن طريق جارية جميلة أهداها إليه ، ويبدو أن نجاحا كان مولعا بالنساء ولهن تأثير شديد عليه ، فلم يتردد

---

(١) العش : المسكوكات ، ص٤٣ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٥٦ .

(٢) الكدراء:مدينة فى أعلا وادى سهام على بعد مرحلتين من زبيد (ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن ، ص٣٢٢).

(٣) المهجم : بلدة فى تهامة بوادي سردد ما بين جبل ملحان وبلدة الزيدية (ابن سمرة : المصدر نفسه،ص٣٢٤)

(٤) السروري : المرجع نفسه ، ص٥٧ .

(٥) إدريس : عيون الأخيار ، جـ ٧ ، ص٢٠ ؛ عمارة : المفيد ، ص١٠٣ ، وقد أوردها فى عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧ بترجيح الرواية الخاطئة بموت الصليحي عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٨٠ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٦٠ .

(٦) عمارة : المصدر نفسه ، ص ٧٧ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ؛ حسن سليمان : المرجع والصفحة ، العكوتان: جبلان منيعان فى وادى بيش بالمخلاف السليمانى (عمارة:المصدر نفسه،ص١٠٣ ، حاشية ٦).

فى قبولهن كهدايا رغم كبر سنه[١] ، وقد نجحت تلك الجارية فى قتل نجاح بأن أسقته السم فمات على إثر ذلك ، وذلك فى عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م[٢] ، ولم تكن نهاية نجاح هى خاتمة الصراع بين الجانبين وإنما كانت بداية لمرحلة جديدة منه ، إذ تجدد مرة أخرى فى عهد أولاد نجاح ــ كما سيأتى[٣] .

أدرك الصليحى أنه بقتل نجاح صار الطريق مفتوحا أمامه لإستكمال توحيد اليمن تحت قيادته ، فما كان منه إلا أن قام بمراسلة الخليفة الفاطمى ، يطلب منه الإذن بإظهار الدعوة فى اليمن ومنحه الألقاب والرايات ، فأضفى عليه بذلك الصفة الشرعية فى إقامة دولته[٤] ، وبعد أن توفى نجاح صار لزاما على الصليحى أن يتوجه للإستيلاء على تهامة ، فدخلها عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م وانتزعها من كهلان (مولى نجاح) الذى كان قد تولاها بعد موت سيده عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، وصيا على أبنائه الصغار ، الذين ما أن سمعوا بقدوم الصليحى حتى لاذوا بالفرار إلى دهلك[٥] ، لتدخل تهامة بعد ذلك تحت سيطرة الصليحيين[٦] . وحتى يكتمل حلم توحيد اليمن ، بقى للصليحى أن يقضى على ثائرة صعدة

---

[١] زاهر رياض : دولة حبشية فى اليمن ، ص١١٠ .

[٢] عمارة : المفيد ، ص١٥٤ ؛ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ، جـ٢ ، ص٥٢ ؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص٢٣٧ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٦١ ؛ يحيى بن حسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٥٣؛ نفسه : أنباء الزمان ، ص١٦١ ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ص١٨١ ؛ العقيلى : المخلاف السليمانى ، ص١٤٤ .

Farhard Daftary, The Isma'ilis, p.208.

[٣] الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٤ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص٦١ .

[٤] عمارة : المصدر نفسه، ص٩٩ ؛ ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤١٢ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٥٧ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمان ، ص١٦١ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٥٩ ؛ سرور : محمد جمال : تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٨٢ .

[٥] دهلك : مجموعة جزر قبالة جزيرة كمران ، كانت من أعمال اليمن (الأكوع : البلدان اليمنية ، ص١١٩ حاشية ٦ ، وللمزيد أنظر زاهر رياض : دولة حبشية ، ص١١٠) ؛

Moncelon, Lada'wa Fatimid, www.univ-aix.1995.10pp

[٦] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٥٤ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ،ص١٦١ ؛ يرجح السرورى أن سيطرة الصليحى على تهامة كانت عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م استنادا إلى ما ذكرته المصادر من أن كهلان تولى تهامة لمدة عامين بعد موت نجاح سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م:المرجع نفسه،ص٥٩ ؛سرور : المرجع نفسه ، ص٨١ .

معقل الزيدية ، والتى كانت خارجة عن نفوذه ، فتمكن من الإستيلاء عليها عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، ليكمل بذلك توحيد اليمن تحت قيادة دولته الفتية الدولة الصليحية[١] .

لم يكتمل عام ٤٥٥هـ /١٠٦٣م إلا وقد دانت بلاد اليمن بأسرها لنفوذ الصليحى الذى "ملك اليمن قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها واستقر ملك اليمن وجعل قراره فى مدينة صنعاء ..."[٢] ، وقال عمارة : "ولم تخرج سنة خمس وخمسين وما بقى عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه وذلك أمر لم يعهد مثله فى جاهلية ولا إسلام" [٣] .

لما استقرت الأوضاع للصليحى ودانت له بلاد اليمن ، اتخذ من صنعاء عاصمة لدولته ، فبنى فيها الدور والقصور وأسكن معه الأسرى من حكام اليمن الذين كان قد أطاح بعروشهم[٤] وصارت الخطبة تقام على منابر اليمن للمستنصر الفاطمى وللصليحى ثم لزوجته أسماء بنت شهاب ، ولم يعد للخلافة العباسية قليل أو كثير من ذلك الأمر[٥] ، ولم يكن بمقدورهم ــ العباسيين ــ عمل شئ حيال ذلك سوى التشكيك بنسب الفاطميين

---

[١] الخزرجى : العسجد ، ص٥٨ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٦١ .

[٢] بن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص٢٣٧ ؛ الحمزى : كنز الأخيار ، ص٧٨ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص٢٢ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٢ ؛ العرشى : بلوغ المرام ، ص٢٥ ؛ حسن سليمان: تاريخ اليمن ، ص١٨١ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٤٠٤ .

[٣] المفيد،ص٩٩؛ابن خلكان:وفيات الأعيان،ج٣،ص٤١٢؛حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام،جـ٤،ص٢٠٢

[٤] ابن خلكان : المصدر والجزء والصفحة ؛ الحمزى : المصدر والصفحة ؛ ابن عبد المجيد : المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، (د.ت) ، ص٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٥٤ ، والحكام الذين أزال الصليحى ملكهم هم : الحواليون ملوك شبام كوكبان والمغارب وكحلان خبان وسلاطين حاشد بنو الضحاك واللعويون أقيال ريدة وناعط والسخطيون ملوك يحصب وبنوا أبى الفتوح أمراء خولان العالية والشهابيون ملوك صنعاء وحضور والتبعيون أذواء بعدان والكلاعيون بنو وائل ملوك الكلاع وبنو الكرندى سلاطين المعافر والمناخيون أصحاب المذيخرة وبنوا معن الحميريين أصحاب لحج وأبين وغيرهم من أمراء اليمن (عمارة : المصدر نفسه،ص ٩٩، ١٠٠)

[٥] سرور : محمد جمال الدين: سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ،١٩٧٦م ، ص٨٢ ؛ عبد المنعم ماجد : الإمام المستنصر بالله الفاطمى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٦١ ، ص١٠٤ .

إلى على بن أبى طالب (رضى الله عنه) علهم أن ينالوا منهم نيلا[١] .

قام الصليحي بترتيب أمور دولته ، فعهد بحكم الأقاليم لمن يثق بهم من الولاة المقربين ، وغالبا ما كان هؤلاء من أصحاب مذهبه الإسماعيلى أو أقاربه الذين وقفوا إلى جانبه فى مشوار بناء دولته ، مثل بنى الصليحى وبنى شهاب وبنى الزواحى وغيرهم من قبائل حمير وهمدان ومذحج[٢] ، فولى على تهامة أسعد بن شهاب ، شقيق زوجته أسماء[٣] ، الذى أحسن فى الرعية وأذن لأهل السنة فى إظهار مذهبهم[٤] ، كما ولى أخاه السلطان عبد الله بن محمد الصليحى على حصن التعكر[٥] ، والحسين بن مهلهل على حصن الأخروج ، أما سبأ بن أحمد الصليحى فقد أسند إليه حصن أشيح[٦] ، وجعل على حصن خدد عبد الله بن يعلى الصليحى ، فى حين استعمال ابنه الأمير المكرم على الجند وما ولاها[٧] ، كما ولى عبد الله بن موسى بن عيسى بن هارون مخلاف البياض بحجة[٨] ، أما صعدة فقد أسند ولايتها لأحمد بن المظفر الصليحى ، وولى على بن مالك بن شهاب على حصن مسار ، وإسماعيل بن أبى يعفر الصليحى على يحصب ورعين وعنس[٩] .

لما فرغ الصليحى من تدبير شئون دولته تولدت لديه الرغبة فى زيارة بيت الله الحرام كما عن له السفر إلى مصر لرؤية إمامه المستنصر ، وكعادته عند الإقدام على الأمور الهامة ، أرسل الصليحى إلى إمامه يطلب منه الإذن بذلك ، وقد أجابه المستنصر

---

[١] عطية محمد أمين عبده : اليمن فى عهد السيد "أروى بنت أحمد الصليحى" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص٦٧ .

[٢] السروري : الحياة السياسية ، ص٦٧ .

[٣] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٦ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٧ .

[٤] ابن عبد المجيد:بهجة الزمن،ص٥٣؛ابن الديبع:المصدر نفسه،ص٤٧؛ سرور:تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٨٣ .

[٥] حصن التعكر : حصن منيع فى جبل التعكر جنوب ذي جبلة (ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن،٣٠٩).

[٦] حصن أشيح:حصن في بني سويدمن بلادآنس جنوب غرب صنعاء(الأكوع:البلدان اليمانية،ص٣١،حاشية٢)

[٧] إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١١٦ ،١١٧؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٥٥ .

[٨] السروري : المرجع نفسه ، ص٦٨ نقلا عن مسلم اللحجى : تاريخ مسلم اللحجى ، ص١٩٥ .

[٩] مجهول : سيرة السلطان المعظم الأمير الأجل المكرم (مخطوط) مصور لدى الطالب ، عن نسخة المكتبة المركزية بجامعة صنعاء ، تاريخ ، بدون رقم ، ص٤٤ ، ٥٠ ، ٧٥ ؛ السروري : المرجع والصفحة .

إلى طلبه زيارة البيت العتيق ، نظرا لما أبداه الصليحى من نية فى أن يقضى على الفساد الذى حل بالحرم المعظم ، "ويقوم مناره ، ويقيم للعدل عماده ، ويعمر طرقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين"[١] كما أوصاه أن يتعامل مع الأمر بروية وأن يتجنب الفتنة ما استطاع إلى ذلك سبيلا[٢] ، أما عن زيارة مصر فقد صرفه عنها بقوله : "فلا شئ أحب إلى أمير المؤمنين من أن يشبع على أوليائه مثلك نظرا لكن الشقة بعيدة ومتاعب المنافذ فيها شاقة شديدة ..."[٣] .

ولعل ما دفع المستنصر إلى صرف نظر الصليحى عن زيارة مصر فى ذلك الوقت راجع إلى أن مصر كانت تمر فى تلك الفترة بظروف سيئة بسبب الشدة العظمى[٤] التى

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧، ص١٢٨ ، ١٢٩؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص٩٧ .

[٢] مما تجدر الإشارة إليه أن الصليحى قد حج إلى مكة فى عام ٤٥٥هـ /١٠٦٣م(عند إدريس ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وكان أشراف مكة قد خرجوا عن طاعة الخلافة الفاطمية وقطعوا الخطبة للمستنصر الفاطمى على عهد الشريف شكر الحسينى عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، وعندما أتت الفرصة لعلى الصليحى توجه إلى مكة وأعاد الخطبة للمستنصر الفاطمى ، كما عمل على إصلاح الأوضاع الأمنية السيئة التى كانت تعانى منها مكة فى ذلك الوقت ، فأدب القبائل التى كانت تعتدى على الحاج ، وأصلح ما أفسده الأشراف فأمن الناس وصلحت أحوالهم و لم يخرج من مكة إلا بعد أن أعاد واليها السابق محمد بن جعفر وأعطاه ما يحتاج إليه من مال وسلاح وعاد إلى صنعاء ، غير أن الشريف محمد بن جعفر كان متقلبا فى ولائه ، فتارة يوالى الفاطميين وتارة يوالى العباسيين ، كما أعاد أوضاع مكة إلى سابق عهدها من السوء فكان ذلك دافعا للصليحى لأن يتوجه إلى البيت الحرام (ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد : الكامل فى التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، (د.ت) ، جـ٨ ، ص٣٨٠ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٤ ــ ٤٠ ، ١٢٨ ــ ١٢٩ ؛ ابن تغرى بردى : جمال الدين أبي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، مصر ، (د.ت) ، جـ٥ ، ص١١٢ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه، ص٩٠ ــ ٩٣) .

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٣٠ ؛ محمد أمين صالح : العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، المجلد ٢٦ ، ص٦٤ .

[٤] مرت مصر فى الفترة من (٤٥٧هـ ــ ٤٦٤هـ) بشدة عظمى ساءت فيها الأوضاع وأختل الأمن وانتشرت الفوضى فى كل مكان (راجع فى هذا الصدد : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٥ ــ ١٧ ؛ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دمشق ، دار المدنى ، ٢٠٠٣ ، ص١٧ ــ ٣١ ؛ عبد المنعم ماجد : الإمام المستنصر ، ص١٥٦.

اجتاحت البلاد ، فلم يرغب المستنصر فى إطلاع الصليحى على ذلك الأمر لما قد يترتب عليه من آثار نفسية غير مرضية ، ولعل المستنصر أدرك خطورة ابتعاد الصليحى عن دولته مع ما يضمر له أعداؤه من تآمر وهو أمر أثبتته الأيام فيما بعد[١] .

بعد زوال دولة بنى نجاح وسقوط تهامة فى أيدى الصليحيين ، كان أولاد نجاح قد لاذوا بالفرار إلى جزيرة دهلك ، وكانوا على تواصل مع بعض الشخصيات الهامة الموالية لهم فى زبيد ، ومنهم كانت تصل إليهم أخبار الصليحى أولا بأول[٢] .

بقى جياش بن نجاح فى جزيرة دهلك ، فى حين غادرها أخوه سعيد الأحوال إلى زبيد على إثر خلاف بينه وبين جياش عندما نهاه الأخير عن الفتك بصاحب دهلك[٣] ، وفى زبيد تخفى سعيد عن الأنظار متتبعا أخبار الصليحى من خلال جواسيسه المنتشرة فى زبيد وغيرها ، وكان على تواصل مع أخيه جياش ، يعلمه بما يجد من أمور ، ويعد العدة للثورة فى زبيد[٤] .

وصلت الأخبار لسعيد الأحول عن قيام الصليحى بالتوجه لأداء فريضة الحج من عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧هـ ، فوجدها فرصة سانحة للتخلص منه وأخذ يعد العدة لذلك ، فكتب إلى أخيه جياش يعلمه بما عقد عليه العزم ، ويطلب منه القدوم مع أنصاره ، وواعدهم اللقاء فى ساحل المهجم وتمكن جياش من تجهيز خمسة آلاف مقاتل يجيدون الرمى بالحراب وسار بهم عن طريق البحر حتى وصلوا ساحل المهجم[٥] .

أدرك سعيد الأحول بعد ذلك أن الفرصة مواتية للظهور ، فجمع أنصاره فى زبيد وأعلن ثورته فيها ، فبدأ بالاستيلاء على دار الإمارة واستحوذ على ما بها من أموال[٦] ،

---

[١] الهمدانى : الصليحيون ، ص٩٨ .

[٢] الحريرى : دراسات وبحوث ، ص١٩٦ ؛ العمرى : الأمراء العبيد ، ص٣١ ؛ زاهر رياض : دولة حبشية فى اليمن ، ص١١١ .

[٣] عمارة : المفيد ، ص١٥٤ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص١٠٦ .

[٤] السرورى : الحياة السياسية ، ص٧٧ .

[٥] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٣ وما بعدها ؛ الخزرجى : المصدر نفسه ، ص٥٩ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٧٧ .

[٦] مجهول : سيرة المكرم ، ص٢٨ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٧٨ .

ثم انطلق ومعه سبعون رجلا من رفاقه للانضمام إلى قوات أخيه جياش ، حيث التقى بهم عند ساحل المهجم ، ليتوجهوا بعد ذلك فى اقتفاء أثر الصليحى ، الذى كان قد حط رحاله فى مدينة المهجم فى ضيعة تعرف بأم الدهيم وبئر أم مبعد للاستراحة من عناء السفر[١] .

وفى تلك الأثناء ، وبينما كان الصليحى ومن معه يأخذون قسطا من الراحة ، هجم عليهم سعيد الأحول وجياش بمن معهما من جند ، مستغلين ابتعاد قوات الصليحى وبقاءه فى قلة من أتباعه ، فتمكنوا من قتله وكثيرا ممن كانوا معه فى معركة غير متكافئة ، دارت أحداثها فى ١١ ذى القعدة سنة ٤٥٩هـ/ سبتمبر ١٠٦٧م واقتيدت نساء الصليحى وفيهن زوجته أسماء أسيرات إلى زبيد كما غنم أولاد نجاح أموالا عظيمة كان الصليحى يعتزم إرسالها كهدية إلى الخليفة المستنصر الفاطمى[٢] .

ليسدل الستار بذلك على شخصية هامة من أبرز الشخصيات اليمنية فى تاريخ اليمن الإسلامى ، استطاعت بعد جهود مضنية أن تأتى بما لم يأت به الأوائل فى مجال توحيد

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٥٧ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص١٠٦.

[٢] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص٢٠ ؛ مجهول : سيرة المكرم ، ص٣٠ ؛ الحجورى : روضة الأخبار (يوردها فى ٧ ذى القعدة) ؛ ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن (يوردها فى ١٠ ذى القعدة) ، ص٨٨ ؛ أما الحمزى ، والخزرجى وابن الديبع فيوردها فى (١٢ ذى القعدة) : كتر الأخيار ، ص٧٩ ؛ العسجد ، ص٥٩ ؛ قرة العيون ، ص٢٥٠ وأنظر أيضا كليفورد . أ . بوزرد : الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشراع العربى ، ١٩٩٥ ، ص١١٧ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٦٧ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٤٠٥ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة ، ص١٧٣ ؛ نفسه : الإمام المستنصر ، ص١٠٦ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٧٨ ؛
Moncelon, La da'wa Fatimid, www.univ – aix.1995.10pp
وهناك من يرى أن حادثة مقتل الصليحى كانت فى عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م ، انظر يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص١٥٦ ؛ الآنسى : أتحاف دول الفطن ، ص٢١ وما بعدها ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣٤ وما بعدها ؛ الجرافى : المقتطف ، ص٧٨ وما بعدها ، ومن المؤرخين من يذهب إلى أنها كانت عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، انظر عمارة : تاريخ اليمن ، ص١٠٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤١٤ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص١٠٣ ؛ العامرى : غربال الزمان ، ص٣٧٧ ، ويبدو أن الرأى الأول هو الأرجح (أى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م) على اعتبار أن عددا من تلك المصادر كان معاصرا لما حدث ، وللمزيد حول روايات مقتل الصليحى ، راجع السرورى : المرجع نفسه ، ص٦٩ – ٧٥).

بلاد اليمن فى إطار واحد وتحت قيادة واحدة على الرغم من صعوبة تحقيق مثل ذلك الأمر فى بلد كبلاد اليمن ، لخصوصيته الجغرافية وتركيبته القبلية المعقدة .

أما عن أوضاع اليمن فى عهد الملك المكرم[١] فبعد الفاجعة التى منى بها الصليحيون عاشت الدولة الصليحية أصعب مراحلها ، وأوشك عقدها أن ينفرط ، لولا أن قيضت لها الأقدار أسباب البقاء ، وكان من أبرزها وجود عدد من القيادات البارزة الذين تمكنوا بحنكة واقتدار من تحويل الهزيمة إلى نصر ، وإعادة هيبة الدولة إلى سابق عهدها .

فقد أدى مقتل على الصليحى إلى قيام بعض زعماء القبائل للإستقلال ، والسعي للقضاء على الدولة الصليحية التي هددت سيادتهم وأجبرتهم على الخضوع ، فتلاشى نفوذ الصليحية فى أغلب مناطق اليمن ، ومن هذه القبائل : أهل حضور[٢] وأهل حراز وأهل يحصب ورعين وعنس ومغارب اليمن الأعلى[٣] ، أما فى مناطق اليمن الأسفل فقد عاد بنو الكرندى وبنو معن للظهور من جديد فى المناطق التى كانوا يسيطرون عليها قبل خضوعهم للصليحيين ، كما عاد ظهور الأئمة الزيدية فى شمال صنعاء ، والنجاحيون فى تهامة ، وتعرضت كثير من الحصون الصليحية للحصار ، فوقع حصن مسار تحت حصار أنصار النجاحيين ، فى حين وقعت بقية الحصون تحت حصار القبائل المحيطة بها[٤] ، ولم يقتصر الخطر عند هذا الحد بل تعداه إلى صنعاء العاصمة الصليحية حيث

---

[١] هو أبو على أحمد بن على بن محمد الصليحى الهمدانى ، ولد بحصن مسار عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م وكان والده قد حرص على تدريبه على شئون الحكم ، فأسند إليه ولاية الجند وأعمالها ثم أسند إليه ولاية العهد بعد وفاة أخيه الأعز ، وكان آخر تكليف له فى عهد والده إنابته عنه فى حكم اليمن عندما توجه على الصليحى لأداء فريضة الحج ، ثم اعتلى العرش بعد مقتل والده ، وكان من أخلص الدعاة الفاطميين ، (مجهول : سيرة المكرم ، ص١١ ، ٢٦ ؛ ادريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ٢ ، ص٤٢١ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص٩٦ ، ١١٣ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١١٨ .

[٢] حضور : جبل شامخ فى بنى مطر ، يقال أنه أعلى جبال اليمن ، وسمى بذلك نسبة إلى حضور بن عدى بن مالك ، ويقع غربى صنعاء ، (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص١٢٢ ، حاشية ٦ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٧٩) .

[٣] مجهول : سيرة المكرم ، ص٣٥ ، ٣٦ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٨٢ .

[٤] السروري : المرجع نفسه ، ص٨٣ .

كان يقيم المكرم مع جماعة من أنصاره لا يزيدون عن الستمائة رجل[١] .

إزاء تلك الأخطار التى أحدقت بدولته ، قرر المكرم أن يبدأ فى إعادة الأمور إلى نصابها وحماية دولته من السقوط ، فبدأ بذلك الدور الحربى ، الذى تجلى فى قيامه بالعديد من العمليات العسكرية والتى كان فى مقدمتها قتاله مع القبائل المناوئة .

فعلى الرغم من وجود المكرم فى قلة من أتباعه إلا أنه رأى أن يبادر لفعل شئ من أجل درءاً الأخطار عن عاصمة دولته أولا ثم ليرى بعد ذلك ما يتوجب عليه فعله ، فأخذ يحث أتباعه على القتال والصبر عند لقاء الأعداء[٢] ، فليس لهم إلا أن ينتصروا ، وقد نجح المكرم فى رفع الحصار عن صنعاء وتمكنت قواته من إحراز نصر على أعدائهم فى ناحية حضور ، بقيادة أحمد بن المظفر الصليحى[٣] ، وكانت حضور أول من جاهر بإعلان التمرد على الصليحيين[٤] ، وأتبع ذلك الإنتصار بآخر أحرزه القائد إسماعيل بن أبى يعفر الصليحى بجهة كحلان وهران ، وقد أعادت هذه الانتصارات للصليحيين الثقة بأنفسهم ، وكانت دافعة لهم لتحقيق المزيد من الانتصارات[٥] .

وفى أثناء سعى المكرم الحثيث لإصلاح أوضاع مملكته ، وافاه عدد من القادة الصليحيين ممن كان والده قد اصطحبهم معه أثناء زيارته للحج ، وكانوا بعيدين عما وقع للصليحى من حادثة ، لذلك ما أن علموا بمصرع سيدهم حتى بادروا بالعودة إلى صنعاء للوقوف بجانب المكرم فى تلك المحنة التى حاقت بهم جميعا ، وهؤلاء هم :عامر بن سليمان الزواحى ، ومدافع بن الحسين الجنبى ، وعمران بن المفضل اليامى ، والحسين بن عمر السنحانى ، وغيرهم ، وقد عانى هؤلاء كثيرا قبل وصولهم إلى صنعاء ؛ فيذكر القمى أنهم "أوقعوا سبع عشرة واقعة ، فى كل يمنحنون النصر على من عاداهم"[٦] .

---

[١] الهمدانى : الصليحيون ، ص١١٤ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١١٨ .

[٢] إدريس : عيون الأخيار ، ص١٤٢ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٧٠ .

[٣] مجهول : سيرة المكرم ، ص٣٥ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٨٤ .

[٤] مجهول : المصدر والصفحة ؛ عارف تامر : المرجع والجزء والصفحة .

[٥] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١١٥ ؛ مصطفى غالب : المرجع نفسه ؛ عارف تامر : المرجع والجزء والصفحة .

[٦] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٤٣ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، نقلا عن رسائل القمى ، ص٥٠؛=

أما بالنسبة لعامر بن سليمان الزواحى ، فقد أرسله المكرم إلى بلاد حمير ومغارب اليمن الأعلى ، فأجابه وجوه الحميريين وجاءوا إليه طائعين ، أما من تمرد منهم ، فقد استخدم معهم الشدة ، مما دفعهم للاستنجاد بالمكرم ، الذى وصلت إليه أنباء تلك الانتصارات يوم السبت ، العاشر من ذى الحجة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧[١] .

بقى على المكرم بعد ذلك أن يعمل على القضاء على تمرد القبائل فى مناطق حراز وأن يفك الحصار الذى كان مضروبا على حصن مسار بإيعاز من سعيد الأحول ، الذى كان قد أغرى أنصاره فى تلك المناطق بالتمرد على الصليحيين ، وقد اختار المكرم لهذه المهمة كلا من : أحمد بن المظفر الصليحى ، وعامر بن سليمان الزواحى ، وإسماعيل بن يعفر الصليحى[٢] الذين تمكنوا من إعادة الأمور إلى نصابها فى بلاد حراز بعد أن سارع المتمردون لتقديم الولاء والطاعة للصليحيين[٣] .

توجهت قوات المكرم بعد ذلك لتأديب قبائل بكيل[٤] وذلك فى مطلع شهر المحرم من عام ٤٦٠هـ ، فدارت المعارك بين الجانبين وأسفرت عن هزيمة قبائل بكيل وقتل الكثير من وجهائهم ، ليعود المنتصرون بعدها إلى صنعاء فى صفر من عام ٤٦٠هـ ـ ١٠٦٧م[٥] .

كما قام المكرم بمواجهات أخرى مع بنى نجاح وأنصارهم ؛ فقد بادر أولاد نجاح،

=مصطفى غالب : المرجع والصفحة .

[١] مجهول : سيرة المكرم ، ص٤٥ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٤٤ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١١٩ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٨٥ .

[٢] مجهول : المصدر نفسه ، ص٥٠ ؛ مصطفى غالب : المرجع نفسه ، ص١٢١ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٨٦ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٨٧ .

[٣] إدريس : المصدر والجزء والصفحة ، ص١٤٧ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١١٨ ، ١١٩ ؛ مصطفى غالب : المرجع نفسه ، ص١٢١ ، ١٢٢ ؛ حسن سليمان : المرجع نفسه ، ص١٨٧ ، ١٨٨ .

[٤] بكيل : إحدى قبائل اليمن الكبرى ، نسبة على بكيل بن جشم بن خيوان ... المنتهى نسبة إلى كهلان بن سبأ ، وهم بطن من قبيلة همدان المشهورة (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ١ ، ص١٢٥ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩١) .

[٥] مجهول : المصدر نفسه ، ص٥٧ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١١٩ ؛ حسن سليمان : المرجع نفسه ، ص١٨٨ .

بلال وأبو الفتوح ، أثناء انشغال المكرم بإخضاع القبائل المتمردة فى مناطق اليمن الأعلى ، بالتوجه صوب مخلاف جعفر ، فى محاولة منهم للسيطرة على حصن التعكر ، أهل المعاقل الصليحية فى تلك الأنحاء ، والذى كان يتولاه أسعد بن عبد الله الصليحى ، فكان توجه النجاحيين وأنصارهم إلى الجند ثم إلى ذى أشرق[١] ، وفى نيتهم الزحف بعد ذلك صوب حصن التعكر ، غير أن أسعد الصليحى قائد الحصن كان قد علم بأمر ذلك الجيش فأخرج لهم جيشا كبيرا التقى بهم عند ذى أشرق ، ودار القتال بين الطرفين انتهى بانتصار الصليحيين وهزيمة بنى نجاح الذين أجبرتهم القوات الصليحية على العودة إلى زبيد[٢] .

لما اطمأن المكرم إلى استقرار الأوضاع فى مناطق اليمن الأعلى ، أخذ يعد العدة للتوجه إلى زبيد لمناجزة بنى نجاح وتخليص أمه من أسرهم ، وبعد اكتمال الترتيبات اللازمة للمعركة تم اللقاء بين الفريقين عند باب زبيد الشرقى ــ باب الشبارق ــ يوم الإثنين التاسع والعشرين من صفر من عام ٤٦٠هـ / ديسمبر ١٠٦٧م ، حيث دارت معركة طاحنة بينهما ، دارت الدائرة فيها على النجاحيين[٣] . سارع المكرم بعدها إلى دار شحار لتخليص أمه من الأسر فى حين أخذ جيشه فى مطاردة فلول المنهزمين من النجاحيين ، الذين تمكن قائدهم سعيد الأحول إلى الفرار إلى جزيرة دهلك مع من سلم من أهله وخواصه[٤] .

لم تكن الظروف مهيأة هذه المرة لأن يسيطر المكرم على زبيد ، خاصة وقد خرج منها سعيد الأحوال ؛ وذلك بعد أن وصل المكرم خطابا من نائبه على صنعاء ، إسماعيل

---

[١] ذى أشرق : سيأتى التعريف به لاحقا .

[٢] مجهول : سيرة المكرم ، ص٥٧ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٤٨ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ١١٩ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٩٠ ، ٩١ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٧٢؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٨٨ .

[٣] مجهول : المصدر نفسه ، ص٦٣ ؛ عمارة : المفيد ، ص١٠٩ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص٨ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص٩٦ .

[٤] مجهول : المصدر والصفحة ؛ عمارة : المصدر والصفحة ؛ الحمزى : كنز الأخيار ، ص٧٩ ؛ بامخرمة : المصدر نفسه، ص٨ ؛ عارف تامر : أورى بنت اليمن ، الطبعة الأولى ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٨م، ص٦٦ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٩٠ .

بن يعفر الصليحى يخبره فيه بأن القاسم بن جعفر قد نقض العهد وبيت النية لمهاجمة صنعاء ، فضلا عن أن إسماعيل ، نائب المكرم على صنعاء ، كان فى حالة صحية سيئة ، مما دفع بالمكرم إلى ترك زبيد والعودة إلى صنعاء[١] ، ليلة السبت السادس والعشرين من ربيع الثانى عام ٤٦٠هـ[٢] ، مكتفيا بإنقاذ أمه ومتحينا لفرصة أخرى لتصفية حسابه مع النجاحيين .

أما عن حروبه فى اليمن الأسفل مع أنصار النجاحيين فبعد أن قتل سعيد الأحوال على بن محمد الصليحى ، قام بتخليص عدد من أمراء اليمن الأسفل ، الذين حرص الصليحى على إبقائهم إلى جواره فى رحلته للحج خوفا من خروجهم على ولده المكرم أثناء غيابه ، ومن هؤلاء : وائل بن عيسى الوحاظى وعلى بن معن الكرندى وغيرهم ، وقد اتفقت مصالح هؤلاء على قتال الصليحيين فى مناطق اليمن الأسفل بالتعاون مع النجاحيين[٣] ، وبينما كان المكرم يقوم بإخضاع المتمردين فى مغارب اليمن الأعلى بلغته الأنباء أن سعيد الأحول قد وصلت قواته إلى مخلاف جعفر وأن كلا من التبعى والسخطى والكلالى ويعفر الكرندى قد أجمعوا أمرهم على قتال الصليحيين[٤] .

وفى يوم الثلاثاء ، الثالث من جمادى الآخرة من عام ٤٦١هـ /١٠٦٨م، خرج المكرم بقواته من صنعاء إلى مخلاف جعفر لمواجهة المتمردين ، وقد تمكن أثناء سيره من إخضاع بنى صعب من عنس وبنى الحادث ومن حج ، ثم واصل سيره إلى أن وصل إلى جبل الشعر الذى كان قد تحصن به حسين بن المغيرة التبعى وأحمد بن عمرو السخطى ، وتمكن المكرم من طلوع الجبل وإفزاع من بداخله مما اضطرهم إلى الفرار منه ، ولجأ بن السخطى وبن التبعى للاحتماء بحصن القرانح ، غير أن ابن السخطى بادر إلى التسليم للمكرم الذى كان قد فرض حصارا على الحصن ، فلم يبق أمام ابن التبعى إلا أن يسلم هو الآخر للمكرم الذى أعطاه الأمان وقد احتال ابن التبعى على المكرم بعد أن

---

[١] مجهول : سيرة المكرم ، ص٧٣ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٥٤ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٩٧ ، ٩٨ .

[٢] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٥٥ .

[٣] السرورى : المرجع نفسه ، ص٩٩ .

[٤] مجهول : سيرة المكرم ، ص٨٥ ؛ إدريس : المصدر والجزء، ص١٦٥ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٢٨ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٠ .

أعطاه الأمان فعاد ليلحق بسعيد الأحول فى زبيد فى حين عاد المكرم إلى صنعاء ليصلها فى السابع من شعبان من عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م[١] .

وفى غرة شهر رمضان من عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م عاد المكرم مرة أخرى إلى زبيد وفى نيته القضاء نهائيا على سعيد الأحول والأخذ بثأر والده منه ، غير أن الأحول كان قد تنبه لقدوم المكرم فغادر زبيد متجها إلى مخلاف جعفر ، وهناك دارت معركة بين الجانبين انتهت بهزيمة الأحول وقتله[٢] ، ثم توجه المكرم بعد ذلك إلى زبيد وأخذ يتعقب فلول جياش ومن معه من النجاحيين ، ولما تبين له أن جياش قد غادر البلاد ، قفل عائدا إلى صنعاء بعد أن ترك سبأ بن أحمد الصليحى واليا على زبيد [٣].

وصلت للمستنصر الفاطمى أنباء تلك الانتصارات ، ونجاح المكرم فى الثأر لمقتل والده ، فسر كثيرا بها ، وأشاد بما أحرزه المكرم بقوله : "فلله درك أيها الأجل ، لقد زكى غرسك وطاب ، وحق أمل أمير المؤمنين فى تقديم قدمك وما خاب ، فاعلم أنك خليفته فى بلاد اليمن وعماده ، وعدته وسناده وقر عينا بما أعطاك الله من الرتبة السنية ..." ومنحه فى نهاية الخطاب لقب أمير الأمراء[٤] .

ومن الجبهات التى خاضها المكرم لتثبيت أركان دولته ، حروبه مع الزيدية ، وكان الصراع بين الفريقين امتدادا للصراع الذى كان قد بدأ فى عهد على بن محمد الصليحى ، فما إن علمت الزيدية بمقتله حتى سارعت بالخروج عن دولته ومنابذتها العداء ، وكانت البداية مع الإمام حمزة بن أبى هاشم[٥] .

---

[١] مجهول : سيرة المكرم ، ص٩٠ ــ ٩٣ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٦٦ ــ ١٦٨ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٠ ، ٢٠٠ .

[٢] الحجورى : روضة الأخبار ، ق٣٠٧ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص١٧١ ، ١٧٢ .

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٧٤ ــ ١٧٨ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٣١ ــ ١٣٤ ؛ حسن سليمان : المرجع نفسه ، ص١٩١ ، ١٩٢ .

[٤] السجلات المستنصرية : سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرهم ، إعداد : عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، (د.ت) سجل رقم ٦٠ ، ص١٩٨ ؛ سرور : سياسية الفاطميين ، ص٨٥ .

[٥] الإمام حمزة : هو الإمام حمزة بن أبى هاشم النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن،كان قيامه بالدعوة فى=

رأى الإمام حمزة ومناصريه بأن الفرصة سانحة بعد مقتل الصليحى لا سيما وأن كثيرا من القبائل قد تمرد على المكرم ، ويصعب عليه إخمادها وهو حديث عهد بحكم ، لذلك أخذ فى إظهار إمامته وتجميع المؤيدين له ومن ثم قرر الزحف على صنعاء ، متوهما أنها صارت فى متناول يده[١] فخرج لذلك فى جمع بلغ ثمانية آلاف مقاتل مع عدد كبير من الخيل[٢] ، وما أن علم المكرم بأمر ذلك الجمع حتى جهز قوة تزيد على ألف رجل[٣] ، جعل على رأسها قائده عامر بن سليمان الزواحى ، وأحمد بن المظفر الصليحى ، وكان خروجهم من صنعاء يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م ، لملاقاة الإمام وأنصاره[٤] ، وفي وادى المنوي[٥]التقى الطرفان ، واحتدم القتال بينهما وكاد النصر أن يكون حليفاً لأصحاب الإمام ، غير أن صمود الصليحيين مكنهم من تحويل النصر إلى جانبهم ، وقتل الإمام حمزة وولده ، وجمع من زعماء القبائل الموالية لهم[٦].

بعد أن وجد الشريف الفاضل أن تحقيق الانتصار على الصليحى أمرا صعبا ، لا سيما بعد أن قطع على نفسه العهود بعدم محاربته ، قرر التوجه هو وأخوه إلى بلاد الحجاز ، حيث بقى بها بضع سنين ، ولما علم بمقتل الصليحى ، قرر العودة إلى اليمن مرة أخرى[٧] ، وفى تلك الأثناء كان الإمام حمزة قد دعا لنفسه بالإمامه ، فاستحسن هذا الأمر الأمير ذو الشرفين ، الذى سارع بإبلاغ أخيه الشريف الفاضل يحثه على الإسراع

=عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، وقتله فى عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م عند وادى المنوى ، ومشهده فى بيت الجالد من بلاد أرحب وإليه ينسب الحمزات ، (زبارة : أئمة اليمن ، جـ١ ، ص٩٣ ــ ٩٥) .

[١] مجهول : سيرة المكرم ، ص٤٦ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٤٥ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١١٧ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١١٧ .

[٢] مجهول : المصدر نفسه ، ص٤٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٥٥ .

[٣] إدريس : المرجع والجزء، ص١٤٥ .

[٤] مجهول : سيرة المكرم ، ص٤٧ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١١٨ .

[٥] المنوى : واد فى بلاد أرحب شمال صنعاء (المقحفى : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٦٦٦) .

[٦] مجهول : المصدر نفسه ، ص٤٧ ، ٤٨ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص١٤٦ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ؛ زبارة : أئمة اليمن ، جـ١ ، ص٩٤ ؛ نفسه : أتحاف المهتدين ، ص٥٢ ؛ الكبسى : اللطائف ، ص٣٣ ، ص٣٤ ؛ الجرافى : المقتطف ، ص٧٨ .

[٧] عمارة : المفيد ، ص٩٨ ، ٩٩ حاشية ٨ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٤٧ .

لمناصرة الإمام ، عندها أخذ الشريف الفاضل ــ الذى كان قد وصل إلى صعدة ــ فى تجميع أنصاره لمساندة الإمام ، غير أن الأمور تغيرت بعد أن بلغه مقتل الإمام حمزة ، فرأى أن يتوقف عن قتال الصليحيين لكنه لم يلبث أن غير رأيه مرة أخرى بتشجيع من أنصاره الذين أبدوا استعدادهم الكامل للوقوف معه ضد الصليحيين وذلك فى ذى الحجة من عام ٤٥٩هـ / أكتوبر ١٠٦٧م[١] .

ويبدو أن النزال لم يكن قد حان وقته عند كلا الطرفين ؛ فالمكرم كان يريد أن يخلص أمه من أسر النجاحيين فى تهامة ، فى حين كان الشريف الفاضل ومن معه بحاجة إلى ترتيب صفوفهم وإعدادها إعدادا جيدا يناسب المرحلة التى يقدمون عليها ، لذلك اتفق الفريقان على إبرام صلح بينهما تم بموجبه تعيين مناطق فاصلة بين أملاك الطرفين فلا يحق لأى طرف أن يتعدى على ما للآخر فيها[٢] .

غير أن ذلك الصلح لم يستمر أكثر من بضعة أيام ؛ فقد أخذ الشريف الفاضل فى التأهب للزحف على صنعاء ، مستغلا فرصة غياب المكرم ، عندها أرسل إسماعيل بن يعفر برسالة إلى المكرم ، يخبره فيها بأن الشريف الفاضل قد نقض الصلح وهو فى طريقة للاستيلاء على صنعاء مما اضطر المكرم إلى العودة لإنقاذ عاصمته من قبضة الزيدية[٣] .

وقد أخذ كلا الطرفين فى إلقاء اللائمة على بعضهما فى نقض الصلح ، كل يتهم الآخر بذلك ، فالمكرم يدعى بأن الشريف الفاضل شجع قبائل ذيبان على أخذ الحبوب التى يملكها ، فى حين ينكر الشريف الفاضل ذلك بحجة أن تلك القبائل تدخل فى إطار المحادة التى حددت له ويطلب من المكرم عدم التعرض لهم ، مما دفع بالمكرم إلى التوجه لمعاقبة تلك القبائل ، وذلك فى شهر ربيع سنة ٤٦٠هـ / يناير ١٠٦٨م ، وتمكن من إجبار أهلها على التسليم[٤] ، أخذت بعد ذلك مقدمات الصراع بين الفريقين تتداعى شيئا فشيئا ، وقد

---

[١] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص١٤٢ ــ ١٤٤ ؛ السروى : الحياة السياسية ، ص١١٣ ؛ المطاع: تاريخ اليمن ، ص٢٤٧ ، ٢٤٨ .

[٢] الربعى : المصدر نفسه ، ص١٤٦ ؛ المطاع : المرجع نفسه ؛ السروى : المرجع نفسه ، ص١١٤ .

[٣] مجهول : سيرة المكرم ، ص٧٣ ؛ السروى : المرجع نفسه ، ص١١٥ .

[٤] مجهول : المصدر نفسه، ص٧٧ ، ٧٨ ؛ الكبسى : اللطائف ، ص٣٦ ؛ السروى: المرجع نفسه،ص١١٧.

تمكنت الزيدية من إحراز انتصار جزئى على بعض القوات الصليحية فى منطقة المنقل من خرفان[١] أعادت لهم بعض الثقة فى أنفسهم ، غير أنهم لم يلبثوا أن خسروا اللقاء عند ذيبين[٢] على يد أحمد بن المظفر الصليحى ، مما اضطر الشريف الفاضل ومن معه للتوجه إلى الجوف[٣] .[٤]

استغل الأشراف الزيديون انشغال المكرم بإخضاع القبائل فى مغارب اليمن الأعلى ، فأخذوا يرتبون أوضاعهم من جديد ، ووقع اختيارهم على حصن شهارة[٥] ، كمعتقل آمن لهم ولأتباعهم الذين أخذوا يتوافدون على الحصن فى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م ليصبح الحصن نقطة انطلاق للزيدية فى ما جاوره من مناطق[٦] .

حاول المكرم بعد ذلك الاستيلاء على حصن شهارة ، ففرض عليه حصارا شديدا ، إلا أنه أدرك صعوبة الإستيلاء عليه ، فغادره بعد أن ترك أمر حصاره لقوة من أتباعه الذين لم يجدوا تحت إصرار الزيدية وشراستها بدا من المغادرة ، خاصة بعد الخسائر التى لحقت بهم عند أقر والتى خسر فيها الصليحيون ثمانمائة قتيل ، وقد أدى ذلك الإنتصار الذى حققته الزيدية فى شهارة إلى ترسيخ وجودها فى تلك المنطقة واكتساب ولاء عدد من القبائل المجاورة لها[٧] ، كما تمكنت الزيدية بعد ذلك من السيطرة على

---

[١] خرفان : قرية أثرية فى بلاد مرهبة من مديرية ذيبين وأعمال محافظة عمران ، (المقحفى : معجم البلدان والقبائل ، جـ١ ، ص٥٦٦) .

[٢] ذيبين : منطقة واقعة شرقى خمر وشمال ريدة بمسافة ٢٠كم ، (المقحفى : المرجع والجزء ، ص٦٥٧) .

[٣] الجوف : منطقة شمال شرق صنعاء على مسافة ١٤٥كم على أطراف الربع الخالى وفى الحدود الغربية والشمالية لمحافظة مأرب (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ١ ، ص١٩٥ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص٣٧٣) .

[٤] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص١٦٠ ، ١٦١ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٥٢ ؛ السرورى : الحياة السياسية، ص١١٨ ، ١١٩ .

[٥] حصن شهارة : شهارة من معاقل اليمن المشهورة وتقع فى بلاد الأهنوم شمالى مدينة حجة (الهمدانى : صفحة جزيرة العرب ، ص٢٣٨ حاشية ٤ ؛ المقحفى : المرجع والجزء ، ص٨٨٠) .

[٦] الربعى : المصدر نفسه ، ص١٤٨ ، ١٤٩ ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٥١ ، ٢٥٢ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١١٩ ، ١٢٠ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٨٣.

[٧] الربعى : المصدر نفسه، ص١٦٥ ، ١٦٦ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٦٢؛المطاع:=

صعدة ، مستغلة الصراع الذى نشب بين أهالى صعدة أنصار الصليحيين من جهة وأولاد الهادى أنصار الزيدية من جهة أخرى، فدخلت القوات الزيدية المدينة وعملت على حسم الخلاف لصالحها بعد أن أجبرت أهلها على التسليم وذلك فى رمضان من عام ٤٦٢هـ / يوليو ١٠٧٠م[١].

وعملت القوات الزيدية أيضا على الإستيلاء على حصن مسور[٢] فى عام ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م[٣] ثم على حصن يناع[٤] فى نفس العام[٥] وكانت الخلافات التى نشبت بين القبائل فى تلك المناطق عاملا هاما فى تحولها إلى سلطة الأشراف الزيدية ، الذين وظفوا تلك الخلافات لصالحهم وتمكنوا من توسيع نطاق سيطرتهم[٦] فامتد نفوذهم بعد ذلك ليشمل عددا من المناطق والحصون مثل حصن ذروة[٧] وحصن ذمرمر[٨] وأصبحت بذلك مناطق شمال صنعاء تحت سيطرتهم[٩].

ومثلما نجحت الزيدية فى الاستيلاء على مناطق شمال صنعاء فقد نجحت أيضا فى

=تاريخ اليمن ، ٢٥٢ ؛ الكبسى : اللطائف ، ص٣٦ .

[١] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص١٩١ ــ ١٩٣ ؛ يحيى بن الحسينى : غاية الأمانى ، ج١ ، ص٢٦٢ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٦٠ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٨٤ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٢١ ، ١٢٢ .

[٢] مسور : هو مسور المنتاب أو جبل تخلى ، وهو من الجبال المشهورة ، يقع شمالى غرب صنعاء على بعد ٨٠ كم منها (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٦٧ حاشية٤) .

[٣] الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٠٠ ؛ يحيى بين الحسينى : المصدر والجزء ، ص٢٦٤ .

[٤] حصن يناع : حصن فى منطقة الجدعان من مديرية الحيمة الداخلية بمغارب صنعاء ، وهو حصن منيع بالقرب من جبل حراز (المقحفى : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٢٦) .

[٥] الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٢٠ ؛ يحيى بن الحسينى : المصدر والجزء ، ص٢٦٥ ؛ المطاع : المرجع نفسه ، ص٢٦٢ ؛ الفقى : المرجع نفسه ، ص١٨٥ .

[٦] السرورى : المرجع نفسه ، ص١٢٢ ــ ١٢٦ .

[٧] حصن ذروة : حصن منيع من بنى جبر من خارف حاشد ، يطل على ذيبين من جهة الغرب (المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٤٧) .

[٨] ذمرمر : جبل مشهور بنى حشيش شمال شرق صنعاء بمسافة ٣٥ كم (المقحفى : المرجع والجزء ، ص٦٥١).

[٩] السرورى : المرجع نفسه ، ص١٢٧ .

تحقيق المزيد من المكاسب العسكرية فى مناطق شمال غرب صنعاء وتمكنت بمساعدة أنصارها من الاستيلاء على العديد من الحصون فى تلك المناطق مثل حصن ثلا[١] الذى فشلت جهود المكرم فى استعادته من سيطرة الأشراف الزيدية[٢] .

بينما كان الصليحيون يحاولون استعادة حصن يناع من القوات الزيدية ، لجأ الزيديون بدورهم إلى مهاجمة صنعاء من جهة الشمال من أجل تخفيف حدة الهجوم على حصن يناع ، وقد وصلت غارات الزيدية على صنعاء بقيادة الشريف الفاضل إلى منطقة الجراف[٣] وإلى مزارع شعوب[٤] فارتاع أهالى صنعاء لذلك الأمر وشعروا بخطورة تلك الغارات على مناطقهم[٥] .

لم تكتف القوات الزيدية بذلك ، بل عمدت أيضا إلى شن هجماتها على صنعاء من جهة الغرب ، بزعامة ذى الشرفين الذى وصلت غاراته حتى غيل البرمكى[٦] بصنعاء[٧] وقد كان هذا الهجوم المركز على صنعاء من قبل الزيدية والقبائل الموالية لها من الأسباب الهامة التى دفعت بالصليحيين لنقل عاصمتهم من صنعاء إلى ذى جبلة فيما بعد[٨] .

---

(١) حصن ثلا : مدينة وحصن فى الشمال الغربى من مدينة صنعاء على بعد ٤٥كم منها (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٧ حاشية ١ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، الجزء الأول، ص٢٥٨ .

(٢) الربعى : سيرة ذو الشرفين ، ص٢٢١ ــ ٢٢٤ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٢٧ ــ ١٢٩ .

(٣) الجراف : قرية فى شمال مدينة صنعاء (المقحفى : المرجع والجزء ، ص٣٠٨) .

(٤) شعوب : ضاحية صنعاء الشمالية من ناحية بنى الحارث وفيها قرى ومزارع ، وقد امتد العمران إليها فصارت جزءا من المدينة (الأكوع : المرجع نفسه ، ص١٦٨ ، حاشية ١) .

(٥) الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٣١ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٦٦ ، ٢٦٧ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٦٣ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٢٩ .

(٦) غيل البرمكى : أخرجه محمد بن برمك عامل بنى العباس على اليمن ، وهو عبارة عن نهير صغير كان يدخل إلى صنعاء ومخرجه من بيت عق من بنى بهلول ، وكان يسقى الصافية الشمالية (الأكوع : المرجع نفسه ، ص٢٢٢ حاشية ١) .

(٧) الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٣٠ .

(٨) السرورى : المرجع والصفحة .

لم يدم الوفاق بين الزيدية والقبائل اليمنية فى مناطق غرب وشرق صنعاء ، فقد أحجمت تلك القبائل عن مناصرة الزيدية ، واتجهت لقتالها[١] ، يقول الربعى "فأما عشائر المغرب فكان فسادهم بسبب العمال واستلحاق الأموال وسوء السياسية ... وأما فساد أهل المشرق فاستمالهم بنو الصليحى ..." وأغروهم بالأموال[٢] .

حاول الشريف الفاضل الحفاظ على ما تبقى من المناطق التابعة له ، فخرج لتأديب أهل مسور بعد علمه بخروجهم عليه ، إلا أن قواته منيت بالهزيمة فى منطقة المشورة ، لتنسحب بعدها فلول الزيدية إلى شهارة ، متخلين عما فى أيديهم من حصون بعد أن تأكد لهم عدم استطاعتهم المضى فى قتال القبائل والصليحيين فى آن واحد ، ولأن الدعامة الأساسية فى قتالهم للصليحيين وهم القبائل قد مالت إلى غير ما يشتهون ، فقد قرروا الانكفاء فى شهارة والابتعاد عن ميادين الحرب والسياسة[٣] .

اختار الشريف الفاضل أن يتحول إلى الزراعة وأن يعتزل العمل السياسى ، بعد أن تغيرت عليه القبائل فتوجه إلى ضيعة عمران بالجوف ، حيث قام بها ببعض الإصلاحات الزراعية ، إلا أنه وقع فى إشكالات مع بنى نهم بسبب تقسيم الأراضى ، مما دفعهم لقتله غيلة فى ذى الحجة من عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م[٤] .

لم يجد ذو الشرفين بدا من القصاص لأخيه ، فقام بتجميع أنصاره عام ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م وتوجه إلى الجوف ، وتمكن من هزيمة أعدائه والأخذ بثأر أخيه منهم ثم عاد بعد ذلك إلى شهارة[٥]، حيث أخذ يعمل على إعادة الزيدية إلى ما كانت عليه من مكانه ، غير أن محاولاته باءت بالفشل ، إلى أن وضع المرض حدا لطموحاته ، فمات فى المحرم من

---

[١] Madelung, W., Studies in the history of Arabia, vol.I, part 2, p.77 – 78.

[٢] الربعى : سيرة ذى الشرفين، ص٢٣٧ ، ٢٣٨ .

[٣] الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٣٨ ــ ٢٤٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٦٧ ؛ المطاع: تاريخ اليمن ، ص٢٦٦ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٣١ .

[٤] الربعى : المصدر نفسه ، ص٢٤٦ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٧٣ ؛ زبارة : إتحاف المهتدين ، ص٥٢ .

Madelung, W., Ibid.

[٥] الربعى : المصدر نفسه، ص٢٤٦ ــ ٢٥٦ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٧٣ ؛ الكبسى : اللطائف، ص٣٧ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٣٢ .

عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م[١]، وبموت الشريفين ، الفاضل وأخيه ، انتهى خطر الزيدية على الدولة الصليحية فى عهد المكرم ، بعد أن عانت الدولة الصليحية من طموحاتها كثيرا ، فكان وقوفهما فى وجه الصليحيين دافعا لتمرد العديد من القبائل الأمر الذى كلف الدولة الصليحية الشئ الكثير ، غير أن ذلك السند القبلى ما إن تلاشى حتى تلاشى معه خطر الزيدية بعد أن نفضت تلك القبائل أيديها من مساندتهم .

أما آخر الحروب التى قام بها المكرم فكانت مع بنى معن الذين خرجوا فى المناطق الجنوبية فى عدن ولحج وأبين وغيرها عن طاعة الصليحيين بعد مقتل الصليحى فى عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م[٢] ، وكان انشغال المكرم بقتال النجاحيين والأشراف الزيدية وغيرهم حائلا دون الوصول إليهم ، وقد واتت المكرم الفرصة لحل ذلك الأمر فى عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م ، بعد أن انتهى خطر الأشراف الزيدية على مملكته وخاصة بعد أن أحجمت القبائل عن مناصرة الزيدية وسعت إلى قتالها[٣]، ففى شعبان من عام ٤٦٧هـ / مارس ١٠٧٥م توجه المكرم إلى عدن وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى لحج وأبين وغيرها ، بعد خروج بنى معن عنها إلا أن محمد بن معن سرعان ما عاد إلى المكرم وأبرم معه صلحا[٤] .

ويبدو أن ذلك الصلح كان يهدف إلى أن تقسم مالية عدن بين الجانبين لذلك فقد ترك المكرم القاضى حاتم بن الغشيم اليامى نائبا عنه فيها ، فى حين أناب محمد بن معن ، ابن الدهانى[٥] ، وبعد مرور عام وأربعة أشهر تجدد الخلاف بين الجانبين ولعل السبب فى ذلك راجع إلى قتل حاتم بن الغشيم اليامى ابن الدهانى فى ذى الحجة عام ٤٦٨هـ / يوليو ١٠٧٦م ، مما دفع بابن معن للسيطرة على عدن ، وهو أمر لم يقبل به المكرم الذى

---

[١] الربعى : سيرة ذى الشرفين ، ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٧٦ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٦٩ ؛ الكبسى : اللطائف السنية ، ص٣٨ ؛ زبارة : إتحاف المهتدين ، ص٥٣ .

[٢] العبدلى : أحمد فضل بن على : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٥٣ .

[٣] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٣٤ .

[٤] الحجورى : روضة الأخبار ، ق٣٠٧ ؛ يحيى بن الحسين : أنبا ء الزمن ، ص١٧٢ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٥ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٣٥ .

[٥] عمارة : المفيد ، ص١٤٠ حاشية ٢ ؛ السرورى : المرجع والصفحة .

عاود الزحف على عدن فى نفس الشهر من عام ٤٦٨هـ ، فاستولى عليها وعلى أبين ولحج ، ولم يجد الطرفان بدا من المصالحة مرة أخرى ، حيث اتفقا على أن يكون للمكرم باب عدن ونصف مالية ضرائب الميناء ، فضلا عن مناطق العارة[١] ولحج وأبين ، وقد ترك المكرم بنى زريع[٢] حكاما على عدن وكلفهم بتقسيم الأموال بينه وبين محمد بن معن الذى استقر فى منطقة أحور[٣] وظل بها خمس سنين ثم غادرها إلى أبين وبقى بها إلى أن تجدد القتال بينه وبين أنصار المكرم فى عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، حيث وقعت معركتان انتهتا بإنتصار الصليحيين[٤] .

بعد نجاح المكرم فى التخلص من معارضيه ، أقدم على نقل عاصمته من صنعاء إلى ذى جبلة ، نزولا عند مشورة زوجته سيدة بنت أحمد ، فنزل إلى ذى جبلة واتخذها مقرا له ، وترك صنعاء بعد أن ولى عليها عمران بن المفضل اليامى وأبا السعود بن أسعد بن شهاب واستقر بدار العز التى بناها بذى جبلة[٥] ، غير أنه لم يطل فيها البقاء بعد أن اشتد عليه مرض الفالج الذى كان قد أصيب به أثناء تخليصه لأمه من أسر النجاحيين فى تهامة ، لذلك قرر الاعتكاف فى حصن التعكر بعد نصح الأطباء له بالاحتجاب عن الناس ، وفوض أمر الدولة إلى زوجته سيدة بنت أحمد[٦] وبقى فى حصن التعكر حتى وافته المنية فى جمادى

---

[١] العارة : منطقة شرقى باب المندب من أعمال محافظة لحج (المقحفى : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٩٩٠) .

[٢] بنو زريع : ينتسبون إلى زريع بن العباس بن المكرم الهمدانى ، وهم على المذهب الإسماعيلى ، كانوا عمالا لبنى الصليحى فى عدن وما جاورها وعندما ضعفت الدولة الصليحية استقلوا عنها مؤسسين الدولة الزريعية وعصامتها عدن وقد استمرت حتى قدوم الأيوبيين عام ٥٦٩هـ (المقحفى : المرجع نفسه ، جـ١ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٢١٨ ــ ٢٣٢) .

[٣] أحور : كان اسم لمخلاف يقع إلى الشرق من مخلاف أبين وهو ما يعرف اليوم بالعوالق العليا والعوالق السفلى (الأكوع : البلدان اليمنية ، ص٢١ حاشية ٢) .

[٤] الحجورى : روضة الأخبار ، ق٣٠٧ ؛ محمد كريم : عدن ، ص٩٥ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٣٥ .

[٥] إدريس : عيون الأخيار ، جـ٧ ، ص١٨٦ ، ١٨٧ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٣٦ ، ١٣٧ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٣٦ .

[٦] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٨٧ .

الأولى من عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م[١] .

وهكذا كانت نهاية المكرم الذى تمكن باقتدار من تحمل تبعات الحكم الذى ورثه عن والده ، ونجح فى إنقاذ دولته من السقوط بعد أن تناثرت أشلائها ، فتمكن من إعادة هيبة الدولة وإرجاع ما فقدته من أقاليم ، كما تمكن فى الوقت نفسه من تخليص أمه من الأسر ، والأخذ بثأر والده ، فى نجاحات عسكرية متلاحقة ، وبلغت الدولة الصليحية فى عهده أقصى درجات القوة والمنعة والاستقرار ، حتى قيل بأنه قام بأعمال تفوق أعمال أبيه[٢] فلم تكسب أرضا ولا نفوذا أكبر مما كسبته فى عهده ، فقام بأمر الملك والدعوة فى اليمن والجهات المضافة إليها "السند والهند وعمان" والتى كان المستنصر قد أضاف له ولزوجته سيدة بنت أحمد الإشراف على أمور الدعوة الإسماعيلية فيها[٣] .

من ناحية أخرى لعبت الملكة الصليحية سيدة[٤] بنت أحمد دورا هاما فى تاريخ اليمن

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، الجزء السابع ، ص١٩٣ ، وقد اختلفت المصادر فى تحديد السنة التى توفى فيها المكرم فإبن سمرة يذكر أن وفاته كانت فى عام ٤٧٩هـ أو فى سنة ٤٨٠هـ ، أما عمارة فيذكر أن وفاته كانت فى عام ٤٨٤هـ ، ويبدو أن ما ذهب إليه إدريس هو الأرجح أى أن وفاة المكرم كانت فى عام ٤٧٧هـ لورود سجل من المستنصر الفاطمى إلى سيدة بنت أحمد فى ربيع الأول من عام ٤٧٨هـ يعزيها فيه بوفاة زوجها ويقلد ولدها عبد المستنصر ما كان لأبيه من أمور الدعوة والحكم ، مما يدل على أن وفاة المكرم كانت نهاية العام ٤٧٧هـ (السجلات المستنصرية : سجل رقم ٤٨ ، ص١٦١ ــ ١٦٥ ؛ ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ، ص١٢٢ ، ١٢٣ ؛ عمارة : المفيد ، ص١١٩ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ، وأنظر أيضا : الهمدانى : الصليحيون ، ص١٤١ حاشية ١ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٣٩) .

Moncelon, Lada'wa Fatimid, www.univ –aix. , 1995, 10pp.

[٢] عارف تامر : أروى ملكة اليمن ، ص٧٢ .

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٨٨ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٣٩ .

[٤] اختلفت آراء المؤرخين حول الاسم الصحيح لهذه الملكة ، ففى حين يذهب مؤرخو الإسماعيلية المعاصرين إلى أن اسمها أروى ، يرى غيرهم بأن أسمها سيدة ، ويسوق كلا الطرفين حججه فى تأييد وجهة نظره ، ونحيل القارئ إلى مقالة للأستاذ الأكوع بعنوان "الملكة الصليحية والاسم الصحيح لها" ، جمع فيها وجهات النظر المختلفة ، ويبدو من خلال الأدلة الواردة أن الاسم الصحيح سيدة وليس أروى (راجع : الأكوع : الملكة الصليحية والاسم الصحيح لها ، صنعاء ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، وزارة الإعلام والثقافة ، ١٩٨٧م ، ص١٠٨ ــ ١٣٣)

Moncelon, Lada'wa fatimid, Ibid.=

على عهد الدولة الصليحية ، فكانت على قدر كبير من الحنكة والدراية السياسية ، وإلى جانب كونها سياسية ماهرة ، كانت ملمة بالمذهب الإسماعيلى وتبوأت فيه أعلى المراتب الدينيـــة ، كما كان لها إسهامات هامة فى المجالات الاقتصادية والعملية ، وفيما يلى نوجز الحديث عن أوضاع اليمن السياسية فى عهدها :

كانت سيدة على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة إلى جانب ما كانت تتمتع به من الـــصفات الجمالية ؛ فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل إلى السمنة ، كاملة المحاسن ، جهورية الصوت[١] ، كما كان لها حظ وافر من العلم والثقافـــة ؛ فكانـــت قارئة كاتبة تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ ، "وما أحسن ما كانت تلحقـــه بـــين ســـطور الكتاب عنها من اللفظ والمعنى"[٢] ، مما يدل على غزارة علمها وسعة إطلاعها[٣] .

وكانت تلك الصفات التى تحلت بها سيدة بنت أحمد مؤهلة لأن يختارهـــا الملـــك علـــى الصليحى زوجة لابنه المكرم الذى تزوجها فى عام ٤٥٨هـــ / ١٠٦٦م ، وكان عمرها فـــى ذلك الوقت ١٨ عاما[٤] ، وقد جعل صداقها مالية عدن وكانت تقدر بمائة ألف دينار ســـنويا ، وظل هذا المبلغ يرفع إلى السيدة الحرة يزيد وينقص حتى خروج بنى زريـــع عـــن تبعيـــة

=وعليه فاسمها سيدة بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى ، وتنعت بالحرة الكاملة ، وبلقيس الصغرى، وذلك لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها ، ولدت فى حراز ، من عام ٤٤٠هـــ / ١٠٤٨م ، وتولى الملك على الصليحى تربيتها بعد وفاة والدها (عمارة : المفيد ، ص١١٣ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـــ٧ ، ص٣٣٥ ؛ الأشراف الرسولى : طرفة الأصحاب ، ص١١٩ ؛ عمر رضا كحالة : أعلام النساء ، الطبعـــة الثالثـــة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ١٩٧٧ ، جـــ١ ، ص٢٧ ؛ عارف تامر : الملكـــة أروى الـــصليحية ، مجلـــة الفيصل ، العدد ٦٠ ، دار الفيصل ، ، الريـــاض ، ١٩٨٢م ، ص١١٦ (يـــذهب إلى أن اسمهـــا أروى) ؛ الحبشى : عبد الله محمد : معجم النساء اليمنيات، الطبعة الأولى ، دار الحكمة اليمنية ، صـــنعاء ، ١٩٨٨ ، ص١١ ؛ عفت واصل حمزة : نساء حكمن اليمن ، الطبعة الأولى ، دار ابن حـــزم ، بـــيروت ، ١٩٩٩م ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ؛ المتوكل : عبد القدوس محمد : ملكات وعبقريات شهيرات ، الطبعة الأولى ، الريـــاض ، ٢٠٠٠م ، ص١٩ .

[١] عمارة : المصدر نفسه ، ص١١٣ ، ١١٤ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦١ ؛ ابن الديبع : قـــرة العيـــون ، ص٢٦١ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١٤٤ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٤٨ .

[٢] عمارة : المصدر والصفحة .

[٣] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٤٣ ؛ عارف تامر : الملكة أروى ، ص١١٦ .

[٤] الهمدانى:المرجع نفسه،ص١٤٧؛مصطفى غالب:أعلام الإسماعيلية،ص١٤٥؛السرورى:المرجع نفسه،ص١٥٠

الصليحيين[١] ، وكان المكرم قد رزق من زوجته السيدة بأربعة أبناء هم : على ومحمد وفاطمة وأم همدان[٢] .

بدأت السيدة الحرة نشاطها السياسى فى عهد زوجها المكرم ، فكانت خير معين له على إدارة دفة الحكم ، ومن مظاهر تلك المشاركة ، إقناعها له بضرورة نقل عاصمة الحكم إلى ذى جبلة عوضا عن صنعاء ، نظرا لما كان يحدق بها من أخطار لاسيما من جراء غارات الأشراف الزيدية التى كانت تصل إلى ضواحى صنعاء ــ كما مر ــ فضلا عما امتازت به مدينة ذى جبلة من موقع حصين وإمكانيات اقتصادية شجعت الصليحيين على إتخاذها عاصمة لدولتهم[٣] .

وبعد وفاة السيدة أسماء بنت شهاب ، أم المكرم ، قام المكرم بتفويض شئون الحكم والدعوة لزوجته السيدة الحرة ، واعتزل الناس فى حصن التعكر بعد أن اشتد عليه مرض الفالج[٤] .

أبرزت السيدة بنت أحمد مهارة عالية فى قيادة الدولة بفضل ما كانت تتمتع به من ذكاء ، ولعلها تعلمت شيئا من ذلك فى مدرسة الملك على الصليحى نفسه ، فكانت تلميذة نجيبة استوعبت فنون الحكم والسياسة ، فجاء عهدها زاهيا نم عن عقلية متفتحة وذهنية صافية بعيدة عن التعصب وأقرب ما تكون إلى الاعتدال .

وقد شد من أزرها عدد من رجالات دولتها الذين كانوا خير معين لها فى تحمل تبعات الحكم ومشاقه ، وكان من هؤلاء عمران بن المفضل اليامى ، وأبو السعود بن أسعد بن شهاب وغيرهم من قيادات الدولة الصليحية[٥]. وما أن توفى المكرم عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤م

---

[١] السروری : الحياة السياسية ، ص١٥٠.

[٢] عمارة : المفيد ، ص١٣٣ ، ١١٤ ؛ السروری : المرجع والصفحة ، وقد توفى على ومحمد وهما طفلين أما أم همدان فتزوجها أحمد بن سليمان الزواحى ورزقت منه بعبد المستعلى ، وكانت وفاتها عام ٥١٠هـ ــ ١١١٦م ، أما فاطمة فتزوجها على بن سبأ بن أحمد الصليحى ، وكانت وفاتها عام ٥٣٤هـ ــ ١١٤٠م (عمارة : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨٠) .

[٣] سيأتى الحديث عن ذى جبلة فى الفصل الأول بتفصيل أكثر .

[٤] إدريس : عيون الأخبار ، جـ ٧ ، ص١٨٧ ، ١٨٨ .

[٥] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٤٨ .

حتى ظهرت بوادر الخلاف بين أبناء البيت الصليحى وذلك عندما سعت السيدة الحرة لضمان انتقال أمور الحكم والدعوة إلى ابنها على بن المكرم ، جريا على مبدأ توريث الحكم والدعوة عند الإسماعيليين[١] وقد تعارض هذا الأمر مع طموح الداعى سبأ بن أحمد الصليحى الذى ادعى لنفسه ذلك الحق بموجب وصية المكرم له بتولى رئاسة الدعوة بعد وفاته[٢] .

سارع الخليفة الفاطمى المستنصر إلى حل ذلك الخلاف بأن ثبت على بن المكرم ما كان لوالده من أمور الحكم والدعوة فى اليمن ، وأرسل له سجلا بذلك جاء فيه "... فقد رأى أن يصطنعك ويلحقك برتبه وينصبك منصبه وأمره أن يقلدك النظر فى ما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام فى سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه برا وبحرا..."[٣] وبذلك تم حسم الخلاف بين أبناء البيت الصليحى .

وإمعانا فى تأييد المستنصر لعلى بن المكرم ، فقد أرسل إليه فى عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م سجلا آخر لقب فيه بلقب " سليل الدعوة ونجلها" قصد المستنصر بذلك أن يشعر المنافسين له ـ لعلى بن المكرم ـ بمكانته من الدعوة وأن يبين لهم مدى تأييد الإمام له وأنه قد اختاره فى رئاسة الدعوة والدولة فى اليمن اعترافا منه بجهود آبائه فى خدمة الدعوة الفاطمية[٤] .

ويبدو أن تمسك الخلافة الفاطمية بحق على فى وراثة الدعوة والحكم خلفا لأبيه ، راجع إلى حرصهم على بقاء تلك الأمور فى يدى السيد الحرة من خلال وصايتها على ابنها ، فمن غير المعقول للطفل الصغير أن يقوم بشئون الحكم والدعوة إلا أن ولاء السيدة الحرة للفاطميين ونجاحها فى إدارة دولتها جعلت الخلافة الفاطمية تطمئن إليها ومن ثم كان حرصهم على بقاء الأمور فى يديها من خلال وصايتها على ابنها على بن المكرم .

وإزاء موقف الخلافة الفاطمية من تلك المشكلة ، لم يسع السلطان سبأ بن أحمد إلا القبول بذلك والنزول عند رغبة الإمام المستنصر ، وإرضاء له فقد جعلته السيدة الحرة نائبا عن

---

[١] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٥٥ .

[٢] عمارة : المفيد ، ص١١٩ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٦٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٧٤ .

[٣] السجلات المستنصرية : سجل رقم ١٤ ، ص٦٠ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص١٩٧ ، ١٩٨ .

[٤] السجلات المستنصرية : سجل رقم ٣٧ ، ص١٢٣ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٤٩ ؛ عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر ، ص١٠٨ .

ولدها وحاميا لأطراف دولتها[١] .

بذل السلطان سبأ بدوره جهودا مضنية فى سبيل حماية الدولة الصليحية والدفاع عنهـا، لا سيما من خطر النجاحيين الذين عادوا من جديد فى هذه الفترة بقيادة جياش بن نجاح الذى تمكن من استعادة زبيد وطرد واليها الصليحى ، يسانده فى ذلـك آلاف مـن عبيـده وبنـى عمومته[٢] ، فدخل السلطان سبأ فى مواجهات كثيرة معه فى تهامة ، فتارة تكون لـه الغلبـة تارة عليه ، واستمر الحال كذلك حتى وقعت معركة فاصلة بين الطـرفين وهـى معركـة الكظائم[٣] عام ٤٧٩هـ ـ ١٠٨٦م[٤] وفيها تمكن النجاحيون بقيادة جياش من إلحاق هزيمة نكراء بقوات الصليحيين بقيادة السلطان سبأ بن أحمد الذى كاد أن يلقـى حتفـه فـى تلـك المعركة[٥] ، وعلى إثر ذلك الانتصار أصبحت تهامة فى حوزة النجـاحيين ، ولـم يحـاول السلطان سبأ بن أحمد أن يستردها بعد ذلك منهم[٦].

لم يدم عهد على بن المكرم طويلا ، فمات بعد وفاة أخيه الأصغر محمد بفترة وجيـزة، وبوفاته عادت معها مطالبة السلطان سبأ بتولى أمور الدعوة والحكم ، وقد لاقى هذا الأمـر معارضة قوية من قبل السيدة الحرة ، التى سعت بكل قوتها للتمسك بكلا الأمرين[٧]، وحاول السلطان سبأ إيجاد حل لذلك الأمر بأن طلب يدها للزواج ، إلا أنها قابلـت طلبـه بـالرفض

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٥٠ ، ١٥١؛ حـسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٨ .

[٢] إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٠٣ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص٤٥ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٥١ ؛ الحريرى : دراسات وبحوث ، ص٢١٠ .

[٣] لعل أحداث المعركة قد وقعت بالقرب من الكظائم التى قد تكون فى نواحى زبيد (الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٥٢) .

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٠٦ .

[٥] عمارة : المفيد ، ص١٢١ ، ١٢٢ وما بعدها ؛ الحمزى : كتر الأخيار ، ص٨١ ؛ الخزرجى : طراز أعلام الزمن ، ق١١٩ ؛ الكبسى : اللطائف ، ص٤٠ ؛ العقيلى : المخلاف الـسليمان ، جـ١ ، ص١٤٧ ، ١٤٨ ؛ الحريرى : المرجع نفسه ، ص٢١٢ .

[٦] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٢ ؛ الحمزى : المصدر والصفحة ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٧ ؛ العقيلى : المرجع نفسه ، ص١٤٨ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٢٧ .

[٧] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٥٦ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٨ ، ١٩٩ .

فإزداد الأمر تعقيدا وأخذ كل منهما يعد لحرب الآخر ، فجهز السلطان سبأ جيشه وانطلق نحو العاصمة الصليحية ذى جبلة ، واستعدت له السيدة الحرة بدورها ، يؤازرها فى ذلك أخوها لأمها القائد سليمان بن عامر الزواحى وعدد آخر من القادة الصليحيين[١] .

ولما كادت الفتنة أن تقع بين الجانبين مع ما قد يترتب عليها من ذهاب أمر الصليحيين ، رأى سليمان الزواحى رأيا ارتضاه الجميع وهو أن يؤخذ رأى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فى مسألة زواج السيدة الحرة من السلطان سبأ ، وعليه فقد عاد هذا الأخير إلى حصنه أشيح وقام بإرسال رسولين من قبله إلى الخليفة الفاطمى لإطلاعه على تفاصيل القضية وهذان الرسولان هما : القاضى أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصفهانى ، وأبو عبد الله الطيب[٢] .

ويبدو أن الظروف كانت إلى جانب السلطان سبأ ، فبعد أن علم المستنصر بأمر ذلك الخلاف ، رأى أن يقضى فيه بزواج السيدة الحرة من السلطان سبأ بن أحمد حفاظا على البيت الصليحى من التفكك ، ولما جاء السيدة رسول الخليفة وما ارتآه من حل للخلاف ، تذمرت بعض الشئ لكنها نزلت عند رغبة الخليفة فى نهاية الأمر ، وتم زواجها من السلطان سبأ بن أحمد الصليحى[٣] .

أقامت السيدة الحرة السلطان سبأ على أمور الدعوة والملك[٤] واستمر بدوره من حصنه أشيح فى الدفاع عن الدولة الصليحية وتقديم الخدمات الجليلة لها ، حتى وافته المنية فى عام

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٢٢ ؛ الحمزى : كتز الأخيار ، ص٨١ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٤ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٦٧ .

[٢] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الحمزى : المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٧٧ ؛ أمين صالح : العلاقة ، ص٦٨ .

[٣] عمارة : المصدر نفسه، ص١٢٢ ، ١٢٣ ؛ الحمزى : المصدر والصفحة ؛ ابن المجيد : بهجة الزمن، ص٥٧ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ الخزرجى : المصدر نفسه ، ص٦٥ ؛ المطاع : المرجع والصفحة ؛ أمين صالح : المرجع والصفحة، وهناك من يرى أن السيدة الحرة لم تقبل بذلك الزواج، انظر عارف تامر:أروى ملكة اليمن،ص٨١ ؛ نفسه : الملكة أروى الصليحية،ص١١٦= =؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٩ ؛ المتوكل : ملكات وعبقريات ، ص٢٠ .

[٤] إدريس : عيون الأخبار ، الجزء السابع ، ص٢٢٠ .

٤٩١هـ/ ١٠٩٨[١] ، وبوفاة السلطان سبأ خسرت السيدة الحرة أحد أبرز قادتها الذين عولت عليهم فى الدفاع عن دولتها ، فما أن توفى حتى خرجت صنعاء وأعمالها عن طاعة الصليحيين ، واستولى عليها السلطان حاتم[٢] بن الغشيم المغلسى الهمدانى[٣] .

فقدت الدولة الصليحية أجزاء هامة من المناطق التى كانت تسيطر عليها ، ففى البداية كان سقوط تهامة بيد النجاحيين على إثر معركة الكظائم ، ثم تلاه خروج صنعاء من سيطرة الصليحيين ، مع ما تمثله المنطقتان من أهمية سياسية واقتصادية ، ويبدو أن الدولة الصليحية فى ذلك الوقت لم يكن لها من القوة ما يمكنها من إعادة السيطرة على تلك المناطق مرة أخرى ، ولم يعد فى وسع السيدة سوى القبول بالأمر الواقع والاتجاه إلى الحفاظ على ما بقى لديها من مدن وحصون أسندت مهام الدفاع عنها إلى قائدها المفضل بن أبى البركات الحميرى[٤] .

كانت أسرة آل أبى البركات الحميرى من أهم الأسر التى اعتمد عليها الصليحيون فى إدارة مناطقهم، وكانت بداية ذلك عندما ولى المكرم أبا البركات بن الوليد الحميرى على حصن[٥] تعز[٦] ، وظلت بعد ذلك ولاية حصن التعكر وتعز وراثية فى أسرة آل أبى البركات[٧] ؛ ففى عهد السيدة الحرة ولت خالد بن أبى البركات على حصن التعكر خلفا لوالده ، واستمر خالد على ولاية الحصن لمدة عامين حتى لقى حتفه على يد القاضى السنى عبد الله[٨] بن المصوع بسبب اعتناق خالد للمذهب الإسماعيلى[١] ، وذلك فى حدود عام ٤٨٠هـ

---

[١] إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٦٦ وهناك من يرى أن وفاته سنة ٤٩٢هـ (الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٢ ؛ الخزرجى : طراز أعلام الزمن ، ق١١٩ ؛ نفسه : العسجد ، ص٦٥) .

[٢] السلطان حاتم : هو أبو الفضل حاتم بن الغشيم الهمدانى المغلسى ، تمكن من الاستيلاء على صنعاء بعد وفاة السلطان سبأ بن أحمد الصليحى ، وكانت وفاته سنة ٥٠٢هـ (الخزرجى : طراز ، ق٩٩) .

[٣] الخزرجى:العسجد،ص٦٥؛ابن الديبع:قرة العيون،ص٢٦٨؛يحيى بن الحسين:غاية الأمانى،جـ١ ، ص٢٧٩

[٤] عمارة : المفيد ، ص١٢٦ ؛ الخزرجى : العسجد، ص٦٦ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٦٢ ؛ حسن سليمان : المرجع والصفحة.

[٥] حصن تعز:هو الحصن المسمى اليوم القاهرة المطلة على مدينة تعز ، ويقال أن أول من اتخذه حصنا هو عبد الله بن محمد الصليحى أنور الملك على بن محمد الصليحى (ابن الديبع:المصدر نفسه،ص٢٦٩ حاشية ٢)

[٦] عمارة : المصدر والصفحة؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٦ .

[٧] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٧٤ .

[٨] هو الفقيه السنى أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر بن عمر بن إسحاق المصوع ، كان عالما فاضلا وذو أملاك

/١٠٨٧م[٢] . وبعد وفاة خالد بن أبى البركات ، أسندت السيدة الحرة ولاية التعكر وقيادة الجيش إلى المفضل بن أبى البركات الحميرى ، وكان المفضل من صغار الدار ويعمل وصيفا لدى المكرم والسيدة الحرة منذ صغره ، وقد حكى عن ذلك عمارة بقوله: "والمفضل يومئذ يتوصل للملك المكرم بذى جبلة وهو من صغار الدار الذين يدخلون على الحرة الملكة فى رسائل المكرم والحوائج بينهما" [٣] .

نشأ المفضل إذن فى قصر السيدة الحرة ، فكان ثمرة تربيتها ، وما أن أصبح يعتمد عليه حتى جعلته من القادة المقربين لديها ، وقد بدى ذلك واضحا عندما كلفته بقيادة جيشها لمقاومة السلطان سبأ بن أحمد الصليحى عندما كادت الحرب أن تقع بين الطرفين[٤] . وكان من أبرز الأعمال التى قام بها المفضل فى خدمة الدولة الصليحية بعد توليه قيادة الجيش ، وقوفه ضد شمس المعالى[٥] على بن السلطات سبأ الصليحى صاحب حصن قيضان[٦] ، فحاربه المفضل وأخرجه منه سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ، وملك حصون[٧] بنى المظفر فى نفس العام[١] ، وكان الدافع لذلك هو سعى شمس المعالى للسيطرة

واسعة فى وادى ظباء بذى السقال وكان على علاقة حسنة بخالد بن أبى البركات غير أنه غدر به بعد فترة فقتله فكان جزاءه أن قتله أتباع خالد ثم لم يسلم أهل الفقيه من ثأر المفضل شقيق خالد الذى قام بمصادرة أملاكهم(ابن الديبع:قرة العيون،ص٢٦٩ ، ٢٧٠ حاشية ٣ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٦٢) .

[١] الخزرجى:العسجد،ص٦٦؛ ابن الديبع:المصدر والصفحة؛يحيى بن الحسين: غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٩٧ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٧٥ .

[٢] عمارة : المفيد ، ص١٢٦

[٣] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٦٣ ؛ السرورى : المرجع نفسه، ص١٧٦ ؛ أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص١٥٩ .

[٤] شمس المعالي: لم يقف الباحث على الطريقة التي تمنح به الألقاب لولاة الدولة الصليحية مثل لقب شمس المعالي وفخر الخلافةوغيرها،ولعل حكام الدولة الصليحيةهم من كان يطلقها عليهم لإعلاء شأنهم وكسب طاعتهم

[٥] حصن قيضان : بفتح فسكون ففتح ، حصن فى جبل بنى الحارث من بلاد يريم ، يقع جوار منار بعدان ،= =وهو حصن ذو منعة وسيطرة على الطريق المؤدية إلى حقل قتاب للمجتازين من بعدان (المقحفى : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٣١١) .

[٦] حصون آل المظفر هى : مقى ، والطفر ، وظفار ، وريمة ، وحصون وصاب ، وعتمة ، وجعر ونعمان والسرف وتوارير فى وصاب (ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٦٦ حاشية ١) .

على ما كان لأبيه من حصون ، إلا أنه لاقى معارضة من السيدة الحرة على ذلك الأمر ، وسيرت إليه المفضل لقتاله ، وقد سعى شمس المعالى فى طلب العون من الخلافة الفاطمية فى مصر ، إلا أنها لم تكترث لأمره ، وعندما عاد لينتزع بعض حصون أبيه بالقوة ، أعمل المفضل حيلة لقتله فمات مسموما فى عام ٤٩٥هـ /١١٠٢م[٢] .

ومن أعماله أيضا فى خدمة الدولة ، وقوفه إلى جانب السيدة الحرة وقتاله لعمرو بن عرفطة الجنبى وغيره من سنحان وعنس وزبيد ، كما نزل إلى عدن مرارا وأجبر ولاتها على دفع نصف خراجها[٣] ، كما كان يغزو تهامة فمرة له وأخرى عليه[٤] ، وأصبح بمرور الوقت "رجل الدولة ومدبرها والمرجوع إلى رأيه وسيفه والحرة لا تقطع أمرا إلا به فعظم بذلك شأنه وعلت كلمته ... ولم يبق فى اليمن من يساويه ولا من يساميه"[٥] .

وفى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م وقع الخلاف بين أبناء نجاح وكادت الفتن الداخلية أن تقضى على دولتهم ، ولم يكن بمقدور الصليحيين الاستفادة من ذلك الوضع واستغلاله لصالحهم لما أصاب دولتهم من الضعف فى ذلك الوقت[٦] .

ومهما يكن من أمر ، فقد رحبت السيدة الحرة بمنصور بن فاتك بن جياش الذى قدم يستنجد بها من عمه عبد الواحد ، وتعهد لها بتقديم ربع محصول تهامة نظير مساعدتها له، فأجابته السيدة إلى ما أراد ؛ وسيرت جيشها بقيادة المفضل يدعمه جيش آخر بقيادة زريع بن العباس وعمه مسعود بن الكرام الهمدانى ، وتمكن المظفر ومن معه من هزيمة عبد الواحد بن جياش وإعادة منصور بن فاتك إلى الحكم[٧] .

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٢٧ ؛ الحمزى : كتز الأخيار ، ص٨٢ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٦٣.

[٢] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٧٧ ، ١٧٨ .

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٦٨ .

[٤] الجندى:السلوك ،جـ٢،ص٤٩٥ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٦ ؛ ابن الديبع : المرجع نفسه ، ص٢٧٠.

[٥] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٦ ؛ الجندى : المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : المصدر والصفحة ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٩ .

[٦] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٦٤ .

[٧] عمارة : المفيد ، ص١٢٨ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٨٦ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٧٩ ، ١٨٠ .

ماطل المفضل فى تسليم السلطة لمنصور بن فاتك متحينا الفرصة للاستيلاء على تهامة ، غير أن ذلك لم يحدث ، فقد شغله عنه ما سمعه من قيام الفقهاء بالاستيلاء على حصن التعكر ، مما اضطره للإسراع فى العودة[١] .

وما أن وصل المفضل إلى التعكر حتى قام بحصار الحصن وتضييق الخناق على من فيه ، ولما رأى الفقهاء خذلان بنو الزر الخولانى لهم ، عمدوا إلى حيلة قصدوا من ورائها إلحاق أكبر قدر من الأذى النفسى لدى المفضل ، وذلك بأن أمروا حظاياه من السرارى بالخروج فى أبهى زينتهن من سقوف الحصن ومن ثم طلبوا منهن الضرب والغناء ، فلما رأى المفضل ذلك مات كمدا ــ كما يقال ــ أو أنه شرب سما فمات ، وذلك لما كان يعرف عنه من شدة غيرته على نسائه وسراريه وكان ذلك فى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م[٢] . ويذكر عن المفضل أنه كان حازما عاقلاً كريما ، فكان يأتى إليه الشعراء لينالوا من عطاياه ، كما أوثر عنه تجديده بناء المقدمة والجناحين من مسجد الجند، وإجراءه للغيل من خنوة[٣] إلى مدينة الجند[٤] .

لما توفى المفضل سارعت السيدة الحرة لمواجهة ثورة الفقهاء فى حصن التعكر ، فأعدت لذلك قواتها وتوجهت حتى وصلت منطقة الربادى التى بها حصن التعكر ، وتفاوضت مع الفقهاء على تسليم الحصن ، فقبل الفقهاء ذلك فى مقابل

---

[١] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٧ ؛ إدريس : المصدر والجزء والصفحة ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٨٣ .

[٢] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٤٩٨ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٨٧ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٨ ؛ يحيى بن الحسين : المصدر والجزء والصفحة؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٨٠ ، ٢٨١ ؛ الحداد : التاريخ العام ، ص٢٥٩ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٨١ (ويرى السرورى ... أنه من المحتمل أن يكون المفضل قد قتل مسموا من قبل أعدائه الذين اندسوا بين صفوف جنده ، (المرجع والصفحة) .

[٣] خنوة :قرية تسمت بها عزلة خنوة الواقعة فى منتهى مخلاف جعفر متصلة بوادى ظباء من أعمال ذى السفال وذى أشرق (ابن الديبع : قرية العيون ، ص٢٧٠ ، حاشية ٢) .

[٤] الجندى : المصدر والجزء، ص٤٩٥ ، ٤٩٦ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٦ ، ٦٧ ؛ الهمدانى:= =الصليحيون ، ص١٦٥ ، ١٦٦ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٨٢ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٢٨١.

غنيمتهم للأموال التى وجدوها داخل الحصن ، كما اشترطوا عليها أن ترحل بجيشها من حول الحصن وأن تولى عليه من تشاء ، فقبلت ذلك وولت عليه فتح بن مفتاح ، وهكذا تمكنت السيدة الحرة من إنهاء تلك الثورة وإعادة الفقهاء إلى طاعتها[١] .

ترك المفضل بوفاته فراغا كبيرا فى الدولة الصليحية ، فظهر أثر غيابه بوضوح عندما أقدمت قبائل من خولان بقيادة مسلم بن الزر الخولانى بالاستيلاء على حصن خدد[٢] وطرد واليه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحى ، غير أن مسلما عاد ليقدم ولائه للسيدة الحرة ، وبرهن على ذلك بتقديم ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت السيدة بتربيتهما ، وعندما توفى مسلم بن الزر خلفه ابنه سليمان على حصن خدد فى حين تمكن عمران بعد ذلك من الاستيلاء على حصن التعكر ، عن طريق الاحتيال على صاحب الحصن فتح بن مفتاح، بعد أن نقل أمواله إلى حصن آخر هو حصن شار[٣] وذلك فى عام ٥٠٩هـ ـ ١١١٥م ، ومع ذلك فقد ظل عمران على ولائه للسيدة الحرة[٤].

وما أن شعر الخولانيون بإزدياد نفوذهم ، حتى بدأوا يقومون بأعمال السلب والنهب ، مما دعا السيدة الحرة إلى الإستعانة بقبائل أخرى لتأديبهم ، فكانت تكتب بذلك إلى عمرو بن عرفطة الجنبى فيشدد قبضته عليهم حتى يلجئون إلى طلب الصفح من السيدة وإبعاد الجنبى عن بلادهم[٥] .

رأت السيدة الحرة أن تسند مهام القيادة بعد وفاة المفضل إلى ابن عمه الأمير أسعد بن

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٢٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٤٩٨ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٨٧ ، ٢٨٨ ؛ الحداد : التاريخ العام ، ص٢٦٠ .

[٢] حصن خدد : بفتح فكسر ، حصن مشهور بحصانته ، يقع فى منطقة العارضة من جبل حبيش ، شمال مدينة إب (المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٥٦١ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية، ص١١٠ ، حاشية ٤) .

[٣] حصن شار : حصن منيع ، يقع غربى مدينة إب فى بلاد شار من العدين (المقحفى : المرجع والجزء ، ص٨٣٨ ؛ الأكوع : المرجع نفسه، ص١٥٩ حاشية ٢) .

[٤] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٣٠ ، ١٣١ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٦٧ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ السرورى : المرجع نفسه ، ص١٨٣ .

[٥] عمارة : المفيد ، ص١٣١ .

أبى الفتوح الحميرى ، وكان متوليا على حصن تعز وصبر خلفا لوالده ، فقام بالأمر خير قيام ، ومن ذلك وقوفه ضد بنى زريع فى عدن الذين كانوا قد امتنعوا عن تأدية المبلغ المتعين عليهم دفعه للسيدة وهو مبلغ خمسون ألف دينار ، وانتهى معهم إلى الاتفاق على دفع نصف ذلك المبلغ ، واستمر الأمير أسعد فى خدمة الدولة الصليحية إلى أن غدر به رجلان من أصحابه فقتلاه بين البابين فى حصن تعز فى عام ٥١٤هـ ـ ١١٢٠م[١] .

بعد وفاة الأمير المفضل ، شعرت السيدة الحرة بحاجتها إلى مستشار تعتمد عليه فى إدارة شئون دولتها ، لا سيما بعد أن فضل الأمير أسعد بن أبى الفتوح الاستقرار فى تعز دون جبلة ، فما كان من السيدة الحرة إلا أن بادرت إلى طلب العون من الخلافة الفاطمية[٢] . وما أن علمت الخلافة الفاطمية بذلك حتى سارعت إلى إرسال الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة إلى اليمن ، وبصحبته عشرين فارسا ليكون عونا للسيدة الحرة ، وذلك فى عام ٥١٣هـ ـ ١١١٩م[٣] .

كان ابن نجيب الدولة قبل قدومه إلى اليمن يعمل فى مصر على خزانة الكتب الأفضلية ، كما كان غزير الحفظ وعلى دراية بالمذهب الإسماعيلى[٤] ، وتظهر مكانت لدى الخلافة الفاطمية من خلال الألقاب التى منحت له وهى "الأمير المنتخب عن الخلافة الفاطمية فخر

---

[١] الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٨ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٧٤ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٨٣ ، ٢٨٤ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٦٨؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص٢٠٠ ؛ الحداد : التاريخ العام ، ص١٦٢ ، ١٦٣ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٨٤ .

[٢] الهمدانى : المرجع والصفحة ؛ حسن سليمان : المرجع والصفحة ؛ السرورى : المرجع والصفحة .

[٣] الجندى : المصدر والجزء والصفحة؛ الخزرجى : المصدر نفسه، ص٦٨ ، ٦٩ ؛ الهمدانى : المرجع والصفحة ؛ حسن سليمان : المرجع والصفحة ؛ سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٩٧ ؛ نفسه : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، (د.ت) ، ص٩٤ ؛ ماجد : ظهور الخلافة ، ص١٧٦ ؛ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص٢٠٨ .

[٤] عمارة : المفيد ، ص١٣٢ ؛ الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٨ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٨ ، ٦٩؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٧٤ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص١٦١ .

الدولة العلوية الموفق فى الدين داعى أمير المؤمنين" [١] .

وما أن وصل ابن نجيب الدولة إلى مدينة ذى جبلة حتى جعلته السيدة حاجبا لها[٢] ، ومدافعا عن أطراف ما بقى من دولتها[٣] ، وقد كان خير معين لها لا سيما بعد مقتل الأمير أسعد بن أبى الفتوح الحميرى ، حيث أصبح قائدا لجيوش الدولة الصليحية[٤] .

حرص ابن نجيب الدولة منذ توليه قيادة الجيش على إعادة الأمن للدولة الصليحية ، فتمكن بمساعدة قبائل من همدان وغيرهم من إخضاع القبائل التى كانت قد أعلنت تمردها فى ذى جبلة ونواحيها[٥]، وبفضل السياسة التى اتبعها ابن نجيب الدولة "أمنت البلاد وانقمع أهل الفساد ورخصت الأسعار وانكف الذعار وقبض يده عن أموال الناس وعدل فيهم وأقام الحدود ، فعز جانب السيدة وأمنت على دولتها من الطامعين"[٦] .

قامت الخلافة الفاطمية بإمداد الموفق بالمساعدات المطلوبة على عهد وزيرها المأمون البطائحى[٧] ، حيث أرسل إليه أربعمائة قوس أرمنى وسبعمائة أسود بالإضافة على ما يحتاج

---

[١] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٦٨.

[٢] الخزرجى : المصدر السابق ، ص٦٩ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٣٢ ؛ أمين صالح : العلاقة ، ص٧١ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٨٥ .

[٣] أيمن فؤاد سيد: المرجع والصفحة .

[٤] حسين الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٦٩ .

[٥] الحمزى : كنز الأخبار ، ص٨٢ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٧٤ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٢٨٥ ؛ أيمن فؤاد سيد: المرجع نفسه ، ص١٦٢ ؛ أمين صالح : المرجع والصفحة .

[٦] إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٨٨ وما بعدها ؛ الخزرجى : المصدر نفسه، ص٦٩ ؛ أمين صالح : المرجع نفسه ، ص٧١ .

[٧] أبو عبد الله البطائحى الملقب بالمأمون ، استوزره الخليفة الآمر بعد قتل الأفضل شاهنشاه ، ولبث فى الحكم أربع سنين حتى قبض عليه الآمر عام ٥١٩هـ ثم قتله وصلبه عام ٥٢١هـ بعد أن شارك بتدبير مؤامرة= =لقتل الآمر ، وقتل معه خمسة من إخوانه ، وينسب للمأمون البطائحى بناء الجامع الأقمر بالقاهرة عام ٥١٥هـ (الذهبى ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد : سيرة أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسى ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ، بيروت ، جـ ١٩ ، ص٥٠٨ ، ٥٥٣ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٢٢٩) .

إليه من مال ، كما منحته الخلافة الفاطمية تفويضا على بلاد اليمن ، وعندئذ أمرته السيدة الحرة أن يسكن الجند لأنها متوسطة فى الأعمال إلا أن ذلك الأمر كان مثار سخط القادة الصليحيين الذين رأوا فى ظهور ابن نجيب الدولة خطرا يهدد نفوذهم[١] .

بعد حصول ابن نجيب الدولة على مساعدات الخلافة الفاطمية ، قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على تهامة ، فأعد لذلك الأمر عدته ، وكان خروجه لقتالهم فى عام ٥١٨هـ ـ ١١٢٤م على عهد الوزير النجاحى من الله الفاتكى أحد عبيد بنى نجاح ، إلا أن ذلك الطموح كاد أن يودى بصاحبه فنجا ابن نجيب الدولة من موت محقق بعد أن قتل المئات من جنوده ، وعاد إلى الجند يجر أذيال الهزيمة[٢] ، ولم تكن هزيمة ابن نجيب الدولة فى زبيد هى الأخيرة ، فقد كانت ثانية بانتصاره عندما توجه إلى قتال بنى زريع لإجبارهم على العودة لطاعة السيدة الحرة ، وفى منطقة الجؤة[٣] دار قتال عنيف بين الطرفين انتهى بهزيمة ابن نجيب الدولة وإصابته بعد سقوط فرسه ، ليعود بعدها إلى منطقة الجند مرة أخرى مثقل الكاهل مما لحق به[٤] .

ساءت العلاقة بعد ذلك بين ابن نجيب الدولة والسيدة الحرة ، ولعل الهزائم التى منى بها كانت سببا فى ذلك ، كما أوثر عنه قوله عن السيدة أنها "خرفت وقد استحقت عندى أن يحجر عليها" [٥] ، وعندما تناهى ذلك القول إلى سمعها استاءت كثيرا وأرادت أن تؤدبه على قوله ، فانتهز تلك الفرصة المعارضون لابن نجيب الدولة من القادة الصليحيين واستأذنوا السيدة فى حصاره فأذنت لهم وذلك فى عام ٥١٩هـ/١١٢٥م ، وعندما شدد المحاصرون الخناق على

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٣٣ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٩ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٧٥ ؛ الهمدانى: الصليحيون ، ص١٧٠ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص١٨٦ وهؤلاء القادة هم : سليمان وعمران إبنا الزر الخولانى ، ومنصور بن المفضل ، وسبأ من أبى السعود ، ومفضل بن زريع (عمارة : المصدر والصفحة).

[٢] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٣٣ ، ١٣٤ ؛ الحمزى : كتز الأخبار ، ص٨٢ ، ٨٣ ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٧١.

[٣] الجؤة : بلدة تحت جبل الصلو من جهة الشرق (المقحفى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٦٩) .

[٤] عمارة : المصدر نفسه، ص١٣٤ وما بعدها ؛ محمد كريم : عدن ، ص١١٢ ؛ أمين صالح : العلاقة ، ص٧٢ ؛ السروري : المرجع نفسه ، ص١٨٧ .

[٥] عمارة : المفيد ، ص١٣٥ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٦٩ .

ابن نجيب الدولة لجأ إلى طلب العون من السيدة فعملت على إبطال ذلك الحصار ، فعاد ابن نجيب الدولة إليها واعتذر على ما كان قد بدر منه[١].

ومهما يكن من أمر ، فقد رأت الخلافة الفاطمية أن سياسة ابن نجيب الدولة التى رسمها له الفاطميون قد حادت عن الخطة المرسومة ، لذلك قام الخليفة الآمر[٢] باستدعائه إلى مصر[٣] ، وتذكر المصادر أن ابن نجيب الدولة لم يكترث لأمر رسول الخليفة ، ولم يحسن استقباله ، فشق ذلك عليه ، ووجدها القادة الصليحيون فرصة سانحة للتآمر على ابن نجيب الدولة ، فأغروا صدر ذلك الرسول ، ودبروا مكيدة للتخلص من ابن نجيب الدولة ، فحواها أن يبلغوا الخليفة الآمر أن ابن نجيب الدولة يدعوهم إلى النزارية[٤] ، وتأكيدا على ذلك فقد

---

[١] عمارة : المصدر والصفحة وما بعدها ؛ الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٩ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٩ ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة ؛ تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٨١ ، ١٨٢ ؛ أمين صالح : المرجع والصفحة .

[٢] الآمر : أبو على منصور بن المستعلى بالله أحمد ، بويع الخلافة بعد وفاة والده عام ٤٩٥هـ وهو طفل صغير لم يتجاوز الخامسة من العمر ولقب بالآمر بأحكام الله ، استوزر الأفضل شاهنشاه ثم قتله وصادر أملاكه ، واستوزر بعده المأمون البطائحى ثم قتله هو الآخر عام ٥٢١هـ بعد أربع سنين من وزارته بعد أن علم بمشاركة المأمون بتدبير مؤامرة لقتله ، وكانت نهاية الآمر بعد ذلك على أيدى جماعة من النزارية عام ٥٢٤هـ وكان حكمه قد امتد ٢٩ عاما وتسعة أشهر (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٢٩٩؛ الذهبى : سيرة أعلام النبلاء ، جـ١ ، ص١٩٧ ـ ١٩٩ ؛ السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيى الدين ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٢م ، جـ١ ، ص٤٢٨ ، ٤٣٥ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص١٧١ .

[٣] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٣٦ ؛ ابن عبد المجيد : المصدر والصفحة ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة؛ الخزرجى : المصدر نفسه ، ص٧٠ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٢ ؛ حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص٢٠١ .

[٤] النزارية : فرقة إسماعيلية ظهرت بعد وفاة المستنصر عام ٤٨٧هـ واحتدام الصراع بين ولديه نزار ـ البكر ـ الذى تنسب إليه الفرقة النزارية ، وأحمد المستعلى ـ الابن الأصغر ـ الذى تنسب إليه الفرقة المستعلية= =وكانت كلا الفرقتين ترى بأن إمامها أحق بالإمامة من الآخر ، وقد تمكنت الفرقة المستعلية من حسم الموقف لصالحها بالقوة فى حين لجأت الفرقة النزارية إلى البحث عن ملاذ آمن لها فوجدته فى بلاد فارس حيث كونت لها هناك دولة نزارية (مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، الطبعة الثانية ، دار الإندلس ، بيروت ، (د.ت) ، ص٢٣٩ ـ ٢٤١ ؛ نفسه : أعلام الإسماعيلية ، ص٥٨٣ ـ

ضربوا سكة نزارية باليمن كدليل على صدق كلامهم[١] .

وما أن وصلت تلك الأخبار إلى الخليفة الآمر حتى قام بإرسال الموفق ابن الخياط مع مائة فارس من فرقة الحجرية إلى اليمن للقبض على ابن نجيب الدولة ، ولما وصل إلى السيدة فى ذى جبلة طلب منها أن تسلم إليه ابن نجيب الدولة ، إلا أنها امتنعت عن ذلك فى بداية الأمر ثم لم تلبث أن قبلت بعد ذلك امتثالا لأمر الخليفة ، بعد أن برأت ابن نجيب الدولة مما نسب إليه ، واستوثقت له من ابن الخياط بأربعين يمنيا بعدم معاقبته ، كما كتبت إلى الخليفة الآمر تطلب منه العفو عنه ، وأرسلت رسالتها مع كاتبها محمد بن الأزدى وبصحبته هدية قيمة[٢] ، وكان ذلك فى عام ٥٢٠هـ ـ ١١٢٦م[٣] .

اختلفت الآراء حول نهاية ابن نجيب الدولة ، فيرى بعضهم أن أعداءه تآمروا عليه بإغراقه فى البحر مع رسول السيدة الحرة[٤] ، ويرى البعض الآخر أنه قتل فى القاهرة مع المأمون البطائحى فى عام ٥٢٢هـ ـ ١١٢٨م[٥] ، ويرى آخرون أنه لم يغرق وإنما شهر به فى القاهرة فى عام ٥٢٤هـ /١١٣٠م وقيل أيضا أن نهايته بعد خروجه من اليمن غير معروفة[٦] .

ومهما يكن من أمر ، فقد انتهى عهد ابن نجيب الدولة فى اليمن بعد فترة غير قليلة قضاها فى خدمة السيدة الحرة ، غير أن ما وقع فيه من أخطاء جعلته فريسة سهلة لمنافسيه

. ٥٨٦

[١] عمارة : المفيد ، ص١٣٦ ؛ الجندى : السلوك ، جـ٢ ، ص٤٩٩ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٥٩؛ الخزرجى : العسجد ، ص٧٠ ؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٣٣ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٢ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٧٥؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٩٥ ، ٩٦ .

[٢] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٣٧ ، ١٣٨ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، جـ١ ، ص٨٧ ؛ الفقى : المرجع نفسه ، ص١٧٦ .

[٣] السرورى : المرجع نفسه ، ص١٩٠ نقلا عن الوصابى : الاعتبار ، ص٤٦ .

[٤] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٣٨ ، ١٣٩ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ ؛ بامخرمة: المصدر نفسه ، ص١٣٤ .

وانظر : Farhard Daftary, The Isma'ilis, p.285.

[٥] أيمن فؤاد سيد: المذاهب ، ص١٦٣ ، ١٦٤ .

[٦] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٣ .

الذين وجدوا فى بقائه خطرا يهدد مصالحهم فسعوا للإطاحة به ونجحوا فى ذلك فى نهاية الأمر .

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة وقع اختيار السيدة الحرة على السلطان على بن عبد الله الصليحى ابن أخى السلطان على بن محمد الصليحى للدفاع عن دولتها ولقب بفخر الخلافة[١] ، ويبدو أن الدولة الصليحية فى ذلك الوقت كانت قد أخذت فى الانهيار[٢] .

لم تكن تبعية الصليحيين فى اليمن للفاطميين فى مصر تبعية سياسية بل إن حبهم وإخلاصهم لمذهبهم الدينى هو الذى جعلهم يفرضون على أنفسهم تبعيتهم المذهبية للفاطميين ، وقد كان الفاطميون يدركون هذا جيدا ، فلم يحاولوا التدخل فى الشئون السياسية للدولة الصليحية ، لذلك كانت السيدة الحرة ومن سبقها من الملوك الصليحيين مستقلين سياسيا عن الخلافة الفاطمية ، وما امتثالهم لأوامر الخلفاء الفاطميين إلا بدافع من الولاء المذهبى ليس أكثر[٣] ، واستمر الصليحيون يدينون بالتبعية المذهبية للخلافة الفاطمية فى مصر ، غير أن تلك التبعية تغيرت بعد ذلك فى عهد السيدة الحرة ، وذلك نتيجة للتطورات التى حدثت فى البيت الفاطمى نفسه .

ففى يوم الثلاثاء الثانى من ذى القعدة من عام ٥٢٤هـ / ٧ أكتوبر ١١٣٠م لقى الخليفة الفاطمى الآمر مصرعه على أيدى الفرقة النزارية ، واعتلى ابن عمه الحافظ[٤] العرش من بعده فانقسمت الدعوة الإسماعيلية من جراء ذلك إلى فرقتين هما : الطيبية نسبة للطيب[٥] بن

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٢٩٧ ؛ الحداد : التاريخ العام ، ص٢٦٥ .

[٢] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٧٥ .

[٣] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص١٩٢ ، ١٩٣ ؛ عفت وصال : نساء حكمن اليمن ، ص١٨٥ .

[٤] الحافظ : أبو ميمون عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله ، ولد بعسقلان فى المحرم من عام ٤٦٦هـ وقيل ٤٦٧هـ ، بويع له بولاية العهد يوم قتل الآمر عام ٥٢٤هـ ، إلا أن أبو على أحمد بن الأفضل تمكن من سجن الحافظ ومسك زمام السلطة بيده ، وانتهج المذهب الاثنى عشرى وترك الإسماعيلى غير أن أمره انتهى بالقتل بتدبير من الحافظ فى المحرم من عام ٥٢٦هـ ومن ثم بويع للحافظ بالخلافة،وبقى فيها حتى= =وفاته فى عام ٥٤٣هـ وقيل ٥٤٤هـ عن عمر يناهز ٧٧ عاما بعد حكم دام ٢٠ سنة غلا خمسة أشهر (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ١٥ ، ص٢٠٠ ــ ٢٠٢) .

[٥] الطيب بن الآمر : هو أبو القاسم الطيب بن الآمر ، كانت ولادته يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر

الآمر ، وترى بأن الإمامة من حقه كوريث لوالده بموجب وصية والده له قبل موته ، وحافظيه نسبة إلى الحافظ وترى بأنه هو الأحق بالإمامة[١] وكانت مدينة الإسكندرية مقر الأولى فى حين اتخذت الثانية من القاهرة مقرا لها ، وقد انتهى النزاع بتمكين الحافظية من تثبيت أقدامها على حساب الطيبية التى أخذت فى الإستتار خوفا من البطش بها[٢] .

أراد الحافظ بعد أن تولى مقاليد الخلافة أن يحافظ على امتداد دولته المذهبى وخاصة فى اليمن ، فسعى للتواصل مع السيدة الحرة ، غير أنها لم تلتفت إليه على اعتبار أنه غير مستحق للخلافة ــ من وجهة نظرها ــ وأنه مغتصب لها ، ومن ذلك قولها "أنا ابن أحمد ، بالأمس ولى عهد المسلمين واليوم أمير المؤمنين ، لقد جرى فى غير ميدانه وإدعى أمرا يبعد عن مكانه" قال إدريس : "وأعلمت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده وإدعى ما إدعاه الظالمون من قبله وارتقى لمقام وليس هو من أهله" [٣] .

وبذلك أعلنت السيدة الحرة عدم تبعيتها للدعوة الحافظية ومن ثم للخلافة الفاطمية فى مصر ، وسعت للدفاع عن الدعوة الطيبية ، فبذلت أموالا طائلة لحمايتها والإنفاق عليها ، وأصبح اليمن مركزا رئيسيا لأنصار تلك الدعوة[٤] .

أما بالنسبة للخليفة الحافظ فقد عول بعد فقده تأييد السيدة الحرة على بنى زريع ، الذين أعلنوا عن تبعيتهم المذهبية للدعوة الحافظية ، مما جعل الحافظ يقوم بتقليد سبأ بن أبى السعود الزريعى أمر الدعوة الحافظية فى اليمن ، ولقبه بالداعى وظل هذا اللقب متوارثا بين أبنائه

سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ، قبل وفاة والده الذى كان قد نص على إمامته من بعده فى سجل بعث به إلى السيدة الحرة فى ذلك العام ، غير أن الأمير عبد المجيد تمكن من تحويل الأمر فى نهاية المطاف إلى صالحه واستأثر بالخلافة دون الطيب بن الآمر ، فانقسمت الدعوة الإسماعيلية على إثر ذلك إلى فرقتين هما : الطيبية نسبة إلى الطيب بن الآمر ، والحافظية نسبة الأمير عبد المجيد الذى تلقب بالحافظ .

(أنظر : عمارة المفيد ، ص١٩٢ ؛ إدريس : عيوب الأخيار ، ج٧ ، ص٣٠٠ ، ٣٠١) .

[١] أيمن فؤاد سيد: المذاهب ، ص١٧١ ؛ الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٧٧ ، ١٧٨ .

[٢] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٩٥ .

[٣] إدريس : المصدر نفسه، جـ٧ ، ص٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وانظر أيضا : سرور : الدولة الفاطمية ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٧٦ ، ص١٠٢ ؛ عفت وصال : نساء حكمن اليمن ، ص١٨٧ .

وانظر : Farhard Daftary, The Isma'ilis, p.277.

[٤] الهمدانى : الصليحيون ، ملحق رقم ٩ ، ص٣٢٣ ــ ٣٣٠ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص١٩٦.

من بعده[١] .

توفيت السيدة الحرة بنت أحمد الصليحي فى غرة شهر شعبان من عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م [٢] بعد حكم دام لأكثر من خمسين عاماً[٣] ، عن عمر ناهز على الاثنين والتسعين عاما[٤] ، ودفنت فى جامع ذى جبلة أيسر القبلة فى منزل متصل بالجامع ، وكانت قد هيأت موضع قبرها فيه[٥] .

وبوفاة السيدة الحرة ، انفرط عقد الدولة الصليحية ، والحقيقة أن الدولة الصليحية التى كانت تشمل جميع بلاد اليمن فى عهد الملك على بن محمد الصليحى ، ثم فى عهد خلفه الملك أحمد المكرم ، كانت قد أخذت فى التراجع شيئا فشيئا على عهد السيدة الحرة ، مع ما كانت تتمتع به من حكمة وحنكة سياسية .

وبعد وفاة السيدة الحرة ، انتقل ما تحت يدها من المدن والحصون إلى منصور بن المفضل الحميرى ، الذى كان يدين لها بالولاء ، وكان قد تولى ذى جبلة وضم إليه ممتلكات بنى المظفر بعد وفاة أبيه المفضل عام ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، وبقى على ولائه للسيدة الحرة حتى وفاتها ، فاستولى بعد ذلك على ما كان تحت يديها من الحصون والأموال ، إلا أنه وبعد أن تقدمت به السن ورأى عجزه عن حماية أملاكه قام ببيعها فى عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م وكانت ثمانية وعشرين حصنا ، ومدينة ، منها مدينة ذى جبلة وإب وذى شرق وحصن التعكر ، وقد اشتراها منه الداعى محمد بن سبأ الزريعى بمبلغ مئة ألف دينار[٦] ثم انتقل منصور بن المفضل بعد ذلك إلى حصن تعز وأقام فيه حتى وفاته عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م ثم

---

[١] أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص١٨٦ ، ١٨٧ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٢٣ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، جـ٧ ، ص٣٨٦ ؛ الخزرجى : العسجد ، ص٧١ ؛ الواسعى : تاريخ اليمن ، ص١٧٤ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٣٠٠ ؛ زمباور : معجم الأنساب ، ص١٣٨ ؛ كليفورد : الأسرات الحاكمة ، ص٣٠ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، جـ٣ ، ص١٣٢ .

[٣] السروري : المرجع نفسه ، ص١٩٦ .

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٧٢ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٠٧ .

[٥] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٨٦ ؛ الهمدانى : المرجع والصفحة .

[٦] الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٤٠ ، ٢٤١ ؛ الحداد : التاريخ العام ، ص٢٦٦ .

قام ابنه أحمد بعد ذلك ببيع الحصن إلى على بن مهدى الرعينى[١] .

عوامل سقوط الدولة الصليحية :

يمكن لنا أن نوجز العوامل التى أدت إلى سقوط الدولة الصليحية بما يلى :

١ ــ الاختلاف المذهبى بين الحاكم والمحكوم ، وعدم تقبل غالبية اليمنيين للمذهب الفاطمى بفلسفته التى كانت غريبة عليهم ومن ثم وجود الصليحيين (الإسماعيلية) ، فى محيط سنى لا يعترف بشرعيتهم ولا يتورع عن مناصرة أعدائهم من السنة كما حدث مع النجاحيين فى تهامة[٢] .

٢ ــ الأعباء الكبيرة التى تحملتها الدولة الصليحية فى إخضاع المتمردين عليها ودخولها فى حروب مستمرة منذ البدايات الأولى لقيامها ، مما أثقل كاهلها ، فلم تعد قادرة على حماية أملاكها فى نهاية الأمر[٣] .

٣ ــ نزوع السيدة الحرة إلى السيطرة المطلقة على مقاليد الحكم ، ووقوفها أمام كل من يحاول النيل من تلك السيطرة وسعيها لتقليص نفوذ من تشعر بخطورته من القادة وذلك من خلال الإستعانة بآخرين أكثر ولاء لها[٤] .

٤ ــ خلو البيت الصليحى من وريث قوى يلى السيدة فى حكم دولتها ولعل هذا هو ما جعلها تحجم عن العهد بالحكم لشخص آخر[٥] .

٥ ــ انفصال السيدة الحرة عن الخلافة الفاطمية[٦] ، لعدم اقتناعها بأحقية الحافظ بعرش الخلافة وانتمائها للإمام الطيب بن الآمر ، فى الوقت الذى كانت فيه فى أمس الحاجة لدعم الخلافة الفاطمية لها ، لا سيما وقد امتد بها العمر ولم تعد قوية كسابق عهدها ، مما أطمع فيها بعض قادتها فإنشقوا عنها بما تحت أيديهم من نفوذ .

---

[١] الحداد : المرجع نفسه ، ص٢٦٧ .

[٢] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٣٥ ؛ الحداد : المرجع نفسه ، ص٢٦٨ .

[٣] الحداد : المرجع نفسه ، ص٢٦٩ .

[٤] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٩٩ .

[٥] الحداد : تاريخ اليمن ، ص٢٦٨ .

[٦] السرورى : الحياة السياسية ، ص١٩٩.

الفصل الأول

المراكز العلمية وأماكن التعليم

أولا : المراكـــــز العلميـــــة

ثانيـــــا : أمـــــاكن التعلـــــيم

تميز إقليم ذى جبلة بانتشار العديد من المراكز العلمية وأماكن التعليم فى مختلف جهاته ، وفيما يلى سنتناول الحديث عنها :

أولا : المراكز العلمية :

ضم إقليم ذى جبلة عدداً من المراكز العلمية التى كان لها إسهاماتها الكبيرة فى مجالات الحياة العلمية المختلفة ، حيث كانت منارات علمية أضاءت الطريق لكثير من الناس ومهدت السبيل لظهور شريحة العلماء والمتعلمين ، الذين أخذوا يرثون العلم ويورثونه لمن يأتى من بعدهم ، فذاع صيت كثير منهم وطار ذكرهم فى الآفاق ؛ لما تركوه من مآثر جليلة فى المجالات المعرفية المختلفة .

وفيما يلى التعريف بأهم هذه المراكز :

١ـ مدينة ذي جبلة :

قال عنها ياقوت الحموي "وهى من أحسن مدن اليمن وأنزهها وأطيبها"[١] ، كما قال عنها القاضى محمد الأكوع : "ذو جبلة نسمة السحر وشقيقة القمر ، ربة الحسن والإحسان والعلم والعرفان" [٢]. كما تغنى بوصفها ورقة هواها وعذوبة مائها وكرم أخلاق أهلها الشعراء والأدباء[٣] ، من ذلك ما قاله السلطان عبد الله بن يعلى الصليحى فى إحدى قصائده :

هب النسيم فبت كالحيران ... شوقاً إلى الأهلين والجيران
ما قطر بغداد وما طبرية ... كمدينة قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق ... والتعكر العالى المنيف يمانى[٤]

ذكرها أبو الفداء بأنها واقعة "بين عدن وصنعاء فى الإقليم الأول وهى من حيث الطول خمس وستون درجة والعرض ثلاث عشر درجة وعشر دقائق ... وهى عن تعز

---

[١] ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٠٦.

[٢] الأكوع : اليمن الخضراء ، ص ٨٣.

[٣] عمارة : المفيد ، ص ١١٤.

[٤] بامخرمة : جمال الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله : النسبة إلى المواضع والبلدان (مخطوط) نسخة المكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء ، جغرافيا ، رقم ٦٣١ ، ق ٨٥.

بميلة يسيرة إلى الشمال" [١].

وتقع أيضا شمال شرق جبل التعكر فى الجنوب الغربى من مدينة إب ، تفصلها عنها أربعة أميال تقريباً[٢]. وقد أنشئت على هضبة مسطحة متدرجة معاندة لمدينة إب ، ويبلغ ارتفاعها ما يقارب ٦٧٤٥ قدماً عن سطح البحر[٣]، وعرفت هذه المدينة فى بادئ أمرها بـ "مدينة النهرين" [٤] ، أو "ذات النهرين" [٥] أو كما سماها ابن المجاور "قلعة النهرين" ، "لأن جبل التعكر ما بين أيمن البلد وشماله ومجمع النهرين فى أحد البلد عند موضع يقال له وادى ميتم" [٦].

غير أن هذه التسمية تغيرت بمجئ الصليحيين فأصبح الإسم "ذى جبلة" وذلك بعد أن أسند الداعى الملك على بن محمد الصليحى ولاية حصن التعكر إلى أخيه عبد الله بن محمد ، الذى قام ببناء المدينة على سفح جبل التعكر سنة ٤٥٨ /١٠٦٦م[٧] ، بناء على توجيه من أخيه بذلك[٨].

ويقال أن تسمية المدينة "ذى جبلة" بهذا الإسم مأخوذة من اسم تاجر فخار يهودى يدعى "جبلة" كان يبيع آنيته فى الموضع الذى بنى فيه الأمير عبد الله دار العز الأولى ، فعرفت المدينة بذى جبلة لذلك[٩]. وهناك من يرى أن هذه التسمية مشتقة من إسم "جبلة"

---

[١] أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، (د. ت) ، ص٩٠ ، ٩١؛ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن على : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، وزارة الثقافة والإرشاد ، (د.ت)، ج ٥، ص١٤.

[٢] المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨٥ ؛ الموسوعة اليمنية ، ج٢ ، ص٨٥٣.

[٣] الأكوع : اليمن الخضراء ، ص ٨٣؛ المقحفي : المرجع والجزء والصفحة .

[٤] إدريس : عيون الأخبار ، ج ٧ ، ص١٨٧.

[٥] ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٠٦.

[٦] ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص ١٧١.

[٧] ابن المجاور :المصدر نفسه ، ص١٦٨ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، جـ٧ ، ص١٨٧ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص٢٦١؛ الآنسى : اتحاف ذوى الفطن ، ص٢٣.

[٨] الهمدانى ، الصليحيون ، ص ٨٨.

[٩] الخزرجى ، العسجد ، ص٦٢؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٦١.

الذى أطلقه العرب على عدة حصون وقرى وجدت قبل إنشاء مدينة ذى جبلة بعدة قرون" [١].

برزت هذه المدينة كواحدة من أهم المدن اليمنية فى العهد الصليحى بعد أن شاءت لها الأقدار أن تنتزع الصدارة من صنعاء العاصمة الصليحية الأولى ، لتغدو عاصمة للصليحيين على عهد المكرم أحمد بن على الصليحى بعد أخذه بمشورة زوجته سيدة بن أحمد الصليحى التى كانت قد أشارت عليك بذلك ، إذ تذكر المصادر التاريخية أنه وبعد عودة المكرم من زبيد إلى صنعاء وتأمين جانبها من غارات المغيرين عليها لا سيما من قبل الأشراف آل القاسم العيانى[٢]، وإزاء إضطراب الأوضاع فى صنعاء وما حولها ، لم تجد سيدة بنت أحمد بدا من الانتقال إلى ذى جبلة بعد أن تركت زوجها المكرم فى صنعاء[٣].

ومن الباحثين من يرى أن ارتحال سيدة بنت أحمد إلى ذي جبلة كان بتوجيه من زوجها المكرم الذى أسند إليها إدارة شئون المناطق الجنوبية والوسطى من اليمن فى حين بقى هو فى صنعاء لإدارتها والإشراف على شئون المناطق الشمالية من مملكته وخاصة بعد أن أصابه مرض الفالج الذى كان قد ألم به أثناء قيامه بتخليص أمه من أسر النجاحيين فى تهامة[٤].

ويبدو أن سيدة بنت أحمد كانت قد آثرت الاستقرار بجبلة ، وفكرت بجدية فى أن تجعل منها عاصمة صليحية عوضاً عن صنعاء ، فمن جهة كانت معجبة بها وكان هواها فى الإقامة فيها[٥] ، ولعل ذلك الإعجاب قد ترسخ من خلال الزيارات المتعددة التى قامت بها مع زوجها المكرم إلى ذى جبلة قبل وفاة أم المكرم أسماء بنت شهاب[٦] ، ومن جهة

---

[١] الموسوعة اليمنية ، ج٢ ، ص٨٥٥.

[٢] العرشى : بلوغ المرام ، ص٢٦؛ الواسعى : تاريخ اليمن ، ص ١٧٣.

[٣] الخزرجي : العسجد ، ص٦٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٦١ .

[٤] الحداد : التاريخ العام ، ج٢ ، ص٢٤٧.

[٥] بامخرمة : النسبة إلى المواضع والبلدان ، ق ٨٥.

[٦] السرورى : الحياة السياسية ، ص ١٥٢.

أخرى كانت جبلة وما حولها منطقة خصبة وفيرة الخيرات ، وقد جاء ذلك على لسانها عندما قالت للمكرم فى محاولة منها لإقناعه بما تريد بأن "ذلك أقر للمملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانباً فى مصادر الأموال ومواردها ، وهى متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل وبها يخصب العيش فيطيب المحل" [١].

وإمعاناً منها فى إقناع المكرم بسلامة رأيها ، طلبت منه ، عندما كان فى صنعاء أن يحشد أهل أعمالها إلى الميدان ، ففعل ، فلما حضروا أشرف عليهم "فلم يقع عينيه إلا على حامل سيف أو رمح" ، وعندما توجهت سيدة بنت أحمد مع زوجها إلى ذى جبلة طلبت منه أن يجمع أهل جبلة ، ففعل ، "فلم يقع عينه إلا على حامل هدية أو سايقها ، فقالت العيش بين هؤلاء ، فاستوطن ذى جبلة مسكناً وجعلها محلاً وموطنا" [٢].

وبذلك نجحت سيدة بنت أحمد بإقناع المكرم بسداد رأيها ، فاتخذ من ذى جبلة عاصمة لدولته وابتنى فيها دار العز الثانية "وكان حائطاً فيه بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى ، وأمرت السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً ، وهو المسجد الجامع الثانى" [٣].

وأولت سيدة بنت أحمد عنايتها الكبيرة لهذه المدينة ، التى كانت مولعة بها ، فأكملت ما كان قد بدأه الأمير السابق عبد الله بن محمد الصليحى من بناء لها ، فعكفت فى فترة زمنية قصيرة على إعداد جبلة وتعميرها وتجميلها ، فأنشأت فيها القصور والمساجد والساحات وغرست بها الأشجار ، وحذا حذوها وزراؤها ورجال دولتها حتى ازدهرت وصارت مقصداً للأدباء والشعراء والعلماء الذين حظوا بتشجيع الملكة ورعايتها[٤].

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص١٨٦.

[٢] عمارة : المفيد ، ص ١١٥ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص١٨٧ ؛ ابن الديبع : بغية المستفيد ، ص٥٠ ، ويعلق القاضى محمد الأكوع على طباع أهل جبلة بقوله ''فهم أهل مكارم وسماح يؤثرون الهدوء والسكينة والعافية على إثارة القلاقل والشعب ، وذلك لخصب بلادهم ورخاء أرضهم وقربهم من رحمة الله'' كما أنهم ليسوا لمن غلب ، ''فإن لهم خرجات وثورات مأثورة وفى كتب التاريخ مشهورة'' (عمارة : المصدر نفسه ، ص١١٦، حاشية ١) .

[٣] عمارة : المصدر والصفحة .

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٧٩ حاشية .

وكان نتيجة لذلك التشجيع أن شهدت مدينة جبلة إزدهـــاراً للحيـــاة العلميـــة والدينيـــة والثقافية ، فبرز فيها عدد من العلماء والفقهاء ممن كان لهم إسهامات جليلة فى كثير مـــن المجالات[١].

كما أصبحت هذه المدينـــة أيـــضا مقـــراً رئيـــسياً للـــدعوة الإســـماعيلية ، ولكبـــار دعاتها ؛ فقصدها أتباع المذهب الإسماعيلى وفى مقدمتهم الـــداعيان : لمـــك بـــن مالـــك الحمادي (ت٥١٠هـــ / ١١١٦م) وابنه الداعى يحيى بن لمك (ت ٥٢٠هـــ / ١١٢٦م)[٢].

وبفضل جهود السيدة الحرة فى خدمة مذهبها ثم ما قام به كبار الدعاة فى ذلك الأمر ، نشطت الدعوة الإسماعيلية فى مدينة ذى جبلة نشاطاً ملحوظاً ، الأمر الذى رشـــحها بعـــد ذلك لأن تكون مقراً رئيسياً للدعوة الطيبية بدلاً عن القاهرة بعد اغتيال الخليفـــة الفـــاطمى الآمر عام ٥٢٤هـــ/١١٣٠م على أيدي الفرقة النزارية ثم ما اتبع ذلك من انفصال الدعوة فى اليمن عن مصر بشكل نهائى[٣].

وهكذا غدت مدينة ذي جبلة ، المدينة الفتية ، عاصمة للدولة الصليحية ومحوراً تدور حوله الأحداث ، وقبلة يؤمها أهل العلم ومثلهم أهل السياسة فلكل ضـــالته المنـــشودة فـــى مدينة قدر لها على صغرها أن تلعب دوراً هاماً من أدوار التاريخ اليمنى.

٢ـ مدينـة إب[٤] :

يُذكر أن هذه المدينة قديمة الإختطاط ، إذ يرجع تاريخ اختطاطها إلى عهـــد الدولـــة

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٧ ، ٤٠٨.

[٢] ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٤٧٠؛السمين:حسن أحمد عبد الرازق :المذهبان السنى والشيعى فى اليمن فى القرنين الرابع والخامس الهجريين وأثرهمـــا علـــى الحيـــاة السياسية والإجتماعية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،١٩٩٦م ، ص ٤٤٣.

[٣] السمين ، المرجع نفسه ، ص٤٤٣ ، ٤٤٤.

[٤] مدينة إب : تقع فى ''مخلاف جعفر'' على بعد ١٩٣كم إلى الجنوب الغربى من صنعاء ، تقوم على ربـــوة بالسفح الغربى لجبل ريمان من بعدان ، وترتفع عن سطح البحر بمقدار ٦٢٠٠قدم تقريبـــاً ، وإلى الجنـــوب منها تقع مدينة ذي جبلة (العرشى : بلوغ المرام ، ص١٤٤ ؛ الأكـــوع : الـــيمن الخـــضراء ، ص٨٢ ؛ الموسوعة اليمنية ، ج١ ،ص٨١ ؛ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠) .

الحميرية [١] ، ويذكرها ياقوت الحموى بأنها قرية من قرى ذي جبلة[٢] ، كما يذكرها ابن المجاور على أنها قلعة[٣] ، ومع ذلك يوجد فى تاريخ عمارة ما يشير إلى أنها أصبحت فى مصاف المدن أواخر العهد الصليحى ، وذلك عندما عدها من المدن التى ابتاعها الداعى محمد بن سبأ بن أبي المسعود من منصور بن المفضل بن أبى البركات ، بعد أن تداعى ملك الصليحيين فى اليمن [٤].

ساهمت هذه المدينة مساهمة فاعلة فى الحركة العلمية التى شهدها الإقليم وذلك من خلال نخبة من العلماء والفقهاء ممن كان لهم عطاء متميز خلال هذه الفترة ومنهم :
الفقيه عمر بن حسين بن عيسى بن أبى النهى (ت ٥٦٧هـ /١١٧١م) وكان فقيهاً زاهداً عالماً فى مجال الفرائض ماهراً فى الحساب والمواريث ، وتتلمذ علي يديه طائفة من الفقهاء [٥] ، منهم الإمام سيف السنة أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله البريهى (ت٥٨٦هـ /١١٩٠م) الذى أفضت إليه رئاسة الفقه فى هذه المدينة ، وكان إماماً شافعى المذهب ، عالماً فى مجالات الفقه والحديث واللغة والأصول ، تتلمذ على يد جماعة من كبار علماء عصره ، أمثال الإمام زيد بن عبد الله اليافعى (ت ٥١٥هـ /١١٢١م) والإمام الحافظ على ابن أبى بكر العرشانى (ت ٥٥٧هـ /١١٦١م) والإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) ، و صار سيف السنة بعد وفاة الإمام يحيي ، مرجعاً للفقهاء فى بلده ، فقصده الطلاب من مواضع شتى للانتفاع بعلمه ، وكانت أعدادهم كبيرة إذ بلغ أعيان من ذكر منهم ما يزيد على الثلاثين[٦] كان منهم الفقيه محمد بن مضمون=

---

[١] المقحفي : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠

[٢] معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٤.

[٣] صفة بلاد اليمن ، ص ١٧٥.

[٤] عمارة : المفيد ، ص ١٥٠ ؛ الموسوعة اليمنية : الجزء والصفحة .

[٥] الدجيلى : محمد رضا حسن : الحياة الفكرية فى اليمن فى القرن السادس الهجرى ، مركز دراسات الخليج العربى ، البصرة ، ١٩٨٥، ص٧٣ ، نقلاً عن الخزرجى ، العقد الفاخر الحسن ، ج٢ ، ق٥٣ أ .

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٩٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٣١٨، ٣٢٠ ؛ الخزرجي : شمس الدين أبو الحسن على بن الحسن : طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن (مخطوط) ، مكتبة الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع عن نسخة الجامع الكبير بصنعاء ، ج١ ، ق ٧٦ ؛ الدجيلى : المرجع والصفحة ، ص٧٣ ؛ بامخرمة:جمال الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله : قلادة النحر فى وفيات أعيان=

الذى لزم مجلس الإمام مدة أحد عشر عاماً ، فأخذ عنه الفقه والنحو واللغة والحديث والأصول [١].

٣ـ قرية ذي السّفال[٢] :

كانت هذه القرية مركزاً لمخلاف ذى السفال[٣].يذكر أن أول من اختطها هو على بن علقمة الذى قدم إلى وادى ظُبا من حماطة من بلاد بنى جُماعة من أعمال صعدة ، فى عصر الدولة الصليحية[٤].

ولأهمية هذه المنطقة عدها كثير من المؤرخين اليمنيين من أهم مراكز العلم فى اليمن على اعتبار أنها مثلت معقلاً للمذاهب الفقهية ، ومدرسة فكرية تعزز فيها الحوار الفكرى بين التيارات الكلامية المختلفة[٥].

تعد هذه القرية من القرى المشهورة بكثرة العلماء إذ خرج منها جماعة من الفقهاء البارزين ، منهم الفقيه أبو حفص عمر بن إسحاق بن المصوع ، تفقه بالقاسم بن محمد الجمحى (ت٤٣٧/١٠٤٥م) ، وكان كبير القدر معروفاً بالعلم والصلاح ، وذا دنيا واسعة، اشتغل بالتدريس فكان كريماً مع طلابه ، وله مؤلفات فى الفقه الشافعى ، ستذكر فى حينه[٦] ، وكان وفاته فى حدود عام

=الدهر ، تحقيق : عبد الرحمن محمد جبلان الصغير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ج٢ ، ص ٧١٧ .

[١] الجندى : السلوك، الجزء الأول، ص ٣٩٧.

[٢] ذى السفال : قرية فى رأس وادى ظبا على مرحلة من قبلى الجند وعلى نفصفها من قبلى سهفنة (الجندى: المصدر والجزء ، ص٢٣٦) .

[٣] الشرجى : أبو العباس أحمد : طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، الطبعة الأولى ، الدار اليمنية للنشر ، صنعاء ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠ ؛ الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج٢ ، ص٧٦٦ ؛ الموسوعة اليمنية ، ج٣ ؛ ص ١٥٨٨.

[٤] إسماعيل الأكوع : المرجع والجزء والصفحة .

[٥] الفلاحي : عبد الله : البنيان الإجتماعي والثقافي لمدينة إب ، مجلة الباحث الجامعى ، العدد الخامس ، جامعة إب ، ٢٠٠٣م ، ص ١٣١ ، ١٣٦.

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٦ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٦ ؛ الأهدل : أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن : تحفة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الأولى،=

٤٥٥هـ/١٠٦٣م[١] .

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن المصوع ، ابن الفقيه المذكور ، عالم محقق فى الفقه ، تفقه بأبيه ، وكان فقيهاً ظريفاً ، ذا مال وجاه ، كانت له علاقة حسنة مع والى التعكر خالد بن أبى البركات فى بداية الأمر ، ثم طوعت له نفسه التخلص منه كونه إسماعيلى المذهب ، فاحتال الفقيه للأمر وتمكن منه إلا أنه دفع حياته ثمناً لذلك [٢] ، فقتل عام ٤٨٠هـ /١٠٨٧م [٣].

ومن غير آل المصوع كان هناك جملة من الفقهاء ممن ينتمون إلى هذه القرية أمثال الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الوهاب بن سعد السفالي ، روى عنه الفقيه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي[٤].

ومنهم الفقيه عمر بن إسماعيل بن على الجماعي ، تفقه بالإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت ٥٢٨/١١٣٣م)، وكان إماماً فى العربية ، أخذ عنه الإمام يحي العمرانى "الكافي فى النحو" للصفار ، و"الجمل" للزجاجي ، وأخذ عنه محمد بن موسى العمراني "الناسخ والمنسوخ" فى القرآن للصفار ، وكانت وفاته عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م[٥].

٤ـ قرية ذي أشرق[٦] :

كان لهذه القرية دور بارز فى رفد الحركة العلمية بالعديد من العلماء، ومن هؤلاء

=منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٥.

[١] الأكوع : هجر العلم ، الجزء الثانى ، ص٧٦٧ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٦ ؛ الجندى : السلوك ، الجزء الأول ، ص٢٣٨.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٣٩ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٠٣.

[٤] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٣٦ حاشية ١.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٣، ١٦٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ،ص٢٩١ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٥٩٩ ؛ الأكوع : المصدر والجزء ، ص٧٦٧ ، ٧٦٨.

[٦] ذى أشرق : قرية كبيرة فى السفح الشرقى لجبل الحيرم فى وادى نخلات وهى إلى الجنوب من ذى جبلة على مسافة عشرين كيلو متر منها ، عرفت بهذا الاسم نسبة إلى ملك من ملوك حمير ، (عمارة : المفيد ، ص٦٩ حاشية ٢ ؛ نشوان الحميرى : نشوان بن سعيد : منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم جمعها : عظيم الدين أحمد ، الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦ ، ص٥٥ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٣٠ ، حاشية١ .

الفقيه أسعد بن خلاد (ت بعد ٤٤٠هـ /١٠٤٨م) الذى تفقه بالقاسم بن محمد الجمحى (ت٤٣٧هـ /١٠٤٥م) وروى عنه "معانى القرآن" للصفار ، وكان فقيهاً محققاً زاهداً ورعاً[١] ، وهو أول من ذكرهم ابن سمرة من فقهاء هذه القرية[٢].

ومنهم الأديبان الفاضلان : الحسن بن أبى عباد وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن أبى عباد إمامي النحو فى بلاد اليمن فى عصرهما[٣] ، إذ كان طلاب العلم يرتحلون للأخذ عنهما من مختلف بلاد اليمن،ولهما تصانيف حسنة فى مجال اللغة اعتمد عليها كثير من الفقهاء[٤] ، ولم تذكر المصادر تاريخاً محدداً لوفاتهما ، ويعتقد أنها كانت أوائل المائة الخامسة [٥].

كما ظهر فى هذه القرية عدد من البيوت العلمية كان لها إسهامات فاعلة فى إثراء الحياة العلمية فيها ومنها بنو اليزيدي ، ويأتى فى مقدمتهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن سالم بن عبد الله الشعبى اليزيدى ، وهو من أهل ذبحان[٦] ، انتقل إلى ذي أشرق واستقر بها ، وكان قد تفقه بالقاسم بن محمد ، وأخذ عن أبى الفتوح بن ملامس (ت بعد ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) سنن الترمذي[٧] ، وكان فقيهاً زاهداً تولى إمامة الجامع بذي أشرق مدة حياته وبقى هذا المنصب فى أبنائه حتى القرن الثامن الهجري[٨] ، وكانت وفاة هذا الفقيه عام ٤٥٦هـ /١٠٦٣م [٩].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٩ ؛ الجندى : السلوك ، الجزء الأول ، ص٢٤٢ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، الجزء الثانى ، ص٣٣٤ .

[٢] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٨.

[٤] الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩٤.

[٥] الجندى : المصدر والجزء والصفحة.

[٦] ذبحان : مركز إداري تابع لمديرية الشمايتين من أعمال تعز (المقحفي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٤٣).

[٧] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٢ ؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق ٤٢.

[٨] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٩] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٣.

ومنها بيت السلالي وعلى رأسهم الفقيه أحمد بن عبد الله بن أحمد السلالي ، عالم محقق فى الفقه ، سمع من الشيخ يحي بن عيسى بن ملامس سنن الترمذي ، وكان هذا الفقيه من أقران محمد بن سالم اليزيدى وأهل عصره[١] . ولم تذكر المصادر ــ حسب إطلاع الباحث ــ تاريخاً محدداً لوفاته .

وممن برز من فقهاء بيت السلالي ، الفقيه عمر بن على بن أسعد السلالي ، كان مشهوراً بالعلم والفضل ، تفقه بعبد الله بن عمير العريقي ورحل إلى جزيرة كمران[٢] فأخذ عن ابن عبدويه (ت ٥٢٥هـ /١١٣٠م) "المهذب" و "أصول الفقه" [٣]، واشتغل بالتدريس فى ذي أشرق [٤] ، كما درس أيضا بقرية ضراس [٥] ، وكانت وفاته عام ٥٤٩هـ ــ ١١٥٤م [٦].

وللأهمية العلمية التى حظيت بها هذه القرية فقد تردد عليها كثير من العلماء من المناطق الأخرى ومنهم الإمام يحي بن أبى الخبر العمراني (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) الذى ظل يدرس بها ما يزيد على سبع سنين[٧] ، والفقيه مقبل بن عثمان العلهي (ت٥٥٥هـ / ١١٥٩م) الذى قصدها للأخذ عن علمائها[٨] ، والفقيه مقبل بن زهير الهمداني (ت بعد ٥٠٠هـ /١١٠٦م) الذى وصل إليها للانتفاع بنفائس الكتب الموقوفة فيها إذ كان قليل الكتب[٩].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٢ ؛ الجندى : السلوك ، الجزء الأول ، ص٢٤٣؛ الأكوع : هجر العلم ، ج٢، ص٧٣٠.

[٢] جزيرة كمران : جزيرة مشهورة فى البحر الأحمر قبالة مرفأ الصليف تبعد عن اليابسة بمسافة ميل واحد (المقحفي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٣٥٢).

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ،ص١٦٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٥٩٤.

[٤] الأكوع ، هجر العلم ، ج٢ ، ص٧٣٠.

[٥] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ بامخرمة : المصدر نفسه ، ص٥٩٥.

[٦] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٧] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٩٤.

[٨] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣١ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٦١١.

[٩] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٥.

وقد أسهم أولئك العلماء فى إثراء الحياة العلمية تدريساً وتصنيفاً مما جعل هذه القرية تحتل مكانة بارزة بين القرى المحيطة بها.

٥ـ قرية سهفنة[١] :

كانت هذه القرية إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم[٢]. إذ برز فيها مجموعة فريدة من العلماء أشهرهم العالم الشافعي أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحى (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) الذى كان له دور كبير فى انتشار المذهب الشافعي فى مخلاف الجند وصنعاء وعدن ، فكان مرجعية فى الفقه الشافعى ، قصده طلاب العلم من مختلف بلاد اليمن إلى سهفنة حيث يقيم ، ولم يكن لأحد من فقهاء الشافعية الذين سبقوه أصحاباً كأصحابه كثرة وفضلاً[٣] ، مما جعل بعض المؤرخين يطلقون على حلقاته العلمية إسم "مدرسة" [٤] ومنذ ذلك الوقت وسهفنة مزدانة بالعلم والعلماء حتى القرن الثامن الهجري إذ لم تكد تخلو من فقيه مدرس وطلبة مجتهدين[٥].

وكان من أبرز من أخذ عن القاسم بن محمد : الفقيه إسحاق العشاري (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) والفقيه جعفر بن عبد الرحيم المحابي (ت٤٦٠هـ /١٠٦٨م) والفقيه عمر بن المصوع وابنه عبد الله (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، وغيرهم[٦].

---

(١) سهفنة : تقع هذه القرية بالقرب من الجند ، على ثلث مرحلة منها ، وهى إلى الجنوب من ذى السفال (الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٢٨ ؛ الأكوع : هجر العلم ، ج٢ ، ص٩٧٧) .

(٢) الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٢٩.

(٣) الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

(٤) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٨٨ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٥٨ ؛ على أن المدارس بمعناها المعروف لم تظهر فى اليمن إلا فى القرن السادس الهجرى ؛ محمد سيف النصر : نظرة عامة إلى المدارس اليمنية ، تخطيطاتها وعناصرها المعمارية ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٥م ، ص١٠٠ ؛ السمين المذهبان ، ص٢٥١؛ الأكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٦.

(٥) الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

(٦) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٢٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨١ ؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق٤١ .

زامل الفقيه القاسم فقيه آخر من علماء سهفنة هو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الصعبي (ت ٤٠٠هـ ـ ١٠٠٩م) وهو جد الفقهاء من بني الصعبي الذين كانوا يشغلون منصب القضاء فى سهفنة وكانوا يشكلون أهم البيوت العلمية فى هذه القرية[١] ، أخذ هذا الفقيه عن الحسين بن جعفر المراغي[٢] "مختصر المزنى" ، كما أخذ عنه مؤلفاته فى علم الكلام ، والأهم من ذلك أنه تمكن وزميله القاسم بن محمد من إقناع الفقيه المراغي بالقدوم إلى سهفنة والاستقرار بها أثناء لقائهما معه فى موسم الحج عام ٣٨٨هـ /٩٩٧م ، فكان لذلك أثر كبير فى إثراء الحياة العلمية فى هذه القرية بمزيد من الحلقات العلمية والتصانيف الفقهية التى أنتجها هذا الفقيه[٣].

٦ـ قرية أحاظة[٤] :

تعد هذه القرية من القرى العلمية الهامة فى الإقليم ، حيث برز فيها مجموعة من العلماء والفقهاء ممن كانت تشد إليهم الرحال من مختلف بلاد اليمن ، ولعل من أبرزهم العالمان اللغويان عيسى وإسماعيل ابنا إبراهيم الربعى (ت٤٨٠هـ ـ ١٠٨٧م) ، كان الأول مؤدباً لأبناء الملك على بن محمد الصليحي[٥] ، وكانت مؤلفاته اللغوية مرجعاً للفقهاء وطلاب العلم لقرون عديدة ، ومن أبرز من أخذ عنه ، الإمام زيد بن الحسن

---

[١] ابن سمرة :طبقات فقهاء اليمن ، ص ٩١ ؛ الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٣٠؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق٤ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص١٦٧ ؛ وعن الفقهاء من آل الصعبى . أنظر : الأكوع : هجر العلم ، ج٢ ، ص٩٧٨ ـ ٩٨١.

[٢] الحسين بن جعفر المراغى : هو أحد فقهاء العراق ، رحل إلى مكة ومنها إلى اليمن بصحبة الفقيهان القاسم الجمحي ، وأحمد الصعبي بعد حج عام ٣٨٨هـ ـ ٩٩٧م ، له عدد من التصانيف منها كتاب "الحروف السبعة" فى علم الكلام وكتاب "التكليف" فى الفقه ، وغيرها ، توفى فى اليمن ، ولم يُعرف تاريخ وفاته (ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٣ ، ٨٤ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣).

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٨٢.

[٤] أحاظة : قرية تقع أعلى جبل حبيش ، وقد يقال لها وحاظة نسبة إلى أحد ملوك حمير (الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٨ ، حاشية ٢ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٦٣ ؛ الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٩٧ ، حاشية ١) .

[٥] الهمداني : المصدر والصفحة .

الفائشى (ت ٥٢٨هـ ـ ١١٣٣م) أما الثانى ـ إسماعيل ـ فكان هو الآخر على درجة عالية من المعرفة ، وكانت وفاته بعد أخيه بأيام قليلة[١].

كما برز فى هذه القرية جماعة من الفقهاء أشهرهم الإمام زيد بن الحسن الفائشى ، الذى يعد من كبار فقهاء الشافعية فى اليمن فى ذلك الوقت ، تتلمذ على أكابر الشيوخ فى عصره داخل اليمن وخارجه أمثال البندنيجى[٢] وعبد الملك النهاوندى[٣] ، وكان هذا الفقيه كثير الإرتحال فى طلب العلم حريصاً على اقتناء الكتب ، فكثر علمه وازدادت معارفه ، فقصده طلاب العلم للأخذ عنه من مختلف المناطق إلى قرية الجعامي[٤] حيث يقيم ، ومن أبرز من أخذ عنه : الإمام يحيى بن أبى الخير العمراني (٥٥٨هـ ـ ١١٦٢م) وعمر بن إسماعيل الجماعي (ت٥٥١هـ ـ ١١٥٦م) والشيخ الحافظ على بن أبى بكر العرشانى (ت٥٥٧هـ ـ ١١٦١م)[٥].

ومن العوامل التى ميزت هذه القرية وجعلت منها بيئة علمية مثالية ، كثرة خبراتها إذ كانت "واسعة الأرزاق نظيرة البساتين والأسواق"[٦] ، وعدل واليها أسعد بن عيسى الوائلى (ت٥١٥هـ ـ ١١٢١م) الذى كان محباً للعلم والعلماء ، فكان لذلك أثر كبير فى

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٥.

(٢) البنديجى : محمد بن هبة الله بن ثابت ، الإمام أبو نصر البندنيجي ، كان من أكبر أصحاب الشيخ أبى إسحاق الشيرازي ، جاور بمكة أربعين عاماً فعرف بفقيه الحرم ، صنف المعتمد فى الخلاف ، وتوفى بمكة عام ٤٩٥هـ ـ ١١٠١م (الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك : الوافى بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج٥ ، ص١٠٤ ؛ السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو ، الطبعة الثانية ، جعفر للطباعة ، ١٤١٣هـ ، ج٤ ، ص٢٠٧).

(٣) النهاوندى : هو عبد الملك بن أبى مسلم النهاوندى إمام مقام إبراهيم عليه السلام ، توفى عام ٥١٩ هـ ـ ١٠٢٥م ؛ ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٧ ، حاشية٥.

(٤) الجعامى : قرية فى حاظة من عزلة يريس شمال غربى مدينة إب (الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٨٦ حاشية ٢) .

(٥) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأفضل الرسولي: العطايا السنية ، ق١٩.

(٦) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٨٧.

إزدهار الحياة العلمية فى هذه القرية ، وبروز مجموعة من الفقهاء منهم آل القائشى : أحمد وعلى وأبو القاسم أبناء الإمام زيد بن الحسن الفائشى[١] ، كما برز فقهاء آخرون أمثال محمد بن معمر الزوقرى وعبد الله بن مسلم بن الكنيش وأسعد بن مرزوق بن أسعد وغيرهم[٢].

٧- عزلة مشيرق أحاظة[٣] :

برزت فى هذه المنطقة بعض البيوت العلمية التى كانت سبباً فى الشهرة العلمية التى حظيت بها وذلك منذ أواخر القرن الرابع الهجرى عندما ظهر بها بنو ملامس الذين تولوا نشر الفكر السنى فى هذه المنطقة وغيرها[٤].

بدأت شهرة بنو ملامس منذ عهد الفقيه العالم أبو الفتح يحي بن عيسى بن ملامس أول فقهاء هذه الأسرة ، وموطنه عزلة القرانات ، وكان هذا الفقيه من أعيان العلماء ، تفقه على يد مجموعة من أبرز فقهاء عصره ومنهم الإمام الحسين بن جعفر المراغي والإمام محمد بن يحي بن سراقه[٥] ، رحل هذه الفقيه إلى مكة وظل بها أربع سنين ، ثم عاد بعدها إلى بلده لمواصله مشواره العلمى حتى وفاته فى عام ٤٢٠هـ /١٠٢٩م[٦].

خلف الفقيه أبو الفتح عدداً من الأبناء الفقهاء أولهم ابنه أبو سعيد خير بن يحيى بن ملامس الذى تفقه بأبيه ثم حج إلى مكة وأخذ فيها عن عدد من المشايخ أمثال أبو ذر الهروى وأبو بكر السهروردي وأحمد بن محمد البزاز المكى ، ثم عاد بعد ذلك إلى

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٤٥٣.

(٣) مشيرق أحاظة : عزلة فى مخلاف جعفر من بلاد بنى حبيش ، تلحق بها مجموعة من العزل أبرزها عزلتى القرانات والسحى ويبدو أنها إلى الشرق من أحاظة فسميت بمشيرق أحاظة (ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٣٢٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٠ ، ٢٣١ ؛ المختار : عبد الرحمن أحمد : الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص٨٥.

(٤) السمين : المذهبان ، ص٢٥٦.

(٥) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١ ؛ الجندى ، المصدر والجزء والصفحة .

(٦) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١، ٩٣ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٠ ، ٢٣١.

بلده[١]، وجلس فيها للتدريس ، وكان ممن تفقه به ، ابنه أسعد بن خير[٢] ، وأسعد بن زيد بن الحسن الفائشى ، وأسعد بن الهيثم وولداه زيد وعمرو ، وكانت وفاة الفقيه خير بن ملامس فى عزلة القرانات عام ٤٨٠ هـ ـ ١٠٨٧م[٣].

وإلى جانب الدور الذى لعبه بنو ملامس فى عزلة القرانات ، برزت إلى جانبهم أسرة أخرى فى عزلة السّحى هى أسرة الفقيه أبو سعيد الهيثم بن محمد الكلاعى الحميرى (ولد عام ٣٦٧هـ ـ ٩٧٧م) ، تفقه بالإمام الحسين بن جعفر المراغي ، وكان فقيهاً مشهوراً بالعلم وله ذرية "لا تكاد تخلو من فقيه يفتى وحاكم يقضى ومدرس يقرّى" [٤] ومنهم إبنه الفقيه أسعد بن الهيثم (ت٤٩٨هـ /١١٠٤م) ، تفقه بإبراهيم بن أبى عمران ، وأخذ عن الفقيه خير بن ملامس هو وولداه زيد وعمرو كتاب البخاري ، واشتغل الفقيه أسعد بالتدريس وكان من أبرز من أخذ عنه ؛ الإمام زيد بن الحسن الفائشى[٥].

٨ـ قرية سير[٦] :

من القرى العلمية التى اشتهرت في الإقليم فترة الدراسة ، درّس بها عدد من العلماء أمثال الفقيه أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الصردفي (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) الذى كان كثيراً ما يتردد عليها ويقيم فى جامعها حلقاته العلمية ، وكان ممن رحل إلى سير للأخذ عنه ؛ الإمام زيد بن الحسن الفائشى[٧]. كما درس بها أيضا الفقيه عبد الله بن أحمد الزبراني (ت٥١٨هـ/١١٢٤م) وذلك بطلب من مشايخ بني عمران الذين استدعوه

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠١ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١١١ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج ٢ ، ص ٤٠١.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٠.

[٣] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٣.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٢ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨٣، يذكر أن مولده عام ٣٦٩هـ ـ ٩٧٩م .

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥٠ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٩٦.

[٦] سير : قرية فى وادى سير فى مخلاف صهبان ، شمال شرق الجند (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٥٧ ، حاشية ٥) .

[٧] الجندى ، المصدر والجزء ، ص٢٤٥ ، ٢٨٦.

للتدريس بها ، فكان ممن أخذ عنه الإمام يحي بن أبى الخير العمراني[١].

ويعد الإمام يحي بن أبى الخير العمراني أبرز علماء هذه القرية ــ بل وجميع بلاد اليمن فى عصره ــ وأكثرهم صيتاً ، تفقه على يد جماعة من جلة الفقهاء ؛ أمثال الفقيه موسى الصعبى والإمام زيد بن الحسن الفائشى والإمام زيد بن عبد الله اليفاعى وغيرهم ، وكثيراً ما كان ينتقل بين قرى الإقليم للأخذ عن شيوخها ، فأخذ نجمة فى الصعود شيئاً فشيئاً حتى بزّ جميع علماء اليمن فى عصره ، لا سيما بعد إبداعه لمؤلفه "البيان" الذى يعد من أهم كتب الفقه الشافعي وأوسعها[٢].

كانت الحلقات العلمية التى يعقدها الإمام يحي من أهم الحلقات التى حرص الطلاب على حضورها من مختلف المناطق رغبة فى التحصيل الجيد ، وبدا هذا واضحاً عندما أخرجت مدرسة هذا الإمام فقهاء متميزون كانت لهم بصماتهم الواضحة فى مختلف المجالات العلمية وفى ذلك يقول ابن سمرة "فما أعلم فى أكثر هذا المخلاف فقيهاً مجوداً أو مناظراً مجتهداً إلا من أصحابه أو أصحاب أصحابه" [٣] وكان من بين هؤلاء ؛ الإمام سيف السنة البريهى والفقيه طاهر بن الإمام يحي وغيرهما ، وكانت وفاة الإمام يحي فى ذي السقال عام ٥٥٨هـ / ١١٦٢م[٤] .

ومن فقهاء سير ، الفقيه طاهر بن الإمام يحي العمراني ، تفقه بأبيه ، وكان يجيب على المسائل الفقهية فى حياته ثم خلفه فى مجلسه بعد موته ، هاجر إلى مكة وأقام فيها سبع سنين كانت كافية لأن يأخذ عن كبار علمائها ، وبعد عودته إلى اليمن عُين على قضاء جبلة وأعماله ، وكان ممن تفقه على يديه ولداه محمد وأسعد ، كما أخذ عنه المؤرخ ابن سمرة الجعدى وغيره من الفقهاء[٥]. وكانت وفاة الفقيه طاهر بن يحي العمراني فى

---

[١] الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٩٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٢٣.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣٢٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٥،٢٩٤؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٦٢٣، ٦٢٤.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٢ .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٩ ، ١٨٧؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٣٠٠ ، ٣١٨ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص ٦٢٥، ٦٢٦.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٣٣٨،٣٣٧.

قرية سير[١] عام ٥٨٧هـ /١١٩١م[٢].

٩ـ قرية عرشان[٣] :

اشتهرت هذه القرية على عهد الإمام الحافظ المحدث على بن أبى بكر بن حمير العرشاني ، الذى صرف جل اهتمامه لدراسة الحديث حتى صار حجة فيه ، وكان بداية تعلمه على يد عدد من الفقهاء أمثال الإمام زيد الفائشى والفقيه أسعد بن ملامس المشرقي وغيرهما . ثم لمع نجم هذا الفقيه فى بلاده عرشان ، فقصده إليها طلاب الحديث من مختلف بلاد اليمن للأخذ عنه ، ولم يأل هذا الإمام جهداً فى إيصال علمه لطلابه ؛ فكثيراً ما كان يتردد بين بلده ومناطق إب والجند وعدن ، رغبة فى إيصال علمه لمن لا يقدر على الوصول إليه ، وكان من أبرز من أخذ عنه ؛ الإمام يحي بن أبى الخير العمراني وابنه طاهر بن يحي وغيرهما . وقد توفى الإمام العرشانى فى قريته عرشان عام ٥٥٧هـ /١١٦١م[٤].

ترك الإمام العرشانى خمسة أبناء تفقه منهم أربعة وهم محمد وعبد الله وأحمد وعمر، وخرج من أبناء هؤلاء كثير من الفقهاء والمحدثين منهم من بقى فى عرشان ومنهم من خرج إلى غيرها ، وتعد ذرية العرشانى من أبرك ذراري الفقهاء[٥].

١٠ـ مخلاف بعدان :

نسب إلى هذا المخلاف العديد من العلماء أمثال الفقيه يعقوب بن أحمد ، تفقه بإبراهيم بن أبى عمران ، وكان من أخيار الفقهاء زهداً وعلماً ، أخذ عنه جمع من الطلاب ، منهم الإمام زيد بن الحسن الفائشى[٦] ، كما أخذ عنه ابنه إبراهيم بن يعقوب[٧].

---

(١) الجندى : السلوك ، الجزء الأول ، ص٣٣٨ ؛ الخزرجى : طراز الزمن ، ق١٢٩.

(٢) ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن،ص١٨٩؛السبكى:طبقات الشافعية،ج٣،ص٢٤١؛الخزرجي:المصدر والصفحة

(٣) عرشان : قرية من عزلة المكتب من أعمال ذي جبلة ، على بعد بضعة كيلو مترات منها (الأكوع : هجر العلم ، ج٣ ، ص١٤١٧ ؛ نفسه : البلدان اليمانية ، ص٢٠٦ حاشية ١).

(٤) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧١ ، ١٧٢ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤.

(٥) الجندى : المصدر والجزء ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥.

(٦) الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥٠ ، ٢٧٧.

(٧) ابن سمرة : المصدر نفسه، ص١١٦.

ومن فقهاء بعدان أيضاً الفقيهان : أبو عبد الله محمد بن سالم الأصبحى (ت٥٧٧/ ١١٨١م) وأخوه الفقيه أبو محمد عبد الله بن سالم الأصبحي (ت٥٩٣/١١٩٦م) كانا يسكنان موضعاً فى جبل بعدان ، ثم استقر بهما المقام فى الملحمة ، فتفقها على كبار مشائخها ثم جلس الفقيه أبو عبد الله للتدريس فيها فتفقه به جماعة منهم أخوه عبد الله الذى شغل منصب التدريس والإفتاء فى الملحمة مدة حياته[١] ، ويبدو أن ذلك كان بعد وفاة أخيه أبى عبد الله.

وفى دلال ببعدان شغل عدد من الفقهاء مناصب للتدريس والإفتاء كان منهما الفقيه أحمد بن إسماعيل بن الحسين المأربى ، الذى انتهت إليه رئاسة الفتوى فى دلال ونواحيها[٢]، والزبير بن على بن أبى بكر الذى جلس للتدريس فى قرية تيثد التابعة لدلال[٣] ، والفقيه أبو الخطاب أحمد بن محمد بن موسى العمرانى الذى أنتهت إليه رئاسة الفتوى بدلال بعد أن ولى قضاء الجند[٤].

١١- قرية الملحمة[٥] :

بدأت أهمية هذه القرية منذ القرن الرابع الهجرى ، عندما انتقل إليها الفقيه أبو عمران موسى بن عمران المعافرى الذى كان من أوائل الذين نشروا المذهب الشافعى فى بلاد اليمن ، فاستقر هذا الفقيه فى الملحمة مؤسساً بذلك أهم الأسر العلمية فيها[٦].

ويأتى فى مقدمة الفقهاء من ذرية أبو عمران ، ابنه أبو إسحاق إبراهيم ، الذى تفقه بوالده وبالقاسم بن محمد الجمحى وغيرهما ، كما أخذ عنه عدد من طلبة العلم ، منهم يعقوب البغدادي وأسعد بن الهيثم وغيرهما ، وكانت وفاة الفقيه إبراهيم فى عام

---

[١] الجندى : السلوك ، الجزء الأول ، ص٣٣٨ ، ٣٣٩.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٧ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٣.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٣٨.

[٤] الخزرجى : طراز أعلام الزمن ، ق٧٨.

[٥] الملحمة : قرية تقع فى وادى السحول شمال مدينة إب فى السفح الشمالي الشرقي من حصن شواحط(ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٣٢٤؛ الأكوع : هجر العلم ، ج٤ ، ص٢١٢٩).

[٦] الجندى : المصدر والجزء ، ج١ ، ص٢١٦ ، ٢٣٩ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[١].

ومنهم أبو الخطاب عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، وكان فقيهاً خيراً ، وهو جد فقهاء الملحمة المعروفون ببنى مضمون[٢].

ومن فقهاء هذه الأسرة الفقيه يحي بن محمد بن أبي عمران ، تفقه بابن عبدويه وغيره، وكان فقيها عالماً فى الفقه والأصول والنحو والصرف ، اشتغل بالتدريس فى هذه القرية وأخذ عنه العلم كثير من الطلاب أمثال : محمد بن سالم الأصبحى وأحمد بن إبراهيم اليافعى وغيرهم[٣].

١٢ـ قرية الظرافة[٤] :

برز من فقهاء هذه القرية ، الإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابى الكلاعي ، تفقه على يد الإمام القاسم بن محمد الجمحي ، ثم على يد الفقيه أبى الفتوح يحي بن ملامس ، إمتاز الإمام جعفر بسعة علمه ودقة تحقيقه فانتهت إليه رئاسة الفتوى فى منطقته ، ثم غادرها إلى الجند للتدريس بها نزولاً عند رغبة وإليها زيد بن المعمر ، وبقى فيها حتى قدوم الصليحيين ، ثم لم يلبث أن غادرها عائداً إلى الظرافة وانقطع فيها للتدريس حتى وفاته عام ٤٦٠هـ /١٠٦٧م[٥]. وتتلمذ على يد هذا الإمام جماعة من الطلاب منهم إبنه الإمام أبو بكر بن جعفر ، والفقيه أبو يعقوب إسحاق الصردفي[٦].

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩١، ٩٨ ؛ الجندي : السلوك ، جـ١ ، ص٢٤٠ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٥٧.

(٢) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٦ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٧ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق١٤٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢١ ، ٢٢٢.

(٣) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٩ ، ١٧٠ ؛ الأكوع :هجر العلم ، جـ ٤ ، ص ٢١٣١ وعن بقية فقهاء الملحمة ، انظر الأكوع : المرجع والجزء ، ص٢١٢٩ ــ ٢١٣٩ .

(٤) الظرافة : قرية تقع فى السفح الجنوبى لجبل الحيزم فى وادى نخلان بين قريتى ذى أشرق وسهفنة (الأكوع : المرجع نفسه ، ج٣ ، ص١٢٨٠) .

(٥) ابن سمرة: المصدر نفسه ، ص٩٤ ، ٩٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء ،ص٢٣٥،٢٣٤؛الخزرجى،المصدر نفسه،ق٩٥؛بامخرمة:قلادة النحر،ج٢ ، ص٣٦١ ، ٣٦٢؛ الأكوع : المرجع والجزء، ص١٢٨١ ، ١٢٨٢.

(٦) الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٤٧،٢٤٤.

أما ابن الإمام المذكور أبو بكر بن جعفر فكان هو الآخر عالماً مبرزاً فى الفقه ، حافظاً مستنبطاً للأحكام ، كان يسكن الجند فى أغلب الأوقات ، تفقه به جمع كبير من الطلاب منهم الإمامان زيد بن الحسن الفائشى ، وزيد بن عبد الله اليفاعي ، وكان وفاة هذا الإمام عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م[١].

١٣ـ عزلة نعيمة[٢] :

ظهر فى هذه العزلة عدد من الفقهاء المدرسين أمثال الفقيه موسى بن على الصعبى الذى أخذ عن الفقيه مقبل بن زهير ثم اشتغل بالتدريس فى ذا الحفر[٣]حيث يقيم ، وكانت وفاته عام ٤٥٠هـ /١٠٥٨م[٤].

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن محمد العبسى ، كان يسكن فى قرية "وعل"[٥] فى "نعيمة" ، وكان فقيهاً ورعاً ، أديباً شاعراً يجيد نظم الشعر ، توفى عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، ولهذا الفقيه ابن اسمه على ، كان فقيهاً شاعراً كوالده ، توفى فى نفس القرية عام ٥٨١هـ /١١٨٥م[٦].

ثانياً : أماكن التعليم :

تعددت أماكن التعليم في الإقليم وكان لظهورها أثر بالغ فى ازدهار الحياة العلمية فيه وذلك من خلال الدور الذى قامت به فى هذا المجال، سواءً ما ارتبط منها بالتعليم الأولى فى الكتاب أو ما كان مرتبطاً بالتعليم العالي فى المساجد والقصور ومنازل العلماء، وقد

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) عزلة نعيمة : العزلة مجموعة من القرى ، نعيمة : عزلة مشهورة فى مخلاف جعفر ، نسبة إلى نعيمة بن السحول بن سوادة ، تقع جنوب وغرب مدينة إب ، وتعرف اليوم بصهبان (الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٤ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ج٢، ص١٧٥٤).

(٣) ذو الحفر : قرية من منطقة المعشار من مديرية ذى جبلة ، (المقحفى : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٨٣) .

(٤) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

(٥) وعل : قرية فى معشار الدامغ فى مخلاف صهبان (الأكوع : هجر العلم، ج٤ ، ص٢٣٣٦) .

(٦) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٥ ــ٢٠٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٥٣ ــ ٣٥٥.

ساهم انتشار تلك الأماكن فى خلق بيئة علمية استفاد منها الطلاب إلى حد بعيد،وظهر ذلك جلياً فى اتساع شريحة فقهاء الإقليم وفى إبداعاتهم الفكرية فى المجالات المعرفية المختلفة

وفيما يلى سنتناول الحديث عن تلك الأماكن :

١ـ الكتــاب :

وهو أول المؤسسات التعليمية التى تعنى بالتعليم ، ففيها يتم إعداد النشئ إعداداً سليماً ، وتلقينهم المبادئ الأولية فى التعليم ، ويبدو أن تسمية "الكتاب" مأخوذة فى الأصل عــن الوظيفة التى كان يقوم بها فى بداية الأمر والمتمثلة فى تعليم الكتابة ، وفى لسان العــرب يعرف ابن منظور الكتاب بأنه "موضع تعليم الكتاب" أى الكتابة[١] .

وتعد الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية فى العالم الإسلامي ، إذ يرجــع تاريخهــا إلى صدر الإسلام ، غير أن وظيفتها فى ذلك الوقت كانت مقتصرة على تدريس القــراءة والكتابة على اعتبار أن معلميها كانوا ذميين ، نظراً لعدم معرفــة كثيــر مــن المــسلمين للقراءة والكتابة أما من كان يعرفها منهم ــ وهم قليل ــ فكانت تناط به أعمال أكثر أهمية من تعليم الصبيان ، لذا فقد اقتصر الأمر فى بدايته على تعليم القراءة والكتابة علــى يــد الذميين[٢] .

استمر دور الكتاب على ذلك الحال إلى أن انتشرت معرفــة القــراءة والكتابــة بــين المسلمين ، فزاد ذلك من أهمية الكتاب ، لا سيما بعد أن أضيف إليه تدريس القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية المرتبطة به ، وأصبح المعلمون حينئذ من المسلمين[٣].

---

[١] ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بــيروت، (د.ت) ، ج١ ، ص٦٩٩ ؛ أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٤٨.

[٢] أحمد شلبى : المرجع نفسه ، ص٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨.

[٣] أحمد شلبى : المرجع نفسه ، ص٥٥ .

يرى شلبي : أن هناك نوعين من الكتاتيب ظهر الأول فى صدر الإسلام ، وفيه كان الصبيان يتلقون مبادئ القراءة والكتابة على يد معلمين ذميين ، فى حين ظهر النوع الثانى أواخر القرن الأول وبداية الثاني الهجرى، وفى هذا النوع كان الصبيان يتعلمون القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي بالإضافة إلى مبــادئ القــراء والكتابة على يد معلمين مسلمين ، (شلبى : المرجع نفسه ، ص٤٦، ٤٨) .

ثم أخذت الكتاتيب بعد ذلك فى الإنتشار فى ربوع دار الإسلام ــ ومنها اليمن ــ بدءاً من القرن الثانى الهجرى ، حتى أصبح فى كل قرية كتّاب[١]. وهكذا وصل هذا النوع من المؤسسات التعليمية إلى اليمن كما هو الحال فى بقية دار الإسلام .

ومما يدل على وجود هذا النوع من المؤسسات فى الإقليم فترة الدراسة ما ذكره المؤرخ ابن سمرة الجعدى عن البدايات الأولى لتعليمه فى قريته عندما قال "فمولدى أنا قرية من قرى العوادر من سنة سبع وأربعين وخمسمائة ونشأت بها وتعلمت القرآن على جماعة..."[٢] فهو وإن لم يصرح بإسم الكتّاب إلا أن فى كلامه إشارة إلى ذلك ، ولا شك أن الكتاتيب كانت منتشرة فى قرى الإقليم شأنها فى ذلك شأن بقية أقاليم اليمن ، لا سيما وأن الفقهاء كان يشكلون شريحة عريضة فى الإقليم الأمر الذى يصبح معه وجود الكتاب أمراً بديهياً .

أما عن موضع الكتّاب ، فكان يفضل أن يكون خارج المسجد وليس داخله ، فقد أوصى كثير من علماء المسلمين بألا يُعلّم الصبية فى المساجد[٣]. وذلك "لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات ، بل يتخذ لتعليمه حوانيت فى الدروب وأطراف الأسواق" [٤]. غير أن ذلك الأمر كان يعتمد على قدرة الناس على بناء كتّاب مستقل عن المسجد ، أما فى حالة عدم قدرتهم على ذلك فلا شك أن زوايا المساجد الصغيرة كانت الحل الوحيد لذلك الأمر[٥].

٢ـ المساجـــد :

ارتبط التعليم بالمساجد منذ البدايات الأولى لنشوئها فى مختلف البلاد الإسلامية ، واستمر هذا الأمر دون انقطاع ، ولعل السبب فى ذلك راجع إلى أن التعليم كان مرتبطاً

---

[١] رحيم كاظم الهاشمى وآخر : الحضارة العربية الإسلامية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص١٤٨.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٣.

[٣] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٨٥.

[٤] أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٥٣ ، نقلا عن : الشيرازي : نهاية الرتبة ، ص ١٠٣.

[٥] عبد الرحمن المختار : الحياة العلمية ، ص٤٤،٤٥.

بالعلوم الدينية بدرجة أساسية ؛ إذ كان على المسلمين أن يعوا أمور عقيدتهم ، فوجدوا فى المسجد مكاناً ملائماً لذلك الأمر[١].

وترتب على عمليات الفتوحات الإسلامية أن انتشر الإسلام وانتشرت معه المساجد فى كل مكان وصل إليها ، نظراً لأهمية الدور الذى كان مناطاً بها ، فبالإضافة إلى كونها مكاناً للعبادة ، كان لها دوراً تعليمياً هاماً من خلال ما كان يقام فيها من حلقات علمية لتعليم المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم ، وبقيت تلك المساجد تؤدى دورها التعليمى على مدار العصور[٢].

وفى اليمن انتشرت تلك المساجد ــ كما فى غيرها من بلاد الإسلام ــ نظراً لما أبداه أهل اليمن من اهتمام واضح بها ، غير أن مساجد اليمن تميزت بقدمها عن بقية المساجد فى العالم الإسلامي ؛ إذ يرجع بناء عدد منها إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها الجامع الكبير بصنعاء الذى يعد من أقدم المساجد فى العالم الإسلامي إن لم يكن أقدمها بعد مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٣] ، حيث بنى بأمر منه وذلك قبل العام التاسع الهجرى[٤]. ومنها أيضا جامع الجند الذى بناه الصحابى الجليل معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ بعد أن أرسله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى اليمن عام ٩هـ/٦٣٠م[٥]. هذا بالإضافة إلى وجود العديد من المساجد الأخرى التى بنيت على أيدى

---

(١) أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص١٠٢.

(٢) اللميلم : عبد العزيز : رسالة المسجد فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مؤسسة فؤاد بعينو ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٠٦ ، ١٢٥؛ على بن على : الحياة العلمية ، ص٢٢٥.

(٣) عبد الملك منصور : المساجد والأوقاف فى بلادنا ، مجلة اليمن الجديد ، العدد ١٢ ، وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٨٦ م ، صنعاء ، ص١٢.

(٤) الرازى : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبد الله العمرى ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ١٩٨٩م ، ص١٢٨ ، ١٣٢؛ ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٦ ؛ الحجرى : محمد بن أحمد : مساجد صنعاء عامرها وموفيها ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ص ٢٥؛ المصادر المذكورة تختلف فى ذكر من بنى الجامع كما تختلف فى تحديد زمن بناءه ، إلا أنها تتفق أن ذلك كان قبل العام التاسع للهجرة .

(٥) الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٨١ وتذكر المصادر أن مسجد الجند بنى بعد مسجد صنعاء بستة أشهر وقيل بخمسة أشهر وقيل بسنتين (الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص١٣٠ ، ١٣٢؛ العرشانى : نظام الدين=

بعض صحابة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو التابعين[١].

وفى العهد الصليحي استمر الإهتمام ببناء المساجد وتعميرها ، ومن ذلك ما قامت بــه السيدة بنت أحمد عندما قامت ببناء عدد من المساجد مثل : المسجد الجامع فى مدينــة ذى جبلة ، ومسجد الضربة فى يريم[٢] ، بالإضافة إلى قيامها بتوسيع الجناح الشرقى للجــامع الكبير بصنعاء[٣]. وسار ولاتها على طريقتها ومنهم المفضل بن أبى البركــات الحميــرى الذى قام بتجديد المقدمة والجناحين من مسجد الجند[٤]. كما أسهم عدد مــن المقتــدرين لا سيما من العلماء فى بناء بعض المساجد الصغيرة ، التى كان لها أثراً واضحاً فى الحركــة العلمية التى عاشها الإقليم خلال تلك الفترة ، كما سيتبين ذلك من خلال البحث .

أسهمت تلك المساجد وغيرها فى خلق بيئة علمية ملائمة ، من خلال ما كان يعقد فيها من حلقات علمية فى الفروع العلمية المختلفة على أيدى كبار الفقهاء ، الذين بــرز كثيــر منهم فى هذه الفترة ، فقصدهم طلاب العلم من سائر أنحاء اليمن ، متجشمين فــى ســبيل ذلك الكثير من الصعاب .

أولا : المساجد الجامعــة :

أ ــ مسجد ذى جبلــة :

كان فى البداية قصراً من القصور الصليحية ، بناه الــسلطان عبــد الله بــن محمــد الصليحى عام ٤٥٨هــ/١٠٦٦م عندما اختط مدينة ذى جبلة وسماه دار العز ، وبعد انتقال السيدة الحرة وزوجها المكرم إلى المدينة ، أمرت بتحويل ذلك القصر إلى مــسجد جــامع

=سري إبراهيم بن أبى بكر : كتاب الإختصاص ذيل تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق:حسين عبد الله العمرى ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص٥٣٠.

[١] مثل مسجد مسيك الذى بناه الصحابى فروة بن مسيك ، ومسجد المدرسة الذى بناه الصحابى سعد بن أبى وقاص ومسجد وهب الذى بناه وهب بن منبه وغيرها ، أنظر : عبد الملك منصور : المساجد والأوقاف ، العدد ١٢،ص١٣.

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٠٦ ؛ حسن سليمان : الملكة أروي ، ص٩٣ ، ٩٤ .

[٣] الحجرى : مساجد صنعاء ، ص٢٧.

[٤] الجندى : السلوك ، ج١، ص٤٩٦ ؛ الهمداني : المرجع نفسه ، ص١٦٦؛ السرورى : الحياة الــسياسية ، ص ١٨٢.

للمدينة[١] ، وذلك فى عام ٤٧٣هـ /١٠٨١م ، وكان بناء ذلك الجامع على تلة مرتفعة تتوسط المدينة تسمى ربوة أور[٢].

ويبدو أن الصليحيين أرادوا من خلال بناء هذا الجامع إيجاد مركز دينى ينشرون من خلاله مبادئ المذهب الإسماعيلي ، ولا تشير المصادر ــ حسب إطلاع الباحث ــ للدور الذى لعبه هذا المسجد فى هذا المجال ، غير أن ذلك الأمر ليس ببعيد عن الحدوث ، فربما أرادوا من خلاله محاكاة الفاطميين الذين اتخذوا من الجامع الأزهر مركزاً لنشر الفقه الإسماعيلى ، فلا يستبعد أن يكون المسجد الجامع بذي جبلة قد قام بنفس الدور ، لا سيما وأن اتباع المذهب الإسماعيلى قد أخذوا يتوافدون على مدينة ذى جبلة بعد أن أصبحت مركزاً للدولة الصليحية (الإسماعيلية) فكانوا أغلب سكانها فى تلك الفترة[٣]. كما لم يكن الحصول على المعلمين أمراً متعذراً على أتباع هذه الطائفة ، لا سيما وأن فيهم أمثال الداعي لمك بن مالك الحمادي وابنه الداعى يحي بن لمك الذين كانت تناط بهم أعباء الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن .

ب ــ مسجد إب :

وهو مسجد يتوسط مدينة إب ، ويقع على ربوة عالية فيها ، ويعرف بالمسجد الخطّابى ، إذ ترجع الروايات بناءه إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وأنه هو الذى أمر ببنائه[٤].

وفى هذا المسجد الجامع كانت تقام العديد من الحلقات العلمية المختلفة ومنها حلقات الفقيه أبو الخطاب عمر بن حسين بن أبى النهى (ت٥٦٧هـ /١١٧١م) وكان مسكنه فى المدينة وعنه أخذ طلاب العلم المهذب فى الفقه للإمام أبى إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ/ ١١٨٣م) ، كما أخذوا عنه أيضا كتاب "كافى الفرائض" للفقيه أبى يعقوب إسحاق

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١١٦ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٣٦ ، حاشية ١ .

[٢] الموسوعة اليمنية ، ج٢ ، ص٨٤٣ ، ٨٥٥ ؛ ج٤ ، ٢٦٢٧.

[٣] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٠٨ .

وللمزيد عن جامع ذى جبلة ، راجع : عبد الله كامل : الفاطميون ، ص١٣٩ ــ ١٥٦.

[٤] الموسوعة اليمنية ، ج١ ، ص٨٤.

الصردفي (ت ٥٠٠هـ /١١٠٦م)[١].

وممن درّس به من العلماء ، الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهى (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) الذى كانت له حلقات علمية امتدت لسنوات طويلة ؛ إذ يُذكر أن الفقيه محمد بن مضمون ، وهو أحد تلاميذ الإمام ، لزم مجلس شيخه إحدى عشرة سنة[٢].

وقد برهن كل من التلميذ ومعلمه بذلك على حبهما الشديد للعلم وتفانيهما فى سبيل تدريسه وتحصيله ، وسار على إثرهما كثير من طلاب الإقليم.

ثانيا : المساجد الصغيرة :

أ ــ مسجد السنة (فى مدينة ذى جبلة) :

يوجد هذا المسجد فى مدينة ذي جبلة ، ويبدو من خلال التسمية أن أغلب رواده كانوا من أتباع المذهب السنى ، ولم تشر المصادر ــ حسب إطلاع الباحث ــ لمن بنى هذا المسجد وإنما كان موجوداً فى عهد السيدة بن أحمد ، ولعله كان المتنفس الوحيدة لأتباع المذهب السنى فى الوقت الذى كانت فيه مدينة ذي جبلة مركزاً للمذهب الإسماعيلي ، إذ يذكر الجندى أن مدينة "جبلة إذ ذاك إنما يسكنها الرافضة وأهل السنة قليل لا يكادون يعرفون إنما يجتمعون إلى المسجد الذى يعرف بمسجد السنة ولا يعرف بها أحد من أعيان الفقهاء وأهل السنة[٣] ، وربما دارت فى هذا المسجد بعض الحلقات العلمية من قبل صغار الفقهاء لمن بقي فى المدينة من طلبة العلم السنيين .

على أن أهمية هذا المسجد قد زادت بعد ذلك وخاصة بعد سقوط الدولة الصليحية ، فلم يعد الإسماعيليون يشكلون غالبية سكان المدينة ، فعادت أهمية علماء السنة إلى ما كانت عليه وأمّ هذا المسجد عدد من العلماء للتدريس ومنهم الإمام سيف السنة البريهى[٤].

ب ــ مسجد السنة (فى مدينة إب) :

يقع هذا المسجد فى مدينة إب إلى الشمال منها ، وعرف بهذا الإسم نسبة إلى الإمام

---

[١] الجندى : السلوك، ج١، ص٣٥٥.

[٢] الجندى : المصدر والجزء، ص٣٩٧.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٠٨.

[٤] الجندى :المصدر والجزء ، ص٣٢٢.

سيف السنة أحمد بن محمد البريهى ، وهو مسجد صغير كان يقع بالقرب من بيت الإمـــام المذكور[١] ، ولعله هو من قام ببنائه[٢] ، وفيه كان يعقد حلقاته العلمية لمـــن قـــصده مـــن طلاب العلم ، ولا يزال هذا المسجد معروفاً بهذا الإسم حتى اليوم[٣].

ج ــ مسجد سيـــر :

يقع هذا المسجد فى قرية سير ، وفيه كانت تعقد الحلقات العلمية المختلفـــة ، ومـــن قصده من العلماء ، الفقيه إسحاق الصردفي ، الذى وجد فيه مكاناً ملائماً لتـــأليف كتابـــه المعروف "كافى الفرائض" وليس ببعيد أن يكون هذا الفقيه إلى جانب انشغاله بالتأليف قـــد قام عدداً من الحلقات العلمية أثناء تواجده فى هذا المسجد[٤].

وممن درّس بهذا المسجد الفقيه عبد الله بن أحمد الزبرانى ، ومن بعده الإمام يحي بن أبى الخير العمرانى الذى قصده إلى سير طلاب العلم من مختلف بلاد اليمن[٥].

د ــ مسجد ذى أشرق :

وهو مسجد قديم يرجع إلى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيـــز ــ رضـــى الله عنه ــ (ت١٠١هـــ /٧١٩م) وذلك بحسب ما تشير إليه الكتابة الموجودة علـــى بابـــه[٦] . وقد جددت عمارة هذا المسجد فى عهد الحسين بن سلامة (ت٤٠٢هـــ /١٠١١م)[٧]. وفى هذا المسجد كانت تعقد الكثير من الحلقات العلمية المختلفة ، فقصده كبار الفقهاء وطـــلاب العلم من مختلف المناطق ، وكان من أبرز أئمته بنو الإمام الذين استمروا فى إمامته حتى القرن الثامن الهجرى[٨].

هـــ ــ مسجد ذى السفال :

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٢٢ ، حاشية ١ .

[٢] المختار : الحياة العلمية ، ص٦٥.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٢٣،٣٢٢.

[٤] الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩٢.

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧٩.

[٦] عمارة : المفيد ، ص٦٩.

[٧] الأكوع : هجر العلم ، ج٢ ، ص٧٢٦.

[٨] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٢.

كان ممن درس به وشغل منصب الإفتاء ، الفقيه محمد بن أحمد بن عمر الخولاني الذى تفقه بعبد الله بن يحيى الصعبى ، وأخذ معانى القرآن للصفار عن يحي بن أبى الخير العمراني[١]. وممن درّس فى المسجد الصغير[٢] فى ذى السفال الفقيه يحي بن أبى بكر بن محمد بن أبى اليقظان (ت٥٧٩هـ /١١٨٣م) [٣] .

و ــ مسجد الجعامي :

كانت تدار فى هذا المسجد الحلقات العلمية المختلفة التى كان أبرزها حلقات الإمام زيد بن الحسن الفائشى (ت٥٢٨هـ /١١٣٣م) والتى حرص طلاب الإقليم وغيرهم على اغتنامها ، فأخذوا يتوافدون للدرس على يديه من مختلف المناطق[٤].

ز ــ مسجد عرشان :

برزت أهمية هذا المسجد منذ عهد الإمام الحافظ المحدث على بن أبى بكر العرشاني (ت٥٥٧هـ/١١٦١م) الذى قصده أهل الحديث من سائر أنحاء اليمن للأخذ عنه،رغبة فى علمه وعلو إسناده، ولعل هذا الإمام هو من بنى هذا المسجد[٥]حتى يكون التواصل بينه وبين طلابه بسهولة ويسر،ولعله ضمن لهم بذلك مكاناً يأوون إليه لاسيما أولئك الذين كانوا يأتون إليه من بلاد بعيدة لا يشغلهم شئ سوى حب العلم والرغبة الجادة فى تحصيله .

ك ــ مسجد أُلــخ :

يقع فى بني حبيش ، كان يرتاده طلاب العلم من داخل وخارج الإقليم ، إذ يذكر ابن

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٠٠.

[٢] المسجد الصغير : وردت تسمية هذا المسجد لدى كل من ابن سمرة والجندى إلى جانب ذكر جامع ذى السفال عند أبن سمرة ، وقد يكون الإسمان لمسمى واحد أو أن هناك مسجدين فى ذى السفال ، أحدهما أصغر من الآخر كما يفهم من التسمية (راجع : ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٠ ، ٢١٨ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٣٦٤).

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢١٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٨ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٨٦.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٠٤.

سمرة أنه لقى جماعة من طلبة العلم فى هذا المسجد ومنهم عمر بن تبع وعمر بن أبى بكر بن أبى حنال،ومحمد بن ثعالة بن مسلم اليافعى وغيرهم، وكانوا يقومون بنسخ كتاب "الإنتصار" للعمرانى، وقد جرت مناقشة علمية فى المسجد بين هذا المؤرخ وأولئك الطلاب[١] .

ل ــ مسجد المحلة :

مسجد فى قرية الملحمة بوادى السحول ، كان ممن درّس به ، الفقيه أبو عمارة حمزة بن مقبل بن سلمة،الذى كان يعقد لطلابه حلقاته العلمية منذ عام٤٨٠هـ/١٠٨٧م،وقد روى هذا الفقيه عن أبى القاسم عبد الصمد بن محمد عن أشياخه أحاديث نسطور الرومى[٢].

م ــ مسجد قاسم :

مسجد فى قرية سهفنة ، نسبة إلى الإمام القاسم بن محمد الجمحي (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ويبدو أنه هو الذى بناه فنسب إليه ، ولعله كان يقيم حلقاته العلمية فى هذا المسجد ، وعلى يديه تفقه عدد كبير من فقهاء الإقليم[٣].

٣ـ المكتبات[٤] :

حرص أهل اليمن على العناية بالكتاب فكان من مظاهر ذلك انتشار الوراقة والوراقتين بصورة عامة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين[٥] . كما عنوا بتجليد الكتب عناية فائقة ، فكانوا يبذلون لأجلها الأجرة الوافرة[٦].

وكان من البديهى أن يتبع ذلك الإهتمام بالكتاب إنشاء العديد من المكتبات العامة والخاصة والتى لعبت دوراً هاماً فى خدمة العملية التعليمية ، حيث شكلت مناخاً ملائماً

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٠٣.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٠٢.

[٣] الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٢٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨٢،١٨١.

[٤] المعلومات حول المكتبات قليلة إذ لم تشر المصادر ــ حب إطلاع الباحث ــ إلى النظام الذى كان متبعاً فيها أو إلى موظفيها أو تطورها وحاول الباحث إيفاء الحديث عنها بقدر ما أسعفته المصادر المتاحة.

[٥] السمين : المذهبان ، ص٢٧٠. نقلاً عن : يحي بن الحسين : طبقات الزيدية ، ص٣٣ ، ومطلع البدور : ابن أبى الرجال ، ج٢ ،ص١٨.

[٦] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٩٤.

لطلاب العلم الذين كانوا يجدون فيها ما يشبع حاجتهم لا سيما المعوزين منهم ممن لا يقدرون على شراء ما يحتاجونه من تلك الكتب .

ومن المكتبات العامة التى كانت موجودة فى تلك الفترة ، مكتبة جامع ذى أشرق ، التى شد إليها طلاب العلم رحالهم وآثروا البقاء فيها لفترة ريثما ينتفعون بكنوز مكتبتها ، ومن هؤلاء الطلاب الفقيه مقبل بن محمد بن زهير الهمداني (ت بعد ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م)[١].

ولأن ظاهرة وقف الكتب على المساجد من قبل العلماء وغيرهم كانت موجودة فى ذلك الوقت ، جاز لنا القول بأنه كان لعدد غير قليل من مساجد الإقليم مكتبات عامة قوامها تلك الكتب الموقوفة. وقد برز عدد من المساجد كان الفقهاء وطلاب العلم فيها يقومون بتأليف الكتب ونسخها ، وهم فى ذلك مطمئنون إلى وجود بغيتهم من الكتب فى تلك المساجد ومنها مسجد سير ومسجد ألخ وغيرها .

أما المكتبات الخاصة فهى كثيرة نظراً للحرص الشديد الذى أبداه العلماء والطلاب فى اقتناء الكتب متى ما توفرت لهم الإمكانيات لذلك ، فظهرت مجموعة هامة من المكتبات الخاصة منها : مكتبة الفقيه الفرضي إسحاق بن يعقوب الصردفى (ت٥٠٠هـ /١١٠٦م) والتى آل بعض من كتبها إلى حفيده عبد الله بن الفقيه حسان بن محمد إمام مسجد الجند[٢]، ومكتبة الإمام زيد بن عبد الله اليافعى (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) والتى آلت ملكيتها إلى أولاد ابنته هندة ، أبناء محمد بن سالم بن عبد الله إمام جامع ذى أشرق [٣] ، ومكتبة الإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت٥٢٨ـ١١٣٣م) ، وكانت تضم

خمسمائة كتاب ، تمكن من جمعها من خلال رحلاته العلمية المتعددة داخل اليمن

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن، ص٢١٩.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٨ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٤٦ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣، ص١٦٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٤١١.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٠ ، ص١٠٧.

وخارجه[١] ، ومكتبة الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهي (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) والتى احتوت على عشرات الكتب أوقفها على ذريته ثم على أهل السنة دون غيرهم [٢].

وما من شك فى أن وجود هذه المكتبات قد خدم طلاب العلم إلى حد بعيد ، لا سيما لمن كان منهم على صلة بأصحابها ، فمعروف عن العلماء حرصهم على إيصال العلم لمن يريد من الناس ناهيك عن تفانيهم فى تعليم تلاميذهم ومدهم بما يحتاجونه من كتب.

٤ـ القصور :

شيد الصليحيون عدداً من القصور الهامة فى الإقليم ، كان لها دور هام فى المجال الدينى والثقافي ، ومن أبرز تلك القصور قصر دار العز مقر الأسرة الصليحية ، حيث كان يفد إليه أتباع الدعوة الإسماعيلية من أماكن مختلفة للأخذ عن كبار الدعاة أمثال قاض القضاة لمك بن مالك الحمادي ، والسيدة الحرة التى تدرجت فى مراتب الدعوة حتى صارت فى مقامات الحجج[٣]. لذلك حرص أتباع الطائفة على حضور مجالسها التى كانت تعقدها فى قصرها المعروف بدار العز ، وفى ذلك يقول الداعي إدريس "وكان الدعاة منها يتعلمون من وراء الستر ويأخذون عنها ويرجعون إليها فى مشكلات الدين ، فيجدون عندها ما يريدون ويغترفون من تيار علمها ما يردون" [٤].

وكانت تلك المجالس تتعلق بالجانب الباطنى للعقيدة الإسماعيلية أو ما كان يعرف بـ "مجالس الحكمة" والتى كان لابد من إحاطتها بسرية تامة إذ لا يسمح لأحد بحضورها ما لم يكن من المستجيبين[٥] ، فكان عقدها فى القصر ضمان لسريتها ، وهو ما كان معمولاً

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٦؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٥٤١.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٢٢ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٧ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٧١٧.

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣٠٧ ، ٣٣٤؛ والحجة فى المصطلح الإسماعيلي ، درجة من درجات الحدود تلى درجة داعى الدعاة أو باب الأبواب ، ولا يراد بها ما يعرف بـ "حجة الله" (الهمداني : الصليحيون ، ص١٤٤).

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٣٤.

[٥] المستجيب : أولى المراتب الدينية لدى الإسماعيلية ، يصل إليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق بعد اختياره

به قبل ذلك فى قاهرة المعز منذ أيام القاضى النعمان [١].

لم تكن السيدة الحرة بمفردها فى إدارة تلك المجالس ؛ فقد كان يؤازرها كبار الدعاة فى اليمن وعلى رأسهم الداعى لمك بن مالك الحمادى (ت٥١٠هـ/١١١٦م) ومن بعده ابنه الداعى يحي بن لمك (ت٥٢٠هـ /١١٢٦م) ثم خلفه الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى (ت٥٣٦هـ /١١٤٢م)[٢] .

وبالإضافة إلى الدور الدينى الذي لعبته قصور الصليحيين فى تخريج الدعاة ، كان يقام فيها مجالس أدبية يحضرها كبار الشعراء والأدباء ، يتفنن كل منهم فى صنعته رغبة فى كسب ود الأمراء وأعيان الدولة ، وممن برز من أولئك الشعراء ، حسين القمى ، والحسين بن أبى عقامة ، وأحمد بن على التهامي وغيرهم ممن كانت لهم إبداعات أدبية[٣] ، سنتناولها فى حينها .

٥ـ منازل العلماء :

على الرغم من الدور الهام الذى لعبه المسجد فى العملية التعليمية إلا أن هناك أماكن أخرى للتعليم أسهمت إلى جانب المسجد فى الحركة العلمية النشطة التى مر بها الإقليم ، ومن هذه الأماكن منازل العلماء .

لم يكن عقد المجالس العلمية فى منازل العلماء أمراً مستحدثاً ، فقد عرف عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يعقد مجالسه العلمية فى منزله سواءً فى مكة أو المدينة ، لا سيما قبل بناء المسجد النبوى" [٤] ، ثم سار أصحابه على هديه بعد وفاته ؛ فكانوا يعقدون مجالس العلم فى منازلهم ومنهم عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنه ، ومن بعده

من قبل داعى الدعاة والدعاة الآخرين (مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٤ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ج١ ، ص١٢٧).

[١] هايترهالم : الفاطميون وتقاليدهم فى التعليم ، تعريب : سف الدين القصير ، الطبعة الأولى ، دار المدى ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص٤٩.

[٢] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧، ص٣٠٠ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص١٨٠ ، ١٨١.

[٣] الشامي : أحمد بن محمد : تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، بيروت ، ج٢ ، ص١٥ ، ٨٤ ، ٨٩.

[٤] أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص٦٨.

الإمام مالك بن أنس [١].

وفى اليمن سار عدد من العلماء على الطريقة نفسها ، ومنهم الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى (ت٥١٤هـ /١١٢٠م) الذى تحول بيته إلى مركز علمى يؤمه كثير من طلاب العلم ، لا سيما بعد أن قلت حلقاته العلمية التى كان يعقدها فى جامع الجند[٢]، خاصة فى أواخر أيام حياته [٣]. وفى المشيرق كان الفقيه أسعد بن خير بن ملامس (ت٥١٨هـ /١١٢٤م) يعقد مجالسه العلمية فى بيته وعنه أخذ جمع كبير من طلاب العلم من مختلف المناطق[٤]. وفى دلال كان الفقيه منصور بن على بن عبد الله بن مسكين (ولد عام ٥٢٩هـ /١١٣٤م) يعقد مجالسه العلمية فى منزله ويحضرها عدد من طلاب العلم[٥].

أما عن الأسباب التى جعلت بعض العلماء يؤثرون إقامة حلقاتهم العلمية فى منازلهم فهى إما لعدم رغبتهم فى الشهرة خوفاً من الرياء[٦]. أو لكبر سنهم وعدم قدرتهم على الاستمرار فى الحضور اليومى للمساجد ، خاصة إذا كانت بعيدة عن مكان إقامتهم ، أو لأنهم كانوا يؤثرون بعضاً من نجباء طلابهم بزيادة فى التحصيل ، فكانوا يعقدون لهم حلقات علمية مخصوصة لأجل ذلك [٧].

---

[١] السمين : المذهبان ، ص٢٦٩ . نقلاً عن : الكاندهلوى : حياة الصحابة ، ج٣ ، ص٧١١ ، ٧١٢ ، والمكى أقلانية : النظم التعليمية عند المحدثين ، ص٤٠.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٣ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٧ ؛ اليافعى : مرآة الجنان، ج٣ ، ص٢٠٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن، ص٢١٣.

[٣] الشرجى : طبقات الخواص ، ص١٣٨.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥٠.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢١٤.

[٦] الشرجى : المصدر والصفحة .

[٧] المختار : الحياة العلمية ، ص١٣٥.

الفصل الثانى

نظـــام التعليـم

أولا : نظام التعليم فى المرحلة الأولى

ثانيا : نظام التعليم فى المرحلة العليا

كان نظام التعليم فى الإقليم ينقسم إلى مرحلتين : المرحلة الأولى تتعلق بالتعليم الأولى فى الكتاب ، أما المرحلة الثانية فتتعلق بالتعليم العالى سواءً كان ذلك فى المساجد أو فى منازل العلماء أو فى غيرها من أماكن التعليم التى ذكرت فى الفصل السابق . وفى هذه المراحل سنتطرق إلى الحديث عن ماهية النظام المتبع فى التعليم من خلال الحديث عن مواد التعليم ومدة الدراسة والطرق المتبعة فى التعليم وموارد الإنفاق عليه .

والنظام التعليمى الذى كان سائداً فى اليمن ــ ومنه الإقليم ــ لم يكن يختلف كثيراً عن النظام المعمول به فى بقية البلاد الإسلامية ، وذلك بسبب الانفتاح الثقافي فى البلاد الإسلامية ببعضها ، فكان للعلماء وطلاب العلم مطلق الحرية فى التنقل بين الحواظر الإسلامية للتدريس أو للدراسة ، فترتب على ذلك الأمر انتقال الخبرات التعليمية فى مجال طرق التدريس والمواد الدراسية المقررة ، فما كان مقرراً على طلاب بغداد على سبيل المثال كان يدّرس فى اليمن ، كما أن أنظمة التعليم مثل نظام الحلقات أو المجالس العلمية كان معمولاً بها فى اليمن أيضا ، وقد أدى هذا التشابه إلى ما يمكن أن نسميه وحدة فى الفكر والثقافة بين البلاد الإسلامية ، إذ لم يحل التباين السياسى واختلاف مصالح الحكام دون تحقيق هذا الأمر ، وكان من ثمار تلك الوحدة الفكرية وتشابه المشارب الثقافية بناء تراث إسلامي غاية فى الإبداع فى مختلف ميادين الفكر والمعرفة ظل شاهداً على عبقرية المسلمين ودورهم فى خدمة التراث الإنسانى .

أولا : نظام التعليم في المرحلة الأولى :

تشكل هذه المرحلة البداية الأولى للعلاقة بين الطالب والمنظومة التعليمية ، وفيها تتحدد شخصية الطالب واتجاهاته العلمية ، فيكون ما بعدها بناءً عليها ، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة التأسيس العلمى والإعداد النفسى والتربوي للطلاب ، فهى تشكل لهم أساساً متيناً يمكنهم من الإنطلاق بعد ذلك نحو آفاق علمية رحبة والإقبال على الدراسة الجادة والتوسع فى طلب العلم فى المرحلة التى تليها .

وفيما يلى سنحاول أن نسلط الضوء على أبجديات هذا النظام لهذه المرحلة وذلك من خلال الحديث عن المواد المقررة وطرق وأدوات التدريس التى كانت متبعة ثم البرنامج اليومي والأسبوعي ونظام العطل ونختم بالحديث بعد ذلك عن نظام التخرج من هذه المرحلة .

مما لا شك فيه أن انتقاء المادة العلمية لهذه المرحلة المبكرة أمر فى غاية الأهمية، لما تلعبه من دور هام في صقل شخصية الطالب وتوجيهها توجيهاً سليماً يعود بالخير عليه وعلى مجتمعه ، لذا فقد حرص أهل الإقليم ، شأنهم فى ذلك شأن بقية أهل اليمن ، على أن يكون القرآن الكريم أول ما يتلقاه أبناؤهم على أيدى معلميهم[١] ، فالقرآن الكريم منهاج حياة المسلم ، لا تستقيم إلا به ، وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [٢] ، لذلك وجد الآباء أن يتقربوا إلى الله تعالى بتعليم أبنائهم للقرآن الكريم رغبة فى الثواب وحتى تسير حياتهم سيراً مرضياً ، كما أن تعليم القرآن الكريم للصغار من شأنه أن يقوم إعوجاج السنتهم ويمكنهم بعد ذلك من الإقدام على علوم اللغة وآدابها بسهولة ويسر[٣]، وذكر ابن خلدون أن تعليم القرآن الكريم فى مثل هذه المرحلة المبكرة مسألة أخذ بها المسلمون فى جميع بلاد الإسلام ، وذلك "لما سبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات..."[٤].

ومن المواد التى يتعلمها الطلاب مادة الخط ، وعلى الرغم من كونه مادة أساسية يتعلمها الطلاب ، إلا أنه لم يكن منتظراً منهم أن يبدعوا فيه وإنما كان مطلوباً منهم معرفة الحد الأدنى منه بما يمكنهم من كتابة دروسهم وقراءتها[٥] . ومع ذلك فقد برز من أهل الإقليم من اشتهر بالخط مثل الخطاط علوان الذى ذاع صيته بعد كتابته لكتاب "البيان" المصنف الشهير للإمام العمراني[٦].

وبالإضافة إلى تدريس القرآن الكريم والخط ، كانت هناك مواد أخرى أساسية مثل

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣ .

[٢] الإمام البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخارى ، دار بن كثير ، بيروت ، ١٩٨٧م ، رقم ٤٧٣٩ ، ص ٣٤٨.

[٣] الشجاع : الحياة العلمية ، ص ٩٨.

[٤] ابن خلدون : مقدمة بن خلدون ، الطبعة الخامسة ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج١ ، ص ٥٣٧ ؛ شلبى : التربية الإسلامية ، ص ٥٧ .

[٥] الشجاع : المرجع نفسه ، ص ٩٩ .

[٦] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٩٨ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص ٢٤٣.

النحو والشعر بالإضافة إلى تعلم بعض الأمور الفقهية التى لابد للصبى من معرفتها كتعليم الصلاة والطهارة ، وغيرها[١]. وقد يضاف إلى ذلك كله تعليم مبادئ الحساب[٢].

طرق التدريس وأدواته :

لما كانت العملية التعليمية تقوم على اختيار الطرق الناجحة في إيصال المعلومة للطلاب ، فإن التحصيل العلمي كان مرهوناً بأمور عدة من أهمها طرق التدريس المتبعة، ولا شك أن الطلاب فى مراحلهم الأولى بحاجة إلى جهد كبير وعناية فائقة من قبل معلميهم الذين يتوجب عليهم أن يجدوا طرقاً تدريسية تتلاءم مع أعمار طلابهم وقدراتهم العقلية حتى يكون مردود ذلك الأمر إيجابياً فى مشوارهم العلمى ، وفى الإقليم كانت تلك المسائل ــ طرق التدريس ــ من اختصاص المعلمين ، الذين كانوا يقبلون على تنفيذها برغبة وشوق ما دام لهم الحرية فى تنفيذها[٣].

تمثلت طرق التدريس فى هذه المرحلة فى تلقين المعلم لطلابه آيات القرآن الكريم ، وكان على الطلاب ترديدها ونطقها نطقاً سليماً ثم يقومون بكتابة الآيات التى درسوها فى ألواحهم الخشبية ، ومن ثم كان يتوجب عليهم حفظ تلك الآيات ثم استظهارها على معلمهم بعد ذلك[٤]. وكان حفظهم لآيات القرآن يتم بشكل تدريجى إذ كانوا يبدءون بقصار السور ثم يتدرجون إلى السور الكبيرة وهكذا حتى ينتهون من حفظ القرآن الكريم بأكمله[٥].

وبالنسبة لأدوات التدريس المستخدمة ، فكانت تتمثل فى اللوح الخشبى الذى كان ملازماً لطلاب هذه المرحلة ، وعليه كانوا يدونون ما يطلب منهم ، وبجانب اللوح كان هناك القلم ودواة الحبر[٦]. أما القلم فلعله كان يصنع من شجر الحلال[١] ، وأما الحبر فكان

---

[١] المختار : الحياة العلمية ، ص ١٤٧ ، ١٤٨. نقلاً عن مسلمّ اللحجى : تاريخ مسلم ، ص ١١٣ ، ١١٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩، ٢٣١.

[٢] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٩٨.

[٣] الشجاع : المرجع نفسه ، ص ١٠٠.

[٤] المختار : المرجع نفسه ، ص١٨٩.

[٥] السرورى : الحياة السياسية ، ٦١١.

[٦] الجندى : السلوك ، ج٢ ، ص ٥٠٧.

يستخرج من الأشجار ومنها شجرة العفص[٢] ، وشجر الكلبلاب[٣] ، ويبدو أن الذى كان سائداً هو استخراج الحبر من شجرة العفص ، إذ نجد أن أحد الفقهاء وهو محمد بن عمر بن محمد العمرانى عندما أراد أن ينسخ كتاب إحياء علوم الدين للغزالي لم يتمكن من الحصول على شجر العفص فلجأ إلى شجر الكلبلاب الذى كان منتشراً فى منطقته "شواحط" وفى ذلك يقول :

قولا لإب ولذى جبلة إن منعاً الحبر وشحابه
فإن فى وادى شواحطنا بحراً غزيراً من كلبلابه[٤]

وبالإضافة إلى شجر العفص والكلبلات كمصادر لصناعة الحبر ، كان هناك مصدر ثالث هو شجر الصبر إلا أن مداده كان يميل إلى الحمرة[٥] . ولعلهم كانوا يستخدمون اللونين فى الكتابة ، الأسود والأحمر ، أحدهما لكتابة الكلمات والآخر لإعجامها .

كان الطلاب فى هذه المرحلة يمرون بيوم دراسي حافل يبدأ مع ساعات الصباح الأولى[٦] ، فيندفعون إلى كتّابهم ويأخذون العلم عن شيخوهم إلى أن يحين وقت الغروب ، وبه ينتهى اليوم الدراسي للطلاب[٧] ، وكان يتخلل ذلك فترات الراحة التى كانت تمنح للطلاب ، ومنها راحة لتناول طعام الغذاء ، وأخرى للعب ، فضلاً عن الراحة

---

(١) المختار : الحياة العلمية ، ص ١٥١ ، ويذكر أن شجر الحلال يشبه نبات قصب السكر ، غير أنه مجوف وأكثر صلابة .

(٢) شجرة العفص : شجرة لها ثمر مكور إذا بُل بالماء تحللت منه مادة سوداء (الجندى : المصدر والجزء نفسه ، ص ٣٣٩ حاشية ٤) .

(٣) الكلبلاب : شجر يقال له كلبلابه ولعله شجر القتاد لكثر ة ما فيه من الشوك (الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٠ حاشية ١) .

(٤) الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص ٢٩٥.

(٥) الجندى : المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٦٦.

(٦) مجهول : تاريخ اليمن ، ص ١١٣ .

(٧) المختار : المرجع نفسه ، ص ١٥١ . نقلا عن مسّلم اللحجى : تاريخ مسلم ، ص٣٢٠ .

لأداء فروض الصلاة[١].

أما عن البرنامج الأسبوعى والعطلة الأسبوعية ، فالمصادر التى بين أيدينا ضنينة عن ذكر تفصيلاته ، ولعل الذى كان يحدث أن تسير أيام الأسبوع على النحو المذكور آنفاً حتى إذا ما جاء يوم الجمعة ارتاح فيه الطلاب استعداداً للأسبوع الذى يليه ، فكان يوم الجمعة يوم عطلة أسبوعية بحسب ما كان متبعاً فى القرن الرابع الهجرى[٢] ، ولعله استمر بعد ذلك أيضا .

وبالنسبة للعطل بمناسبة الأعياد فلم يرد عنها إشارات فيما توفر من مصادر ــ بحسب إطلاع الباحث ، والذى كان معمولاً به فى غير بلاد اليمن منذ القرن الثالث الهجرى هو أن يكون للطلاب والأساتذة عطلتين فى الأعياد ، الأولى بمناسبة عيد الفطر ومدتها ثلاثة أيام ، والثانية بمناسبة عيد الأضحى ومدتها خمسة أيام[٣] ، ولعل ذلك الأمر كان معمولاً به فى اليمن أيضا ، فمن غير المعقول أن تستمر الدراسة خلال فترة الأعياد، بغض النظر عن مدة تلك العطل .

يستمر الطالب فى الكتاب إلى أن يتمكن من حفظ القرآن الكريم بأكمله وهو شرط أساسي لاجتياز هذه المرحلة إلى ما سواها ، وحفظ القرآن الكريم حلم يراود طلاب هذه المرحلة ، وطموح يسعون جاهدين لتحقيقه ، ولأن قدراتهم ليست واحدة بطبيعة الحال فقد يتمكن البعض من حفظ القرآن الكريم فى سنتين فى حين لا يتمكن البعض الآخر من ذلك إلا بعد مضى ثلاث أو أربع سنوات ، كل بحسب استطاعته[٤].

وبعد أن يتمكن الصبى من حفظ القرن كان لابد لولى أمره أن يحتفل بهذه المناسبة مكافئة لولده على ما بذل من جهد ، وكانت مظاهر ذلك الاحتفال تختلف من بيت لآخر ، بحسب المستوى المادى لكل منها ؛ فقد يقتصر الأمر على زملاء الطالب ، وقد يتعداه ليشمل الكثير من الناس[٥].

---

[١] المختار : الحياة العلمية ، ص ١٥٢.

[٢] المختار : المرجع والصفحة.

[٣] المختار : المرجع والصفحة. نقلاً عن القابسى : الرسالة المفصلة ، ص١٦٨.

[٤] السرورى : الحياة السياسية ، ص ٦١١.

[٥] السروري : المرجع نفسه ، ص ٦١٢.

ثانيا : نظام التعليم فى المرحلة العليا :

بعد تخرج الطالب من المرحلة الأولى وتأدية ما عليه من حفظ القرآن الكريم وتعلم لبعض العلوم الأساسية ، يبدأ بعد ذلك بالاستعداد للمرحلة التالية ، وهى مرحلة التحصيل العلمي في المجالات المعرفية المختلفة ؛ لا سيما إذا ما وجد الطالب تشجيعاً من ذويه ، وأنس فى نفسه القدرة على مواصلة مشواره التعليمي ، فربما صار فقيهاً أو محدثاً أو غداً قاضياً مبرزاً فى وطنه تكون له كلمة نافذة ، وقبل ذلك كله قد يرى فى مواصلة المشوار امتثالاً لتعاليم الإسلام وتلبية لأوامر القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [١] ، وقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [٢]، وقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين" [٣] ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تدعو إلى التعلم وتحض عليه ، لذلك سنجد من خلال البحث أن كثيراً من أهل الإقليم توجهوا لطلب العلم وحرصوا علي تحصيله حتى غدا منهم أعلاماً شامخة لا تزال مصنفاتهم شاهدة على همتهم وعلو مكانتهم .

وإذا كان ختم الطالب للقرآن فى المرحلة الأولى ــ وهى مرحلة الكتاب ــ أقصى ما يطلب منه ، فإن بإنتظاره أعواماً طويلة سيقضيها فى هذه المرحلة ، والأمر متوقف على نية الطالب وهدفه من وراء دراسته ، فقد ينتهى به الأمر عند حصوله على إجازة معينة سواءً فى الفقه أو فى الحديث أو في غيرها من فروع العلم تخوله الالتحاق بوظيفة من الوظائف كالقضاء أو التدريس أو فى مجال الأعمال الكتابية ونحوها[٤] ، أما إذا صار طلب العلم غاية يطمح إليها ففى هذه الحالة سيبقى فى تحصيله سنين عديدة ولن يقف به الأمر عند حد ، فمهما بلغت رتبه فى التحصيل فإن ذلك لن يمنعه من مواصلة التعلم متى ما وجد طريقاً إليه ، فهذا الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى ، نراه وقد صار فقيهاً مدرساً بذى السفال يتحلق مع طلابه لدى الشيخ زيد اليفاعي بعد عودته من الحجاز إلى

---

[١] سورة المجادلة ، آية رقم ١١ .

[٢] سورة الزمر ، آية رقم ٩ .

[٣] البخاري : صحيح البخارى ، ج١ ، ص١٩.

[٤] السرورى : الحياة السياسية ، ص٦١٣.

الجند[١] ، وحتى بعد أن زادت شهرة الإمام يحي لا سيما بعد تأليفه (البيان) ، نجده ينظم إلى حلقه الإمام الحافظ على بن أبى بكر العرشاني بذى أشرق عام ٥٥٥ هـ / ١١٥٩ م ليسمع عليه صحيح البخارى وسنن أبى داوود[٢].

من ذلك نرى أن الدراسة فى هذه المرحلة لا تحدد بوقت معين ، وإنما الأمر فيها متروك لرغبة الطالب وقدرته على المواصلة ، فقد ينتهى به الأمر بحصوله على إجازة من الإجازات وقد يطغى عليه حب العلم فيفنى فيه حياته رغبة فى الأجر والثواب من الله عز وجل .

ومن ناحية أخرى اعتمد الطلاب فى هذه المرحلة على العديد من المواد الدراسية فى الفروع العلمية المختلفة ، سواءاً تلك التى ألفها علماء اليمن أو التى ألفها غيرهم من علماء المسلمين والتى عرفت طريقها لليمن من خلال الرحلات العلمية من اليمن أو إليه فى الفترات المختلفة . وفيما يلى سنتناول الحديث عن أهم الكتب التى نهل منها الطلاب فى مجالات القرآن والحديث واللغة والفقه وعلم الكلام .

أولا : القرآن وعلومه :

١ ــ التفسير :

كان جل اعتماد الطلاب السنّة فى هذه المرحلة فى دراستهم للتفسير على مؤلفات غير يمنية ، إذ لم تظهر فى هذه الفترة ــ فترة الدراسة ــ مؤلفات يمنية فى مجال التفسير وإنما كان اعتمادهم على ما أنتجه علماء المسلمين فى بقية البلاد الإسلامية[٣] ، وكان أهم تلك التفاسير ، كتابا أبى جعفر الصفار[٤] "معانى

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٧٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٩٤.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٨١.

[٣] الحبشى : مصادر الفكر ، ص١٢.

[٤] أبو جعفر الصفار : هو النحوى أحمد بن محمد بن إسماعيل الصفار ، النحاس ، من أهل مصر، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش ونقوطيه والزجاج ثم عاد إلى مصر ، وله تصانيف عديدة منها كتاب "إعراب القرآن" وكتاب "الناسخ والمنسوخ" وغيرها ، توفى فى مصر عام ٣٣٨ هـ ، وقيل قبلها (ياقوت الحموى: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم الأدباء: دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، ج١ ، ص٦١٧، ٦١٨ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج٢ ،ص ٢٢٧ ؛ الكتانى ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد : ذيل مولد=

القرآن" [١] و"الناسخ والمنسوخ" فى القرآن[٢] .

أما بالنسبة لطلاب المذهب الإسماعيلى فكان اعتمادهم فى دراستهم للتفسير على كتب ألفها علماء الدعوة الإسماعيلية أمثال الداعى جعفر بن منصور[٣] اليمن مثل كتاب "الكشف" و"أسرار النطقاء" ، و "سرائر النطقاء" ، و"رسالة فى تأويل سورة النساء" ، وكتاب "الفرائض وحدود الدين" ، وفيه تأويل سورتى يوسف والكهف[٤].

هذا بالإضافة إلى تفاسير أخرى مثل كتاب "المسائل السبعون" للشيرازي[٥] ، والتى تتضمن تفاسير لآيات من القرآن الكريم ، وأيضا كتاب "أساس التأويل" للقاضى النعمان[٦]. ويبدو وأن تلك الكتب كانت قد عرفت طريقها إلى اليمن عن طريق الداعي

=العلماء،تحقيق : عبد الله أحمد سليمان ، الطبعة الأولى ، دار العاصمة ، الرياض، ١٤٠٩هـ،ج١ ، ص٦٩).

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٠ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص ٣٤٠ .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٦.

[٣] جعفر بن منصور اليمن : هو أحد كبار دعاة المذهب الإسماعيلى ، خرج من اليمن بعد خلافه مع أخيه الحسن بن حوشب عام ٣٢٢هـ، وتوجه إلى بلاد المغرب حيث حظى بتشجيع الخلفاء الفاطميين، وبلغت مكانته ذروتها فى مصر حيث جعله الخليفة المعز لدين الله الفاطمى باب أبوابه وهى أعلى مراتب الدعوة ، ترك جعفر العديد من الأعمال الهامة فى مجال الفكر الإسماعيلي التى اعتمد عليها دعاة المذهب (مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية ، ص١٨٥) .

[٤] الهمداني : الصليحيون ، ص ٢٥٧ ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص ٢٥٦.

[٥] الشيرازي : هو داعى الدعاة هبة الله بن أبى عمران موسى بن داود الشيرازى أحد أكبر الدعاة الفاطميين ، ولد فى شيراز سنة ٣٩٠هـ ، ونشأ فى أسرة إسماعيلية المذهب ، فكان والده حجة فارس وهى المرتبة الدينية التى ورثها ابنه هبة الله بعد تضلعه فى مراتب الدعوة ، هرب إلى مصر خوفاً من العباسيين وفى مصر قلده المستنصر ديوان الإنشاء ثم عينه داعى الدعاة سنة ٤٥١هـ ، ترك العديد من الأعمال منها ''المجالس المؤيدية'' و ''ديوان المؤيد فى الدين'' و ''السيرة المؤيدية'' وغيرها ومات فى القاهرة عام ٤٧٠هـ ـ ١٠٧٧م (مصطفى غالب : المرجع نفسه ، ص ٥٩٦ ، ٥٩٧).

[٦] القاضى النعمان: هو القاضى الإسماعيلي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمى المغربي ، أحد أبرز علماء الدعوة الإسماعيلية ، تمتع بحضوة كبيرة لدى الخلفاء الفاطميين وكانت له أعمالاً هامة فى مجالات الفقه والتأويل وغيرها . ومن أهم أعماله كتاب ''دعائم الإسلام'' فى الفقه الإسماعيلي ، وكتاب=

ويبدو وأن تلك الكتب كانت قد عرفت طريقها إلى اليمن عن طريق الـداعي الإسـماعيلي لمك بن مالك الحمادى بعد اتصاله بالشيرازى أثناء سفارته إلى مصر فى عهد الملك على بن محمد الصليحى عام ٤٥٤ هـ /١٠٦٠م[١].

٢ ــ علم القــراءات :

اهتم علماء اليمن بدراسة القرآن وعلومه ومنها علم القراءات فظهر من علماء الـيمن من اشتهر بالقراءة والإقراء منذ القرون الأولى للهجرة التى شهدت دخـول العديـد مـن القراءات إلى اليمن ، وأخذ الاهتمام بهذا العلم يزداد بمرور الوقت حتى ظهر فى القـرنين الرابع والخامس الهجريين من علماء اليمن من يصنف فى هذا المجال[٢].

وكان اعتماد الطلاب ــ السنة ــ فى دراستهم لهذا العلم فى هذه الفترة علـى كتـاب "التلخيص فى القراءات" لأبى معشر[٣] الطبرى (ت ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م) [٤] وإلى جانـب هذا الكتاب كان هناك كتب لمؤلفين يمنيين منها كتاب "المفيد فى القراءات الثمان" ويـسمى "المفيد هداية للمبتدى وتذكرة للمعيد" للفقيه محمد بن إبراهيم بن أبى مشيرح الحـضرمى (ت٥٦٠هـ / ١١٦٤م) قام فيـه باختـصار كتـاب أبـى معـشر الـسابق الـذكر[٥] ، كما صنف الفقيه الشافعى عبد الله بن يزيد اللعفى الحرازي كتباً فى علم القراءات وصـفت بالملاحـة إلا أن المـصادر لـم تـذكر أسـمائها[٦]. ولعـل هـذه الكتـب كانـت

=''أساس التأويل'' و ''تأويل الدعائم'' فى علم التأويل بالإضافة إلى غير ذلك من الأعمـال (الهمـداني : الصليحيون ، ص ٢٥٣ــ٢٥٦) .

[١] الهمداني : المرجع نفسه ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥.

[٢] السمين : المذهبان ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[٣] أبو معشر الطبرى : هو إمام القراءات عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى ، كان قد قرأ بجرجان علـى أبى القاسم الزيدى وبمكة على الكارزيين وبمصر على جماعة ، وله كتاب يعرف بـ ''التلخـيص'' ، جلـس للإقراء بمكة حتى وفاته عام ٤٧٨هـ /١٠٨٥م(ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٣ ،ص٣٥٨).

[٤] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٨٥.

[٥] الحبشي : مصادر الفكر ، ص ١٧ ، وهناك من يذهب إلى أن كتاب ''المفيد فى القراءات الثمان'' ليس لأبن مشيرح ، وإنما لمحمد بن الخضر اليمني (الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص١٢٣) .

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٢ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥١.

تدّرس إلى جانب كتاب أبى معشر لطلاب هذه المرحلة .

ثانيا : علم الحديــث :

اعتمد الطلاب ــ السنة ــ فى دراستهم للحديث بدرجة أساسية على كتــب الحــديث المشهورة ، والتى كانت متداولة فى بقية البلاد الإسلامية ومنها "صــحيح البخــارى" [١] ، و "صحيح مسلم"[٢] ، و"سنن أبى داوود"[٣] ، و"سنن الترمذي"[٤] ، و"موطــأ مالــك" ، و "جامع معمر بن راشد البصرى" ، و"جامع سفيان بن عيينة" ، و"جامع أبى قرة موســى بن طارق اللحجي" [٥].

وكانت تلك المصنفات قد عرفت طريقها إلى اليمن من خلال الرحلات العلمية التــى كان يقوم بها عدد من العلماء المسلمين إلى بلاد اليمن أو أنها جلبت إلى اليمن من خــلال مواسم الحج شأنها فى ذلك شأن بقية أنواع السلع التجارية[٦].

وبالإضافة إلى كتاب موسى بن طارق اللحجى (ت٣٦٠هــ/٩٧٠م) ظهرت فى فتــرة الدراسة مجموعة من المؤلفات اليمنية فى مجال الحديث لعل من أبرزها كتاب المستصفى من ســنن المــصطفى" للفقيــه المحــدث "محمــد بــن ســعيد بــن معــن القريظــي" (ت ٥٧٦/١١٨٠م) .

ويذكر الجندى أن كتابه المذكور "من الكتب المباركة المتداولة فــى الــيمن يعتمــده الفقهاء والمحدثون ويتبرك به الفقهاء والأميون" [٧] ، وفى هذه الشهادة دلالة واضحة على أهمية الكتاب الذى استمر لفترة طويلة من أهم الكتب التى اعتمد عليها أهل العلم فى هــذا المجال على اعتبار أن وفاة الجندى كانت فى العقد الرابع من القرن الثامن الهجرى .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٧.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٢٢.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٩.

[٤] الجندى ، المصدر والجزء ، ص٢٩٤.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ٧٤

[٦] السرورى : الحياة السياسية ، ص٦٢٦

[٧] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٧٥ .

ثالثا : علم الفقــه وأصوله :

تميزت فترة الدراسة بكثرة الكتب فى مجال الفقه وأصــوله ، لا ســيما كتــب الفقــه الشافعى ، خاصة بعد أن أنتشر المذهب الشافعى على يد الفقيه القاسم ابن محمد القرشــي (ت٤٣٧هـــ/ ١٠٤٥م) فى مخلاف الجند وصنعاء وعدن ، ولحج وأبين وأحاظــة وعنــة وغيرها من بلاد اليمن[١].

ومن الكتب التى اعتمد عليها الطلاب فى هذا المجال : كتــاب "مختــصر المزنــي" وكتاب "الرسالة" فى أصول الفقه للإمــام الــشافعى (ت٢٠٤هـــ / ٨١٩م) ومــصنفات القاضى أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى[٢] (ت٤٥٠هـ /١٠٥٨م) ومنهــا "شــرح المولــدات"[٣] ، بالإضــافة إلــى مــصنفات أبــى علــى الحــسن بــن القاسم الطبرى[٤] وهى كتــابي "العــدة" و"الإفــصاح" [٥] ، وكتــاب "المجمــوع" لأبــى

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٠٢.

[٢] أبو الطيب طاهر بن عبد الله : هو الفقيه طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرى ، ولد بآمل بطبرســتان ســنة ٣٤٨هـــ ، سمع بجرجان ونيسابور ، واستوطن بغداد وحدث ودرس وأفتى فيها ، ثم عــين قاضــياً بربــع الكرخ، ومن أعماله ''مختصر فى مولد الشافعى'' و ''شرح مختصر المزنى'' ، توفى عام ٤٥٠هـــ / ١٠٨٥م (ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بــيروت ، (د.ت) ، ج١٢، ص٧٩ ،٨٠، ؛ البغدادي : أبو بكر أحمد بن على الخطيب : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بــيروت، (د.ت) ، ج٩ ، ص ٣٥٨ ؛ حاجى خليفة :مصطفى بن عبد الله :كشف الظنون ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ١٩٩٢م، ج٢ ، ص ١٦٣٥) .

[٣] أيمن فؤاد : المذاهب ، ص ٦٧.

[٤] أبو على الطبرى : الحسن بن القاسم الطبرى ، فقيه شافعي ، سكن بغداد ودرس بها خلفاً لأستاذه أبى على الحسن بن أبى هريرة ، وهو أول من صنف فى الخلاف ، ومن أعماله كتاب ''الإفصاح فى الفقه'' وكتــاب ''العدة'' ، وغيرها ، توفى فى بغداد عام ٣٥٠هـــ /٩٦١ م (الشيرازي : أبو اسحاق إبراهيم بــن علــى : طبقات الفقهاء ، تحقيق خليل الميس ، دار القلم ، بيروت، د.ت ، ج١ ، ص ٢٠٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٧٦؛ الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج١٢ ، ص١٢٨).

[٥] ابن النديم : محمد بن اسحاق : الفهرست ، دار المعرفــة ، بــيروت ،١٩٧٨م، ص ٣١٥ ؛ الــصفدى : المصدر والجزء ، ص٢٠٤.

الحسن أحمد بن محمد المحاملي[١] (ت ٤١٥هـ / ١٠٢٤م) [٢] ، وكتاب "الفروع" لأبى الفتح سليم بن أيوب الرازى[٣] (ت ٤٤٧هـ /١٠٥٥م) بالإضافة إلى شروح المزنى[٤] المشهورة[٥] .

ظلت تلك الكتب الفقهية متداولة بين شافعية اليمن فى الإقليم وخارجه حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، حيث دخل إلى اليمن كتاب "المهذب" فى فروع الفقه للإمام أبى إسحاق الشيرازى (ت ٤٤٦هـ / ١٠٨٣م) والذى يعد من أهم ما ألف فى الفقه الشافعى[٦]، لذلك اهتم به فقهاء اليمن وببقية مؤلفات الإمام الشيرازي أكثر من اهتمامهم بغيرها ، وفى ذلك يذكر الجندى أن نقل أهل اليمن وفتواهم ومناضراتهم إنما عن كتب

---

[١] أبو الحسن المحاملى : هو الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبى المحاملي ، أحد أئمة الشافعية ، ولد عام ٣٦٨هـ ، تفقه بوالده وبالشيخ أبى حامد الإسفرائينى إلى أن برع فى الفقه ، له عدة أعمال منها ''المجموع'' ، و''المقنع'' ، ''اللباب'' ، وغيرها ، توفر عام ٤١٥هـ ـــ ١٠٢٤ م (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٧ ، ص ٤٠٣ ـــ ٤٠٥ ؛ الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج٧ ، ص ٢١٠ ؛ السبكى : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص ١٧٤).

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٣ .

[٣] أبو الفتح الرازى : هو الإمام سليم بن أيوب بن سليم الرازى ، درس الفقه والحديث واللغة ثم سافر إلى بغداد فتفقه بها على الشيخ أبى حامد حتى برغ فى المذهب ، ولما توفى الشيخ أبو حامد درس مكانه ثم سافر إلى الشام وأقام بثغر صور ينشر العلم ، من أعماله كتاب ''الإشارة'' ، وكتاب ''غريب الحديث'' ، وكتاب ''التقريب'' وغيرها ، غرق فى بحر القلزم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جدة عام ٤٤٧هـ ـــ ١٠٥٥م (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨؛ السبكي : المصدر نفسه ، ب ٢ ، ص٣٨٨).

[٤] المزنى : هو الفقيه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المصرى ، صاحب الإمام الشافعى الذى قال عنه ''المزنىناصر مذهبى '' ، صنف عدداً من الأعمال الهامة منها كتاب ''الجامع الكبير'' و ''الجامع الصغير'' ، ''مختصر المزنى'' ، و''المسائل المعتبرة''،''الترغيب فى العلم'' وغيرها ، توفى فى رمضان عام ٢٦٤هـ ـــ ٨٧٧ م (الصفدى : المصدر نفسه، ج ٩ ، ص١٤٢؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٢ ، ١٤٨).

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص ٤٠٢ ؛ أيمن فؤاد : المذاهب ، ص٦٣ ، ٦٤ .

[٦] أيمن فؤاد : المرجع نفسه ، ص ٦٤ ، ٦٥.

الشيخ أبى إسحاق ، "ومتى نقل ناقل عن غيرها قل أن يستجاد نقله أو يستكمل عقله" [١].

وبالإضافة إلى كتاب المهذب اعتمد الفقهاء أيضا على كتاب "العدة فى الفقه" للفقيه أبى عبد الله الحسين بن على الطبرى[٢] (ت٤٩٥هـ / ١١٠٢م) وعلى كتاب "المعتمد فى الخلاف" للفقيه أبى نصر البندنيجي (ت٤٩٥هـ / ١١٠٢م) [٣] كما اعتمدوا أيضا على كتاب "الإرشاد فى أصول الفقه" للفقيه محمد بن عبدويه (ت ٥٢٥ هـ /١١٣٠م) [٤] .

كما أسهم علماء اليمن بالعديد من التصانيف فى مجال الفقه وأصوله شكلت مع سابقاتها مادة هامة انتفع بها العلماء وطلاب العلم كان من أبرزها كتاب "شرح مختصر المزنى" للفقيه أبى الفتح يحيى بن عيسى بن ملامس [٥] ، وكتاب "كفاية المبتدئ" فى الفرائض للفقيه محمد بن يحيى بن سراقة العامرى (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م) [٦] ، وكتاب "الجامع فى الخلاف" للفقيه جعفر بن عبد الرحيم المحابى (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧م) [٧] ، ثم كتاب "الكافى" فى الفرائض للفقيه إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصدرفي (ت ٥٠٠ هـ /١١٠٦م) والذى عول عليه الفقهاء كثيرا فى مجال المواريث واستغنوا به عن ما سبقه من كتب فى هذا المجال[٨] .

وفى المائة السادسة للهجرة برز مؤلف الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٨.

[٢] أبو عبد الله الطبرى : حسين بن على الشيبانى الطبرى ، كان إماماً كبيراً ، أشعرى العقيدة ، من كبار أصحاب الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، درس بالنضامية وجاور مكة وصار له بها أعقاب وأولاد ، توفى عام ٤٩٥هـ (السبكى : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٤٩).

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٧٤ ، ٢٨٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٩.

[٤] ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٤٦ ، ١٥٤ .

[٥] ابن سمرة ، المصدر نفسه ، ص ٩١ ؛ الزركلى ، الأعلام ، جـ٩ ، ص٢٠٢ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ ١٣ ، ص٢١٨ .

[٦] ابن سمرة ، المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

[٧] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٥ .

[٨] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص٤١٠ ، ٤١١ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، جـ ٣ ، ص١٦٧ ، ١٦٨ .

والمعروف بـــ "البيان" فى الفقه الشافعى ، والذى يعد من أهم مصنفات الشافعية وأوسعها ، كان الإمام العمرانى قد فرغ منه عام ٥٣٣ هـــ /١١٣٨م ، فكان هذا الكتاب مع كتـــب الإمام الشيرازى أهم المواد الفقهية التى اعتمد عليها الطلاب فى هذه المرحلة[١] .

أما فيما يتعلق بطلاب المذهب الإسماعيلى فكان اعتمادهم على كتـــب فقهيـــة تتعلـــق بالمذهب الإسماعيلى ويأتى فى مقدمة تلك الكتب كتاب "دعائم الإسلام فى ذكـــر الحـــلال والحرام والقضايا والأحكام" للقاضى أبي حنيفة النعمان بن حيون (ت ٣٦٣ هـــ / ٩٧٣م) والذى يعد أهم التصانيف فى مجال الفقه الإسماعيلى وكان النعمان قد أردف ذلك الكتـــاب بكتب أخرى فيها شرح وتوضيح لبعض المسائل الواردة فى كتاب الدعائم ، ومنها كتـــاب "الينبوع" وكتاب "مختصر الآثار" وكتاب "الإخبار" وبالإضافة إلى ذلك صـــنف النعمـــان كتبا فقهية أخرى مثل كتاب "الإقتصار" وكتاب "الإيضاح"[٢] ، غير أن كتابه الأول "دعائم الإسلام" كان أهم مؤلفاته التى اعتمد عليها الدعاة فى اليمن فى دراستهم للفقه الإسماعيلى ، وليس أدل على أهمية ذلك الكتاب من رسالة الخليفة الحاكم بـــأمر الله (ت ٤١١ هـــــ / ١٠٢٠م) إلى القائم بأمر الدعوة فى اليمن ، الداعى هارون بن محمد (تـــوفى فـــى عهـــد الحاكم) عندما قال له "ويكن فتواك فى الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون مـــا سواه من الكتب المفتعلة" [٣] .

رابعا : علوم اللغة والنحو :

اعتمد الطلاب فى دراستهم لعلوم اللغة العربية ونحوها على العديد من المؤلفات سواء ما ألفها علماء اللغة فى حواضر العالم الإسلامى أو تلـــك التـــى أنتجهـــا علمـــاء الـــيمن اللغويون.

ومن الكتب التى تداولها الطلاب لغير علماء اليمن فى هذا المجـــال كتـــاب "غريـــب الحديث" فى اللغة لأبى عبيد القاسم بن سلام[٤] (ت ٢٢٤هـــ /٨٢٩م) ، وفى مجال الأدب

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧٧ ، ١٧٨ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ ؛ هايتزهالم : الفاطميون ، ص٧٩ .

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، جـــ٧ ، ص٣٠٢ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٥٤ ، ٢٥٥ .

[٤] القاسم بن سلام : هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان إماماً فى القراءات حافظـــاً للحديث،صـــنف فى= =فنون الفقه والقراءات ويقال أنه أول من صنف فى غريب الحديث ومن مؤلفاتـــه "غريـــب الحـــديث" ،

كتاب "مقامات الحريرى"[١] ، أما فى علم النحو فكان هناك "الكتاب" لسيبويه[٢] (ت١٨٠هـ /٧٩٦م) [٣] ، ، وكتاب "الجمل"[٤] للزجاجى[٥] (ت ٣٣٨هـ /٩٤٩م) ، وكتاب "الكافى"[٦] للصفار[٧]،وكتاب"مختصر العين" للخوافى[٨] (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

أما المؤلفات اليمنية التى كانت متداولة فى هذا المجال فكان أبرزها كتاب "نظام الغريب" فى اللغة لأبى محمد عيسى بن إبراهيم الربعى (ت ٤٨٠هـ /١٠٨٧م) ويعد

''الامتثال'' و''معانى الشعر'' و''المقصور والممدود'' ، ''أدب القاضى'' وغيرها ، قدم بغداد فأخذ عنه الناس ثم حج إلى مكة وتوفى فيها عام ٢٢٤هـ / ٨٢٩ م (ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على ، الطبعة الأولى ، دار صادر، بيروت ، ١٣٥٨هـ ، ج١١ ، ص ٩٥ ــ ٩٧ ؛ ابن العماد الحنبلى : عبد الحى بن أحمد بن محمد : شذرات الذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٠٦ هـ، ج٢ ، ص ٥٤).

[١] ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٥ .

[٢] الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ص٣٠٩ .

[٣] سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه ، أحد أبرز تلاميذ الخليل بن أحمد ومن أئمة النحو ، ويعد كتابه فى النحو من أهم ما ألف فيه ، توفى فى خراسان عام ١٨٠هـ / ٧٩٦ م ، وعمره ٣٢ سنة (البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١٢ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ؛ ابن الجوزى : المصدر نفسه ، ج٩، ص ٥٣ ــ ٥٦؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧).

[٤] ابن سمرة : المصدر والصفحة .

[٥] الزجاجى : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندى النحوى ، أخذ عن ابن اسحاق الزجاج ، وابن دريد والأخفش وغيرهم ، جاور بمكة وبها صنف كتاب ''الجمل'' اشتغل ببغداد ثم بحلب ودمشق ، له العديد من المؤلفات منها كتاب ''الإفصاح فى النحو'' و''شرح خطبة أدب الكاتب '' و ''الكافى فى النحو'' ، وغيرها ، توفى فى طبرية عام ٣٣٨هـ /٩٤٩ م وقيل بعد ذلك (السمعانى : الأنساب ، ج٣ ، ص ١٤٠ ؛ الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ج٢ ، ص ٢٦٠ ؛ الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج١٨ ، ص ٦٧ ؛ ابن العماد الحنبلى : المصدر والجزء ، ص ٣٥٧).

[٦] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩١ .

[٧] الصفار : سبق التعريف به .

[٨] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٨ ؛ الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٦٣ .

كتابه من أشهر المؤلفات اليمنية فى هذا المجال[١] ، فكان من لا يقرأه ويكرر القراءة فيه فلا يعد لغويا عند أهل اليمن[٢] .

أما فى علم النحو فكان من أهم المؤلفات اليمنية المتداولة كتاب "المختصر" لأبى محمد الحسن بن أبى عباد ، وكتاب "المختصر" لإبراهيم بن أبى عباد ، وكان الحسن وابن أخيه إبراهيم إمامي النحاة فى اليمن فى عصرهما[٣] ، إلا أن إقبال الفقهاء وطلاب العلم على مختصر الحسن كان أكثر من إقبالهم على مختصر ابن أخيه وذلك لسهولة ألفاظه واقتراب عباراته[٤] .

خامسا : علم الكلام :

تداول الطلاب ــ السنّة ــ فى هذه المرحلة مجموعة من المؤلفات الهامة فى علم الكلام من أبرزها "التبصرة" لأبى الفتوح ، أخذها كل من الفقيه زيد اليفاعى (ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م) والفقيه زيد بن الحسن الفائشى (ت ٥٢٨هـ /١١٣٣م) عند زيارتهم لمكة ، حيث أخذاها عن الفقيه أبو نصر البندنيجى ، ثم قام كلاهما بتدريسها لطلابه بعد عودتها إلى اليمن ، وكان ممن أخذ عنها الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى[٥] .

ومن الكتب المتداولة أيضا كتاب "الحروف السبعة فى الرد على المعتزلة وغيرهم من

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ؛ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ ٤ ، ص٥١٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٩ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ٢ ، ص٤٦١.

[٢] الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٨٥ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق٤١ ؛ الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، جـ١ ، ص٤٩٨ .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٨ (يرجح الشامى أن وفاة الحسن كانت عام ٤٤٠هـ أو بعدها ــ ١٠٤٨م) كما يذكر أن وفاة إبراهيم كانت حوالى ٤٦٠هـ ــ ١٠٦٧م ، فى حين يذهب الدجيلى إلى أنها كانت عام ٥٥٣هـ ــ ١١٥٨م (الشامى ، المرجع والجزء، ص٥٠٥ ، ٥٠٦ ؛ الدجيلى ، الحياة الفكرية ، ص١٦٤) .

[٤] الجندى : المصدر ، الجزء والصفحة .

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٧ ؛ بامخرمة ، المصدر والجزء ، ص٢٠٥ .

أهل الضلال والبدعة" للفقيه الحسين بن جعفر المراغى[١] ، وكتاب "الإنتصار فى الرد على القدرية الأشرار" للإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى[٢] .

أما فيما يتعلق بطلاب المذهب الإسماعيلى فكان اعتمادهم فى هذا المجال على مؤلفات دعاتهم وفلاسفتهم الإسماعيليين ومنها : مصنفات الداعى جعفر بن منصور اليمن، ومنها كتاب "العالم والغلام" ، وكتاب "الشواهد والبيان" وكتاب "الفترات والقرانات"[٣] ومنها أيضا مصنفات الداعى أحمد الكرمانى[٤] (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م) ويأتى فى مقدمتها من حيث الأهمية كتاب "راحة العقل" الذى استند عليه علماء الدعوة اليمنية فى أبحاثهم عن مسائل علم الحقائق استنادهم على كتاب "دعائم الإسلام" للقاضى النعمان فى المسائل الفقهية ، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى للكرمانى منها كتاب "الوضية" وكتاب "المصابيح" وكتاب "تنبيه الهادى والمستهدى"[٥] ، وبالإضافة إلى ما سبق كان هناك أيضا "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" التى شكلت مع سابقاتها أساسا فكريا اعتمد عليه طلاب المذهب الإسماعيلى فى دراساتهم وأبحاثهم[٦] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك نوعين من أنظمة التعليم كان معمولاً بهما فى الإقليم، سار عليهما المدرسون والطلاب هما : نظام الحلقة ، ونظام المجالس . وفيما يلى

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٨٣ ؛ حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ١ ، ٤٣٤ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، جـ٣ ، ص٣١٨ ؛ البغدادى : إسماعيل باشا : هدية العارفين . اسماء المؤلفين وآثار المصفين ، طبعة وكالة المعارف ، استنابول ، ١٩٥١، جـ١ ، ص٣٠٦.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٣] الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٥٦ ، الأعظمى: محمد حسن : عبقرية الفاطميين ، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين ، دار الحياة ، بيروت ، (د.ت) ، ص١٢٢.

[٤] أحمد الكرمانى : هو أحمد بن عبد الله الملقب بحميد الدين الكرمانى ، فيلسوف إسماعيلى ، ومن دعاة الإسماعيلية فى عهد الحاكم الفاطمى ، لقب بحجة العراقيين (فارس والعراق) استدعى إلى مصر بعد اشتداد الفتن الدينية فيها وجعله الحاكم رئيساً لدار الحكمة ، ترك الكرمانى العديد من الأعمال الفلسفية أهمها كتابه ''راحة العقل'' توفى عام ٤١١ هـ (مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص ٩٩ ــ١٠٢) .

[٥] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ؛ الأعظمى ، المرجع نفسه ، ص١٢٣ .

[٦] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٦١ .

سنتناول الحديث عن هذه النظامين .

١ ــ نظام الحلقة :

لم يكن هذا النظام مستحدثا وإنما كان معمولا به فى جميع البلاد الإسلامية[١] ، وهو تقليد تعليمى توارثته الأجيال منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا لم يكن هناك بديل عن هذا النظام فى عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس أو انتقل التعليم إلى أماكن بعيدة عن المسجد[٢] وقد أصبح هذا النظام فيما بعد قواما للحياة المدرسية والفكرية فى العالم الإسلامى[٣] .

ويقصد بنظام الحلقة أن يتحلق الطلاب أمام شيخهم ، بحيث يكون الشيخ مكملا لتلك الحلقة ، ومستندا فى العادة إلى عمود من أعمدة المسجد أو إلى أحد جدرانه[٤] ، ولم تكن تلك الحلقات متساوية من حيث عدد طلابها ، كما أنها لم تكن متماثلة فى نوعية العلم المدروس ، وكانت حلقة الشيخ تزيد أو تقل وفقا لعدة معايير لعل من أبرزها شهرة الشيخ وتسامحه فى قبول طلابه[٥] .

وفيما يلى أمثلة لبعض الحلقات العلمية التى كانت تعقد فى الإقليم ، ففى سهفنة كانت تقام حلقة الإمام عبد الله بن يحيى الصعبى (ت ٥٥٣هـ / ١١٥٨م) والذى وصفه العمرانى بشيخ الشيوخ ، وكان له تصانيف حسنة أخذها عنه طلابه منها "التعريف" و"احتراز المهذب" فى الفقه وتفقه على يديه الكثير من طلاب الإقليم من خلال الحلقات

---

[١] منير الدين : تاريخ التعليم عند المسلمين ، ص٥٤ .

[٢] خطاب عطية : تاريخ التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب (تاريخ) ، ١٩٤٦م ، ص١٢٢ .

[٣] صلاح السيد عبده : تطور المدارس فى العالم الإسلامى منذ نشأتها حتى الفتح العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠م ، ص٢١٧ .

[٤] الشجاع : الحياة العلمية ، ص١٠٦ .

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٢٠ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٠٨ ؛ الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص٢٢٢ .

العلمية التى كان يقيمها[١] .

وفى الملحمة كانت تقام حلقة الفقيه يحيى بن محمد بن عمر السكسكى (ت ٥٢٨هـ / ١١٣٣م) أخذ الفقه عن ابن عبدويه وكان فقيها حافظا انتفع بحلقاته كثير من الطلاب[٢].

وفى الجعامى فى أحاظة كانت تقام حلقة الإمام زيد بن الحسن الفايشى (ت ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) حيث أخذ عنه العلم كثير من الطلاب كان من أبرزهم الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى[٣] .

وفى الدمنة شرقى ذى أشرق كانت تقام حلقة الفقيه الزاهد مقبل بن محمد بن زهير الهمدانى (ت بعد ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) الذى تفقه فى بداية أمره على يد الإمام أبى بكر المحابى ، ثم أصبح فقيها مدرسا فى الدمنة أخذ عنه كثير من الطلاب[٤] .

وفى كل من سير وذى أشرق وذى السفال ، كانت تعقد حلقات الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى (ت ٥٥٨هـ/١١٦٢م) صاحب كتاب البيان الذائع الصيت ، وكان من جملة من أخذ عنه ولده طاهر بن يحيى (ت ٥٧٦هـ /١١٨٠م) الذى حل محل أبيه الإمام بعد موته فى حلقة درسه[٥] .

أما خارج الإقليم فكان من أبرز الحلقات العلمية التى حرص طلاب الإقليم على حضورها :

أ ــ حلقة الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى (ت ٥١٤هـ ــ ١١٢٠م) الذى كان من أبرز علماء اليمن فى عصره ، وكانت حلقاته العلمية تقام فى جامع الجند ، وإليه ارتحل كثير من طلاب الإقليم[٦] .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦١ ، ١٦٢ .

[٢] ابن سمرة ، المصدر نفسه ، ص١٦٩ .

[٣] الجندى : السلوك ، جـ ١ ، ص٢٨٦ ؛ الأهدل ، تحفة الزمن ، ص٢٣١ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٥ ، ٢٧٦ .

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه، ص١٧٩ ، ١٨٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ٢ ، ص٦٢٣ ، ٦٢٦ ، ٦٧٤ .

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١١٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٦٣ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٤٩٤ ، ٤٩٥ .

ب ــ حلقة الإمام أبى عبد الله محمد بن عبدويه المهروبانى (ت٥٢٥هـ ـــ ١١٣٠م) وكانت تقام فى جزيرة كمران ، فقصده الطلاب من مناطق سهفنة والملحمة والمشيرق وذى أشرق ووحاظة وغيرها من المناطق[١] وكان من أبرز طلابه الإمام زيد بن الحسن الفائشى[٢] .

٢ ــ نظام المجالس :

وهو نظام تعليمى آخر كان معمولا به فى تلك الفترة فى بلاد اليمن وغيرها من بلاد العالم الإسلامى ، وكان هذا النظام يختلف عن سابقه فى مكان انعقاده ، إذ لم يكن ينحصر فى المسجد وإنما كان بالإمكان عقده فى منازل العلماء أو فى دور الوجهاء وقصور الأمراء ، كما أن العلم الذى يدرس فيه لا يقتصر على العلوم الدينية وحدها وإنما كان يتعداها إلى دراسة الأدب والشعر ونحوه من المجالات الأدبية وغيرها وهو ما لم يقتصر تعلمه على المسلمين دون غيرهم ، ولذا كان يتوجب البحث عن مكان ملائم لعقد تلك المجالس لا سيما إذا شارك فى حضورها غير المسلمين[٣] فضلا عما قد يصاحب بعض تلك المجالس وخصوصا مجالس المناظرة من التعصب واحتدام النقاش مما يؤذى مشاعر المصلين ويذهب بوقار المسجد وسكينته .

وفى فترة الدراسة ظهرت فى الإقليم أنواع عدة من المجالس العلمية منها مجالس كان يعقدها الفقهاء ، وأخرى كان يعقدها أهل الحديث وثالثة للمناظرة وهناك أيضا مجالس الحكمة التى كان يعقدها أتباع المذهب الإسماعيلى ، ومن أبرز تلك المجالس :

أ ــ مجالس الفقهاء :

وهى مجالس كان يعقدها الفقهاء لتدارس العلوم الدينية المختلفة ، وكانت تدار من قبل كبار الفقهاء ، وربما انضم لها عدد من طلاب العلم وعامة الناس للإستفادة منها[٤] .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٤٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .

[٢] الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٢٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ٢ ، ص٥٤١ .

[٣] منير الدين : تاريخ التعليم ، ص٥٥ ، ٦٠ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص١١١ .

[٤] السروري : الحياة السياسية ، ص٦١٧ .

ومن الأمثلة على المجالس التى كان يعقدها الفقهاء المجلس الذى كان يعقده الفقيه مقبل بن محمد بن زهير الهمدانى فى دمنة نخلان ، الأمر الذى أثار إعجاب شيخه أبى بكر بن جعفر عندما رأى الفقيه مقبل وحوله أصحابه يقرءون عليه فقال له مادحا : "نعم إنك مقبل" [١] .

ومنها أيضا مجلس الفقه الذى كان يعقده الإمام زيد اليفاعى فى الجند بعد عودته من مكة عام ٥١٢هـ/١١١٨م ويحضره عشرات الفقهاء من مناطق الإقليم وغيره ، حيث كانوا يتدارسون الفقه من خلال أمهات الكتب الفقهية المنتشرة فى ذلك الوقت[٢] .

ب ــ مجالس الحديث :

وهى المجالس العلمية التى يكون الحديث الشريف مادتها الأساسية ، حيث يتدارس الطلاب كتب الحديث المعروفة مثل صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وسنن أبى قرة وغيرها من كتب الحديث ، وغالبا ما كان يطلق على مجالس الحديث "مجالس السماع"[٣].

وكانت تعقد فى تلك الفترة العديد من مجالس السماع تلك فى مدن وقرى الإقليم ، ولم يكن حضورها قاصرا على طلاب العلم فقط وإنما كان كبار الفقهاء يحرصون على حضورها لا سيما إذا كان المحدث ذا علم ومعرفة فى هذا المجال .

ومن الأمثلة على تلك المجالس ، مجلس لسماع صحيح البخارى ، كان يعقده الفقيه أسعد بن خير بن يحيى بن ملامس فى علقان سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م[٤] ، ومجلس آخر عقده بعد ذلك فى عام ٥٠٠ هـ /١١٠٦م ، وكان ممن سمع عنه ، ابنه محمد والفقيه محمد بن عبد الله البريهى والد سيف السنة[٥] .

ومنها مجالس السماع التى كان يعقدها الشيخ الحافظ أبو الحسن على بن أبى بكر

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٥ ؛ الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٧٥ ، ٢٧٦ .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٢ .

[٣] السرورى : الحياة السياسية ، ٦١٨ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٧ ، ٢٧٨ .

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٤٧ .

العرشانى (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م) حيث عقد هذا الشيخ عددا من مجالس السماع منها : مجلس لسماع الحديث فى مدينة إب عام ٥٤٨هـ /١١٥٣م ، وكان من أبرز من سمع عنه فيه الإمام سيف السنة البريهى[١] ، ومجلس آخر عقده فى ذى أشرق لسماع صحيح البخارى وسنن أبى داود عام ٥٥٥هـ/ ١١٥٩م ، وكان ممن أخذ عنه الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى وولده طاهر بن يحيى مع جملة من الفقهاء[٢] ، كما كان لهذا الشيخ مجالس أخرى كان يعقدها فى بلدته عرشان والجند وعدن ، وكان أهل الحديث فى اليمن يحرصون على الأخذ عنه رغبة فى علمه ودينه وعلو إسناده[٣] .

كما كان الطلاب يحرصون على حضور مجالس السماع خارج الإقليم ومنها : مجلس السماع الذى كان يعقده الإمام الحافظ أبو الوليد عبد الملك بن محمد بن أبى ميسرة اليافعى (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) فى مسجد الجند عام ٤٧٦هـ /١٠٨٣م حيث أخذ عنه طلابه سنن أبى قرة[٤] .

ج ــ مجالس المناظرة :

وهى مجالس علمية كانت تعقد بين طرفين متنازعين فى قضية من القضايا سواء كانت فقهية أو فلسفية أو نحوها ، أو كان الطرفان من مذهب واحد أم من مذهبين مختلفين ، وكان يتولى الإشراف على تلك المجالس شخص مرغوب فيه من كلا الطرفين ، كما كان على الطرفين المتناظرين الالتزام بقواعد معينة وعدم الخروج عن إطار اللياقة والآداب أثناء النقاش[٥] .

ولم يكن لتلك المجالس أزمنة محددة لعقدها ، وإنما كانت تتم أحيانا بمحض الصدفة ، ومن ذلك على سبيل المثال المناظرة التى أقيمت بين الفقيه السنى على بن عبد الله بن

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧١ ، ١٧٢ ؛ الجندى : السلوك، ج١ ، ص ٣٠٣ (يذكر الجندى أن عقد هذا المجلس كان عام ٥٤٥هـ ــ ١١٥٠م) .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧١ ، ١٨١ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ، ص٢٤٢ ؛ عبد الله قاسم الوشلى: علم الحديث فى اليمن ، ط١ ، أوان للخدمات الإعلامية ، صنعاء ، ١٩٩٨م ، ص١١٤ .

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٠٤ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٨ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٢٣ .

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ المختار : الحياة العلمية ، ص١٨٥ .

عيسى الهرمى (ت ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) والفقيه الزيدى جعفر بن عبد السلام (٥٧٣هـ / ١١٧٧م) وذلك فى حصن شواحط من عام ٥٥٤هـ/١١٥٨م ، والتى كانت نتيجتها ـــ حسبما تذكر المصادر ـ فوز الفقه الهرمى على الفقيه جعفر بن عبد السلام[١] ومنها أيضا المناظرة التى أقيمت فى مكة بين الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى ـ حنبلى ـــ مع الإمام الشريف محمد بن أحمد العثمانى ـ أشعرى ـ وذلك فى عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م ، حيث تذكر المصادر أن الفوز فيها كان حليف الإمام العمرانى[٢] .

ومما لا شك فيه أن طلاب هذه المرحلة كانوا ينتفعون بما يدور فى مجالس المناظرات فى فهم ما يشكل عليهم من أمور أو فى دعم ما يعتقدونه من وجهة نظر ، لا سيما عندما يكون المتناظران على درجة رفيعة من العلم والمعرفة ، لذلك كان الطلاب يسارعون فى حضور تلك المجالس وتدوين تفاصيلها .

ويذكر الجندى أن من كان يفوته حضور تلك المناظرات كان بمقدوره نقلها ممن حضر أو باستملائها من صاحبها متى ما وجد سبيلا إلى ذلك[٣] .

وعلى الرغم من أهمية هذه المجالس فى العملية التعليمية إلا أن بعض العلماء كانوا لا يحبذون الدخول فى أية مناظرة لاعتقادهم بأنها تؤدى بالمتناظرين إلى التلاعب بالحقائق والخروج عن جادة الصواب من أجل إحراز نصر لطرف دون آخر ، فى حين يرى البعض الآخر إمكانية استخدام نظام المناظرات فى العملية التعليمية شريطة الإلتزام بقواعدها وآدابها تحقيقا للفائدة المرجوة منها[٤] .

دـ مجالس الحكمة :

وهى مجالس علمية كان يعقدها أتباع المذهب الإسماعيلى ، وفيها كان المستجيبون من الأتباع يتلقون دروس التأويل الباطنى على يد كبير الدعاة أو من كان يعرف بـ "حجة الجزيرة" وكانت تلك المجالس تعقد داخل القصر حيث كان من السهل ضبط دخول

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٣٤٧ ، ٣٤٨ .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٦ ، ١٧٧ .

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٨ .

[٤] منير الدين : تاريخ التعليم ، ص٥٧ ، ٥٨ .

المشاركين وضمان السرية لها[١] .

ولم تكن تلك التأويلات الباطنية من اجتهادات الدعاة ، وإنما كان مصدرها الإمام الفاطمى نفسه ، وذلك لأن الإسماعيليين يرون فى إمامهم أنه مستودع الحكمة ومصدرها الوحيد الذى يؤخذ عنه العلم ، أما الداعى فلا يزيد عن كونه ناطقا باسم الإمام[٢] .

ومن مجالس الحكمة ما كان يعقده الملك على بن محمد الصليحى (ت ٤٥٩هـ ـــ ١٠٦٧م) فى حصن مسار عند بداية تأسيس دولته ، حيث كان يجتمع بأتباع الدعوة على اعتبار أنه حجة الجزيرة اليمنية ، وفى ذلك يقول إدريس "وكان جماعة من المؤمنين يحضرون حضرته ويقرأ عليهم من علوم أوليائه" [٣] .

ومنها أيضا مجالس السيدة الحرة التى تدرجت فى مراتب الدعوة حتى صارت فى مقامات الحجج ، فكان الدعاة يأخذون عنها علوم مذهبهم ويرجعون إليها فيما يشكل عليهم من أمور عقيدتهم[٤] .

ومما لا شك فيه أن تلك المجالس كان لها تأثير كبير فى عقلية أتباع المذهب الإسماعيلى ، فكان ما يأتى به الحجة حقيقة مسلمة لا جدال فيها عند الأتباع ، على اعتبار أن ما يأتى به من تأويل مصدره الإمام الفاطمى المعصوم ــ فى نظرهم ــ من الزلل ، وعليه فلم يكن لهم من دور سوى أن يتلقنوا ما يأتى به الحجة دون أن يكون لهم أى مجال فى إعمال الفكر فيما يتلقون من علوم .

وبالإضافة إلى المجالس العلمية السابقة ، كان هناك مجالس تسمى مجالس المذاكرة ، وكان يتم فيها مذاكرة الفقه أو ذكر الله تعالى ، وكان عقد تلك المجالس على الأرجح فيما بين صلاتى المغرب والعشاء ، وربما استمرت إلى ما بعد ذلك[٥] .

طرق التدريس :

---

[١] هايتزهالم: الفاطميون ، ص٤٩ ؛ فرهارد دفترى : الإسماعيليون ، ص١٠٩.

[٢] هايتزهالم : المرجع نفسه ، ص٥٠ .

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، جـ ٧ ، ص١٧ .

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ .

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥١ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٦١٩ .

سلك الأساتذة والطلاب فى هذه المرحلة عددا من الطرق التدريسية التى كان لها أثـر كبير فى التحصيل العلمى للطلاب خلال مشوارهم العلمى ، وهذه الطرق هى عينها التـى سار عليها الطلاب فى كثير من البلاد الإسلامية الأخرى ، وقد تنوعت هذه الطرق بـين سماع وقراءة وإجازة :

١ ــ طريقة السماع :

ويقصد بها أن يسمع الطالب ما يردده شيخه سواء اعتمد ذلك الشيخ علـى حفظـه أو قرأ من كتابه ، وتعد هذه الطريقة أرفع الطرق عند الجمهور[١] .

وتعد هذه الطريقة أول الطرق التعليمية المستخدمة سواء كانت فى مرحلة الكتـاب أو فى هذه المرحلة ، فكان على الطالب أن يبدأ بسماع قراءة أستاذه وذلك لضمان ألا يلتـبس اللفظ عليه ، وحتى يستقيم فهمه لمعانى الألفاظ كان يتوجب عليه أن يعيد ما سمعه علـى أستاذه مرة أخرى[٢] .

وكانت طريقة السماع مرتبطة بدرجة أساسية بعلم الحديث والأمثلة على ذلك كثيـرة منها سماع أبو عبد الله محمد بن عبد الله البريهى لكتاب "صحيح البخارى" علـى الفقيـه أسعد بن خير عام (٥٠٠هـ /١١٠٦م)[٣] ، كما سمع الأخوان محمد وعلى عـن أبيهمـا الفقيه أسعد بن خير لصحيح البخارى أيضا[٤] .

ومنها سماع الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى مع جماعة من الفقهاء مـن الـشيخ الحافظ أبى بكر العرشانى لكتاب "صحيح البخارى" وكتاب "سنن أبى داوود" وكذلك فـى عام (٥٥٥هـ /١١٥٩م) فى ذى أشرق[٥] .

ونظرا لذلك الإرتباط بين السماع وعلم الحديث فقد صار من لديه إجازة فى الـسماع

---

[١] ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحـديث ، منـشورات دار الحكمة ، دمشق ، (د.ت) ، ص٢٤٥.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٤ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٦٢٠ .

[٣] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٢ .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧١ .

[٥] ابن سمرة : المصدر والصفحة .

فإن ذلك معناه إجازة فى علم الحديث[١] ، ومع ذلك فإن السماع لم يكن مقصوراً على سماع الحديث ، وإن كان الغالب كذلك ، فقد ظهرت مسموعات فى بقية أنواع العلوم الأخرى[٢] ، ومنها على سبيل المثال ، سماع الفقيهين عبد الله بن أحمد الهمدانى وعبد الله بن يحيى الصعبى من الإمام ابن عبدويه المهروبانى فى جزيرة كمران لكتاب "المهذب" فى الفقه للشيرازى ، وسماع الإمام العمرانى لكتاب "المنهاج" فى الفقه لأبى الطيب الطبرى بقراءة القاضى أبى بكر بن محمد اليفاعى والفقيه أبى حامد بن أبى بكر ، كما سمع أيضا لكتاب "تعليق الخلاف" للشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، بقراءة الفقيهين عبد الله بن أحمد الهمدانى ، وعبد الله بن أحمد الصعبى ، بالإضافة إلى سماعه لكتاب "النكت" للشيرازى ، ويبدو أنه عاد مرة أخرى ليسمعها بدوره للإمام زيد اليفاعى بعد عودة الأخير من مكة إلى الجند عام (٥١٢هـ ـ ١١١٨م) ، كما كان الإمام يحيى العمرانى يسمع لطلابه كتاب التبصرة فى أصول الدين فكان يعلمها لمن يطلبها[٣] .

ويرتبط بطريقة السماع طريقة الإملاء التى تعد أرفع أنواع السماع[٤] ، وكان كثير من علماء الحديث يعولون على هذه الطريقة[٥] ، ويرون فيها أفضل الأساليب التعليمية[٦] ، وجاراهم فى ذلك اللغويون والمتكلمون فى القرن الثالث الهجرى ، أما فى القرن الرابع الهجرى فقد ترك اللغويون هذه الطريقة واعتمدوا على تدريس كتاب يقرأ منه أحد الطلبة ويقوم المدرس بعملية الشرح ، فى حين استمر رجالات الحديث فى الأخذ بهذه الطريقة إلى ما بعد القرن الرابع الهجرى[٧] .

وتكمن أهمية الإملاء فى أنها تسهل على الطالب العودة إلى المعلومات التى دونها فى

---

[١] السرورى : الحياة السياسية ، ص٦٢٠ .

[٢] الشجاع : الحياة العلمية ، ص١١٦ ، ١١٧ .

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ .

[٤] السمعانى : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد : أدب الإملاء والإستملاء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمي، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١٠ ؛ الشجاع : المرجع نفسه ، ص١١٨ .

[٥] الشجاع : المرجع والصفحة .

[٦] منير الدين : تاريخ التعليم ، ص٦٣ .

[٧] الشجاع : المرجع والصفحة .

حلقة الشيخ متى ما أراد ذلك ، كما أنها كانت حلا عمليا لمشكلة نقص الكتب الدراسية فى عصر لم يكن قد عرف بعد طباعة الكتب ، كما أن اقتناء الكتب المنسوخة ــ على قلتهـا ــ كان أمرا غير يسير إلا على القادرين من الناس .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التاريخية المتاحة لم تفصل الحديث حول مجالس الإملاء ــ بحسب إطلاع الباحث ــ التى كانت تعقد فى الإقليم ولعل السبب فى ذلك راجع إلى أن الفقهاء كانوا يفضلون الإملاء أثناء التدريس ، ولم يفردوا له أياما محددة كما هـو الحال فى بعض المدن الإسلامية الأخرى[١] .

٢ ــ طريقة القراءة :

وتأتى فى المرتبة الثانية بعد السماع من حيث الأهمية ، كما يذهب إلى ذلك جمهـور أهل المشرق ويسميها أكثر المحدثين "عرضا" على اعتبار أن القارئ يعرض على الـشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرئ[٢] .

وفى هذه الطريقة يقوم الطالب بالقراءة على شيخه سواء من حفظه أو مـن كتـاب ، وقد يعتمد الشيخ فى مراجعة ما يقرؤه تلميذه على حفظه وإن لم تسعفه ذاكرته عادة إلـى الكتاب المقروء ، ويقوم الشيخ بملاحظة ما يقرؤه الطالب وتصحيح أغلاطه ، ومـن ثـم يقره على ما قرأ[٣] .

وكانت هذه الطريقة منتشرة فى الإقليم والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها :

أ ــ قرأ الإمام زيد اليافعى على صهره الشيخ إسحاق بن يوسف الـصردفى الفـرائض والمواريث والحساب ، ثم قرأ على الإمام أبى بكر بن جعفر كتاب "الفروع" للـرازى ، وفى مكة قرأ على الطبرى كتابه "العدة" كما قرأ على البندنيحى كتابه "المعتمد فـى

---

[١] كان بعض الشيوخ فى بغداد مثلا يخصصون يوم الجمعة للإملاء وهو ما حببه الـسمعانى أيـضا فى آدابـه (السمعانى : أدب الإملاء ، ص٤٢ ؛ منير الدين : تاريخ التعليم ، ص٦١) ، كما وضع السمعانى آدابا عامة حول مسألة الإملاء فى كتابه المذكور وللمزيد انظر الصفحات ٢٥ ــ ١٥٦ .

[٢] ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٤٨ ، ٢٥٠ .

[٣] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٢٤٨ ، ٢٥١ .

الخلاف" بالإضافة إلى كتابى "المهذب" و"التبصرة" للشيرازى[١] .

ب ــ قرأ الفقيهان عبد الله بن أحمد الزبرانى وعبد الله بن يحيى الصعبى على الإمام بن عبدويه كتابه "الإرشاد فى أصول الفقه والجدل"[٢] .

ج ــ قرأ الإمام يحيى العمرانى كتاب "الحروف السبعة" فى علم الكلام وأصول الدين للشيخ الحسين بن جعفر المراغى ، عند القاضى مسلم بن أبى بكر الصعبى فى سهفنة[٣] ، كما قرأ كتاب "النكت" فى الخلاف للشيرازى على الإمام زيد اليافعى فى الجند[٤] .

د ــ قرأ الفقيه على بن سعد كتاب "الشريعة" للآجرى على الشيخ على بن أبى بكر العرشانى وهو فى مرض موته ، وكان يغشى على الشيخ ثم يفيق فكان يأمر القارئ بإعادة ما قرأه فى حال غيبوبته ، ثم أمر ولده أحمد أن يكتب لهما السماع[٥] ، وهذا أمر ينم عن مدى إخلاص هذا العالم وأمانته ، فلم يثنه مرض موته عن الاستمرار فى أداء رسالته ، كما ينم عن حرصه الشديد فى إعطاء كل ذى حق حقه ، فهو يرى أن شهادته لطلابه أمانة يتحمل مسئوليتها أمام ربه ، لذلك كان يطلب منها إعادة ما لم يسمعه أثناء غيبوبته حتى يكون حكمه على كفاءتها منصفا قدر ما يستطيع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة قراءة إذا أتت مقرونة باسم علم من العلوم كأن يقال: قرأ المذهب ، أو قرأ التبصرة ... الخ فإن ذلك يعنى نوعية العلم المقروء ، أما إذا لم تقترن القراءة بعلم معين فإن ذلك معناه قراءة القرآن وعليه فإن من يمنح إجازة فى القراءة فقد منح إجازة فى قراءة القرآن[٦] .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٩ ، ١٢٠ .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٨ .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢٤ ، ١٧٥ .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٢ .

[٥] الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٤٨ .

[٦] السرورى : الحياة السياسية ، ص٦٢١ .

٣ ــ طريقة الإجازة :

وهى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله ، وقد عدها علماء الحديث فى المرتبة الثالثة بعد السماع والقراءة ، وأجاز الرواية بها جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم[١] .

والإجازة فى اللغة مشتقة من التجوز وهو التعدى ، وهى مأخوذة من جواز الماء الذى يسقاه المال من الماشية والحرث ، يقال : استجزت فلانا فأجازنى ، إذا أسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك[٢] . وجاز الوضع أى سلكه وسار فيه ، وأجاز له أى سوغ له[٣] . أما عند علماء الحديث فمعناها الإذن فى الراوية لفظا وكتابة[٤] .

ارتبط نظام الإجازات بعلم الحديث فى بداية الأمر ، وذلك عندما رأى علماء الحديث محاولات النيل من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتحريفها مما دعاهم إلى وضع القواعد الصارمة فى عملية ضبط الأحاديث المنسوبة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولذا فقد جاءت الإجازة للدلالة على صحة نقل الناقل من المنقول عنه[٥] ، إلا أنها لم تقتصر على علم الحديث فقط وإنما انتقلت بعد ذلك إلى سائر العلوم الأخرى[٦] .

والأصل فى الإجازة أن ينطق الشيخ بلفظها الصريح شفاهة أمام تلميذه فإن كتبها دون أن ينطق بها جازت عند جمهور المحدثين غير أنها أنقص من الإجازة المتلفظ بها[٧] ، وكان للإجازة أربعة أركان هى : المجيز والمجاز له ، والمجاز به ولفظ الإجازة[٨] ،

---

[١] ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٦٢ ، ٢٦٣ .

[٢] الفرفور : محمد عبد اللطيف : أدب الإجازات عند علماء المسلمين ، مجلة الفيصل ، الرياض ، دار الفيصل الثقافية ، العدد ٧٩ ، ١٩٨٣ ، ص٦٧ .

[٣] الرازى : مختار الصحاح ، جـ١ ، ص٤٩ .

[٤] الشجاع: الحياة العلمية ، ص١٢١ .

[٥] صلاح عبده : تطور المدارس ، ص٢٣٧ .

[٦] أيمن فؤاد سيد:الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،د.ت ، ص٤٧٥ .

[٧] محمد الفرفور : المرجع نفسه ، ص٦٨ .

[٨] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٣٣٤ ، ٣٤٥.

وتعتبر الإجازة شهادة من الشيخ لتلميذه بالرواية على لسانه فى أمر محدود أو غير محدود، وكان العلماء يستخدمون هذه الطريقة مع طلابهم ويجعلونها فى مقام الدرجة العلمية التى تمنح فى هذه الأيام ، فكان الطالب بعد أن يستكمل تعليمه ، ينال من شيخه إجازة ، قد تكون خاصة بكتاب أو موضوع ما ليجيز له تدريسه أو روايته ، وقد تكون الإجازة عامة بسائر ما قرأ عليه لتعنى الدرجة العلمية التى وصل إليها الطالب ، وكانت الإجازة من الضرورات التى لا غنى للعالم عنها ، فهى دليل على كفاءته وتخوله شغل وظيفة من الوظائف كالتدريس أو الإفتاء أو ما شابه ، وكثيرا ما كان يرحل طلاب العلم وراء الإجازات فى الأقطار الإسلامية المختلفة التى تأتيهم بعلو الإسناد أو تكسبهم شهرة من روايتهم عن شيخ مشهور[١] .

وللإجازة أنواع عدة ذكرها المحدثون[٢] سنكتفى هنا بذكر ما كان معمولا به فى الإقليم زمن الدراسة والتى تمثلت فى الأنواع الآتية :

أ ــ الإجازة فى كتاب :

وهى أن يجيز الشيخ لشخص معين كتابا يسميه له فيقول له "أجزت لك الكتاب الفلانى ، أو ما اشتملت عليه فهرستى هذه" ويعد هذا النوع أعلى أنواع الإجازة وهو جائز لدى جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم[٣] .

ومن الأمثلة على هذا النوع : إجازة الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى للفقيه أبى السعود بن خيران (ولد عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م) فى كتاب "الملخص" فى الجدل وكان هذا الفقيه قد جمع بين الفقه والقراءات[٤] .

ب ــ الإجازة لمعين فى غير معين :

ويقصد بها أن يجيز الشيخ لشخص أو لعدة أشخاص أن يرووا عنه جميع مسموعاته

---

[١] الفرفور : أدب الإجازات ، ص٦٩ .

[٢] عن أنواع الإجازات ، انظر : ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٦٢ ــ ٢٧٤ .

[٣] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٢٦٢ ، ٢٦٣ .

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٢ .

أو مروياته ، وقد جوز الرواية بها جمهور العلماء والمحدثين والفقهاء وغيرهم[١] .

ومن أمثلة هذا النوع الإجازة التى منحها الشيخ عبد الله بن عمر الوراق فى مكة للإمام سيف السنة أحمد البريهى وأولاده وجاء فيها "استخرت الله العلى العظيم وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبى العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلى أن يرووا عن مسموعاتى وإجازاتى" وكان ذلك فى شهر ذى الحجة من عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م[٢] .

ومن خلال نص الإجازة السابق يلاحظ نوع آخر من أنواع الإجازة وهو إجازة المجاز ، ومعناها أن يجيز الشيخ لشخص أو أكثر رواية ما أجيز له روايته ، وهذا النوع من الإجازات جائز عن أهل العلم[٣] .

ج ــ المكاتبة :

وهى طريقة من طرق الإجازة ، تكون بأن يكتب الشيخ إلى الطالب ، سواء كان حاظرا أم غائب ، شيئا من حديثه ، وسواء كتب ذلك الشيخ بخطه أم أسند الأمر لمن يكتب عنه[٤] ليصبح بمقدور الطالب بعد ذلك أن يروى عن شيخه ما كاتبه به .

وقد تقرن المكاتبة بالإجازة وقد لا تقرن ، وفى حال عدم اقترانها فإن ذلك لا يقلل من أهميتها إذ أن فيها إشعار قوى بمعنى الإجازة ، فهى وإن لم تقترن بلفظ الإجازة فقد تضمنتها من حيث المعنى[٥] .

ومن الأمثلة على هذا النوع الإجازات التى وصلت إلى الفقيه طاهر بن يحيى العمرانى عندما كان مقيما فى مكة ، أرسلها إليه عدد من العلماء من بلدان مختلفة ، وكان الفقيه طاهر قد برز بين أقرانه من العلماء فى مكة لا سيما بعد إقامته فيها نحوا من عامين قام خلالها بصقل معارفه وتنمية قدراته العلمية فكان يقول أنا ابن ثمانية عشر علما

---

[١] ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ، ص٢٦٥ ، ٢٦٦ .

[٢] الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٣١٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٦ ، ٢٧٦ .

[٣] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٢٧٤ .

[٤] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٢٨٦ .

[٥] ابن الصلاح : المصدر نفسه ، ص٢٨٧ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص١٢٢ .

، وقد هيأت له إقامته بمكة التواصل مع العديد من علماء المسلمين سواء المقيمين فيها أو الواردين إليها[١] .

د ــ إجازة سماع :

وهى نوع من أنواع الإجازة ، كان الطالب يتحصل عليها بعد أن يفرغ من سماع المرويات التى يلقيها الشيخ من حافظته أو يقرؤها من كتابه ، وكان أكثر إرتباط هذا النوع من الإجازات بكتب الحديث ، فكلما كثرت كتب الحديث فى مكتبة من المكتبات كثرت بها إجازات السماع[٢] وغالبا ما كان يقصد بإجازة السماع التى يتحصل عليها الطالب أنه حصل على إجازة فى الحديث[٣] .

ومن الأمثلة على هذا النوع : إجازة السماع التى حصل عليها الفقيه أسعد بن الفقيه الهيثم (ت ٤٩٨هـ / ١١٠٤م) وولداه زيد وعمرو فى كتاب صحيح البخارى من الفقيه خير بن يحيى بن ملامس ، وقد أورد الجندى صيغة تلك الإجازة فى جزء من ذلك الكتاب والتى جاءت كما يلى "سمع على هذا الجزء من صحيح البخارى الشيخ الفقيه أسعد بن الهيثم وولداه زيد وعمرو" [٤] ومنها إجازة السماع التى منحها الإمام سيف السنة أبو الحسن أحمد البريهى لعدد من الفقهاء فى كتاب "صحيح مسلم" وكتاب "الشريعة" للآجرى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م ، وبعد اكتمال سماعهم كتب الإمام سيف السنة الإجازة لجميعهم باستثناء فقيه خالفه الرأى[٥] ، ولعل فى ذلك إشارة إلى أن الإمام لم يكن ليقنع بمجرد سماع طلابه لمروياته وإنما كان يتحقق من فهمهم لما يسمعوه وعلى ضوء ذلك كان يمنح الإجازة من يستحقها .

---

[١] الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٣٣٧ .

[٢] أيمن فؤاد : الكتاب العربى المخطوط ، جـ٢ ، ص٤٧٥ .

[٣] السرورى : الحياة السياسية ، ص٦٣١ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥٠

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٠ ، ١٩١ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣١٩ ، ٣٢٠ والفقيه هو محمد بن أحمد الجماعى .

الفصل الثالث

عوامل ازدهار الحركة العلمية

١ــ الإنفاق على التعليم
٢ــ الرحلات العلمية
٣ــ وراثة العلم
٤ــ تشجيع الحكام
٥ــ الإستقرار السياسي
٦ــ العامل المذهبي

شهد إقليم جبلة فى هذه الفترة إزدهاراً علمياً ملحوظاً بدت مظاهره واضحة من خلال الحركة العلمية النشطة التى كان عليها الطلاب والمدرسين ، سواءً فى إقبال الطلاب على الدراسة وانهماكهم فى التحصيل ، أو فى مثابرة العلماء والفقهاء على التدريس والتصنيف ، فاتسعت شريحة الفقهاء والمتعلمين عن الفترة التى سبقتها ، وظهر ذلك واضحاً من خلال الأسماء الكثيرة للفقهاء التى حفلت بها كتب المؤرخين فى ذلك الوقت ، كما ظهرت العديد من التصانيف الهامة والتى اشتهر عدد منها فى كثير من بلاد الإسلام .

وقد ساعدت مجموعة من العوامل فى حدوث ذلك الازدهار سواءً ما ارتبط منها بجوانب الإنفاق على التعليم أو بالرحلات العلمية إلى المراكز الداخلية فى اليمن أو فى خارجها ، أو ما ارتبط بتوريث العلم بين ذراري الفقهاء ، أو بتشجيع الحكام للعلماء والشعراء وغيرهم ، كما كان للاستقرار السياسي وطبيعة العلاقة بين المذاهب المختلفة أثر هام فى ذلك الإزدهار .

١ـ الإنفاق على التعليم :

كان لابد لنجاح العملية التعليمية من توفر الموارد المالية الكافية التى تكفل لها النجاح والاستمرار ، وكانت هذه الموارد إما ذاتية قوامها ما يملكه الطلاب والعلماء من أراضى أو ما يمارسونه من حرف تعينهم على شئون حياتهم ، أو موارد أخرى خارجية تتمثل فى الصدقات والأوقاف والنذور.

كان إقليم ذي جبلة ــ ولا يزال ــ إقليماً متميزاً بطبيعته المناخية ، إذ تسقط عليه الأمطار بكميات مناسبة فى مواسم سقوطها[١] ، الأمر الذى أدى إلى خصوبة الأرض ووفرة المحاصيل ، وليس أدل على ذلك من الطبيعة الجميلة التى كانت عليها بلدة أحاظة فى ذلك الوقت ، فكانت كثيرة الخيرات "واسعة الأرزاق نظيرة البساتين والأسواق" [٢].

ولا شك أن تلك الطبيعة المتميزة انعكست على الأوضاع المعيشية للسكان ــ ومنهم الطلاب والعلماء ــ فكانت أحوالهم المادية طيبة إلى حد كبير ، وخير ما يصور لنا ذلك

---

[١] راجع التمهيد ، ص٢ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٥٩ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٧ .

الأمر ، ترحيب الناس واستقبالهم للسيدة الحرة ولزوجها المكرم عند نزولهما إلى الإقليم ، فلم يقع بصرهما "إلا على من يقود كبشاً أو يحمل بُراً أو سمناً أو عسلا..."[١] ، وفى ذلك إشارة إلى خصب الإقليم ونمائه وكثرة خيراته ، وكان ذلك من أهم الأسباب التى جعلت السيدة الحرة تختار هذا الإقليم ليكون قاعدة لدولتها ، إذ قالت لزوجها المكرم بأن ذلك "أقر للمملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانباً فى مصادر الأموال ومواردها" [٢].

أما بالنسبة للصدقات فقد أسهمت فى توفير المناخ الملائم لكثير من الطلاب الذين وجدوا فيها خير معين لهم فى مشوارهم التعليمى ، وظهر فى تلك الفترة عدد من العلماء المقتدرين الذين لم يقتصر عطاؤهم على تعليم الدروس ، وإنما تجاوز ذلك إلى الدعم المالى للطلاب لا سيما المنقطعين منهم ، فكانوا يوفرون لهم ما يحتاجون إليه من قوت وكسوة ، وكان من هؤلاء العلماء الإمام زيد بن عبد الله اليقاعي (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) الذى كان محباً لطلابه قائماً على حوائجهم ، فقصده الطلاب من مناطق الإقليم إلى الجند ، وكان تعداد طلابه يصل إلى ثلاثمائة طالب فى أغلب الأوقات ، فكان يتكفل بإعالتهم قوتاً وكسوة[٣].

ومنهم الإمام أبى عبد الله محمد بن عبدويه المهروبانى (ت ٥٢٥هـ /١١٣٠م) الذى كان يقيم فى جزيرة كمران ، وكان ذا سعة ، فلما شاع علمه قصده طلاب العلم ، فكان خير معين لهم ، إذ كان يقوم بحوائجهم من القوت ونحوه[٤]. ومنهم بنو عمران الذين كانوا يقومون بالإنفاق على طلبة العلم فى مصنعة[٥] سير ، فكان يجتمع معهم فيها نحواً من مئة طالب كانوا يقومون بكفايتهم من النفقة والكسوة[٦].

---

[١] الخزرجى : العسجد ، ص٦٢ ، وانظر : عمارة :المفيد ، ص١١٥ ؛ إدريس : عيون الأخيار ، ج٧ ، ص١٨٧.

[٢] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٨٦.

[٣] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٤.

[٥] مصنعة سير : مصنعة مفرد مصانع ، ويقصد بها الحصن أو القلعة التى كانت فى وادي سير فى مخلاف صهبان شمال شرق الجند (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٥٧ ، حاشية ٥).

[٦] الجندى : المصدر والجزء ، ص٤٣٠.

ومن غير العلماء كان هناك من يقوم بمديد العون للعلماء وطلاب العلم أمثال على بن أبان أحد مشايخ بنى يحي وهم بطن من يافع ، حيث كان يقوم بمساعدة الإمام عبد الله بن يحيى الصعبى (ت٥٥٣ هـ/١١٥٧م) فكان الإمام لا يحتاج معه إلى شئ[١].

أما بالنسبة للأوقاف فكانت على درجة كبيرة من الأهمية على اعتبار أنها توفر مصدراً ثابتاً للتمويل أكثر مما توفره بقية أنواع الصدقات ، لذلك كان لها عظيم الأثر فى إعاشة المحتاجين من العلماء وطلاب العلم وتشجيعاً لهم على الاستمرار فى مجال التعليم تدريساً ودراسة[٢].

وتمثلت مظاهر الوقف فى ما أسهم به الحكام والعلماء والميسورون من الناس ، فبالنسبة لإسهام الحكام فى مجال الوقف ما قامت به السيدة الحرة من وقف مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية الصالحة التى يعود ريعها على مسجدها الجامع ، وعلى مدرسة الصحيحين التى أمرت ببنائها فى ذى جبلة[٣] ، ولا تزال بعض أوقافها شاهدة على ما أسهمت به فى هذا المجال حتى اليوم .

أما إسهامات العلماء فى هذا المجال فتمثلت في إيقاف كتبهم لطلبة العلم حتى يتسنى لهم الانتفاع بها وبخاصة المعوزين منهم ، ومن هؤلاء العلماء : الإمام سيف السنة البريهى الذى أوقف أكثر من مئة كتاب فى مدينة إب وشرط فى وقفه لها على أهل السنة دون غيرهم[٤].

كما وجدت مكتبة موقوفة عامرة بالكتب فى جامع ذى أشرق استفاد منها كثير من طلبة العلم أمثال الفقيه مقبل بن زهير الهمدانى[٥].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦١ ، ١٦٣ ؛ الجندى : السلوك ، ج١، ص٢٩٠ .

[٢] عبد الملك منصور : المساجد والأوقاف ، ص٥٥.

[٣] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨١ حاشية ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٢٠٥ ، ٢٠٦ ، حسن سليمان : الملكة أروى ، ص٩٣.

[٤] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٧.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٥.

وفى قرية سهفنة وجدت الكثير من الأوقاف[١] ، كما وجدت أوقاف أخرى فى مسجد وقير عاد نفعها على الطلاب والمدرسين[٢].

وكانت النذور كذلك من مصادر التمويل ، ومع أن الإشارة إلى تلك النذور فى المصادر ليست كثيرة إلا أن ذلك لا يقلل من أهميتها ، ومن الأمثلة على ذلك ما كان يقوم به التجار وغيرهم من الزائرين فى جزيرة كمران ، حيث كانوا يقدمون نذورهم إلى الإمام ابن عبدويه ، فكان يقبلها منهم ويصرفها على المعوزين من طلابه[٣] .

كانت تلك أهم مصادر الإنفاق على التعليم فى تلك الفترة ، ويظهر واضحاً من خلال ما سبق أن الدور الرسمي الذى لعبته الدولة الصليحية فى مجال التعليم كان فى نطاق ضيق ، فى حين تحمل المجتمع معظم العبء فى دعم وتمويل العملية التعليمية ، ولذلك ظل التعليم بعيداً عن تدخل الدولة وسيطرتها[٤] ، باستثناء مدينة جبلة ، حيث كانت الدولة الصليحية ترى فيها معقلاً للمذهب الإسماعيلى ، ومن ثم كانت تقوم بالإشراف المباشر على التعليم وما يتطلب ذلك من جوانب الإنفاق عليه .

٢ـ الرحلات العلمية :

تعتبر الرحلة فى طلب العلم من أهم العوامل التى أدت إلى إزدهار الحركة العلمية فى الإقليم خلال فترة البحث ، سواءً تلك التى كان يقوم بها الطلاب أو الأساتذة بين المراكز العلمية فى اليمن أو خارجها ، وذلك للدور الهام الذى لعبته تلك الرحلات فى اكتساب المعارف وصقلها وتهذيبها ، كما كانت منفذاً هاماً نتج عنه تلاقح فكرى وحضارى بين اليمن وبقية بلدان العالم الإسلامي .

فالرحلة فى طلب العلم طريقة هامة من طرق التحصيل سار عليها عموم المسلمين وكانوا يعتبرونها عنوان الصدق وعلامة الإخلاص[٥] ، كما كان العلماء يشجعون طلابهم

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٢٩.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٨.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٨٠ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٤.

[٤] المختار : الحياة العلمية ، ص٢١٩.

[٥] الوشلي : علم الحديث فى اليمن ، ص٥١.

على الإرتحال فى طلب العلم ، فكانوا يخرجون من ديارهم لا هم لهم سوى التحصيل العلمى ، وهم فى خروجهم ذلك يدركون المشقة التى سيكابدونها من فراق الأهل ووحشة الطريق وقلة الزاد ، ومع ذلك كانوا يرحلون وكلهم عزم وتصميم على أن يبلغوا ما يؤملون[١] ، كانوا يدركون أنهم فى خروجهم ذلك إنماهم فى سبيل الله مصداقاً لقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [٢] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة" [٣] ، ولأجل ذلك خرجوا من ديارهم مسترخصين فى سبيله كل نفيس ما دام فيه مرضاة لله تعالى وخيراً لهم ولأمتهم فى دنياهم وآخرتهم .

كانت الرحلة فى طلب العلم تشكل هاجساً كبيراً للطلاب والمدرسين على حد سواء فى عموم بلاد الإسلام ، فكانوا يرونها أمراً لابد منه ، وكأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سيفوتهم الخير الكثير ، وهم محقون فى ذلك ؛ لما للرحلة من فوائد جمة تحدث عنها ابن خلدون بقوله "الرحلة فى طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعلم والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها..."[٤] .

لذلك حرص المسلمون على الارتحال سواءً للتعلم أو للتعليم فى مختلف المركز العلمية المنتشرة على طول بلاد الإسلام وعرضها ، وقلما وجد بين العلماء من لم يرحل فى طلب العلم[٥] ، إذ كانت مكانة الطالب فى ذلك الوقت تتناسب مع ما قام به من رحلات علمية ومع عدد المشايخ الذين أخذ عنهم[٦] ، لذلك كان لقب الرحال والرحالة وقفاً على

---

[١] منير الدين أحمد : تاريخ التعليم ، ص٦٥ ؛ أحمد شلبى : تاريخ التربية ، ص٣١٨.

[٢] سورة التوبة : آية ١٢٢.

[٣] أبو داود : سليمان بن الأشعث : سنن أبى داود ، دار الفكر ، د.ت ، ج٣ ، ص٣١٧.

[٤] ابن خلدون : مقدمة بن خلدون ، ج١ ، ص٥١٤.

[٥] منير الدين أحمد : تاريخ التعليم ، ص٦٥.

[٦] أحمد شلبى : المرجع نفسه ، ص٣٢٠.

كبار العلماء والمحدثين ممن تحملوا المشاق وجابوا الآفاق البعيدة طلباً للعلم وحرصاً على اقتنائه[١] .

ولم تقتصر الرحلة على طلاب العلوم الدينية دون غيرهم ، ولكنها شملت إلى جانبهم طلاب العلوم اللغوية والفلسفية وغيرها[٢].

وقد ساعدت مجموعة من العوامل فى إنجاح تلك الرحلات التى كان يقوم بها طلاب الإقليم ، فبالإضافة إلى كون الخروج فى طلب العلم طاعة لله تعالى واشباعاً لرغبة جامحة لدى كثير منهم فى اكتساب العلوم والمعارف المختلفة ، كان هناك من يقوم بمديد العون والمساعدة وبخاصة للمعوزين من أولئك الطلاب فى المراكز التى كانوا ينزلون فيها سواءً داخل اليمن[٣] ، أو خارجه ، إذ يجدون فيها ما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة وأماكن للمبيت[٤] ، فضلاً عن وجود المساجد والربط التى كان بمقدورهم النزل بها ، كما أن انعدام الحواجز الإقليمية فى ذلك الوقت سهل من تحرك العلماء والطلاب فى إطار البلاد الإسلامية[٥] ، فكانت لهم مطلق الحرية فى الإرتحال ما داموا سيجدون ضالتهم ولو أفنوا فى سبيلها أعمارهم .

وكان مردود تلك الرحلات كبيراً ليس للمرتحلين فحسب وإنما لسائر مجتمعهم ، فالرحلة أكسبتهم علوماً ومعارف ما كانوا ليدركونها بشكلها الصحيح إلا من خلال الارتحال والأخذ المباشر عن المشايخ ، كما أن تنوع المدارس الإسلامية التى ارتحل إليها الطلاب أسهم فى إيجاد تنوع معرفى وإثراء فكرى لديهم ، ومن ثم كانوا بعد عودتهم إلى قراهم يجلسون للتدريس فيتحلق حولهم طلابهم ويأخذون عنهم خلاصة تجاربهم وعصارة فهمهم .

ومهما يكن من أمر ، فإن الرحلات العلمية أسهمت فى الحفاظ على الوحدة الثقافية

---

[١] الوشلي : علم الحديث فى اليمن ، ص٥١.

[٢] أحمد شلبى : تاريخ التربية ، ص٣٢٠.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٤٥؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٣ .

[٤] منير الدين أحمد : تاريخ التعليم ، ص٦٦ ؛ أحمد شلبى : المرجع نفسه ، ص٣٢٤ .

[٥] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص٩٢.

بين الأقطار الإسلامية ، وشكلت جسراً للتواصل الفكرى بين المسلمين ، فمن خلالها كان المسلمون يعبرون عن وحدة الفكر والعقيدة ؛ فالمواد الدراسية التى كانت تدرس فى قطر معين ، كانت تدرس فى بقية الأقطار ، كما أن طرق التدريس كانت واحدة ، بل وأكثر من ذلك أن بعض المدرسين كانوا يلقون دروسهم فى المراكز الإسلامية المختلفة بين الفينة والأخرى ، دون أن يقف أمامهم شئ ، ولذلك كانت هناك وحدة فكرية ساعدت الرحلات العلمية فى الإبقاء عليها ، وزادت من تماسكها دون أن تتأثر تلك الوحدة بالإنقسامات السياسية التى كانت تمر بها بلاد الإسلام فى تلك الفترة[١].

وفيما يلى سنتحدث عن الرحلات الداخلية والخارجية التى قام بها طلاب الإقليم داخل اليمن وخارجه ، وذلك على النحو التالى :

أ ـ الرحلات الداخلية :

وهى الرحلات العلمية التى قام بها الطلاب والأساتذة إلى مختلف المراكز العلمية فى بلاد اليمن ، إما لغرض الدراسة أو للتدريس .

كانت بداية تلك الرحلات تتم فى نطاق الإقليم ، فكان الطلاب ينتقلون بين مراكزه المختلفة ، فيأخذون حاجاتهم من علمائها ، حتى إذا ما فرغوا من ذلك بدأوا فى الانتقال إلى غيرها من المراكز لا سيما تلك التى بها كبار العلماء ، فكلما كان الأخذ عن المبرزين منهم كلما عاد ذلك بالنفع على الطلاب وأضفى أهمية على إجازاتهم العلمية وأكسبهم مكانة بين أقرانهم .

ومن أبرز المراكز التى ارتحل إليها الطلاب ، مدينة الجند ، ويبدو أن قرب هذا المركز من الإقليم وعدم خلوه من مشاهير العلماء فى أغلب الأوقات ساهم إلى حد بعيد فى استقطاب الطلاب ، فكان ارتحالهم إليه أول ما يفكرون به بعد أن يأخذوا عن علماء مناطقهم .

وبالإضافة إلى مدينة الجند ، برز مركز علمي آخر يمم إليه الطلاب وجهتهم وهو جزيرة كمران[٢] ، وإن كان هذا المركز قد ارتبط بعالم واحد وهو الإمام أبو عبد الله

---

[١] منير الدين أحمد : تاريخ التعليم ، ص٦٦.

[٢] جزيرة كمران :جزيرة مشهورة فى البحر الأحمر قبالة مرفأ الصليف(المقحفي:معجم البلدان،ج٢،ص١٣٥٢)

محمد بن عبدويه المهروبانى[١] (ت ٥٢٥هـ /١١٣٠م) إلا أن الأعداد الكبيرة التى قصدته من الإقليم تكفى للحديث عن هذا المركز كواحد من أهم المراكز اليمنية التى رحل إليها الطلاب فى ذلك الوقت[٢].

كان رحيل الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى من الجند إلى مكة فى المرة الثانية على إثر الخلافات التى حدثت بين فقهاء الجند والتى كان للأمير المفضل بن أبى البركات الحميرى (ت ٥٠٤هـ / ١١١٠م) دور فى إذكائها[٣] ، قد ولد فراغاً كبيراً بين طلابه الذين قصدوه إلى الجند ، لذلك وبعد سفره إلى مكة وجد الطلاب فى الإمام ابن عبدويه خير خلف له[٤] ، ومما شجعهم على الإرتحال إليه ، ما سمعوه عنه من غزارة علمه وسعة فهمه وإكرامه لطلابه لا سيما أن هذا الإمام كان يعمل بالتجارة ، فكان بمقدوره أن يتكفل بإعالة المعوزين من طلابه خاصة الغرباء منهم ، هذا بالإضافة إلى الصدقات والنذور التى كان يأتى بها بعض التجار إلى الإمام فينفقها على أولئك الطلاب[٥] ، لذلك ارتحل إليه الكثير من طلاب الإقليم من ذى أشرق والمشيرق وسهفنة وذى السفال وأحاظة وغيرها[٦].

وبالإضافة إلى المركزين السابقين كانت هناك رحلات إلى مراكز أخرى غيرها مثل

---

[١] ابن عبدويه : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدويه المهروباني ، ولد عام ٤٣٧هـ /١٠٤٥م فى العراق ، تفقه بالشريرازي، وكان وصوله إلى اليمن نهاية القرن الخامس الهجرى ، حيث وصل إلى عدن ثم إلى زبيد ومنها إلى جزيرة كمران ، حيث بقى فيها حتى وفاته عام ٥٢٥هـ /١١٣٠م له من المؤلفات كتاب ''الإرشاد فى أصول الفقه'' (ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٩ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٧٧ ، ص٢٧٨ ، وذكر أن أسمه محمد بن الحسين) .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٨٠.

[٣] حول قصة ذلك الخلاف راجع كل من : ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢٠ ، ١٢١ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٦٣ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٠٩ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٠.

[٥] الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المصدر نفسه، ص٢٢٤ .

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٤٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

مدينة عدن ومدينة زبيد وغيرها من المراكز[١].

وفيما يلى سنتناول بعض الأمثلة على تلك الرحلات :

الإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابى (ت ٤٦٠ هـ /١٠٦٧م) :

كان هذا الإمام كثير الإرتحال بين قريته الظرافة ومدينة الجند ، وذلك رغبة فى زيارة مسجدها ومراجعة علمائها[٢] ، وللمكانة الكبيرة التى كان يحظى بها هذا الفقيه ولسعة علمه ، طلب منه والى الجند زيد بن المعمر ، الانتقال من قريته والإستقرار فى الجند للفتوى والتدريس ، فقبل الإمام ذلك ، وبقى فى الجند فترة من الزمن[٣].

الإمام أبو بكر بن جعفر المحابى (ت ٥٠٠هـ /١١٠٦م) :

كان من أبرز فقهاء اليمن ، وكان يرحل فى كل عام إلى مدينة زبيد ، وفيها كانت تقام مناظرات بينه وبين الفقيه الحنفى محمد بن أبى عوف ، وكان الإمام أبو بكر المحابى يظهر مقدرة كبيرة فى مناظرة الحنفى لقدرته الشديدة على الحفظ[٤] ، كما كان هذا الإمام يرحل إلى مناطق الإقليم لزيارة طلابه ومنها رحلته إلى دمنة نخلان ، حيث يقيم تلميذه الفقيه مقبل بن محمد بن زهير الهمداني حلقاته العلمية[٥] ، وربما جرت هناك مذكرات بين هذا الإمام والفقاء فى ذلك المركز .

الفقيه مقبل بن محمد بن زهير الهمداني (ت بعد ٥٠٠هـ /١١٠٦م):

كان لهذا الفقيه رحلاته العلمية إلى مراكز الإقليم ومنها رحلته إلى الظرافة وأخذه عن

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٣ ، ١١٦ ، ١٧١ ، ١٩٤ ،٢١٩ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٣٠٣ ، ٣٤٠ ، ٣٦٤؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦١٨ ؛ السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص١٢٥ .

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٤ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٣٦١ .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ، بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٣.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٦ .

الإمام أبى بكر بن جعفر المحابى ، كما رحل إلى الصلو[١] وأخذ فيها عن الفقيه عبد الملك بن محمد بن أبى ميسرة اليافعي[٢] ، كما ارتحل إلى ذى أشرق رغبة فى الكتب الموقوفة بها وارتحل أيضا إلى دمنة نخلان ، وهناك اشتغل بالتدريس وأخذ عنه عدد من الطلاب[٣].

الإمام زيد بن الحسن الفائشى (ت ٥٢٨هـ /١١٣٣م) :

عرف عن هذا الإمام أنه كان كثير الرحلة فى طلب العلم ، فوصف بأنه كان جوالاً فى أنحاء اليمن إذ ارتحل إلى العديد من المراكز العلمية داخل الإقليم وخارجه ، ومن تلك الرحلات : رحلته إلى المشيرق ، وأخذه فيها عن الفقيه أسعد بن الهيثم ، والفقيه خير بن يحي ، كما ارتحل إلى قرية سير ، وأخذ فيها عن الفقيه اسحاق بن يعقوب الصردفي ، وارتحل إلى الظرافة وأخذ فيها عن الإمام أبى بكر بن جعفر المحابى ، وارتحل كذلك إلى تهامة وأخذ بها عن ابن عبدويه المهروبانى ، كما ارتحل إلى ذى أشرق وأخذ فيها عن مقبل بن محمد بن زهير ، وأخذ فيها اللغة عن العالم اللغوى إبراهيم بن أبى عباد[٤].

ونتيجة لكثرة الرحلات التى قام بها هذا الإمام ، كثر علمه وذاع صيته فى أنحاء اليمن وجمعت خزائنه مئات الكتب ، فارتحل إليه الطلاب من داخل الإقليم وخارجه وتفقهوا على يديه[٥].

الفقيه عبد الله بن عبد الرازق بن حسن بن أزهر (ت٥٢٨ هـ /١١٣٣م) :

ارتحل من ذى أشرق إلى الظرافة حيث أخذ بها عن الإمام أبو بكر بن جعفر المحابى، كما ارتحل إلى جبل الصلو وهناك أخذ عن الفقيه عبد الملك بن محمد ناسخ

---

[١] الصلو : جبل ومديرية من بلاد المعافر (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، جـ٢ ، ص٤٨١ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٩١٦) .

[٢] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن،ص٢١٩.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المصدر والصفحة .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٨٦ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٣١ ؛ الخزرجى : طراز ، ق١١٦ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٥٤١.

[٥] المصادر السابقة : نفس الصفحات .

القرآن ومنسوخه للصفار وذلك فى عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م ، وقد انتهت إلى هذا الفقيه ــ عبد الله ــ رئاسة التدريس والفتوى بذى أشرق وتفقه به جماعة من الطلاب[١].

الفقيه يحي بن محمد بن أبى عمران (ت٥٢٨هـ /١١٣٣م) :

ارتحل إلى الجند حيث أخذ عن الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى[٢] ، كما ارتحل إلى جزيرة كمران حيث أخذ عن الإمام ابن عبدويه[٣] ، وارتحل إلى ذى أشرق وفيها أخذ عن الفقيه مقبل بن محمد بن زهير ، وارتحل أيضا إلى المشيرق وأخذ فيها عن الفقيه أسعد بن خير بن ملامس ، وكان هذا الفقيه ــ يحيى ــ متضلعاً فى علوم الفقه والحديث والنحو واللغة، وهو أحد شيوخ الإمام الحافظ على بن أبى بكر العرشانى[٤].

الفقيه عمر بن إسماعيل بن على الجماعي (ت٥٥١هـ / ١١٥٦م) :

رحل إلى ذى أشرق فأخذ بها عن الفقيه سالم الأشرقي[٥] ، كما رحل إلى أحاظة وأخذ عن الإمام زيد بن الحسن الفائشى المهذب وشيئاً فى الأصول واللغة كغريب أبى عبيد ومختصر العين ونظام الغريب[٦] ، ثم رحل ثانية إلى ذى أشرق وأخذ عن الحسن بن أبى عباد المختصر[٧] ، ولما عاد إلى بلده ذى السفال ، أقام حلقاته العلمية وأخذ عنه جمع كبير من الطلاب[٨].

الفقيه عبد الله بن يحي الصعبى (ت ٥٥٣هـ /١١٥٨م) :

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٦ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٢٥.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٢ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٣٦ .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٩.

[٤] الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المصدر والصفحة .

[٥] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩١ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج ٢ ن ص٥٩٨ .

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة؛ بامخرمة : المصدر والجزء، ص٥٩٨.

[٧] الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ بامخرمة : المصدر والجزء، ص٥٩٨ .

[٨] ابن سمرة:المصدر نفسه ،ص ١٦٤ ؛ الجندى: المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل: المصدر نفسه،ص٢٣٤ .

رحل إلى الجند وأخذ فيها عن الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي ، ثم رحل إلى جزيرة كمران ، وأخذ عن الإمام ابن عبدويه وذلك بعد سفر الإمام زيد اليفاعى إلى مكة ، ولما عاد إلى بلده سهفنة جلس للتدريس وعلى يديه تفقه جماعة من الطلاب من الملحمة وذى السفال والشعبانية وعلقان وريمة وغيرها[١].

الإمام الحافظ على بن أبى بكر بن حمير العرشانى (ت٥٥٧ هـ / ١١٦٢م) :

كان هذا الإمام مهتماً بعلم الحديث ، لذلك كان كثير الرحلة فى طلبه ، إذ ارتحل إلى أحاظة ، فأخذ فيها عن الإمام زيد بن الحسن الفائشى ، وارتحل أيضا إلى المشيرق ليأخذ عن أسعد بن ملامس ، كما ارتحل إلى الملحمة وأخذ فيها عن الفقيه يحي بن عمر الملحمى ثم إلى ريمة ، وفيها أخذ عن عبد الرحمن بن عثمان وأبى بكر بن أحمد بن الخطيب ، كما ارتحل إلى الجؤة وأخذ فيها عن القاضى مبارك بن إسماعيل[٢].

ومما يذكر عن علو همة هذا الإمام أنه "كان يخرج غالب أيام طلبه كل يوم من منزله بعرشان فيصل وحاظة وإلا (أو) المشيرق فيقرأ ثم يعود ، فلا يبيت إلا فى بيته وبين بلده وبين أحد الموضعين يوم للمجد"[٣].

وبمرور الوقت برز نجم هذا الإمام وكثر علمه وذاع صيته فارتحل إليه كثير من طلاب العلم إلى قريته عرشان وذلك رغبة فى علمه وورعه وعلو اسناده ، كما كانت له رحلاته العلمية إلى مدينة إب والجند وعدن ، وفى تلك المدن أخذ عنه الحديث جمع كبير من الفقهاء وطلاب العلم[٤].

الإمام يحي بن أبى الخير العمراني (٥٥٨هـ /١١٦٣م) :

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٤٩ ، ١٥٢، ١٦١ ، ١٦٣ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه، ص١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٢٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦١٧.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ج١ ، ص٣٠٣ .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ج١ ، ص٣٠٤ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٤٨ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء، ص٦١٧ ، ٦١٨.

قام الإمام يحي بن أبى الخير بالعديد من الرحلات العلمية للدراسة أو للتدريس ، ومن تلك الرحلات رحلته إلى ذى الحفر فى نعيمة ، حيث أخذ كتاب "التنبيه" عن الفقيه موسى بن على المصعبي ، كما رحل إلى الإمام زيد بن الحسن الفائشى فى أحاظة وأعاد عنده "المهذب" وأخذ عنه تعليق الشيخ أبى إسحاق فى أصول الفقه ، مع ملخصه و "غريب الحديث" فى اللغة لأبى عبيد ، و "مختصر العين" للخوافى و "نظام الغريب" للربعى[١].

وبعد عودة الإمام زيد اليفاعي من مكة إلى الجند ، ارتحل إليه الإمام يحي مع أصحابه وسمع عليه "النكت" وبعد وفاة الإمام زيد ارتحل عن الجند إلى سهفنة حيث قرأ عن القاضى مسلم بن أبى بكر الصعبى كتاب "الحروف السبعة فى علم الكلام " ، والتوحيد وأصول الدين[٢] ، وفى عام ٥١٧هـ /١١٢٣م ، رحل إلى ذي أشرق حيث سمع "جامع السنن" للترمذى على الشيخ سالم بن عبد الله بن محمد[٣].

كما قام الإمام يحي برحلات علمية بهدف التدريس إلى بعض مناطق الإقليم لا سيما بعد أن تعذر عليه البقاء فى سير بسبب ما حدث بين أهلها من حروب ، لذلك ارتحل عنها إلى ذي السفال ومنها إلى ذى أشرق حيث أقام بها سبع سنين جلس خلالها للتدريس ، وفى عام ٥٥٧هـ /١١٦٢م ، ارتحل عنها إلى ضراس ، ومنها إلى ذى السفال وبقى فيها حتى وافته المنية عام ٥٥٨هـ /١١٦٣م[٤] .

الفقيه على بن عيسى بن مفلح المليكي (ت٥٨٠هـ /١١٨٤م) :

رحل من مدينة إب حيث يقيم إلى مدينة عدن واستقر فيها ، وهناك تفقه بالقاضى أحمد بن عبد الله القريظي ، كما تفقه أيضا بالفقيه حسين بن خف المقيبعى[٥] ، وكان

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٤ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٢١٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٢٣ .

[٢] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٦٢٤.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٦ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٦ ؛ السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص٢٣٧.

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢١٩ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٨٧ .

يترحل بين مدينة إب وعدن وجبا[١] ، وأخذ عنه جماعة من طلاب العلم[٢].

الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله البريهى (ت٥٨٦هـ /١١٩٠م) :

رحل فى طلب العلم من مدين إب حيث يقيم إلى مدينة الجند فأخذ فيها عن الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي ، كما رحل إلى سير وأخذ فيها عن الإمام يحي بن أبى الخير العمرانى[٣].

وكانت لهذا الإمام رحلات علمية بهدف التدريس قام بها إلى مدينة الجند ، وذلك بعد عودته من مكة عام ٥٨١ هـ /١١٨٥م ، حيث اجتمع إليه الطلاب من مناطق مختلفة مثل ظبا وذى أشرق والشعبانية وأعمال الجند وغيرها من المناطق ، وسمعوا عنه صحيح مسلم[٤] ، كما ارتحل إلى مدينة ذى جبلة وأقام فيها عدة أشهر ، قام خلالها بالتدريس فى المسجد المعروف بمسجد السنة ، وله به كتب موقوفة[٥].

الفقيه محمد بن عيسي بن سالم الميتمى :

رحل إلى مدينة عدن وأخذ فيها عن الفقيه محمد بن عبد الله بن قريظة السهامي كتاب "الوسيط" للغزالى[٦] ، ثم عاد فسكن الجبابى[٧] مدة ثمانية عشر عاماً ، ثم رحل إلى ذى جبلة للتدريس فى مدرسة الشيخ أبى الحسن على بن إبراهيم بن أبى الأمان عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م[٨].

---

[١] جبا : مدينة قديمة غربى جبل صبر وجنوبى تعز (ابن سمرة : المصدر نفسه، ص٣١٠).

[٢] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٦٥ .

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣١٩ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٦.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٩٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الخزرجى : طراز ، ق٧٥ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٧١٧ .

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٢٢ ؛ الخزرجى : طراز ، ق٧٦ ، ويذكر أنه أقام بها شهراً .

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٩٤

[٧] الجبابى : جبل قرب مدينة جبلة من جهة ذى عقيب (الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٠) .

[٨] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٤ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٤٠ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٩٥.

ونظراً للحركة العلمية التى شهدها الإقليم فى تلك الفترة فقد ارتحل إليه العديد من الأساتذة وطلاب العلم من مختلف الأقاليم اليمنية للأخذ عن علمائه ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل إن بعضاً من أولئك الطلاب آثر الاستقرار فى الإقليم واتخذ منه موطناً له.

وفيما يلى بعض الأمثلة على تلك الرحلات :

الفقيه محمد بن سالم بن عبد الله الشعبى (ت٤٥٦هـ /١٠٦٣م) :

رحل إلى ذى أشرق من جبل ذبحان[١] ، واستقر بها وأخذ عن القاسم بن محمد الجمحى فى سهفنة ، كما ارتحل إلى المشيرق وأخذ فيها عن أبى الفتوح يحي بن عيسى بن ملامس[٢] ، وعرفت ذرية هذا الفقيه فى ذي أشرق ببنى الإمام ، كانوا أهل صلاح وعلم[٣].

الفقيه إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفى (ت٥٠٠هـ /١١٠٦م) :

أصله من المعافر[٤] ، وفيها تفقه بالفقيه إسحاق العشارى ، ثم ارتحل إلى الصردف[٥]، حيث استقر به المقام ، ومن ثم ارتحل إلى مناطق الإقليم مثل الظرافة التى تفقه فيها بالإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابي ، وقرية سير التى كانت له فيها حلقاته العلمية وفيها أيضا صنف كتابه الشهير "الكافي فى الفرائض" ، وتفقه على يديه كثير من الطلاب[٦].

---

[١] ذبحان : عزلة من المعافر تقع جنوب غرب تعز وتبعد عنها بنحو ٦٥ كم (الجندى : المصدر والجزء، ص٢٤٢ ؛ المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ،ص٦٤٣) .

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٠٠.

[٣] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] المعافر : هى ما يعرف اليوم بالحجرية ، وهى بلاد واسعة تقع شمالى عدن وجنوبى تعز ، وكانت تعرف بالمعافر نسبة إلى معافر بن يعفر بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن حمير (الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، ج١ ، ص٢٣٢) .

[٥] الصردف : بلدة تقع شرق الجند بجوار جبل سورق ، (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٧٤) .

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

الفقيه عبد الله بن أحمد الزبراني (ت٥١٨هـ /١١٢٤م) :

موطنه زبران[١] ، تفقه بالإمامين جعفر المحابى وزيد اليافعي ، وكان من كبار طلابهما ، كما رحل إلى تهامة وأخذ فيها عن الإمام ابن عبدويه[٢].

رحل الفقيه الزبرانى إلى قرية سير للتدريس فيها بناءً على دعوة بعض مشايخ بنى عمران الذين حرصوا على الإستفادة من هذا الفقيه العالم فى تعليم أبنائهم ، لذلك ارتحل إليهم وأقام فى قرية سير حلقاته العلمية التى استفاد منها كثير من الطلاب كان أبرزهم يحي بن أبى الخير العمرانى الذى أخذ عن هذا الفقيه "المهذب" و"اللمع" لأبى إسحاق الشيرازى ، كما أخذ أيضا "الملخص" ، و"الإرشاد " لابن عبدويه بالإضافة إلى كتاب "الكافى فى الفرائض" لإسحاق بن يعقوب الصردفي [٣].

الفقيه مقبل بن عثمان بن مقبل العلهى الدثينى (ت٥٥٥هـ /١١٦٠م) :

ارتحل من بلاده دثينة [٤] إلى بلاد الأعروق ، وسكن فيها فى قرية الظفر ثم غادرها بعد زواجه من أهلها إلى قرية ذى أشرق ، ويبدو أن السبب فى ذلك راجع إلى أنه لم يجد بغيته فيها من العلم ، إذ كانت البداوة غالبة على أهلها ، وفى ذى أشرق أخذ عن الإمام الحافظ على بن أبى بكر العرشانى وغيره من العلماء [٥].

---

[١] زبران : قرية فى جنوب الجند تبعد عنها مسافة ميل (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٣٨).

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٥٠٧.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٤ .

[٤] دثينة:صقع معروف يقع جنوب شرق البيضاء وشمال شرق أبين(الأكوع: المرجع نفسه، ص١١٦).

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٣٣١ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء، ص٦١٠ ، ٦١١ .

الفقيه على بن عبد الله بن عيسى الهرمي (ت٥٧٠هـ /١١٧٤م) :

رحل إلى الإقليم من قرية الهرمة [١] ، ثم تفقه على يد الإمام يحي بن أبى الخير فأخذ عنه "المهذب " و"البيان" و"كتاب الإنتصار" ثم أخذ عنه كتاب " الحروف السبعة" للمراغي [٢].

القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام المعتزلي (ت ٥٧٣هـ /١١٧٧م) :

رحل إلى مدينة إب واجتمع فيها بالإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهي فناظره الإمام ، وأسقط حجته ، وكان القاضى جعفر يريد مناظرة أهل الإقليم لتحويلهم عن مذهبهم على مذهب الإعتزال ، إلا أنه لم يتمكن من إقامة الحجة عليهم ، ففى حصن شواحط جرت مناظرة بينه وبين الفقيه على بن عبد الله الهرمى استطاع فيها الهرمى أن يتفوق عليه ويسقط حجته [٣].

الفقيه أبو عبد الله بن مفلح الحضرمي :

أصله من حضر موت ، رحل إلى الإقليم للأخذ عن الإمام يحي بن أبى الخير وكان من كبار أصحابه ، وإليه أشار الإمام يحي فى خطبه كتابه "المشكل" عندما قال : "سألنى بعض من يعز علي سؤاله ويعظم عندى قدره وحاله" [٤].

الفقيه محمد بن عبد الله الحضرمي :

مسكنه تريم[٥] ، رحل إلى الإقليم وأخذ عن الإمام يحي الحديث والفقه[٦].

الفقه أحمد بن إسماعيل بن الحسين المأربي :

---

[١] الهرمة : قرية تقع فى وادى زبيد (الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٢٨) .

[٢] الجندى : المصدر والجزء، ص٣٤٥ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٧٣٧.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٥٠.

[٥] تريم : مدينة مشهورة تقع فى نهاية وادى حضر موت شمال شرق مدينة سيئون بنحو ٣٢ كم (المقحفى : معجم البلدان ، ج١ ،٢٢٨) .

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٠٣ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ بامخرمة : المصدر والجزء، ص٧٦٣.

سكن دلال وكان فقيهاً فاضلاً انتهت إليه رئاسة الفتوى فيها[١].

وممن ارتحل إلى الإقليم من الطلاب : أسعد بن محمد من أروس بجبل الصلو ، وعبد الله بن عثمان بن رحيم ، ومحمد بن يوسف ، وابنه أبو حامد من دمت ، وقد أخذ هؤلاء عن الفقيه أبو عبد الله محمد بن موسى بن الحسين بن عمران فى مصنعة سير[٢].

ب ـ الرحلات الخارجية :

لم يكن طلب العلم فى المراكز الداخلية فى اليمن هو كل ما يطمح إليه طلاب العلم ، على الرغم من الأهمية العلمية لتلك المراكز ، بل كانت تراود كثير منهم فكرة الارتحال إلى خارج اليمن والالتقاء بمشاهير علماء الأمصار والإستزادة من علمهم .

وكانت مكة المكرمة أهم المراكز العلمية التى رحل إليها الطلاب فى تلك الفترة ، إذ كانت مقصداً لكثير من العلماء الذين لم يكتف بعض منهم بمجرد الزيارة ، وإنما استقروا فيها لبعض الوقت ، بل إن البعض الآخر آثر أن يمضى فيها بقية حياته[٣] ، وذلك لما لهذه المدينة المباركة من أهمية عظيمة فى نفوس المسلمين ، ولتعدد العلماء القاطنين فيها تعددت معه حلقاتهم العلمية ، وتنوعت لذلك مشارب الطلاب[٤] ، فأخذوا ينهلون من أصناف العلم ما يسبر غورهم ، وكان لهم الحرية فى أن يغترفوا من تلك العلوم ما يعن لهم لا سيما وأن أحداً لم يأخذ منهم شيئاً مقابل ذلك ، إذ كان العلماء يتورعون عن أخذ الأجرة مقابل ما يقدمونه لطلابهم[٥] ، فكانت الفرصة مواتية لغنيهم وفقيرهم على حد سواء ، لذلك ارتحل إليهم الطلاب وأخذوا عنهم وعادوا محملين من العلوم التى وردوها إلى أوطانهم .

ومن خلال تلك الرحلات قدمت إلى الإقليم العديد من المؤلفات فى مجالات الفقه واللغة وعلم الكلام وغيرها ، وأسهم ذلك الأمر إلى حد بعيد فى إثراء الجانب الفكرى لدى

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٤٣.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٦.

[٣] شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ج ٥ ، ص٥٣.

[٤] شوقى ضيف : المرجع والجزء والصفحة .

[٥] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص٢٢٣ .

طلاب الإقليم وغيرهم .

ومن تلك المؤلفات : كتب الإمام أبى إسحاق الشيرازي (ت٤٤٦هـ /١٠٥٤م) مثل "المهذب"،و"التنبيه"،و"النكت"،وهى أشهر المصنفات الفقهية لدى علماء الشافعية ، وصلت إلى اليمن أواخر القرن الخامس الهجرى بالإضافة إلى كتب الإمام أبى حامد الغزالى (ت٥٠٥هـ /١١١١م) وهى "البسيط"،و"الوسيط"،و"الوجيز"،وغيرها من الكتب[١]

ومن جهة أخرى أسهمت تلك الرحلات فى نقل التراث الفكرى الإسماعيلي من مصر إلى اليمن عن طريق القاضي الإسماعيلي لمك بن مالك الحمادي الذى نقل معه العديد من المؤلفات الإسماعيلية بعد عودته إلى اليمن واعتمد عليها الدعاة الإسماعيليون فى ما أنتجوه من مؤلفات[٢].

وفيما يلى بعض الأمثلة على تلك الرحلات :

الفقيه خير بن يحي بن ملامس (ت٤٨٠هـ /١٠٨٧م) :

رحل إلى مكة وفيها أخذ العلم على عدد من العلماء أمثال : الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي ، وأبو بكر بن محمد بن منصور السهروردى ، كما لقى أيضا الفقيه أحمد بن محمد البزاز المكى وأخذ عنه "كتاب الشريعة" للآجرى ، وبعد عودة الفقيه إلى بلده المشيرق أخذ عنه العلم جمع كبير من الطلاب[٣].

الفقيه على بن أحمد أبو الغارات بن أحمد التباعي :

رحل إلى مكة وسمع فيها من أبى بكر أحمد بن محمد البزاز المكى "كتاب الشريعة" للآجرى[٤].

الفقيه محمد بن اسحاق بن أيوب بن كديس :

رحل إلى مكة وسمع من الفقيه أبى بكر محمد بن منصور السهروردى ، وسمع من

---

[١] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٣ ؛ الدجيلي : المرجع نفسه ، ص٣٠ ،٨٥ ، وللمزيد عن أسماء تلك المؤلفات أنظر : الدجيلي : المرجع نفسه ، ص٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠١ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٣.

[٤] ابن سمرة : المصدر والصفحة .

الفقيه أبى نصر "غريب الحديث" لأبى عبيد القاسم بن سلام[١].

الفقيه مقبل بن محمد بن زهير الهمداني (ت ٥٠٠هـ /١١٠٦م) :

ارتحل هذا الفقيه إلى كرمان[٢] وتفقه هناك على قطب الدين وجماعة من فقهاء كرمان[٣].

الفقيه عبد الله بن عمير العريقي :

حج إلى مكة وقرأ المعتمد فى الخلاف على البندنيجي ، وعنه أخذ الإمام يحي العمراني[٤].

قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠هـ /١١١٦م) :

أوفده الملك على بن محمد الصليحى (ت ٤٥٩هـ /١٠٦٧م) إلى الخليفة المستنصر الفاطمى عام ٤٥٤هـ / ١٠٦١م على رأس سفارة مكونة من عدة أشخاص، كان الصليحى يهدف من إرسالها إلى المستنصر الفاطمى أن يسمح له "بالنهوض إلى العراق والهجرة إلى الأبواب الطاهرة" ، وبعد أن سلمت تلك السفارة ما كلفت به طلبت الإذن بالمغادرة إلا أن الخليفة المستنصر لم يأذن لهم بالرحيل ، واستمر بقاؤهم خمس سنوات أقام خلالها القضى لمك فى دار المؤيد فى الدين الشيرازي باب أبواب[٥] الإمام ، فأخذ عنه خلالها كثيراً من علوم الدعوة وأسرارها[٦] ، وعندما عاد إلى اليمن كان من أهم المرجعيات الدينية لدى أتباع المذهب الإسماعيلي وتتلمذ على يديه كبار الدعاة الإسماعيليين فى ذلك الوقت .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٢ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[٢] كرمان : ولاية واسعة مشهورة فى إيران (الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٥ ، حاشية ٣).

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٥.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٤.

[٥] باب الأبواب : إحدى المراتب الدينية لدى الإسماعيلية ، كانت سرية فى بادئ أمرها ، ثم أعلن عنها بعد ذلك ، وكان صاحبها يمثل صلة بين الإمام وبين حدود الدعوة ، ومن أعماله رياسة الدعوة وأخذ العهد على المريدين إما مباشرة أو بواسطة نوابه (الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٦) .

[٦] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص١٥٧ ، ١٥٨.

ولا شك أن الإستفادة من تلك الرحلة لم تكن لتقتصر على القاضى لمك وإن كان أهم أفرادها ، وإنما شملت أيضا بقية أفراد البعثة وهم : عبد الله بن على ، ومحمد بن حسن ، وحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبى العشيرة[١] ، فلابد أن هؤلاء الدعاة قد أخذوا أيضا من علوم الدعوة وحضروا مجالسها ، ولذلك أثنى عليهم الخليفة المستنصر فى سجل بعث به إلى السيدة أسماء بنت شهاب عام ٤٦١هـ /١٠٦٨م جاء فيه "...فلقد جاهدوا وصبروا واجتهدوا فى الخدمة وما قصور والله تعالى يبلغهم مقصدهم سالمين برحمته" [٢].

الإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت ٥٢٨هـ /١١٣٣م) :

كان كثير الحج والإرتحال إلى مكة ، وربما جاور فيها لبعض الوقت ، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم فيها : أبو نصر البندنيجي الذى أخذ عنه كتاب "التبصرة" فى علم الكلام، وأبو معشر الطبري (ت٤٨٧هـ /١٠٩٣م) أخذ عنه علم القراءات ، كما أخذ عن الفقيه أبو مخلد الطبرى ، وإمام المقام عبد الملك بن أبى مسلم النهاوندى (ت٥١٩هـ / ١١٢٥م) [٣].

الفقيه يحي بن عبد الله المليكي:

حج إلى مكة وأخذ فيها عن الفقيه أبى نصر البندنيجي كتاب "التبصرة" فى علم الكلام وغيرها من المؤلفات ، وبعد عودته أخذ عنه العديد من الطلاب ومنهم سيف السنة أحمد بن محمد البريهي[٤].

الداعى عبد الله العربى[٥]:

---

[١] السجلات المستنصرية : سجل رقم ٥٥ ، ص١٨١.

[٢] السجلات المستنصرية : المصدر والصفحة

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٥ ، ١٥٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٥ .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٠ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٨.

[٥] هكذا ورد اسمه فى المصادر الإسماعيلية الهندية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن شخصان من أفراد البعثة التى رأسها القاضى لمك إلى القاهرة اسمهما عبد الله ، وهما : عبد الله بن على ، وعبد الله بن عمر ، فإذا كان ذلك الداعي يمنياً فلا يستبعد أن يكون أحدهما إذ أن السجل الذى أرسله المستنصر إلى السيدة أسماء لم يرد فيه من الأسماء المماثلة سوى الإسمين السابقين (الهمدانى : الصليحيون ؛ ص٢٢٤ نقلاً عن عبد العلى عبد

كان أحد دعاة المذهب الإسماعيلي وأغلب الظن أنه كان يمنياً ، درس على يد القاضى لمك بن مالك الحمادى علوم المذهب ، وأرسله القاضى لمك لنشر الدعوة فى بلاد الهند ، وذلك فى عام ٤٦٠هـ /١٠٦٨م[١] ، بناءً على توجيهات داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازي (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م) ، ويروى أن الداعى عبد الله كان فى القاهرة أيام سفارة القاضى لمك بن مالك وبعد عودتهم إلى اليمن أرسله لنشر الدعوة فى بلاد الهند، ونجح هذا الداعي فى نشر الدعوة الإسماعيلية فى كثير من بلدان كجرات[٢].

الإمام يحي بن أبى الخير العمراني (ت٥٥٨هـ /١١٦٣م) :

حج إلى مكة المكرمة عام ٥٢١هـ /١١٢٧م واجتمع فيها بالإمام محمد بن أحمد العثماني (ت٥٢٧هـ /١١٣٢م) وجرت بينهما مناظرة فى الفقه والأصول تمكن العمرانى من حسمها لمصلحته ، غير أن ذلك لم يمنعه من أن يأخذ عن الإمام العثمانى فى بعض المسائل عند تصنيفه لكتاب البيان الذى أورد فيه عدة مسائل عن الإمام العثماني، وكان ذلك دليلاً على عدالة العثماني وجواز الأخذ عنه[٣].

الإمام أحمد بن محمد البريهى (ت٥٨٦ هـ /١١٩٠م) :

حج إلى مكة المكرمة عام ٥٨٠هـ /١١٨٤م ، وفيها قرأ كتاب صحيح مسلم على الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الهروى إمام الحنابلة بالحرم ، كما أجازه الشيخ عبد الله بن عمر الوراق إجازة عامة له ولأولاده سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م[٤].

القادر : مجموعة الرسائل الستة لخوج بن ملك (د.ص) ؛ السجلات المستنصرية : سجل رقم ٥٥، ص١٨١).

[١] الهمدانى : المرجع والصفحة ؛

The Encyclopaedia of Islam, vol.IV, Leiden . 1978, p.199.

[٢] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٢٤ ، ٢٢٥ ؛ نقلاً عن عبد العلى عبد القادر: مجموعة الرسائل الست لخوج بن ملك (د.ص) .

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧٧ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٥ ، وفيه أن الإمام حج عام ٥٢٠هـ ـ ١١٢٦م .

[٤] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣١٩.

الفقيه طاهر بن يحي بن أبى الخير العمراني (ت٥٨٧هـ /١١٩١م) :

ارتحل إلى مكة بعد أن استاءت علاقته بفقهاء الإقليم بسبب ما حدث بينه وبينهم من خلاف ، وظل مجاوراً فى مكة سبع سنين أخذ خلالها عن العديد من العلماء أمثال : أبو على الحسن بن على الأنصارى، وأبو حفص الميانشي (ت٥٨٢هـ / ١١٨٦م) ، وعبد الدائم العسقلانى وأبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى مشيرح الحضرمى ، وكانت نتيجة ذلك تضلعه فى العلوم تضلعاً جيداً حتى وصف نفسه بأنه "ابن ثمانية عشر علماً" وفى مكة جاءته الإجازات من عدد من الشيوخ من بلدان مختلفة ، ثم حصلت منافسات بين ولاة مكة دفعته للعودة إلى اليمن[١].

ومثلما شد طلاب اليمن رحالهم إلى المراكز العلمية خارج اليمن ، كانت اليمن بدورها مركزاً تُشد إليه الرحال ، إذ قصدها العديد من العلماء والطلاب والشعراء للأخذ عن كبار علمائها والنيل من عطايا أمرائها .

فمن بلاد الحبشة قدم إلى ٱلإقليم العديد من الطلاب الذين تتلمذوا على يد الإمام يحي بن أبى الخير العمراني وغيره من العلماء ، وبعد أن عادوا إلى أوطانهم جلسوا للتدريس فأخذ عنهم العديد من الطلاب فى تلك البلاد ومن هؤلاء الفقهاء .

الفقيه أحمد بن مطروح الحبشى :

قدم إلى الإقليم من بلاد الحبشة وتفقه على يد الإمام يحي بن أبى الخير العمراني ، وكان يملك الكثير من المال ، ويبدو أن هذا الأمر قد سهل له التفرغ لطلب العلم ، وكان ممن تفقه على يديه من الزيالع : موسى بن يوسف وأبو القاسم بن عبد الله وإبراهيم بن محمد بن المثنى وعبد الله بن عبده ، وأحمد بن المزكبان من جزيرة مقدشو ، وكانت وفاة هذا الفقيه فى ذى أشرق[٢].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٨٧ ، ويذكر أن سبب ذهابه إلى مكة فتنة ابن مهدى ؛ الجندى : المصدر والجزء ،ص٣٣٧،ويذكر أن فترة بقاءه فى مكة سنة أو سنتين ؛ الخزرجى : طراز ، ق١٢٩ ، ويذكر أن فترة بقاءه سنة أو سنتين ، إلا أن المرجح هو ما ذكره ابن سمرة لقربة زمنا من الفقيه طاهر ولكونه أحد تلاميذه كما لا يمنع أن يكون السببان المذكوران قد ساهما معاً فى خروج الفقيه طاهر من اليمن إلى مكة .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢٠٩.

الفقيه السيد يوسف بن عبد الله المزكى :

رحل من بلاد الحبشة إلى الإقليم ، وأخذ عن الإمام يحي بن أبى الخير ثم عاد إلى بلاده وجلس للتدريس فى كلجور من بلاد الحبش[١].

الفقيه ذكي بن عبد الله الحبشى :

قدم من بلاد الحبش وكان من تلاميذ الإمام يحي بن أبى الخير[٢].

كما ارتحل إلى اليمن العديد من الطلاب الهنود أتباع المذهب الإسماعيلى للأخذ عن كبار الدعاة فى الإقليم[٣] ، إذ كانت مدينة ذى جبلة فى ذلك الوقت مركزاً رئيسيًا للمذهب الإسماعيلى وفيها كانت تعقد المجالس الإسماعيلية التى يتصدرها كبار الدعاة ، وكان لهؤلاء الطلاب دور هام فى نقل التراث الفكرى الإسماعيلي إلى بلاد الهند[٤].

شهريار بن حسن :

من علماء المذهب الإسماعيلى الذين قدموا إلى اليمن الشيخ شهريار بن حسن ، وهو من علماء فارس وكرمان ، كان قد التحق بالدولة الصليحية ، ثم أوفده الملك المكرم إلى مصر حيث أخذ عن المؤيد فى الدين الشيرازى علوم الدعوة ، ومن ثم عاد إلى اليمن وكان من كبار الدعاة الإسماعيلين فيه[٥].

كما قدم إلى الإقليم عدد من الشعراء المبرزين الذين كانوا يطمحون لأن يكون لهم نصيب من عطاء الأمراء الصليحيين ، ومن هؤلاء الشعراء :

مصطنع الدولة مواهيب بن جديد المغربى :

قدم إلى الإقليم ومدح الأمير المفضل بن أبى البركات الحميرى (ت ٥٠٤هـ / ١١١٠م) بساحة الصريحين فى ذى جبلة عام ١١٠٩/٥٠٣م ، وكسب منه ومن السيدة الحرة الكثير من المال ، غير أن فرحته بذلك المال لم تكتمل فقد نهب منه ببلدة ناصع فى

---

(١) ابن سمرة : المصدر والصفحة .

(٢) ابن سمرة : المصدر والصفحة .

(٣) يحي بن الحسين : أنباء الزمن ، ق١٠٦ ؛ الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص٩٠ .

(٤) الدجيلي : المرجع والصفحة

(٥) الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٦٦ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٣١٩.

بلاد الحبشة .

ومن مدحه للمفضل قوله :

فهمت سحائبه على ولاح لى ... فى وجهه ضوء الصباح المشرق
ملك غدا تاجاً فأحسن خلقه ... من صاغه وحباه أحسن مفرق
جمعت محاسنه إلى حسناته ... فتألفت فيه لم تتفرق[١].

أبو محمد طلحة بن أحمد بن طلحة النعمانى (ت٥٢٠هـ /١١٢٦م)[٢]:

أديب وشاعر عراقى ، قدم إلى اليمن وزار الإقليم ، ومدح الأمير المفضل بن أبى البركات الحميرى ، ومن ذلك قوله :

وأفضلت حتى عم إفضالك الورى ... وزدت على ما أملوه تطولاً[٣]
قطعت إليك الأرض أطوى فجاجها ... إذا مجهل[٤] ولى تتبعت مجهلاً
وطوفت آفاق البلاد مواجهاً ... ملوك البرايا مجبلاً[٥] ثم مسهلا[٦]

فلم أر أو فى منك قولاً وذمة ... وأسرع فى الجلى[٧] وأقضى وأعدلا
ولم أر بحراً من ندى غير راحة ... ظلت بها لما وصلت مقبلاً
ولا سحبا فى ضمنها الرزق كامن ... يلقبها من ليس يخبر أنملا[٨]

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢.

[٢] الأصبهانى : عماد الدين الأصبهاني الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٤م ، ج٢ ، القسم العراقى ، ص٣ .

قيل أن وفاته عام ٥٢٠ هـ ، وقيل بعدها وقيل غير ذلك .

[٣] تطولاً : تفضلا (الأصبهاني : المصدر والجزء ، ص٤٦ ، حاشية ٥).

[٤] مجهل : أرض مجهل : لا يهتدى بها (ابن منظور : لسان العرب ، ج١١،ص١٣٠).

[٥] مجبلاً : صار إلى الجبل (ابن منظور : المصدر والجزء ، ص٩٧).

[٦] مسهلاً : صار إلى السهل من الأرض : (ابن منظور : المصدر والجزء ، ص٣٤٩).

[٧] الجلي : الأمر الشديد (الأصبهاني : خريدة القصر ، ج٢ ، ص٤٦ ، حاشية ٨).

[٨] الأصبهانى : المصدر والجزء ، ص٤٦.

الناجـــى المصـــرى :

أحد الشعراء المصريين ، قدم إلى اليمن وزار إقليم ذى جبلة وله قصيدة فـــى مـــدح المفضل بن أبى البركات الحميرى ، ومنها قوله :

أنـــا بالمعـــسكر المـــصون مقـــيم عنـــد ملـــك ســـامى الخلائـــق نـــدب
مـــن علـــى يـــسرتى خزانـــة خمـــر وعلـــى يمنتـــى خزانـــة كتـــب
فإذا ما طربت أعملـــت كأســـــى وإذا ما صحوت أعملت قلبـــــى[١]

٣ـ وراثة العلـــم :

حرص كثير من العلماء والفقهاء على تعليم أبنائهم منذ نعومة أظافرهم ، شأنهم فـــى ذلك شأن بقية أهالى الإقليم ، ولابد أن تعليمهم لأبنائهم كان تعليماً نوعياً على اعتبـــار أن أولاد الفقهاء كانوا يعيشون فى محيط علمي أكثر من غيـــرهم ، ويحـــضون بالإشـــراف المباشر من قبل آبائهم العلماء ، الأمر الذى انعكس بدوره على مـــستوى اســـتيعابهم وزاد من قدراتهم على التحصيل ، كما أن وجودهم فى ذلـــك الجـــو العلمـــي أعطـــاهم دفعـــة للاستمرار فى طلب العلم حتى يبلغوا فيه المراتب العالية التى أملها آبائهم فيهم .

ويبدو أن دوافع العلماء فى توريث علومهم لأبنائهم راجع إلى أنهم كانوا يريـــدون أن يكون أبناؤهم امتداداً لهم فيكونون خير خلف لهم ، لذلك كان حرصهم كبير علـــى تنـــشئة أولادهم تنشئة علمية تعود عليهم بالخير فى دنياهم وآخرتهم ، وربما أدرك بعضهم المكانة السامية التى كان يتحلى بها العلماء فى ذلك الوقت فأراد لأبنائه أن يكـــون لهـــم نـــصيب منها.

ومهما يكن من أمر فقد تنتج عن ذلك التوريث ظهور العديد من الأسر العلمية التـــى كان لها إسهامات هامة فى مجال الحياة العلمية تدريساً وتصنيفاً لم تقتـــصر علـــى فتـــرة الدراسة بل تجاوزتها إلى غيرها ، وفيما يلى نذكر بعضاً من تلك الأسر :

بنو اليزيـدى :

مؤسس هذه الأسرة الفقيه محمد بن سالم بن يزيد الـــشعبى اليزيـــدي (ت٤٥٦هـــ /

---

[١] الأصبهانى : المصدر والجزء ، ص١٠٤ (قسم مصر) ؛ الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٠٧.

١٠٦٣م) [١] ، انتقل من جبل ذبحان إلى قرية ذى أشرق وفيها تولى إمامة الجامع بقية حياته [٢].

حرص هذا الفقيه على تعليم أبنائه ، فتفقه على يديه ابنه عبد الله بن محمد بن سالم (ت٤٩٧هـ /١١٠٣م) الذى غلب عليه علم الحديث [٣] ، ثم قام الفقيه عبد الله بدوره بتعليم أبنه سالم بن عبد الله وهو المعروف بسالم الأصغر (ت٥٣٣/١١٣٩م) [٤] ، واستمر توارث العلم بين فقهاء هذه الأسرة حتى القرن الثامن الهجري ، وتعرف هذه الأسرة ببنى الإمام الذين وصفهم الجندى بأنهم "بيت صلاح وعلم" [٥].

بنو الصعبى :

يأتى فى مقدمة علماء هذه الأسرة الفقيه أحمد بن عبد الله الصعبى (ت٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) من سهفنة ، كان عالم كبير القدر من أصحاب القاسم بن محمد الجمجي (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) [٦] ، وهو جد فقهاء هذه الأسرة [٧] ، توارث أبناؤه العلم من بعده فتفقه على يديه أبنه أبو بكر بن أحمد [٨] ، وعلى يد الفقيه أبى بكر تفقه إبنه مسلم بن أبى بكر الصعبى (ت بعد ٥٥٠ هـ /١١٥٥م) [٩] ، وكان لهذا الفقيه ولدان تفقها به هما محمد وأسعد ، وأصبحا من خيار فقهاء سهفنة [١٠].

بنو ملامس :

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٢ ؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق٤٢.

[٢] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١١٠.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه،ص١١٦؛الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٦٧٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٠.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٢.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ٩١ ؛ الخزرجى : طراز ، ق٦٧.

[٧] الخزرجى : المصدر والصفحة .

[٨] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٠.

[٩] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١٢١ ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ص١٤١.

[١٠] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢٤.

برزت هذه الأسرة فى مشيرق أحاظة فى عزلة القرانات ، وكان أول فقهائها الأعلام، الفقيه أبو الفتوح يحي بن عيسى بن ملامس (ت بعد ٤٢٠هـ /١٠٢٩م) الذى كان من أعيان العلماء [١] ، وبه تفقه ولداه أبو سعيد خير بن يحي بن ملامس (ت٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) والذى قام بدوره بتفقيه ولده أسعد بن خير (ت٥١٧هـ /١١٢٣م)[٢] ، ثم أخذ عن هذا الفقيه أسعد ولداه محمد بن أسعد ، وعلى بن أسعد [٣].

بنو الهيثم :

تنسب هذه الأسرة إلى الفقيه أبو سعيد الهيثم بن محمد بن الحسين بن محمد الكلاعى[٤] ، من عزلة السحى فى مشيرق أحاظة ، ولد عام ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ، تفقه بالمراغي ، وكان من مشاهير الفقهاء فى بلاده ، توارث ابناءه العلم من بعده،فكانت ذريته من أبرك ذراري الفقهاء "لا تكاد تخلو من فقيه يفتى وحاكم يقضى ومدرس يقرئ"[٥] ، ومن ذرية هذا الفقيه ابنه الفقيه أسعد بن الهيثم (ت٤٩٨هـ/١١٠٤م) الذى تفقه بوالده ، وكان له ولدان تفقها به هما : زيد بن أسعد ، وعمرو بن أسعد (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) [٦].

بنو العمراني :

برزت هذه الأسرة فى قرية سير ، وكان من أهم علمائها الإمام يحيى بن أبى الخير العمراني صاحب البيان ، (ت٥٥٨هـ /١١٦٣م) الذى تفقه فى بداية أمره بخاله أبى الفتوح وبغيره من الفقهاء [٧] ، ومن ذرية هذا الإمام ممن ورثوا العلم عنه ؛ ابنه الفقيه طاهر بن يحي العمرانى (ت٥٨٧هـ /١١٩١م) الذى تفقه بأبيه وخلفه فى مجلسه [٨] ،

---

[١] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٣٠ ، ٢٣١.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٣.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٧.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٢٣١.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٢.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص ١١٢ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٥٠.

[٧] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٤.

[٨] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٧.

وكان للفقيه طاهر ولدان تفقها به هما محمد بن طاهر وأسعد بن طاهر [١].

بنو العرشاني :

مؤسس هذه الأسرة فى عرشان الإمام الحافظ على بن أبى بكر العرشانى (ت٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) كان من علماء الحديث البارزين فى اليمن ، ترك هذا الإمام خمسة أبناء تفقه منهم أربعة هم : محمد وعبد الله وأحمد وعمر ، وأصبح هؤلاء الأبناء فقهاء توارث أبناؤهم العلم عنهم ، فذرية الفقيهين أحمد (ت٦٠٧هـ /١٢١٠م) وعمر (ت٦١٦هـ /١٢١٩م) كانوا فى جبلة وعرشان حتى القرن الثامن الهجرى ، وكانوا يعرفون بالقضاة ، خرج منهم العديد من الفقهاء والمحدثين ويصفهم الجندى بأنهم من أبرك ذراري الفقهاء[٢]، أما بالنسبة لذرية الفقيه محمد (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) فقد انتقلوا إلى زبيد وعرفوا هناك ببنى قاضى الرفعة [٣].

بنو عمران :

مؤسس هذه الاسرة الفقيه أبو عمران موسى بن عمران بن محمد الخداشي المعافرى، انتقل من المعافر إلى الإقليم واستقر فى قرية الملحمة [٤] ، وكان ممن تفقه به أبنه أبو اسحاق إبراهيم [٥] ، ومن ثم أخذ عن هذا الفقيه إبنه أحمد بن إبراهيم [٦] ، وتعد هذه الأسرة ــ كما يصفها الجندي ــ من أهم الأسر العلمية وأطولها وجوداً "إذ هم من أول صدر المئة الرابعة وآخر الثالثة ثم إلى عصرنا (القرن الثامن الهجرى) لم يخل عن فقيه"[٧]. وهو أمر يدل على حرص فقهاء هذه الأسرة وسابقاتها فى الحفاظ على مكانتهم العلمية وسعيهم الدؤوب لخدمة مجتمعهم بما يعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة .

---

[١] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٨ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٩٣.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٠٤ ، ٣٠٥.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٣٠٤.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢١٦.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٤٠.

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٤.

[٧] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٠٥.

٤ـ تشجيع الحكام :

درج الحكام المسلمون على احترام العلماء والأدباء وتشجيعهم ، وذلك لأنهم كانوا يرون فيهم سنداً قوياً لهم ، يرجعون إليه عند الحاجة ، فمن المعلوم أن لهذه الشريحة تأثيراً كبيراً على عامة الناس ، إذ ينظر الناس إليها على أنها المثل الأعلى وأن ما يأتى به أصحابها صواب يجب اتباعه ، لذلك حرص الحكام على استرضاء هذه الفئة لكسب ود الرعية من خلالهم ، فكان لكل حاكم مقربين من العلماء والأدباء والشعراء ، يستعين بهم فى بعض ما يشكل عليه من أمور لا سيما تلك التى يكون فيه الرعية أحد أطرافها.

وفى العهد الصليحى سلك الحكام الصليحيون المسلك نفسه ، فأخذوا يقربون إليهم العلماء والشعراء ويبالغون فى إكرامهم ، ولم يكن الخلاف المذهبى ليحول دون ذلك الأمر، فنراهم يقربون العلماء والشعراء بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية [١].

ومن ذلك موقف الملك على بن محمد الصليحى مع الفقيه السنى جعفر بن عبد الرحيم المحابى (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) ، فبعد أن سيطرت قوات الصليحى على الجند ، اقبل عليه فقهاؤها للسلام عليه ، وفيهم الفقيه جعفر المحابي ، وكان كبير الفقهاء فى الجند فى ذلك الوقت ، مما جعل الصليحي يسند إليه منصب القضاء ، إلا أن الفقيه لم يقبل بذلك بحجة أنه لا يصلح له ، فساءت العلاقة بين الطرفين من جراء ذلك ، مما جعل الصليحى يأمر أتباعه بمعاقبة الفقيه ، ثم عاد الصليحى بعد ذلك ليصحح خطأه ويقرب الفقيه المحابى ويستميله إليه ، فجعل له مكانة عالية وأعفى أرضه وأرض أصحابه من الخراج وكان يقبل شفاعته فيما شفع ، ويقول : "ليس فى فقهاء السنة مثله" [٢].

وتصرف الصليحى مع الفقيه السنى على ذلك النحو لا يعنى بالضرورة إعجابه بشخص الفقيه وعلمه ، وإنما كان لابد له من تلطيف الأجواء بينه وبين فئة العلماء السنيين بشكل عام ، على اعتبار أنه كان لا يزال فى طور بناء دولته ، فهو فى أمس الحاجة إلى استرضاء تلك الفئة من خلال بعض الامتيازات التى منحها لهم فى محاولة

---

[١] الهمدانى : الصليحيون ، ص١١٢ ؛ الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٣٦٥ ؛ شرف الدين : تاريخ الفكر الإسلامي ، ص٩٤.

[٢] الأهدل : تحفة الزمن ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، جـ٢ ، ص٣٦١ ، ٣٦٢.

منه لإثبات حسن النوايا ، ومحو النظرة العدائية التى كان يكنها أهل السنة لأتباع المذهب الإسماعيلي ، إذ كانوا يرون أنهم خارجون عن جادة الإسلام [١] ، ومهما يكن من أمر ، فقد أوثر عن الصليحي مسلكه الحسن فى التعامل مع جميع المخالفين له سواءً كانوا مخالفين له فى أمور العقيدة أم فى أمور السياسة ، فكان يؤلف قلوبهم ويعفو عنهم عند المقدرة وتاريخه السياسى خير دليل على ذلك [٢].

وإذا كان هذا حال الملك على محمد الصليحي مع علماء المذاهب المخالفة له فكيف به مع علماء مذهبه ؟ لا شك أنه كان يجل علماء المذهب الإسماعيلي ويعلى من شأنهم ، فهم عماد دعوته وسندها وعلى عاتقهم تقع المسئوليات الجسام ، ومن أولئك العلماء ، الداعى لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠هـ / ١١١٦م) الذى جعله الصليحي على رأس السفارة التى أرسلها إلى الإمام المستنصر عام (٤٥٤هـ /١٠٦٢م) ، وكان فيها عدد من كبار رجال دولته ، مما يدل على تقدير الصليحى له وعلو مكانته لديه [٣].

كما نال الشعراء حظهم من اهتمام الملك على بن محمد الصليحى ، الذى حرص على الاستفادة منهم وتسخير إمكانياتهم البلاغية فى حربه الضروس مع الأعداء ، فكانوا أداة دعائية مؤثرة كان لها وقع خطير فى نفوس المناوئين له ، لذلك ، أنزلهم الصليحى منزلة حسنة وبالغ فى إكرامهم تأسياً بما كان عليه الحكام فى ذلك الوقت[٤].

ومن أشهر الشعراء الذين قرضوا الشعر لدى الملك الصليحي ، الشاعر عمر بن يحي الهيثمي الذى عرف بشاعر الملك على بن محمد الصليحى ، فكان يؤازره بما أوتى من فصاحة وبيان [٥] ، ومنهم الشاعر والأديب أبو عبد الله الحسين بن على بن القم الذى نال مكانة رفيعة لدى الملك الصليحى فاختاره ليكون رئيساً لديوان الإنشاء ومحرراً لمكاتباته

---

[١] الحمادى : كشف أسرار الباطنية ، ص٧٠.

[٢] راجع التمهيد ، ص .

[٣] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٤٢) ، ص١٤٤ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٥.

[٤] الهمدانى : الصليحيون ، ١١٢ ؛ الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٣٧٢.

[٥] عمارة : المفيد ، ص٢٢٤ ؛ الشامى : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٨٣ .

مع إمامه المستنصر الفاطمى [١] ، ومنهم أيضا الحسن بن أبى عقامه الذى كان محل احترام الصليحيين وتقديرهم ، قال عنه عمارة "كان فقيهاً شاعراً إماماً فى العربية..." [٢]، هذا بالإضافة إلى غيرهم من الشعراء ممن وجدوا عناية الملك الصليحى واهتمامه رغم كونهم سنيين لا يعتقدون بالمذهب الإسماعيلى ، وهو أمر ينم عن تسامح الصليحى وسياسته الحكيمة فى التعامل مع هذه الفئة الهامة من رعيته .

أما بالنسبة للملك المكرم فقد اتسم عهده بكثرة الخارجين عليه ، وهذا ما جعله يصرف جل وقته لإعادة الأمن إلى أرجاء دولته والقضاء على المناوئين لحكمه ، سواءً من النجاحيين أو الإشراف الزيدية أو زعامات القبائل المختلفة ، لذلك لم يؤثر عنه الكثير من مظاهر الاهتمام بجوانب الحياة العلمية ، لأن عامل الاستقرار كان مفقوداً بعض الشئ وهو ما سعى المكرم لتحقيقه خلال فترة حكمه (٤٥٩ــ٤٧٧هـ /١٠٦٧ ــ١٠٨٤م) ، وذلك لا يعنى بالضرورة عدم اكتراث المكرم بذلك الأمر ، لا سيما وأن الدولة الصليحية دولة إسماعيلية ، دعامتها الأساسية مذهبها الدينى ، الذى يقوم على اجتهادات دعاتها وفلسفاتهم ، وأكثر من ذلك أن الملوك الصليحيين أنفسهم كانوا يتربعون على قمة الهرم الدينى فى بلادهم .

ومهما يكن من أمر ، فلا شك أن الملك المكرم كان يشرف على شئون دعوته ويقرب إليه دعاة مذهبه ويكرمهم ، ومن ذلك ما يشير إليه الداعى إدريس عن علاقة المكرم بالقاضى الإسماعيلي لمك بن مالك الحمادى بعد عودة الأخير من سفارته إلى مصر ، والتى استمرت زهاء خمس سنين (٤٥٤ــ٤٥٩هـ /١٠٦٢ ــ١٠٦٧م) عاد بعدها وقد ألم بجوانب كثيرة من آداب الدعوة وفلسفاتها على يد كبير الدعاة فى مصر ، المؤيد فى الدين الشيرازي (ت٤٧٢هـ / ١٠٧٩م) فكان المكرم يولى القاضى لمك عناية كبيرة ، ويكن له الكثير من التقدير ، ومن ذلك أنه كان إذا لقيه فى طريقه يترجل المكرم عن فرسه تواضعاً له ، كما كان المكرم يرجع إليه فى كثير من المسائل [٣] ، وليس أدل على مكانة القاضى لدى المكرم من أن المكرم تنازل له عن رئاسة الدعوة الإسماعيلية فى

---

[١] الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٨٦ ؛ الشامى : المرجع والجزء ، ص٩٤.

[٢] عمارة : المفيد ، ص٢٣٣.

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩.

اليمن ، وذلك نزولاً عن رغبة الإمام المستنصر فكان المكرم "داعى السيف" ، وكان لمك "داعى القلم"[١]، قال إدريس "فلم يزل قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادى والداعى الملك المكرم متعاضدين متوازرين متكانفين متظاهرين على إقامة الدعوة والهداية لمن اتبعهما إلى فضل الأئمة ، فهذا قائم فى العلم كالعلم ، وذا قائم بالملك والسيف عن أمر إمامهما..."[٢].

ومن مظاهر اهتمام المكرم بعلماء الدعوة الإسماعيلية إيفاده الشيخ شهريار بن حسن ، ــ وهو أحد علماء فارس وكرمان كان قد التحق بالدولة الصليحية ــ إلى مصر ليأخذ عن المؤيد علوم الدعوة الإسماعيلية [٣] ، ويبدو أن المكرم كان حريصاً على تأهيل علماء الدعوة لا سيما بعد أن رأى أثر ذلك واضحاً فى شخصية القاضى لمك بن مالك الحمادى ، وربما يكون القاضى لمك هو من أشار على المكرم بذلك الأمر ، لينال الشيخ شهريار حظه من علوم الدعوة على يد كبير الدعاة وباب أبواب المستنصر الفاطمى .

ومثل اهتمامه بعلماء دعوته اهتم المكرم أيضا بالشعر والشعراء ، فقرب إليه الشعرء وأجزل لهم العطاء ، وفى ذلك يقول بامخرمة "وكان المكرم جواداً ممدحاً مدحه جماعة من الشعراء وأجازهم الجوائز السنية" [٤] ، وكان من أبرز هؤلاء الشعراء ، الحسين بن القم ، شاعر الدول الصليحية [٥] ، والذى حظى باهتمام البيت الصليحي ، فكان يكتب للمستنصر على لسان المكرم ، كما شارك آل الصليحي بأجمل قصائده فى أفراحهم وأتراحهم ، ومن ذلك قصيدة فى مدح السيدة أسماء أم المكرم ، وأخرى فى رثاء الملك على بن محمد الصليحي ، وقصيدة هنئ بها المكرم على اقترانه بالسيدة الحرة ، كما كانت قصائده من الوسائل الدعائية الهامة التى وظفها المكرم فى حربه ضد بنى نجاح فى

---

[١] الهمداني : الصليحيون ، ص١٧٩.

[٢] المصدر والجزء ، ص ١٥٩ ، ١٦٠.

[٣] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٦١) ، ص٢٠٢ ؛ الهمدانى : المرجع نفسه ، ص٢٦٦ .

[٤] قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٢٢.

[٥] الخزرجى : طراز ، ق٧١.

تهامة أثناء محاولته الأخذ بثأر والده [١].

وبالإضافة إلى العلاقة الحسنة والمعاملة الطبية التى كان يلاقيها ابن القم فى بلاط الدولة الصليحية ، كان لبقية الشعراء نصيب من ذلك الاهتمام ، ومن أولئك الشعراء : أحمد بن على التهامى وعمرو بن يحي الهيثمى وغيرهم [٢].

ومن جهة أخرى سارت السيدة الحرة على منوال من سبقها من الحكام الصليحيين من حيث الاهتمام بالجوانب العلمية فى دولتها ، وإذا كان عهد من سبقها قد اتسم بكثرة الإضطرابات والأخطار التى تعرضت لها الدولة ، الأمر الذى انعكس على اسهاماتهم فى مجالات الحياة العلمية ، فكانت مظاهر اهتمامهم بها قليلة نسبياً ، فإن عهد السيدة الحرة فى معظمه (٤٧٧هـ/٥٣٢هـ ـ ١٠٨٤م/١١٣٨م) كان يختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً ؛ فالهدوء النسبى واستقرار الأوضاع فيما تحت سيطرتها من مناطق هيأ لها الفرصة لأن تولى دولتها وشعبها جزءاً من اهتماماتها ، وقد تجلت تلك الاهتمامات بالجانب العمران ، ومن ذلك بناؤها للجامع الكبير بجبلة[٣] ، والذى أولته السيدة الحرة عناية كبيرة وأوصلت إليه المياه من جبل المشنة فى عمل هندسي بديع [٤] ، وذلك خدمة لرواد المسجد من مصلين وطلاب علم .

وبالإضافة إلى المسجد الجامع أمرت السيدة الحرة ببناء مدرسة لتدريس الصحيحين فى ذي جبلة [٥] ، فهى رغم كونها إسماعيلية المذهب لم تر غضاضة فى ترك الحرية المذهبية لرعيتها ، بل وأكثر من ذلك وانطلاقاً من شعورها بالمسئولية نحوهم ، أمرت ببناء مدرسة يتلقى فيها طلاب السنة علومهم على أيدى شيوخهم من الفقهاء السنيين ، ولا شك أن تلك المدرسة كانت متنفساً هاما لطلاب السنة ، إذا ما علمنا أن المذهب

---

[١] الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤.

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٣٣ ، ١٣٥ ؛ الشامى : المرجع والجزء ، ص١٥.

[٣] عمارة : المفيد ، ص١١٦.

[٤] عطية محمد أمين : اليمن فى عهد السيدة أروى ، ص٣٤٧ .

[٥] الهمدانى : الصليحيون ، ص٢٠٦ ؛ حسن سليمان : الملكة أروى ، ص٩٤.

الإسماعيلي فى عهد السيدة الحرة كان مذهب الأغلبية فى مدينة جبلة [١].

وبالإضافة إلى تلك المنشآت المعمارية كان للسيدة الحرة الكثير غيرها فى مناطق مختلفة من دولتها ، ومن ذلك بناء مسجد الضرية فى يريم [٢] ، وقيامها بتوسيع الجناح الشرقى للجامع الكبير بصنعاء [٣] ، وغير ذلك من الأعمال التى قامت بها السيدة الحرة فى هذا المجال .

ولم يقف عطاء السيدة الحرة عند بناء تلك المنشآت فى ذي جبلة بل سعت إلى إيجاد دخل ثابت يضمن لتلك المنشآت القيام بوظائفها الدينية والتعليمية ، فأوقفت لأجل ذلك أوقافاً كثيرة يعود دخلها على المسجد الجامع ومدرسة الصحيحين وعلى طلاب العلم والعلماء والمتأدبين وغيرهم [٤].

ولأن السيدة الحرة إسماعيلية المذهب فقد أحاطت أهل دعوتها برعايتها لا سيما وقد منحها الإمام المستنصر لقب حجة [٥] ، وممن حظى بهذه الرعاية قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادى الذى عاصر الملك على بن محمد الصليحي ثم ابنه أحمد المكرم وامتد أجله شطراً من عهد السيدة الحرة التى لقب فى عهدها بـ "داعى البلاغ" ، وبعد وفاته عام ٥١٠ هـ / ١١١٦م خلفه ابن يحي بن لمك (ت٥٢٠هـ /١١٢٦م) وتمتع كوالده بمكانة رفيعة لدى السيدة الحرة التى آزرته فى مجال الدعوة ، وكان من ثمار ذلك ازدياد النشاط الدينى للدعوة الإسماعيلية وتثبيت أركانها فى بلاد اليمن والهند وعمان [٦] ، وفى ذلك يقول إدريس "واستقامت بهما معالم الدين فى أقطار اليمن ووضحت بهما الفروض الشرعية والسنن ومضت بهما الأحكام وأقيمت شرائع الإسلام وعرف الحلال

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٠٨.

[٢] الهمداني : المرجع والصفحة ؛ حسن سليمان : المرجع والصفحة .

[٣] الحجرى : مساجد صنعاء ، ص٢٧.

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، حاشية ١.

[٥] الهمداني : المرجع نفسه ، ص١٤٤.

[٦] الهمدانى : الصليحيون ، ص ١٨١ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٦٠٥ .

والحرام" [١] ، ومثل اهتمامها بهذين الداعيين اهتمت كذلك بمن جاء بعدهما وسعت إلى تذليل الصعاب التى اعترضت سبيل دعوتها ودافعت عنها وضحت بالغالى والنفيس فى سبيل ذلك[٢] .

ولم يقف اهتمامها على علوم دعوتها فحسب ، إذ لم يكن فى تصرفاتها ما ينبئ عن عصبية مذهبية ، بل كانت أقرب ما تكون إلى الاعتدال ، فمثلما كانت حريصة على علماء دعوتها ، كانت حريصة أيضا على علماء المذاهب الأخرى ؛ ومن ذلك ما يذكره ابن سمرة عن مكانة الإمام يحي بن أبى الخير العمراني لديها ، وهو عالم سنى فيقول : "إن الإمام يحي بن أبى الخير قدم على الحرة السيدة بنت أحمد الصليحي فى شأن أيتام كانوا تحت يده من أصحابه ، وعلى أراضيهم خراج فأسقطته بجاه الإمام يحي ، واعتذر الوزراء إليه" [٣]. وفى ذلك ما يدل على مكانة العلماء لديها وإجلالها لهم بصرف النظر عن انتماءاتهم المذهبية ، ولعل موقفها من ثورة الفقهاء فى التعكر خير دليل على رفقها بالعلماء وعدم تورعها عن اتخاذ كافة السبل للإبقاء على ودها مع هذه الشريحة الهامة من رعيتها إيماناً منها بالدور الهام الذى تؤديه فى خدمة المجتمع [٤].

أما فيما يتعلق بالشعر والأدب فقد نال حظاً وافراً من اهتمام السيدة الحرة ، فكان بابها ملتقى الأدباء والشعراء الذين كانوا يتسابقون إلى مدحها بأجمل القصائد ، ومن ذلك قول ابن القـــم :

أعلمت أن من الرماح قـــــدودا ... ومـــن الـــصفاح محـــاجراً ونهـــودا
أعلى الأنام أبا وأكرم طينـــــــة ... وأتم أعراقاً وأصلـــب عـــــودا[٥]

وكان من أبرز الشعراء فى عهدها الشاعر والأديب الحسين بن القم الذى كانت له

---

[١] عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٨٥.

[٢] أوصت السيدة الحرة بالكثير من ثروتها للإمام المستور الطيب بن الآمر ، وفوضت أمر إيصال تلك الأموال إلى السلطان أحمد ابن الحسين الصليحى (إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٤٠ ــ ٣٥٤).

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٤.

[٤] عن ثورة التعكر راجع التمهيد ، ص٥٦.

[٥] ابن الديبع : قرة العيون ، ص ١٨١ حاشية .

حظوة كبيرة لدى الملوك الصليحيين لفضله وشعره[١] ، فكان كاتباً ورئيساً لديوان الإنشاء لدى السيدة الحرة [٢] ، وهى الوظيفة التى كانت قد شغرها منذ عهد الملك على بن محمد الصليحي ، ويبدو أن كفاءته ونبوغه الشعرى والأدبى كان من وراء بقائه فى ذلك المنصب طيلة تلك الفترة .

ومن الشعراء المجيدين الذين نالوا حظاً كبيرا من رعاية السيدة الحرة ، السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري[٣] ، لا سيما بعد اعتناقه للمذهب الإسماعيلى على يد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعى (ت٥٣٦هـ /١١٤٢م) فكان الخطاب مخلصاً للسيدة الحرة مادحاً لها بأجمل القصائد اعترافاً منه بفضلها[٤].

ومنهم الشاعر محمد بن الحسن بن الطش اليمنى ، من أهل حضور ، كان قد سمع عن سخاء السيدة الحرة وإكرامها للشعراء ، فقصدها إلى مقر حكمها حتى ينال نصيباً من جوائزها السنية[٥].

ويبدو أن كرم السيدة الحرة وإحسانها إلى الشعراء والأدباء وإكرامها لهم قد أطمع غيرهم ممن ليسوا من الشعراء فى أن يشملهم ذلك الأمر ، ومن ذلك أن رجلاً ادعى أنه من الشعراء فمدح السيدة بما لا يستحق عليه جائزة فاستشفع له السلطان عبد الله بن يعلي الصليحي بقصيدة قال فيها :

قاس الأمور فلم يجد فى فكره ... أمراً يقوم بواجب من عذره
فمضى يلفق راتقاً من نشره ... وشرى ينفق كاسداً من شعره

إلى أن قال :

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٥٨.

[٢] جرادة : الأدب والثقافة ن ص١١٧.

[٣] تذكرة بعض المصادر على أنه أخ الملكة الحرة من الرضاع (إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣٥٩ ؛ عمارة : المفيد ، ص٢٠٣ حاشية) إلا أن محقق ديوان الخطاب يذكر أن ذلك الأمر ليس له سند يؤكده (إسماعيل قربان : السلطان الخطاب ، ص٥٨).

[٤] إسماعيل قربان : المرجع والصفحة .

[٥] الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص٢٠٨.

إن الصنائع فى الكرام ودائـــــــع تبقى ولو فنى الزمان بأســـــــره[١]

وفى هذا دلالة واضحة عن كرم السيدة وسخائها مع الشعراء والأدباء ، الأمر الـذى انعكس على انتاجهم الأدبى فكان انتاجاً رائعاً بفضل ما لمسوه من تشجيع واهتمام .

ومن جهة أخرى سار عدد من ولاة الصليحيين وقادتهم على منـوال رؤسـائهم فـى الاهتمام بالشعر والأدب ، ومن هؤلاء الأمير المفـضل بـن أبـى البركـات الحميـرى (ت ٥٠٤هـ /١١١١م) وزير السيدة الحرة وكبير قادتها كان محباً للـشعر والـشعراء ، وربما كانت تنظم فى ساحة الصريحين فى ذى جبلة مآدب أدبية يتبارى فيها كبار الشعراء رغبة فى كسب وهذا القائد والسيدة الحرة ، ومن هؤلاء الشعراء مصطنع الدولة مواهـب بن جديد المغربى[٢] ، ومحمد بن زياد المأدبى[٣] ، والناجى المصرى[٤] ، وغيـرهم مـن الشعراء .

ولم يقتصر التشجيع الذى وجده العلماء والأدباء علـى الـصليحيين وحـدهم وإنمـا شاركهم فى ذلك عدد من القادة الآخرين أمثال زيد بن المعمر عامل الكرنديين على الجند قبل قدوم الصليحيين ، فكان هذا الوالى مشجعاً للعلماء محباً لهم ومنهم الإمام جعفـر بـن عبد الرحيم المحابى (ت ٤٦٠هـ /١٠٦٧م) الذى حظى باهتمام هذا الوالى ورغبـة فـى القدوم إلى الجند لينتفع الناس بعلمه ، وكان الجند فى ذلـك الوقـت مـن أعمـر مـدن الجبال[٥].

كما لاقى ابن الإمام المذكور أبو بكر بن جعفـر المحـابى (ت ٥٠٠هـ /١١٠٦م) اهتماماً كبيراً من قبل حكام عصره ، إذ كان كما يقول ابن سمرة "رئيساً فى الدين والـدنيا يصحب السلاطين ويقبل جوائزهم"[٦]، ومن هؤلاء السلاطين جياش بن نجـاح صـاحب

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٢٢٥ .

[٢] عمارة : المصدر نفسه،ص٢٣٠؛الجندى : السلوك، ج٢ ،ص٤٩٥ ؛ الخزرجى : العـسجد ، ص٦٦ ، ٦٧

[٣] عمارة : المصدر نفسه ، ص٢١٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٩٨ .

[٤] الأصبهانى : خريجة القصر ، ج٢ ، ص ١٠٤ ؛ الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٠٧.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٤ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٣٦١.

[٦] طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٣ ، ١٠٤.

زبيد والحسين بن المغيرة التبعى وأحمد بن عبد الله الكرندى[١].

وممن كان له دور فى هذا المجال السلطان أسعد بن وائل الوائلي (ت٥١٥هـ / ١١٢١م) ، وصفه عمارة بأنه "صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض"[٢] ، كان هذا السلطان حاكماً على مخلاف أحاظة ، وكان سنى المذهب محباً للعلماء وطلاب العلم ، وكانت مدينة أحاظة "ببركات عبادها وفقهائها وعدل سلاطينها واسعة الأرزاق نضرة البساتين والأسواق ، عامرة المساجد ، كاملة المحارث والموارد" [٣] .

كان هذا السلطان قد عهد بولاية القضاء للإمام زيد بن الحسين الفائشى (ت٥٢٨هـ / ١١٣٣م) الذى كان يقيم فى قرية الجعامى بأحاظة ، إلا أن الإمام امتنع عن قبول المنصب، فعتب عليه السلطان فى ذلك ، ولما بلغه عتاب السلطان قرر مغادرة أحاظة إلى دمت حيث يقيم بها قومه ، ولما علم السلطان برحيل الإمام الفائشى أمر برده ، ووصله بالكثير من المال ، كما أعطاه أرضاً جيدة [٤].

وفى ذلك دلالة واضحة على مدى اهتمام ذلك السلطان بالعلم والعلماء وحرصه على كسب ودهم ، وتوفير البيئة الملائمة لهم حتى يكون عطاؤهم لمجتمعهم على أفضل وجه ، وهذا ما كان عليه علماء أحاظة وفقهائها ، فغدت مقصداً لطلاب العلم يفدون إليها من مناطق شتى لينهلوا من معين ما بها من العلماء .

٥- الإستقرار السياسى :

إن توفر الأمن والأمان شرط لازم للإستقرار ، وهو ما سينعكس إيجاباً على المظاهر الحياتية لأى مجتمع من المجتمعات ، وقد عانى المجتمع اليمنى قبيل قيام الدولة الصليحية

---

[١] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٥.

[٢] المفيد ، ص٨٢.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٨٧؛ الخزرجى : طراز ، ق٨٣.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن، ص٢٣١، ٢٣٢ ؛ الخزرجى:المصدر نفسه ، ق١١٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٥٤١.

من حروب وويلات دفع اليمنيون ثمناً باهظا لها [١].

وبقيام الدولة الصليحية وقضائها على الدويلات المتصارعة وتوحيد بلاد اليمن تحت نفوذها تحسنت الأحوال وعاد الأمن والأمان أفضل مما كان وإن اقتصر ذلك الأمر على فترات القوة التى مرت بها الدولة الصليحية ، غير أن تلك السيطرة لم تدم فى كثير من المناطق ، فعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه من السوء شيئاً فشيئاً لا سيما بعد أن أثقلت الحروب كاهل الدولة الصليحية ، فلم تعد قادرة على كبح جماح المناوئين لها فى نهاية الأمر ، وتمكن هؤلاء ــ القوى الزيدية فى الشمال والنجاحيين فى تهامة والزريعيين فى الجنوب ــ من تحقيق العديد من المكاسب على حساب الصليحيين خاصة فى نهاية عهد السيدة الحرة .

وعلى الرغم من ذلك كله فقد نعم إقليم ذى جبلة خلال حكم الصليحيين بالأمن والأمان وشهد استقراراً سياسياً إلى حد بعيد قياساً بالعديد من الأقاليم الأخرى التى كانت الصراعات سمة مميزة لأوضاعها السياسية كزبيد على سبيل المثال ، ومرد ذلك إلى أن إقليم ذى جبلة كان يشكل معقلاً وقاعدة للدولة الصليحية ، لذلك تكفل الصليحيون بحمايته والحفاظ على استقرار أوضاعه فى أغلب فترات حكمهم باستثناء بعض الحالات التى تعرض فيها الإقليم لأطماع بعض القوى الأخرى سواءً قبل أن تتخذ منه الدولة الصليحية قاعدة لها أو بعد ذلك [٢]. كما أن الأمر لم يخل من بعض المشاكل الداخلية كثورة الفقهاء فى حصن التعكر عام ٥٠٥هـ / ١١١١م ، وهو ما تكفلت السيدة الحرة بمعالجته بصبر وحكمة وأعادت الأمور إلى نصابها [٣].

ومهما يكن من أمر ، فقد انعكس ذلك الاستقرار على طلاب العلم فأخذوا يقبلون على تلقى علومهم بحرية ، ويتنقلون بين مراكزه المختلفة كيفما يشاءون ، وكذلك الحال بالنسبة للعلماء الذين أنعكس ذلك الأمر على إبداعاتهم الفكرية ونتاجهم العلمى ، فكان من ثمار ذلك ظهور العديد من المصنفات الهامة التى كان لها صدى كبير فى كثير من بلاد

---

[١] يحي بن الحسين : أنباء الزمن ، ص١٤٦ ، ١٤٧.

[٢] أنظر : التمهيد ص ٣ ــ ٣.

[٣] أنظر : التمهيد ، ص ٥.

الإسلام، وهو ما سنأتى للحديث عنه فى فصل لاحق .

وقد ظهرت أهمية الاستقرار السياسى فى العملية التعليمية بعد سقوط الدولة الصليحية؛ حيث أخذت القلاقل بالظهور وأحدقت بالإقليم العديد من الأخطار ، سواء فيما حدث من حروب بين أهالى بعض المناطق [١] ، أو فيما أحدثته فتنة ابن مهدي [٢] من آثار سيئة على الإقليم ، لا سيما العلماء الذين كان يستحل قتلهم مما دفع بعضهم إلى الرحيل بحثاً عن أماكن أكثر أمنا [٣].

٦ـ العامل المذهبى :

شهد الإقليم ظهور عدد من المذاهب الفقهية وهى المذهب الحنبلى والمذهب الشافعى ثم المذهب الأشعرى [٤] ، بالإضافة إلى المذهب الإسماعيلي والذى كان منحصراً فى مدينة ذى جبلة [٥] ، فى حين كان انتشار المذاهب الأخرى فى أنحاء الإقليم ، وقد ساد فى بداية الأمر المذهب الحنبلى فى الأصول والمذهب الشافعى فى الفروع ، وبقى الحال على

---

[١] تتحدث المصادر عن حدوث حروب بين أهالى سير وفتن دفعت أهلها إلى مغادرتها ومنهم الإمام يحي بن أبى الخير الذى غادرها إلى ذى السفال ثم إلى ذى أشرق (ابن سمرة ، ص١٧٩ ؛ الجندى : ج١ ، ص٢٩٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٤٠) .

[٢] عبد النبى بن على بن مهدى : خلف أخاه مهدى على حكم دولته عام ٥٥٩ هـ ـ ١١٦٣م ، وتمكن فى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م من هزيمة الشريف وهاس صاحب المخلاف السليماني وقتله ، وفى نفس العام تمكن من الاستيلاء على تعز وصبر ثم توجه فى العام التالى صوب إقليم ذى جبلة (مخلاف جعفر) وتمكن من الاستيلاء على مدينة إب والمجمعة والشماحى وغيرها وبلغت دولة بنى مهدى فى عهده أقصى اتساع لها ، غير أن القوى القبلية تمكنت من التحالف ضده وهزيمته فى إقليم جبلة عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م ثم فى تعز وأجبرته على العودة إلى زبيد ، ثم لم يلبث أن قدم توازن شاه الأيوبى إلى اليمن فى نفس العام ، وقضى على دولة بنى مهدى . (ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٦٦ ـ ٣٧٢ . ويذكر أن وفاة مهدى بن على كانت فى عام ٥٥٨هـ /١١٦٢ م ؛ الخزرجى : العسجد ، ص ١٣٧ ـ ١٤٠ ؛ المطاع : تاريخ اليمن ، ص٣٥٢ ، ٣٥٣ ؛ السرورى : الحياة السياسية ، ص٢٩٥ ـ ٢٩٩).

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٧.

[٤] أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص٩٢.

[٥] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٠٨.

ذلك إلى أن تمكن أتباع المذهب الأشعرى فى القرن السادس الهجرى من انتزاع الصدارة من أتباع المذهب الحنبلى وتمكين مذهبهم من الانتشار فى أنحاء الإقليم وسائر اليمن الأسفل ، وتحول العديد من الحنابلة إلى المذهب الأشعرى ، فصاروا أشاعرة فى الأصول شافعية فى الفروع ، فى حين بقى بعض الحنابلة على معتقداتهم فى الأصول [١].

وبطبيعة الحال كان ذلك التعدد المذهبى سبباً كافياً لحدوث الاختلافات والصراعات المذهبية بين أتباع تلك المذاهب ، إذ سعى أصحاب كل منها إلى الذود عن مذهبه وإثبات صواب معتقده وأن من يخالفونه المعتقد هم على خطأ ، بل ربما كان ذلك دافعاً لتكفيرهم[٢] ، بمعنى أن ذلك الإختلاف لم يكن مجرد خلاف بسيط لا يفسد للود قضية ، بل كان خلافاً حاداً مصحوباً بتعصب شديد للمعتقد ، الأمر الذى أدى إلى مشاحنات شديدة بين أتباع تلك المذاهب .

إلا أن هناك أمراً هاماً ترتب على ذلك الخلاف وهو أمر يتعلق بالجانب الفكرى ، إذ سعى كل طرف من تلك الأطراف المتشاحنة إلى إثبات حجته ودعمها بما يقدر عليه من أدلة لإفحام الخصوم ، فأقيمت لأجل ذلك العديد من المناظرات العلمية وألفت العديد من المصنفات التى تنقض آراء الخصوم ثم الرد عليها فيما يسمى بكتب النقض والردود ، وكانت المحصلة النهائية من ذلك الأمر إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من الأعمال الفكرية التى تناولت الجانب العقائدى لتلك المذاهب ، وأوضحت الإطار الفكرى لها وأظهرت مستوى الفكر الفلسفى لأتباعها ، كما أسهمت فى الوقت نفسه فى إحداث تلاقح فكرى وإيجاد تأثر وتأثير بين أتباع المذاهب من خلال وقوف علمائها على الحصيلة الفكرية لبعضهم البعض [٣].

ومن مظاهر ذلك التنافس المذهبى ما حدث من مناظرات بين بعض علماء الإقليم

---

[١] أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص٩٢.

[٢] أنظر على سبيل المثال : ما حدث من خلاف بين فقهاء ذى أشرق وفقهاء تهامة بعد هروب هؤلاء من بلدهم خوفاً من فتنة ابن مهدى ، ثم ما جرى بينهم من جدال عقائدى أدى إل تكفير بعضهم لبعض (الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٤٠) .

[٣] أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات الفكرية ، ص٤٣ ، ٤٤.

وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى ومنها :

- المناظرة السنوية التى كانت تقام فى زبيد بين الإمام الشافعى أبو بكر بن جعفر المحابى (ت٥٠٠هـ /١١٠٦م) والذى كان يرحل فى كل عام إلى زبيد لمناظرة القاضي محمد بن أبى عوف الحنفى ، وكان هذا القاضى كبير علماء الحنفية فى زبيد فى القرن الخامس الهجرى ، وهو صاحب كتاب "القاضى" المشهور عند الحنفية فى اليمن والشام والعراق ، ويذكر ابن سمرة والجندى أن الإمام أبو بكر كان يتفوق فى تلك المناظرات على القاضى ابن عوف ، وذلك لشدة حفظه [١].

- ومنها المناظرة التى حدثت فى مكة عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م بين الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى (ت٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) الحنبلى فى الأصول ، والفقيه الواعظ الشيخ محمد بن أحمد العثمانى [٢] (ت٥٢٧هـ / ١١٣٢م) وكان على المذهب الأشعرى ، فجرت بينهما مناظرة فى الفقه والأصول استطاع فيها الإمام يحي أن يقيم الحجة على العثمانى ــ حسبما يذكره ابن سمرة ومن نقل عنه ــ وعلى الرغم من ذلك فقد استفاد الإمام يحي من مجريات تلك المناظرة ، ونقل عن العثمانى عدة مسائل عند تأليفه كتاب "البيان" فى الفقه الشافعى ، كما نقل عن العثماني أيضا فى تعليقاته ، وكان ذلك شهادة من الإمام يحي بعدالة الفقيه العثمانى وجواز الأخذ عنه [٣]. ويعلق الجندى على ذلك بقوله "ولو كان قد اعتقد جرحه أو فسقه كما يرى جماعة من الجهال، يكفرون من خالفهم فى المعتقد ولا يقبلون نقله ، لما نقل عنه ولا قيل منه"[٤]. وفى ذلك إشارة لطبيعة العلاقة بين الفقهاء أتباع المذاهب المختلفة الذين لم تتسع صدور كثير منهم للإنفتاح على المذاهب المخالفة لمذاهبهم فأخذوا يكفرون من يخالفونهم فى المعتقد مما

---

[١] طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٣ ، ٢٤٩ ؛ السلوك ، ج١ ، ص٢٤٤.

[٢] العثمانى : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي بن خير العثمانى الديباجي ، من ولد الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من أهل نابلس ، ولد سنة ٤٦٢ هـ ــ ١٠٦٩ ببيروت ، وتوفى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢م (ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٧ حاشية ١) .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن، ص٢٣٨ ، ٢٣٩ .

[٤] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٥.

جعل العلاقة بينهم يشوبها كثير من الاضطراب .

- ومنها المناظرة التى أقيمت بين القاضى الزيدى جعفر بن أحمد بن عبد السلام المعتزلى (ت٥٧٣هـ / ١١٧٧م) ، وبعض الفقهاء فى الإقليم ، حيث قدم هذا القاضى إلى مدينة إب رغبة فى مناظرة علمائها واقناعهم بالعدول عن معتقدهم إلى المعتقد المعتزلى ، فانبرى له فيها الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهى (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) ، وتمكن من إقامة الحجة عليه [١].

وبعد أن علم الإمام يحي بقدوم القاضى جعفر أرسل إليه تلميذه الفقيه على بن عبد الله بن عيسى الهرمى (ت٥٧٠هـ /١١٧٤م) لمناظرته ، وتم اللقاء بين الطرفين فى حصن شواحط برئاسة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل المسكينى[٢] ، وتتضارب المصادر ــ الشافعية والزيدية ــ فى قصة تلك المناظرة ، كل منها يدعى أن صاحبه هو المنتصر ، ففى حين يورد الجندى أن الفقيه الهرمي قد أفحم القاضى جعفر أثناء المناظرة[٣] ، يذكر ابن أبى الرجال أن الفقيه الهرمى "أفحش على القاضي وتسفه وأضحك نفسه والحاضرين بحماقات لا تليق بالعلماء" [٤] ، وبغض النظر عن الفائز فى تلك المناظهرة فهى ولا شك قد فتحت الباب واسعاً لظهور عدد من التصانيف الكلامية الهامة التى ألقت الضوء على اجتهادات علماء المذاهب المختلفة فى مجال العقيدة ورؤيتهم لبعض المسائل الهامة التى كانت موضع خلاف بينهم.

ومن جهة أخرى وفيما يتعلق بالمنافسة المذهبية فى إطار الإقليم بين المذهبين الحنبلى والأشعرى ، فقد اشتدت المنافسة بين أتباع المذهبين ، وبدا ذلك واضحاً من خلال ما حدث من مناظرات كثيرة بين الإمام يحي العمرانى وولده الفقيه طاهر بن يحي (ت٥٨٧هـ /١١٩١م) الذى كان له رأى خلاف رأى والده فى المعتقد ، فكان أشعرياً فى

---

[١] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص ٢٤١.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٥.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ؛ الأهدل : المصدر والصفحة

[٤] الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٥٥٤ ؛ نقلاً عن : ابن أبى الرجال : مطلع البدور ، ق٣٨١.

الأصول مما أدخله فى نطاق المواجهة الشديدة مع والده وغيره من فقهاء الحنابلة [١]. فكان الإمام يكفر ولده لأنه أشعرى والابن يكفر والده لأنه حنبلى ، غير أن طاهر لم يطق فراق والده فتبرأ من معتقده الأشعرى وعاد إلى معتقد أبيه مدة حياته ، أما بعد وفاة والده فلم يلبث أن عاد أشعرياً كما كان من قبل [٢] ، مما أثار استياء الفقهاء الحنابلة واستنكارهم ، "فأجمعوا على هجره والإنكار عليه مشافهة ومراسلة ومكاتبة" ، وكان من أشد العلماء إنكاراً عليه الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهى (ت٥٨٦هـ /١١٩٠م) الذى رد على الفقيه طاهر بكتاب[٣] (لم تذكر المصادر إسمه) "شرح فيه ثلاث قصائد لنفسه فى المعتقد ، وفيه رد شنيع على الإمام طاهر بن يحي الأشعرى" [٤].

ويبدو أن المذهب الأشعرى إلى ذلك الحين (قبيل قدوم الأيوبيين إلى اليمن عام ٥٦٩هـ /١١٧٤م) لم يكن بقوة المذهب الحنبلى فى الإقليم ، لذلك كانت الهجمة قاسية على أتباعه ومنهم الفقيه طاهر بن يحي الذى اضطره ذلك الأمر إلى الخروج عن الإقليم والتوجه إلى مكة [٥].

لم تقتصر مظاهر التنافس المذهبى على المناظرات التى كان يعقدها أتباع المذاهب المختلفة ، بل ظهرت ــ كما أسلفت ــ كتب النقض والردود [٦] ، ولعل نزول القاضى المعتزلى جعفر بن عبد السلام إلى الإقليم وسعيه لإظهار قدراته الكلامية على الفقهاء فى محاولة منه لثنيهم عن مذاهبهم وإقناعهم بالمذهب المعتزلى ، كان دافعاً لأن يقوم الإمام يحي بكتابة رسالة إليه أوضح له فيها معتقد الحنابلة ، وذكر فيها الأخبار المروية عن الرسول (ص) والتى تحذر من القدرية ، وبعد أن اطلع القاضى جعفر على مضمون تلك الرسالة صنف فى الرد عليها كتاباً أسماه "الدامغ للباطل من مذاهب الحنابل" ، هجم فيه

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٦ ؛ الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٥٣٨ . نقلا عن : ابن أبن الرجال : مطلع البدور ، ق٣٨٠.

[٢] الشامى : المصدر والجزء ، ص٥٣٨ ، نقلاً عن ابن أبى الرجال : مطلع البدور ، ق٣٨٠.

[٣] الجندى : المصدر والجزء ، ص ٣٢٢ .

[٤] الأهدل : تحفة الزمن ، ص ٢٦٧.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٧.

[٦] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٩٤ ؛ أحمد عبد الله عارف: مقدمة فى الإتجاهات الفكرية ، ص٤٣.

على عقائد الحنابلة ، وقال ببطلانها ، مما دفع بالإمام يحي بعد وقوفه على مضمون ذلك الكتاب أن يرد عليها بكتاب أسماه "الانتصار فى الرد على القدرية الأشرار" [١] أوضح فيه عقيدة الحنابلة فى أصول الدين ونقض حجج خصمه [٢] ، ولم يقتصر رده على القاضى جعفر بل شمل المخالفين له من اتباع المذهب الأشعرى الذى نالهم نصيب من رده فى بعض المسائل [٣].

ومثلما وقف علماء الحنابلة دفاعاً عن معتقدهم فى وجه المعتزلة ، سلك العلماء الأشاعرة الطريق نفسه وألفوا فى الرد على المعتزلة عدداً من الكتب منها ما ألفه الفقيه الأشعرى طاهر بن يحي الذى وضع كتاب "جلاء الفكر فى الرد على نفاة القدر" وكتاب آخر بعنوان "كسر قناة القدرية" رد فيه على القاضى المعتزلى جعفر بن عبد السلام [٤].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٨٠ ؛ الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٥٥٠ ، ٥٥١ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص٧٦ ؛ أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الإتجاهات الفكرية ، ص٤٢.

[٢] أحمد عبد الله عارف : المرجع والصفحة .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨١ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٤] الحبشى : مصادر الفكر الإسلامى ، ص ٩٩ ؛ الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص ١٩٥.

الفصل الرابع

الفرق المذهبية فى الإقليم

المذاهب الدينية فى بلاد اليمن
الفرق المذهبية فى الإقليم
طبيعة العلاقة بين أتباع الفرق المذهبية

سنتناول فى هذا الفصل الحديث عن المذاهب الدينية التى ظهرت فى بلاد اليمن حتى فترة الدراسة وذلك من خلال الحديث عن مذاهب أهل السنة (المذهب الحنفى ، والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي ، والمذهب الحنبلي) ، والمذاهب الشيعية (المذهب الزيدي ، والمذهب الإثنى عشري ، والمذهب الإسماعيلي) ، وكذلك المذهب الخارجي ممثلا بالمذهب الإباضي .

كما سنتناول أيضا الحديث عن الفرق المذهبية فى إقليم ذى جبلة من خلال الحديث عن جهود اتباع تلك الفرق فى خدمة مذاهبهم وطبيعة العلاقة التى كانت تربط بين اتباع تلك الفرق بعضهم ببعض .

المذاهب الدينية فى بلاد اليمن :

أ ـ مذاهب أهل السنة :

يعتبر عصر تكوين المذاهب الفقهية العصر الذهبى للتشريع الإسلامي[١] ، ففى هذا العصر أبدع العديد من علماء المسلمين فى المجال الفقهي من خلال ما تركوا من آراء واجتهادات فقهية أنارت الطريق لكثير من المسلمين ، ثم تبلورت تلك الآراء والاجتهادات فى شكل مذاهب فقهية تعددت بتعدد العلماء المجتهدين .

كان الجو العام الذى ظهرت فيه المذاهب مشحوناً بكثرة الفتن واشتداد الخلاف بين المسلمين ، كما كثر فيه الكاذبون على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أكثر من أى وقت مضى[٢] ، فضلاً عن أن انفتاح المسلمين على حضارات الشعوب الأخرى كنتيجة طبيعية لعملية الفتوح الإسلامية قد صاحبه ظهور العديد من القضايا التى لم يجد لها فقهاء المسلمين حلاً صريحاً فى الكتاب الكريم ، ولا فى السنة النبوية الشريفة ، الأمر الذى استدعى معه ضرورة إعمال الفكر لإيجاد الحلول اللازمة لتلك القضايا[٣].

---

[١] أحمد شلبي : التشريع والقضاء فى الفكر الإسلامي ، ط٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٨٩م ، ص١٩٢.

[٢] محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٢٧١.

[٣] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص٥٦.

اتجه الفقهاء فى التعامل مع تلك القضايا اتجاهين مختلفين ؛ الاتجاه الأول تبناه فقهاء العراق أو "مدرسة العراقيين" ، وهو اتجاه يميل أصحابه إلى الأخذ بالرأي إذا لم يكن هناك نص صريح من الكتاب أو السنة ، وقد أكثر هؤلاء فى الرأى فعرفوا لذلك بـ (أهل الرأى) ، أما الاتجاه الآخر فقد تبناه فقهاء الحجاز أو "مدرسة الحجازيين" ، وهو اتجاه اعتمد فيه أصحابه على الكتاب والسنة اعتماداً كلياً ، ولم يأخذوا بالرأى إلا عند الضرورة ، فعرفوا لذلك بـ (أهل الحديث)[١] ، وكان إمام أهل الرأى أبو حنيفة فى حين كان إمام أهل الحديث مالك بن أنس[٢] ، وكان لكل من الفريقين ما يبرر وجهته ؛ فكان اعتماد العراقيين على الرأى لقلة الأحاديث الصحيحة لديهم بعد أن تشددوا فى شروط الرواية ، فى حين كثر الحديث فى الحجاز فاعتمدوا عليه[٣] ، وتركوا الأخذ بالرأى إلا عند الضرورة[٤].

جاء بعد ذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ / ٨١٩م) فسلك مسلكاً وسطاً بين المدرستين السابقتين ، وخلص إلى مذهب خاص به هو المذهب الشافعى ، اعتمد فيه على القرآن الكريم والسنة والإجماع فى المسائل التى جرى العمل بها فى كافة بلاد الإسلام ، كما ذهب إلى تعميم استعمال القياس وإعمال الرأى[٥].

ثم جاء بعد الإمام الشافعي الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ /٨٥٥م) الذى أبدى اهتماماً كبيراً بجمع السنة وتدوينها ، وقد أثمرت تلك الجهود فى ظهور كتب الحديث الستة خلال القرن الثالث الهجري ، وكان ذلك مكسباً كبيراً لأهل الحديث الذين تعزز موقفهم على حساب الإتجاه المعتمد على الرأى ، فظهر المذهب الحنبلى المنسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل[٦].

كانت تلك هى أهم المذاهب السنية التى أظهرت فى بلاد الإسلام وانتشرت فى أقاليمه

---

[١] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص٥٦.

[٢] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص٤٤٦.

[٣] ابن خلدون : المصدر والجزء والصفحة ..

[٤] أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٢٦٠.

[٥] أيمن فؤاد سيد : المرجع نفسه ، ص٥٨.

[٦] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢١٩.

المختلفة ومنها بلاد اليمن ، وفيما يلى سنتناول الحديث عن انتشار تلك المذاهب فى بـــلاد اليمن :

١ــ المذهب الحنفـــى :

كان من أهم العوامل التى ساعدت على انتشار المذهب الحنفي فى الـــيمن أنـــه كـــان المذهب الرسمي للدولة العباسية ، وكانت اليمن إحدى الولايات التابعة لها ، فكان يـــسرى عليها ما يسرى على غيرها من الولايات من تعيين العمال والقضاة ، وكان القـــضاء فـــى بغداد بيد القضاة الأحناف ، لذلك حرص هؤلاء على أن لا يلى هذا المنصب إلا من كـــان حنفى المذهب[١].

كما ساهم عدد من علماء اليمن بدخول هذا المذهب ومنهم أبو قرة موسى بن طـــارق اللحجي ، وأبو سعيد الجندي الذى تلقى فقه أبي حنيفة عن القاضى محمـــد بـــن يوســـف الحذاقى الصنعاني[٢].

ولذلك دخل المذهب الحنفى إلى اليمن منذ أواخر القرن الثاني الهجري[٣] ، وأصـــبح بمرور الوقت أكثر المذاهب انتشاراً فى اليمن حتى أواخر القرن الرابع الهجري لا ســـيما فى صنعاء وصعدة[٤] وتهامة[٥].

غير أن السيطرة التى أحرزها المذهب الحنفى فى المناطق الشمالية لـــم يكتـــب لهـــا الإستمرار ؛ فمنذ أواخر القرن الرابع الهجري تمكن المذهب الزيدي من أن يفرض نفـــسه على تلك المنطقة مما دفع بالمذهب الحنفي للتراجع لينتهي به المطاف فى منطقة زبيـــد[٦] التى حافظ على بقائه فيها خلال القرن الرابع ، وشطراً من القرن الخامس الهجـــرى ، إذ

---

[١] أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٣٨١ ؛ أحمد تيمور : نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ، ط١ ، دا رالقادري ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٥١.

[٢] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٧.

[٣] المختار : الحياة العلمية ، ص٢٥٩.

[٤] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٠٦.

[٥] ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص٨٨.

[٦] الشجاع : المرجع نفسه ، ص٢٧٤ ، ٢٧٥.

كانت الدول التى حكمت تهامة واتخذت من زبيد عاصمة لها كانت تابعة للخلاف العباسية، ومن ثم حنفية المذهب ، لذلك قدر له البقاء خلال تلك الفترة[١].

وفى الربع الأخير من القرن الخامس الهجري تراجع المذهب الحنفي أمام المذهب الشافعي بتشجيع من الأمير جياش بن نجاح (ت٤٩٨هـ / ١١٠٤م) الذى اتخذ من المذهب الشافعي مذهباً رسمياً لدولته[٢] ، إلا أن المذهب الحنفي عادت له صولته مرة أخرى فى منتصف القرن السادس الهجري مع وصول بنى مهدي إلى الحكم (٥٥٣ـ ٥٦٩هـ / ١١٥٨ ـ ١١٧٣م) ، حيث اتخذوا منه مذهباً لهم فى الفروع[٣] ، فى حين كانوا على مذهب الخوارج فى الأصول[٤].

٢ـ المذهب المالكي :

دخل هذا المذهب إلى اليمن من خلال عدد من علماء اليمن الذين أخذوا عن صاحب المذهب ، الإمام مالك بن أنس الأصبحى ، ولعل أبرز هؤلاء الفقيه المالكي على بن محمد بن أحمد التباعي ، الذي انتشر على يديه المذهب المالكي فى بلاد اليمن[٥] أواخر القرن الثاني الهجري تقريباً . وعلى الرغم من افتقار المذهب المالكي إلى قوة تسانده إلا أنه كان نداً قوياً للمذهب الحنفي في القرن الثالث وشطراً من الرابع الهجري[٦]. غير أن المذهب المالكي انحصر نشاطه بعد ذلك فى أواخر القرن الرابع الهجري ، فاقتصر وجوده على منطقة وصاب[٧] وهى المنطقة التى كان منها الفقيه على بن محمد بن أحمد التباعي ومن

---

[١] ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص٨٨ ؛ السمين : المذهبان ، ص٣٠١.

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٠٧ ؛ الخزرجي : العسجد ، ص١١١؛ السمين: المرجع نفسه ، ص٣٠٢.

[٣] عمارة : المفيد ، ص١٩٠ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ٥١٩.

[٤] السروري : الحياة السياسية ، ص٢٩٠.

[٥] الجندى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٧ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٧٦.

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٧٩ ؛ الشجاع : المرجع والصفحة .

[٧] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٠٦ ؛ الشجاع : المرجع نفسه ، ص٢٧٧ ، ووصاب ناحية كبيرة تابعة لذمار كانت تعرف قديماً بجبلان العركبة (الأكوع : البلدان اليمانية، ص٣٠٠ حاشية ٣ ؛ المقحفي: معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨٧٣.

بعده ذريته فقهاء وصاب المعروفين بالتباعيين[١] ، ولعل هذا ما يفسر استقرار المذهب المالكي فى هذه المنطقة[٢].

وترجع أسباب انحسار المذهب المالكي فى اليمن إلى أن هذا المذهب لم يحظ بقوة سياسية تسانده ، كما هو الحال بالنسبة للمذهب الحنفي ثم الزيدي ، كما أنه لم يكن له من الاتباع من يعملون على نشره والمدافعة عنه[٣]،والأهم من ذلك كله هو أن المذهب المالكي لم تعد له المكانة القوية فى بلاد الحجاز لا سيما بعد أن تغلب المذهب الشافعي على منبري مكة والمدينة وقد عكس هذا الأمر نفسه سلباً على انتشار المذهب المالكي في اليمن[٤].

٣ــ المذهب الشافعي :

دخل مذهب الإمام الشافعي إلى اليمن فى القرن الثالث الهجري[٥] ، وكان للرحلات العلمية التي قام بها الطلاب دور هام فى ذلك الأمر[٦].

غير أن القرن الثالث الهجري لم يشهد نشاطاً ملحوظاً لأتباع المذهب الشافعي ، وإنما كانت مظاهر ذلك النشاط قد بدأت تتضح أواخر القرن الرابع الهجري ، الذي شهد انتشار المذهب الشافعي حول الجند والمعافر ، وحل فيها بدلاً عن المذاهب الصغيرة التى كانت موجودة فى تلك الأنحاء مثل مذهب ابن المنذر[٧] (ت٣١٩هـ /٩٣١م) ، ومذهب

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص١٤٧.

[٢] السمين : المذهبان ، ص٣٠٤ ، وهناك إشارات إلى وجود المذهب المالكي فى اليمن فى غير وصاب فى القرن السادس الهجري ، حيث يذكر الجندي أن هناك وجود للمذهب المالكي فى زبيد فى تلك الفترة (السلوك ، ج٢ ، ص٥١٣، كما يشير ابن المجاور لوجود مسجد للمالكية فى عدن فى القرن ٧هـ (صفة بلاد اليمن ، ص١٣٢) إلا أن وجود المذهب فى زبيد وعدن فى تلك الفترة كان بسيطاً ولا يقارن ببقية المذاهب التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت .

[٣] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٧٦.

[٤] الشجاع : المرجع نفسه ، ص٢٢٥ ، ٢٧٦.

[٥] الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٧١.

[٦] الشجاع : المرجع نفسه ، ص٢٢٤.

[٧] ابن المنذر: هو الحافظ العلامة ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، شيخ الحرم ، كان مجتهداً=

سفيان بن عيينه[١] (ت١٩٨هـ /٨١٣م) [٢].

ولعل تأخر انتشار المذهب الشافعي فى اليمن حتى أواخر القرن الرابع الهجري راجع إلى قوة المذهبين السنيين : الحنفي والمالكي اللذين دان بهما أغلب أهل اليمن حتى ذلك الوقت[٣] ، فلم يكن بمقدور المذهب الشافعي أن يقف منهما موقف المنافس ، بل كان شأنه فى ذلك شأن المذاهب الصغيرة في اليمن فى تلك الفترة ، كما برزت عوامل أخرى حدت من انتشار المذهب الشافعي حتى ذلك الوقت مثل فتنة القرامطة التي ظهرت فى اليمن أواخر القرن الثالث الهجري ، والتى امتد تأثيرها إلى العديد من الأقاليم اليمنية[٤].

وفى أواخر القرن الرابع الهجري تغيرت الأوضاع بالنسبة للمذهب الشافعي ، حيث تمكن من الانتشار فى العديد من المناطق اليمنية مثل زبيد ولحج وأبين وعدن وغيرها[٥].

وكان من أبرز العوامل التي أدت إلى انتشار المذهب الشافعي في اليمن وجود العديد من الأتباع الأكفاء الذين عملوا بإخلاص على نشر المذهب والدفاع عنه[٦] ، فأثمرت جهودهم بمرور الوقت حتى صار المذهب الشافعي أهم المذاهب السنة فى بلاد اليمن منذ

=لا يقلد أحداً وله من التصانيف : المبسوط والإجماع والتفسير ، وغيرها ، توفى فى مكة عام ٣١٨هـ / ٩٣٠م (السيوطى : طبقات الحفاظ ، ج١ ، ص٣٣٠) .

[١] سفيان بن عيينه : هو أبو محمد سفيان بن عيينه بن أبى عمران الهلالي ، كان إماماً عالماً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته . قال عنه الشافعي "لولا مالك وابن عيينه لذهب علم الحجاز" ، وكانت وفاته عام ١٩٨هـ/٨١٣م فى مكة (البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص١٧٤ ، ١٨٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣٩١ ، ٣٩٣ ؛ اليافعى ، مرآة الجنان ، ج١ ، ص٤٥٩).

[٢] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٠٦ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٢٤.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٧٤ ، ٧٩ ؛ السمين : المذهبان ، ص٣٠٥.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه، ص٧٥ ، وسنأتى للحديث عن هذا الموضوع فى حينه .

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٨.

[٦] أمثال الشيخ الحافظ موسى بن أبى أبى عمران المعافري وتلميذه عبد العزيز بن ربحي (ت حوالى ٤٠٠ هـ/١٠٠٩م) وعبد الله بن على من آل زرقان والحسين بن جعفر المراغى (ت بعد ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) والفقيه الحافظ محمد بن يحي بن سراقة العامري (ت٤١٠هـ /١٠١٩م) والإمام القاسم بن محمد الجمحى (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م)؛ ابن سمرة : المصدر نفسه، ص٨٠ـ٨٤.

القرن الخامس الهجري . كما كان التقدم الذى أحرزه المذهب الشافعى فى الحجاز وتصدره إمامة الحرمين فى مكة والمدينة أواخر القرن الرابع الهجري على حساب المذهب المالكي أثر هام انعكس إيجاباً على مكانة المذهب الشافعي فى اليمن وعزز من وجوده[١] ، فكثر أتباعه وازداد انتشاره وأصبح علماء المذهب الشافعي مقصداً لطلاب العلم يفدون إليهم من أنحاء مختلفة من بلاد اليمن ليأخذوا عنهم علوم المذهب الشافعي[٢].

٤ــ المذهب الحنبلي :

ترجع البدايات الأولى لظهور هذا المذهب فى اليمن إلى القرن الرابع الهجري[٣] ، حيث ظهرت الآراء الكلامية للإمام أحمد بن حنبل من خلال بعض المؤلفات فى مجال أصول الدين أمثال كتاب "الشريعة" لمحمد بن الحسين الآجري (ت٣٣٠هـ / ٩٤١م) وكتاب "التبصرة" فى علم الكلام لهبة الله بن ثابت البندنيجي (ت على رأس ٥٠٠هـ/١١٠٦م) [٤]، وكتاب "الحروف السبعة فى الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلالة والبدعة" للحسين بن جعفر المراغي[٥].

ويبدو أن تلك الكتب قد عرفت طريقها إلى اليمن من خلال الرحلات العلمية التى كان يقوم بها طلاب العلم والعلماء بين اليمن وغيرها من الأمصار الإسلامية لا سيما مكة التى كانت تروج فيها تجارة الكتب[٦] .

اشتهرت الآراء الكلامية للإمام أحمد بن حنبل فى اليمن أكثر من آرائه الفقهية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين[٧] ، فتمسك بها شافعية اليمن فى ذلك الوقت ، فى حين لم تحظ آراء الإمام أحمد بن حنبل الفقهية بالانتشار فى اليمن ، وفى كثير من بلاد الإسلام

---

[١] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٧٩ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٨٨ .

[٣] الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص٢٧.

[٤] الدجيلي : المرجع والصفحة ؛ أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات الفكرية ، ص١٥.

[٥] الدجيلي : المرجع والصفحة .

[٦] السروري : الحياة السياسية ، ص٦٢٦.

[٧] الشجاع : المرجع نفسه، ص٢٢٥.

، حتى أنهم لم يشكلوا غالبية المسلمين فى أى إقليم من الأقاليم الإسلامية[١].

وترجع الأسباب التى أحجمت بكثير من الناس عن الاعتقاد بالآراء الفقهية للمذهب الحنبلي إلى تأخره زمنياً عن بقية المذاهب السنية التى سبقته ، فلم يحظ لنفسه بأتباع يدافعون عنه كما هو حال بقية المذاهب الأخرى ، كما أن اتباع المذهب الحنبلي لم يتبوءوا مناصب قضائية تمكن لهم من نشر مذهبهم كما فعل أتباع أبى حنيفة فى العراق وأتباع مالك فى الأندلس والمغرب ، وبالإضافة إلى ذلك كله ، كانت شدة الحنابلة وتعصبهم وشدة خلافهم مع غيرهم سبباً فى نفور الكثيرين من مذهبهم[٢] ، ومنهم أهل اليمن الذين اكتفوا باعتقاد الآراء الكلامية للمذهب الحنبلي فترة من الزمن قبل أن يتمكن المذهب الأشعرى من انتزاع الصدارة من المذهب الحنبلي فى القرن السادس الهجري[٣] .

ب ـ المذاهب الشيعية:

عرفت الشيعة بهذا الإسم لمشايعتهم الإمام على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه[٤] ، ولتقديمهم له على سائر صحابة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على اعتبار أنه أحقهم بالإمامة والقيام بالأمر من بعده وأجمعوا على ذلك[٥] .

ويعتبر المذهب الشيعى أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، حيث يرجع ظهوره إلى أواخر عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ، ثم تطور بعد ذلك فى عهد على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ وأولاده من بعده لا سيما بعد أن اشتدت عليهم المظالم من قبل الأمويين ، فاتسع نطاق المذهب الشيعي وكثر أنصاره[٦].

ويذكر ابن خلدون أن المذهب الشيعى يقوم على "أن الإمامة ليست من مصالح العامة

---

[١] أبو زهرة :تاريخ المذاهب ، ص٥٢٨.

[٢] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٥٢٩.

[٣] أيمن فؤاد سيد : المذاهب ، ص٧٣ ؛ الحبشي : مصادر الفكر ، ص٩٣.

[٤] نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢٣٢ ؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج١ ، ص٦٥.

[٥] نشوان الحميري : المصدر نفسه ، ص٢٠٦.

[٦] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٣٢.

التى تفوض إلى الأمة ، ويتعين القائم فيها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبي إغفالها وتفويضها إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوماً عن الكبائر والصغائر[١].

انقسم الشيعة إلى فرق عديدة خرج بعضها عن دائرة الإسلام فى تقديس الإمام على ــ رضى الله عنه ــ كما ظهرت فرق أخرى لم تخرج بأقوالها عن الإسلام ، فكان منها القريب من أهل السنة والجماعة ومنها البعيد عنها وإن لم يخرج عن دائرة الإسلام [٢] ، وقد صنفت هذه الفرق إلى ثلاث أصناف ؛ فالصنف الأول منها هم "الشيعة الغالية" ويندرج تحت هذا المسمى خمسة عشر صنفاً[٣]، منهم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذين ألهوا علياً ومنهم الغرابية الذين زعموا أن النبوة كانت لعلي ولكن جبريل أخطأ ونزل على محمد ــ صلى الله عليه وسلم[٤].

أما الصنف الثانى فهم "الرافضة" وجاءت هذه التسمية من رفضهم إمامة أبو بكر وعمر ــ رضى الله عنه ، وعُرف هؤلاء بالإمامية لقولهم بالنص على إمامة على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ وهم أربعة وعشرين فرقة منهم الإسماعيلية ، والإثني عشرية[٥].

أما الصنف الثالث من الشيعة فهم الزيدية[٦] ، وهم أقرب الفرق الشيعية لأهل السنة والجماعة[٧] .

ويهمنا من تلك الفرق الشيعية ما كان موجود منها فى اليمن وهى : الزيدية ،

---

[١] مقدمة ابن خلدون ، ج١ ، ص١٩٦

[٢] أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

[٣] الأشعري :مقالات الإسلاميين ، ج١ ، ص٦٥ ــ ٨٦.

[٤] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٢٧٣ ، ٢٧٤.

[٥] الأشعري : المصدر والجزء ، ص٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨.

[٦] الأشعري : المصدر والجزء ، ص١٢٩.

[٧] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٦٦٢ ؛ محمد جواد مشكور : موسوعة الفرق الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، ١٩٩٥م ، ص٢٦٩.

والإسماعيلية والإثنى عشرية[١] ، أما بالنسبة للفرقة الإثني عشرية فكان وجودها محدوداً فى بعض الأفراد والتجمعات فى عدن ومسور ، ثم لم تلبث أن انضمت إلى فرقة الإسماعيلية بعد ظهورها وتمكنها فى بلاد اليمن[٢] ، وبالتالى فلم يكن لها تأثير يذكر على مجريات الأحداث ، ولذلك سنكتفي فيما يلى بالحديث عن الزيدية والإسماعيلية .

١ــ الزيديـــة :

هى فرقة شيعية تنسب إلى مؤسسها الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه[٣] ، ويرجع ظهورها إلى القرن الثانى الهجري (الثامن الميلادى)[٤] .

نشأ الإمام زيد بن علي فى بيئة علمية ، فهو يمثل الجيل الثالث من أهل المدينة من التابعين[٥] ، وكان تتلمذه على يد كبار رجال العلم فى المدينة فى عصره أمثال والده الإمام على بن الحسين ــ رضى الله عنه ــ وأخوه محمد الباقر ، كما تتلمذ أيضا على يد واصل بن عطاء رئيس المعتزلة[٦] ، وغيرهم من العلماء ، وكان لذلك الأمر أثر كبير فى صقل شخصية الإمام زيد ونضوجه ، كما تمتع الإمام زيد بميزات عدة أسهمت فى أن تجعل منه واحداً من أبرز علماء عصره ، فصار مرجعاً فى علوم الدين ، أخذ عنه كثير من طلاب العلم[٧].

---

[١] السمين : المذهبان ، ص٣٥٧.

[٢] الشجاع : الحياة العلمية ، ص١٨٣.

[٣] محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامي ، ط٩ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص١٩١؛ مشكور : موسوعة الفرق ، ص٢٦٦ ؛ عارف تامر : معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص١٣١ ؛ الأكوع : الزيدية ، ص١١.

[٤] أحمد شوقى العمرجي : الحياة السياسية والفكرية للزيدية فى المشرق الإسلامي ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢.

[٥] ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٣٢٥ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص٢١ ؛ العمرجي: المرجع نفسه ، ص٢٦.

[٦] الصفدى : المصدر والجزء ، ص٢٢.

[٧] العمرجي : الحياة السياسية ، ص٤٥.

كان للإمام زيد رأى فى الإمامة خالفه فيه كثير من الشيعة ، حيث أصّل نظرية فى الفكر الشيعي تقوم على أحقية الإمامة لأبناء الحسن والحسين على حد سواء ، شريطة أن يستوفي الإمام شروط الإمامة ، وهذه الشروط هى : أن يكون عالماً ، زاهداً ، شجاعاً ، سخياً ، يخرج داعياً لنفسه[١] ، "أما عبد جالس فى بيته ، مرخ عليه ستره ، مغلق عليه بابه ، يجرى عليه أحكام الظالمين ، لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فأنى يكون ذلك إماماً مفروضة طاعته" [٢] ، كما جوز الإمام زيد إمامة المفضول مع وجود الأفضل[٣] ، ولذلك أقر زيد بإمامة أبو بكر وعمر وعثمان مع أنهم كانوا مفضولين[٤].

أخذ الإمام زيد فى تطبيق نظريته التى نادى بها فى الخروج على الظالمين ، فأعلن إمامته ، ومن ثم خروجه على الأمويين عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م ، وذلك فى خلافة هشام بن عبد الملك (ت١٢٥/٧٤٢م) ، إلا أن تلك الثورة لم يكتب لها النجاح لا سيما بعد أن خذله الشيعة من أنصار ابن أخيه جعفر الذين أعلنوا رفضهم لإمامته[٥] ، وكانت نهاية تلك الثورة استشهاد الإمام زيد وكثير من أتباعه بعد صمود دام ثلاثة أيام[٦].

ومهما يكن من أمر ، فلم يكن استشهاد الإمام زيد إلا بداية لذيوع مذهبه "المذهب الزيدى" الذى أخذ منذ ذلك الحين فى الذيوع والإنتشار وكسب العديد من الأنصار بفضل تلاميذه الذين خرجوا من الكوفة بعد مقتل إمامهم وانتشروا فى الأقاليم الإسلامية وعملوا على نشر المذهب الزيدى بعناية فائقة ، وقام بعضهم بتدوين مؤلفات الإمام

---

[١] الشهرستانى : الملل والنحل ، ص١٣٨ ؛ أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٤٣.

[٢] نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢٤٢ ؛ الأكوع : الزيدية ، ص١٤.

[٣] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٤٤.

[٤] مشكور : موسوعة الفرق ، ص٢٦٨.

[٥] الطبري : الأمم والملوك ، ج٤ ، ص٢٠٤ ؛ نشوان الحميرى : المصدر نفسه ، ص٢٣٨ ؛ محمد عيسى الحريرى: الاتجاهات المذهبية فى اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ط٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٦١.

[٦] الطبرى : المصدر والجزء ، ص١٨١ ، ١٨٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص٤٥٤؛ الحريرى : المرجع نفسه، ص٦١.

زيد فى الحديث والفقه فى مجموعتين كبيرين هما المجموع الكبير فى الحديث والمجموع الكبير فى الفقه[١].

وعلى الرغم من ذلك فقد طرأت تعديلات كثيرة فى المذهب الزيدي كانت من نتيجتها ظهور العديد من الفرق الزيدية التي أدعى كل منها أن الحق إلى جانبه ، ومن هذه الفرق: الجارودية[٢] ، والسليمانية[٣] ، والبترية[٤] وغيرها[٥].

ومما تجدر الإشارة إليه أن زيدية اليمن كانوا فى منأى عن تلك الفرق ، وذلك لأخذهم المذهب الزيدى عن طريق أئمة من آل البيت أخذوا علوم المذهب من مصادره الصحيحة، فلم يكن لأى من تلك الفرق أى تأثير عليهم[٦].

ترجع البدايات الأولى لظهور المذهب الزيدي فى اليمن إلى نهاية القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادي) وذلك عندما أخذت أنظار بعض الأئمة الزيدية تتجه إليه لا سيما الإمام الزيدي محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا ، الذى حرص على ضم اليمن إلى حركته عقب خروجه فى الكوفة عام ١٩٩هـ / ٨١٤م ، فكان أن أرسل إليها ابن عمه إبراهيم بن موسى المعروف بالجزار، والذى نجح فى نشر المذهب الزيدي بين كثير من

---

[١] الحريري : الاتجاهات المذهبية ، ص٦٢.

[٢] الجارودية : هم أصحاب أبى الجارود زياد بن أبى زياد بن المنذر الهمداني (ت بين عامى ١٥٠ ــ ١٦٠هـ/ ٧٦٧ــ٧٧٦م) ، وكان من أصحاب الإمام زيد بن على ــ رضى الله عنه ــ زعم أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نص على إمامة على بالوصف دون الإسم ولذلك كفّر الصحابة وعامة المسلمين بتركهم بيعة الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ وقد رفض أئمة آل البيت أفكار هذه الفرقة ومنهم الإمام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه (الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج١٥ ، ص٢٢)

[٣] السليمانية : هم أتباع سليمان بن جرير الزيدي ، قالوا بأن الإمامة شورى وتنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل ، لذلك أقروا بإمامة أبى بكر وعمر ــ رضى الله عنه ــ إلا أنهم كفروا عثمان ــ رضى الله عنه ــ لذلك كفرهم أهل السنة (الحريري : المرجع نفسه ، ص٦٤).

[٤] البترية :هم أتباع كثير النوى الأبتر ، ويذهبون إلى ما ذهبت إليه السليمانية إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان ــ رضى الله عنه (الصفدي : المصدر نفسه ، ج٢٤ ، ص٢٤٧ ؛ السمعاني : الأنساب ، ج١ ، ص٢٨٠).

[٥] الحريري : المرجع نفسه ، ص٦٣ ؛ أحمد شوقى العمرجي : الحياة السياسية ، ص٨٢.

[٦] الحريرى : المرجع نفسه ، ص٦٥.

القبائل ذات الميول الشيعية[١] ، ومنذ ذلك الحين بدأ المذهب الزيدي بالظهور فى بلاد اليمن ، فشكل بذلك أرضية صالحة لانتشاره فيما بعد لا سيما بعد قدوم الإمام الهادى إلى الحق يحي بن الحسين (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) بدعوة من قبائل صعدة الموالية للعلويين ، وتمكن بمساندتهم له من إقامة دولته الزيدية عام ٢٨٤هـ / ٨٩٧م[٢] .

كان الإمام الهادي إلى الحق من كبار علماء عصره ، ومن أبرز علماء الزيدية المجتهدين ، ويعتبر المؤسس الأول للمذهب الزيدي الهادوى فى اليمن ، فكان لجهوده التى بذلها فى خدمة المذهب أثر كبير فى استقراره وتواصل انتشاره ، فلم ينته القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادى) ، إلا وقد انتشر المذهب الزيدي فى كثير من المناطق اليمنية لا سيما تلك التى كان بها الفقه الحنفي مثل صنعاء وصعدة وغيرها[٣].

وإذا كانت الزيدية قد أحرزت فى أواخر القرن الرابع الهجري تفوقاً واضحاً على المذهب الحنفي فى المناطق الشمالية من اليمن إلا أنها شهدت انقسامات واضحة فى صفوفها ؛ حيث انقسمت إلى ثلاث فرق هى : المطرفية[٤] ، والمخترعة[٥] والحسينية[٦] ،

---

[١] الحريري : الاتجاهات المذهبية ، ص٦٥.

[٢] الفقي : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١١٤ ، ١١٥ ؛ الحريري : المرجع نفسه ، ص٦٧،٦٥؛
The new Encyclopaedia Britanica, vol.12, 1768, p.835.

[٣] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٢٢ ؛ المختار : الحياة العلمية ، ص٣٠٢.

[٤] المطرفية : هى فرقة من فرق الزيدية التى ظهرت فى اليمن تنسب إلى مؤسسها مطرف بن شهاب العبادي ، وكان ظهورها فى أواخر القرن الرابع الهجري ، ويعتقد أتباعها أن الله خلق الأصول وجعل فيها الطبائع ، ومن ثم تخلق الأصول الفروع بالإحالة والاستحالة ، وكانت هذه الفرقة قد اتخذت من قرية سناع مركزاً لها (السروري : الحياة السياسية ، ص٦٩٦).

[٥] المخترعة : فرقة من فرق الزيدية التى ظهرت فى اليمن أواخر القرن الرابع الهجري ، مؤسسها على بن شهر ، وعرفت بهذا الإسم لقولهم بأن الله تعالى يخترع الأصول والفروع معاً ، وكان مركز هذه الفرقة بيت أكلب بجبال عيال يزيد. (السروري : المرجع والصفحة) .

[٦] الحسينية : فرقة من فرقة الزيدية فى اليمن ، تنسب إلى مؤسسها الحسين بن القاسم العياني (ت٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) الذى تولى الإمامة بعد أبيه ، وكان لاتباعه اعتقادات فاسدة ؛ إذ كانوا يعتبرونه أفضل من الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم (الشجاع : المرجع نفسه ، ص١٨١) .

وقد وقفت المطرفية والمخترعة ضد الحسينية[١] ، فلم يدم تأثيرها طويلاً لينحسر الخلاف بين المطرفية والمخترعة ، واستمر على مدار العصر الصليحي وما بعده ، وتحول من مجرد خلاف مذهبي إلى صراع مسلح دارت فيه الدائرة على الفرقة المطرفية[٢] ، وكانت هضبة شمال صنعاء مناطق انتشار الفرقة المخترعة ، فى حين انتشرت المطرفية فى المناطق الشمالية الغربية من صنعاء[٣].

٢ــ الإسماعيلية :

هى فرقة شيعية ظهرت بعد وفاة الإمام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه ــ عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م ، فبوفاته انقسمت الشيعة الإمامية إلى فرقتين ؛ اعتقد أتباع الفرقة الأولى بإمامة موسى الكاضم أخ إسماعيل بن جعفر ، وعرفوا بالموسوية[٤] ، فى حين اعتقد اتباع الفرقة الثانية بإمامة إسماعيل الإبن الأكبر لجعفر الصادق[٥] ، ولأن إسماعيل توفى فى حياة أبيه ، فقد انتقلت إمامته من بعده إلى ولده محمد بن إسماعيل بموجب وصية له بذلك ، ليصبح محمد بن إسماعيل هو الإمام بعد وفاة جده جعفر الصادق[٦].

عرفت الإسماعيلية بمسميات عدة منها الباطنية[٧] والقرامطة[٨] والتعليمية[٩]

---

[١] الشجاع : الحياة العلمية ، ص١٧٩ ، ١٨٢.

[٢] السروري : الحياة السياسية ، ص٦٩٢.

[٣] السروري : المرجع نفسه ، ص٦٩٢ ، ٦٩٨.

[٤] عارف تامر : معجم الفرق ، ص١١٦؛ Lewis, B., The Arabs in History, p.107

[٥] الشهرستانى أبو الفتح محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ث) ، ص١٣٥ ؛ نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢١٧.

[٦] نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢١٧ ؛ أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٥٣.

[٧] الباطنية : عرفوا بهذا الإسم لأنهم يقولون بأن لكل ظاهر باطن وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب المطلوب ؛ (الدبلمي : محمد بن الحسن : قواعد عقائد آل محمد فى الرد على الباطنية ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ، ١٩٨٧، ص٣٤).

[٨] القرامطة : نسبة إلى رجل من أهل الكوفة يقال له حمدان قرمط ، فعرف أتباعه بالقرامطة نسبة إليه (الغزالى: أبو حامد الغزالى ، فضائح الباطنية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص٢٢ ــ ٢٣) .

[٩] التعليمية:لقبو بها لأن مذهبهم قائم على إبطال الرأى وتعطيل العقل ، ودعوة الأتباع إلى التعليم من الإمام=

وغيرها[١]، غير أن أتباع هذه الفرقة لا يعتدون سوى بلقب "الإسماعيلية" لأنهم يعتبرون أنهم تميزوا عن بقية فرق الشيعة بهذا الإسم وهذا الشخص[٢].

بعد وفاة الإمام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه ــ عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م ، بايع الإسماعيلية حفيده محمد بن إسماعيل بالإمامة ، واستمر هذا المنصب يسرى فى أعقابه بعد ذلك طبقاً للعقيدة الإسماعيلية[٣] ، ونظراً لما كانت تشكله هذه الفرقة من خطر على الخلافة العباسية ، فقد سعت الخلافة إلى تعقب أئمتها ، وتضييق الخناق عليهم منذ عهد محمد بن إسماعيل الذى أخذ ينتقل فى العديد من المناطق خوفا من بطش العباسيين ، ويعتبر هذا الإمام أول الأئمة المستورين ، وسار من جاء بعده على انتهاج العمل السري، واستمر ذلك الأمر حتى ظهور الإمام عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م ، والذى انتهى فى عهده دور الستر وبدأ دور الظهور[٤].

كانت مدينة سلمية[٥] فى بلاد الشام مركزاً هاماً لنشر الدعوة الإسماعيلية فى مختلف الأقاليم الإسلامية ، إذ كان أئمة الإسماعيلية فيها يعهدون بتنظيم أمور الدعوة إلى كبار دعاتهم ويقوم هؤلاء بدورهم بإرسال دعاة من قبلهم إلى العديد من الأقاليم لنشر الدعوة[٦]، أملاً فى تحقيق حلمهم المنشود فى إقامة دول إسماعيلية[٧] ، وكانت بلاد اليمن واحدة من تلك الأقاليم التي امتدت إليها جهود أولئك الدعاة الإسماعيليين .

=المعصوم فى نظرهم، وأنه لا مدرك للعلوم سوى التعليم من الإمام (الديلمي:قواعد عقائد آل محمد،ص٣٦) .

[١] الغزالى : فضائح الباطنية ، ص٢١ــ٢٥؛ الشهرستانى : الملل والنحل ، ص١٥٧ ؛ الديلمي: قواعد عقائد آل محمد ، ص٣٤ ــ ٣٧.

[٢] الشهرستانى : الملل والنحل ، ص١٥٧.

[٣] الفقى : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٢٧.

[٤] مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٦٢.

[٥] سلمية : بلدة من أعمال حماة ، كانت تعد من أعمال حمص (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٤٠) .

[٦] السمين : المذهبان ، ص٣٦٣.

[٧] الفقي : المرجع نفسه ، ص١٢٨.

وجد الدعاة الإسماعيليين فى بلاد اليمن أرضاً صالحة لممارسة نشاطهم الدعوى ؛ وذلك لبعدها عن مقر الخلافة العباسية فى بغداد ، ولتميزها بطبيعة جغرافية معقدة[١] ، فضلاً عن افتقارها للإستقرار السياسي[٢] ، ولأجل ذلك كانت اليمن هدفاً للدعاة الإسماعيليين الذين سعوا جاهدين إلى استثمار تلك الأوضاع فى صالحهم والعمل على تأسيس دولة إسماعيلية فيه .

بدأ النشاط الإسماعيلي فى اليمن فى عهد الإمام الإسماعيلي الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ، وذلك بعد أن تمكن من استقطاب الحسن بن فرج بن حوشب ، وعلى بن الفضل الجدني ، وكان قد التقى بهما فى الكوفة أثناء عودتهما من الحج ، وكانا على المذهب الإثنى عشرى ، فتمكن من تحويلها إلى المذهب الإسماعيلي[٣]. ثم أخذ فى تعليم ابن حوشب علوم الدعوة الإسماعيلية وكلفه بعد ذلك الذهاب لنشر الدعوة فى بلاد اليمن وأرسل معه على بن الفضل الجدنى وطلب منهما التعاون على ذلك الأمر ، وكان الاتفاق أن يتوجه ابن حوشب إلى عدن لاعة ، حيث قال له الإمام الحسين "إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا"[٤].

خرج الداعيان ابن حوشب وابن الفضل من الكوفة أواخر عام ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م متوجهين إلى مكة حيث أديا فريضة الحج ثم توجها بعد ذلك إلى اليمن ، فوصلا بلدة غلافقة بداية عام ٢٦٨هـ / ٨٨١م وهناك افترقا بعد أن أتفقا على أن يتصل كل منهما بصاحبه لمعرفة أخباره ، فتوجه ابن حوشب إلى "عدة لاعة" [٥] فى حين توجه ابن الفضل إلى بلاد يافع[٦].

---

[١] الفقي : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٢٨ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٢٩.

[٢] الهمداني : المرجع والصفحة.

[٣] القاضى النعمان : افتتاح الدعوة ، ص١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ؛ عامر تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ج١ ، ص٢٧١؛ وانظر Lewis, B., The Arabs in History, Great Britain, 1970, p.106

[٤] القاضى النعمان : المصدر نفسه ، ص٢٠ ، ٢٢.

[٥] عدن لاعة : بلدة تابعة لمخلاف لاعة من أعمال حجة ، يقع غرب جبل مسور (الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٤٤ ، حاشية ٢) .

[٦] الهمداني:المرجع نفسه،ص٣٣،٣٢؛عارف تامر:المرجع والجزء،ص٢٧٣؛ الفقى:المرجع نفسه، ص١٣٠، ١٣١.

وبالنسبة لابن حوشب فبعد وصوله إلى عدن لاعة علم بوفاة الداعي الإسماعيلي أحمد بن عبد الله بن خليع الذى كان قائماً بالدعوة هناك ، فنزل ابن حوشب فى دار من دور ابن خليع وتزوج ابنته[١].

قام ابن حوشب بعد ذلك ببناء معقل له ولاتباعه فى موضع يقال له "عين محرم" [٢] ، وحمل إليه كل ما يحتاجه من مؤونة[٣] ، واتخذ منه حصناً له ولأتباعه وقاعدة ينطلق منها إلى غيرها من المناطق[٤] ، وتمكن بمرور الوقت من فرض نفوذه على المناطق المحيطة به والتى سلمت له طوعاً أو كرهاً[٥] ، ويبدو أن انتصاراته على القوى القبلية المحيطة به جعلته يعلن عن حقيقة مذهبه ، فدعى إلى المهدى وقال : "ما أخذت هذا الأمر بحالى ولا بكثرة رجالي وإنما أنا داعى المهدي" ، "فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا فى بيعته ومذهبه" [٦].

تمكن ابن حوشب بمرور الوقت من فرض سيطرته على مغارب اليمن الأعلى وعين عليها ولاة من قبله ، ثم ضم إليها العديد من المناطق الأخرى ، وتمكن من التصدى للعديد من المؤامرات التى حيكت ضده[٧] ، وكتب إلى عبيد الله المهدى يخبره بانتصاراته فى بلاد اليمن ، كما بعث إليه بهدية وذلك فى عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م[٨].

أما بالنسبة لعلى بن الفضل ، فبعد أن فارق ابن حوشب فى بلدة غلافقة ، توجه إلى سرو يافع[٩] ، وصعد إلى رأس جبل فى تلك البلدة وبنى فيه مسجداً وتمكن من التأثير

---

[١] القاضى النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٢٥.

[٢] عين محرم : جبل تحت مسور جنوب حجة ، وفى بلاد وادعة (الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص٨٩ حاشية ٢) .

[٣] الحمادي : المصدر والصفحة .

[٤] الحمادي : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص١٨٤ ، ١٨٥.

[٥] الحمادي : المصدر نفسه ، ص٩٠.

[٦] الحمادي : المصدر والصفحة ؛ أنظر : ابن الديبع : المصدر والصفحة .

[٧] الفقي : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٣١.

[٨] الحمادي : المصدر نفسه ، ص٩٣ ؛ ابن الديبع : المصدر نفسه ، ص١٨٧ ، ١٨٨.

[٩] سرور يافع : السرو ما ارتفع من الأرض ، وسر و يافع المقصود به سرو حمير (الحمادي : المصدر نفسه،=

على الأهالي بما أظهر لهم من ميل إلى الزهد والعبادة ، فطلبوا منه أن يسكن بينهم إلا أنه رفض طلبهم حتى يعطوه العهود والمواثيق على أن لا يشربوا الخمر وأن لا يفعلوا المنكر، ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم ببناء حصن من ناحية سرويافع ، واتخذ منه قاعدة شن منها حروبه على المناطق المجاورة له ، فتمكن من هزيمة السلطان بن أبى العلاء الأصبحى سلطان لحج وأبين وقتله ، فشاع ذكره وامتثلت لأمره قبائل مذحج وزبيد وغيرها[١]. ويبدو أن تلك الانتصارات التى حققها ابن الفضل قد فتحت شهيته للمزيد منها؛ فتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على مخلاف جعفر عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م بعد هزيمة الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي وسقوط عاصمته المذيخرة[٢] ، كما تمكن بعدها من السيطرة على بلاد يحصب ثم صنعاء وذلك بعد فرار أميرها أسعد بن يعفر الحوالي[٣] ، ومن صنعاء شن ابن الفضل حملاته على العديد من المناطق مثل حضور وحراز وملحان والمهجم والكدرى وزبيد التى أعمل فى أهلها القتل والسبى قبل أن يعود إلى المذيخرة التى اتخذ منها عاصمة لدولته[٤].

ظل الداعيان ابن الفضل وابن حوشب على إخلاصهما للدعوة الإسماعيلية ، غير أن ذلك الأمر لم يدم طويلاً فسرعان ما تحول ابن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية ونابذها العداء ، ويذكر الحمادي[٥] أن السبب فى ذلك راجع إلى شعوره بالقوة لا سيما بعد أن تمكن من القضاء على العديد من الزعامات اليمنية ، فلم يبق فى اليمن من يفوقه فى قوته ، لذلك خلع طاعة عبيد الله المهدي . ويذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى القول بأن السبب الرئيسي فى خروج ابن الفضل على الإمام الإسماعيلى هو أن الإمام وضع ثقته بابن حوشب دون ابن الفضل وخصه بعاطفته وثقته وأسند إليه مهمة تعيين الدعاة فى اليمن وغيرها واعتبره المسئول الأول عن شئون الدعوة فى اليمن فى حين لم يحظ ابن

=ص٩٥ حاشية ٤) .

[١] الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص٩٥ ، ٩٦.

[٢] ابن الديبع : قرة العيون ، ص١٩٣.

[٣] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٠٢.

[٤] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٠٣ ، ١٠٤ ؛ ابن الديبع : المرجع نفسه ، ص١٩٨ ، ١٩٩.

[٥] المصدر نفسه ، ص١٠٥.

الفضل يمثل ذلك الاهتمام من الإمام الإسماعيلي مع ما هو معروف عن ابن الفضل من قوة شخصيته واعتداده بنفسه[١] ، وربما كانت جميع تلك الأسباب مسئولة عن ذلك الموقف الذى اتخذه ابن الفضل من الدعوة الإسماعيلية.

حاول ابن حوشب ثنى ابن الفضل عن موقفه ذلك غير أن محاولاته ذهبت أدراج الرياح ، وأرسل إليه ابن الفضل يقول له "إنما هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها..." وطلب منه الدخول فى طاعته وإلا نابذه الحرب[٢] ، وإزاء تلك التهديدات قام ابن حوشب بالاستعداد للنزال ؛ فحصن جبل مسور وأعد للأمر عدته ، ولم يمض وقت طويل حتى قدم إليه ابن الفضل فى عشرة آلاف مقاتل فرض بهم حصاراً شديداً على جبل مسور استمر ثمانية أشهر وانتهى أمر ذلك الحصار بالصلح بين الطرفين ، قبل به ابن الفضل بعد أن قدم ابن حوشب أحد أبنائه رهينة لديه ، ليعود بعدها ابن الفضل إلى عاصمة ملكه فى المذيخرة[٣].

اتسم حكم بن الفضل بالقسوة والعنف ، ونسب إليه كثير من المؤرخين خروجه عن الملة وارتكاب الفواحش ، ولم يتورعوا عن وصفه بأقبح الصفات ، غير أن كثيراً من تلك الأمور التى نسبت إليه لا يقبلها العقل مثل قولهم بأنه كان يبيح نكاح الأمهات والأخوات وارتكاب الفواحش ، فمن غير المعقول أن يجاريه اتباعه من أهل اليمن الغيورين على دينهم وأعراضهم ، فهم إنما تبعوه فى بداية الأمر بعدما أظهر لهم تمسكه بمبادئ الدين ودفاعه عنها ، ويبدو أن أعداءه من السنة والإسماعيلية وغيرهم الموتورين منه قد صبوا جام غضبهم عليه فنسبوا إليه ما فعل وما لم يفعل ، على أن ذلك لا يعنى براءته من تهم أخرى نسبت إليه ، ولعل إجماع المصادر على ظلمه واستبداده خير دليل على صدق كثير من تلك التهم[٤].

ومهما يكن من أمر ، فقد ظل ابن الفضل فى حروب مستمرة مع خصومه حتى تمكن هؤلاء من قتله عن طريق أحد الأطباء الذى وضع له السم فمات على إثره وذلك فى

---

[١] عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ج١ ، ص٢٧٤ ، ٢٧٥.

[٢] الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص١٠٥.

[٣] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٠٩ ، ١١٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٠٤ ، ٢٠٥.

[٤] الفقي : اليمن فى ظل الإسلام ، ص١٣٧،١٣٦.

عام ٣٠٣هـ /٩١٥م ، فانتهز الأمير أسعد بن يعفر الحوالى الفرصة وزحف بقواته إلى مدينة المذيخرة وحاصرها لمدة عام ثم دخلها منتصراً فى عام ٣٠٤هـ / ٩١٦م ليسدل الستار بذلك على دولة ابن الفضل[١].

أثرت حركة ابن الفضل تأثيراً بالغاً على الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ؛ فتخلى عنها كثير من أتباعها بعد خروج ابن الفضل واضطهاده لهم ، وكان من جراء ذلك أن ضعفت الدعوة وتحول العديد من أتباعها إلى المذهب السني[٢].

ومن ناحية أخرى ظل ابن حوشب على ولائه للدعوة الإسماعيلية وللإمام المهدي وإن كانت حركة ابن الفضل قد أجبرته على الانكفاء فى حصن مسور وغيره من الأماكن البعيدة عن ابن الفضل ، وظل على ذلك الحال حتى وافته المنية عام ٣٠٢هـ / ٩١٤م[٣].

لم يعهد ابن حوشب قبل وفاته برئاسة الدعوة إلى أحد بعينه وإنما جعلها راجعة لرغبة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي الذي فضل تعيين عبد الله بن العباس الشاوري خلفاً لابن حوشب ، وهو الأمر الذى أثار حفيظة الحسن بن حوشب ، وجعله يضمر العداء للشاوري، فظل يتربص به حتى تمكن من قتله والاستيلاء على ما كان لوالده ، وأعلن تركه للمذهب الإسماعيلي واعتناقه للمذهب السني ، ثم أخذ يتتبع من كان على دين أبيه بالقتل حتى أباد كثيراً منهم[٤] ، غير أن تلك الأعمال التى قام بها الحسن بن حوشب لم تكسبه ثقة أهل السنة الذين تشككوا فى أمره رغم إعلانه الدخول فى مذهبهم ، فما كان منهم إلا أن قرروا التخلص منه ومن أتباعه والمقربين إليه[٥] ، وانتهت بذلك دولة ابن حوشب ولم ينج من أبنائه سوى جعفر الذى فر إلى القيروان واستقر بها تحت لواء الخليفة القائمة بأمر الله الفاطمي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)[٦].

---

[١] الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص١١١ ، ١١٤.

[٢] الفقي : اليمن في ظل الإسلام ، ص١٣٩.

[٣] الفقي : المرجع والصفحة .

[٤] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨.

[٥] الحمادي : المصدر نفسه، ص١١٨ ؛ الفقي : المرجع والصفحة ، ص١٤٢.

[٦] الهمداني : الصليحيون ، ص٥٢ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ج١ ، ص٢٧٧.

أما بالنسبة للدعوة الإسماعيلية بعد مقتل الشاوري فقد اعتلى رئاستها الداعي يوسف بن موسى بن أبى الطفيل الذي تولى ذلك المنصب فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٦٥هـ /٩٧٥م) إلا أن أعداءه تمكنوا من قتله بعد أن علموا بأمره ، فتفرق من بقى من أصحابه إلى عيان وقطابة[١] ، وأخفوا فيهما أنفسهم عن أعين المترصدين[٢] ، ثم خلف الطفيل عدد من الدعاة فى رئاسة الدعوة من أبرزهم : الداعى هارون بن محمد بن رحيم الذى شغل ذلك المنصب فى عهد العزيز (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) ثم فى عهد الحاكم (٤١١هـ/١٠٢٠م) ثم جاء بعده فى رئاسة الدعوة الداعى يوسف بن أحمد بن الأشج الذى ظل يدعو للحاكم حتى وفاته ثم خلفه الداعى سليمان بن عبد الله الزواحي الذى قام بالدعوة فى عهد الحاكم ثم الظاهر (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) ثم المستنصر (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وكان أهل السنة قد علموا بميوله الإسماعيلية فكانوا كلما هموا بقتله يقول لهم "أنا رجل مسلم فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه" [٣] ، وقبل أن يتوفى الداعى سليمان الزواحي عهد برئاسة الدعوة إلى تلميذه الداعي على بن محمد الصليحي[٤] لتبدأ الدعوة الإسماعيلية فى عهده مرحلة جديدة هى مرحلة الظهور والمتمثلة فى قيام الدولة الصليحية والتى تمكن داعيها الملك على بن محمد الصليحي خلال فترة وجيزة من بسط سيطرته على جميع بلاد اليمن ، فانتعشت فى عهده الدعوة الإسماعيلية وخرجت من طور الكتمان والسرية إلى طور الظهور والحرية ، وكتب لها أن ترى النور ردحاً من الزمن فى ظل الدولة الصليحية قبل أن تعود مرة أخرى إلى انتهاج العمل السري بعد سقوط الدولة الصليحية عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م[٥].

ج ــ الخـــوارج :

هو اسم أطلق على الفرقة التى خرجت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ

---

[١] عيان وقطابة : موضعين شمال مسور المنتاب وشرق حجة ومن أعمالها (الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص١٢٠ حاشية ٢).

[٢] الحمادي : المصدر والصفحة ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٥٥.

[٣] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٢١،١٢٠.

[٤] الحمادي : المصدر نفسه ، ص١٢٣.

[٥] سيتطرق البحث إلى الحديث عن الدعوة فى عهد الصليحيين فى المبحث التالي .

رضى الله عنه[١] ــ عند قتاله لمعاوية فى معركة صفين عام ٣٧هـ/٦٥٧م ، وكان سبب خروجهم عليه قبوله بالتحكيم فى حال النزاع بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ، فى حين كانت ترى ببطلان ذلك التحكيم وأنه لا حكم إلا الله[٢].

وعرفت هذه الفرقة بمسميات عدة منها : الحرورية والشراة والمحكمة والمارقة[٣] ، إلا أنهم لا يرضون بهذا الأسم الأخير ويقبلون ببقية الأسماء[٤] ، كما انقسم الخوارج إلى عشرين فرقة[٥] شأنهم فى ذلك شأن كثير من الفرق ، وهو يتفقون على التكفير بالذنب[٦] ، كما يتفقون على تكفير عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ فى حين يعظمون أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما[٧].

وفيما يلى سنتحدث عن فرقة الإباضية على اعتبار أنها الفرقة الوحيدة من فرق الخوارج التى كان لها وجودة فى اليمن[٨].

الإباضية هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي[٩] ، وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية فكراً[١٠] ، فهم يرون أن مخالفيهم من المسلمين كفار نعمة وليسوا كفار اعتقاد ، وذلك لأنهم لم يكفروا بالله تعالى وإنما قصروا فى حقوقه ، كما يرون حرمة

---

[١] نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢٥٥.

[٢] أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٥٨ ؛ عارف تامر : معجم الفرق، ص١٠.

[٣] الحرورية : عرفوا بهذا الإسم لتزولهم أرض يقال لها حروراء قرب الكوفة ، والشراة : لأنهم يقولون أنهم شروا أنفسهم من الله بالجهاد ، والمحكمة : لإنكارهم التحكيم فى صفين وقالوا لا حكم إلا لله (نشوان الحميرى : المصدر نفسه ، ص٢٥٤ ، ٢٥٥).

[٤] نشوان الحميري : المصدر نفسه ، ص٢٥٥.

[٥] البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٥٤ ؛ الشجاع : الحياة العلمية ، ص١٩٦.

[٦] البغدادي : المصدر والصفحة.

[٧] البغدادي : المصدر والصفحة ؛ الحارثي : سالم بن حمد بن سليمان : العقود الفضية فى أصول الإباضية ، وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان ، ١٩٨٣م ، ص ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣١.

[٨] الشجاع : المرجع والصفحة .

[٩] نشوان الحميري : المصدر نفسه ، ص٢٢٧.

[١٠] أبو زهرة : المرجع نفسه ، ص٧٦ ؛ عارف تامر : المرجع نفسه ، ص١٩.

دماء مخالفيهم ، فلا يحلون لأنفسهم من غنائمهم سوى الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة فى الحرب ، ويرون أن دار مخالفيهم من المسلمين دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي[١] ، كما جوزوا شهادة المخالفين لهم من المسلمين ومناكحتهم والتوارث معهم[٢].

ترجع البدايات الأولى لظهور الإباضية فى اليمن إلى أواخر عهد الدولة الأموية ، وذلك عندما قام عبد الله بن يحي الكندي الحضرمي الملقب بـ "طالب الحق" بالخروج على الخلافة الأموية فى عهد الخليفة مروان بن محمد (ت١٣٢هـ/٧٤٩م) منطلقاً من حضرموت وداعياً لنفسه بالإمام فبايعه كثيراً من أهل حضرموت ودخلوا فى طاعته ، وتمكنت قواته من الاستيلاء على حضر موت ثم صنعاء وامتد نفوذها إلى مكة والمدينة ، وذلك فيما بين (١٢٧ـ١٣١هـ/٧٤٤ـ٧٤٨م) ، غير أن ذلك الانتصار لم يدم طويلاً فقد تمكنت الخلافة الأموية من القضاء على تلك الحركة واستعادت المناطق التى فقدتها[٣].

وعلى الرغم من تلك الهزيمة التى منى بها الإباضيون على يد القوات الأموية ، إلا أنهم نجحوا إلى حد كبير فى نشر مذهبهم فى المناطق التى امتد إليها نفوذهم ، فقد بقى أتباعهم فى مناطق شمال صنعاء وغربها (فى مخلاف البياض بحجة) وكذلك فى حضرموت حتى القرن السادس الهجري ، غير أن ذلك الوجود الإباضي تعرض لعداء شديد من أتباع الفرق الأخرى لا سيما فى شمال صنعاء وغربها من قبل أتباع المذهبين الزيدي والإسماعيلي ، الذين بذلوا جهوداً حثيثة فى سبيل مقاومة الوجود الإباضى والقضاء عليه ، مما أضطر العديد من أتباع تلك الفرقة إلى التخلف عن مذهبها خوفاً من بطش أتباع الفرق الأخرى[٤] ، أما فى حضر موت فقد تمكن الإباضيون من تأسيس دولة لهم فى القرن الخامس الهجري بقيادة أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الإباضي ،

---

[١] نشوان الحميري : الحور العين ، ص٢٢٧ ؛ أبو زهرة : تاريخ المذاهب ، ص٧٦.

[٢] أبو زهرة : المرجع والصفحة .

[٣] الحارثي : العقود الفضية ، ص١٨٧ ـــ ٢٢٩ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٧٠٣ ؛ الحريري : الاتجاهات المذهبية ، ص ١٨ـــ٢٥.

[٤] السروري : المرجع نفسه ، ص٧٠٣ ـــ ٧٠٦.

الذى تزعم الإباضية بمساعدة إمام عمان الخليل بن شاذان[١] ، وكان لذلك الأمر أثر كبير فى انتشار المذهب الإباضى فى حضر موت فى ذلك الوقت[٢] ، واستمر وجود المذهب الإباضى هناك حتى القرن السادس الهجري[٣].

الفرق المذهبية فى الإقليم :

وجد فى إقليم ذى جبلة فرقتين مذهبيتين هما الشافعية والإسماعيلية ، ولا تشير المصادر التاريخية المتاحة ــ حسب إطلاع الباحث ــ إلى وجود فرق مذهبية أخرى ، أما بالنسبة للمذهب الحنبلي ، فقد كان وجوده فى الجانب المتعلق بأصول الدين وليس فى الجانب الفقهي ، لذلك كان أهل الإقليم شافعية فى الفروع حنابلة فى الأصول[٤] ، ويبدو أن مبادئ المذهب الحنبلي فى الأصول وردت إلى الإقليم أواخر القرن الرابع الهجري بتأثير الفقيه الشافعي الحنبلي الحسين بن جعفر المراغي مؤلف كتاب "الحروف السبعة فى الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلالة والبدعة" [٥] ، فتأثر فقهاء الإقليم بهذا الكتاب كما تأثروا أيضا بغيره من المصنفات التى تناولت المعتقد الحنبلي ومنها كتاب "التبصرة" لأبى الفتوح ، وكتاب "الشريعة" لأبى بكر الآجري[٦].

استمر اعتقاد أهل الإقليم بالمذهب الحنبلي فى الأصول حتى قدوم المذهب الأشعري فى القرن السادس الهجري[٧] ، والذى تمكن بمرور الوقت من انتزاع الصدارة من المذهب الحنبلي ، فصار كثير من أهل الإقليم شافعية فى الفروع ، أشاعرة فى الأصول ، فى حين بقى القسم الآخر من الشافعية متمسكاً بالمذهب الحنبلي[٨].

---

[١] باوزير :سعيد عوض : صفحات من التاريخ الحضرمي ، ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص٦٧.

[٢] السروري : الحياة السياسية ، ص٧٠٣.

[٣] يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص١٢٥ ؛ السروري : المرجع نفسه، ص٧٠٤.

[٤] يحي بن الحسين : أنباء الزمن ، ص٢٢٣ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص٧٥ ، ٧٦.

[٥] الحبشي : مصادر الفكر ، ص٩٣ ، ٩٤.

[٦] الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص٢٧.

[٧] الحبشي : المرجع نفسه ، ص٩٣.

[٨] يحي بن الحسين : أنباء الزمن ، ص٢٣ ، ٢٢٤ ؛ أيمن فؤاد سيد : المرجع نفسه ، ص٧٣.

وفيما يلى سنتناول الحديث عن جهود أتباع المذهبين ، الشافعي والإسماعيلي فى خدمة المذهبين فى الإقليم.

جهود علماء الشافعية فى خدمة المذهب :

أظهر أتباع المذهب الشافعي تمسكاً واضحاً بمذهبهم ، فعملوا على نشره فى إقليم ذى جبلة ، وفى العديد من الأقاليم اليمنية ، وبذلوا فى ذلك الأمر جهوداً مضنية ، وكان إقليم ذي جبلة أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري من أهم مراكز المذهب الشافعي ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، حيث ظهر به العديد من العلماء الذين عملوا على إيصال علوم المذهب الشافعي إلى العديد من المناطق اليمنية من خلال طلبة العلم .

ترجع البدايات الأولى لظهور المذهب الشافعي فى الإقليم إلى القرن الرابع الهجري ، وذلك من خلال الجهود التى بذلها الفقيه الشافعى أبو عمران موسى بن عمران الخداشي ، الذى عده ابن سمرة أول من نشر المذهب الشافعي في بلاد اليمن[١] ، فأخذ عنه جماعة من طلاب العلم من المعافر والجند ومخلاف جعفر[٢].

إلا أن الدور الأكبر الذى لعبه علماء الشافعية فى الإقليم كان قد بدأ منذ عهد الإمام الشافعي القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) الذى وصفه ابن سمرة بإمام أئمة الشافعية ، وبأن المذهب الشافعي وشيوخه قبل عهده كان غير مشهور فى بلاد اليمن[٣] ، وكان تعلم القاسم بن محمد على يد علماء المذهب الشافعي فى عصره ؛ فأخذ عن الفقيه أبى بكر بن المضرب فى زبيد "مختصر المزنى" ، وشئ من شروحه[٤] ، كما تفقه بالشيخ عبد الله بن على الزرقاني وسمع من عبد العزيز بن يحي المعافري ، وفى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م حج إلى مكة وأخذ فيها عن الفقيه أبو بكر المروزي كتاب "السنن" لأبى داوود ، وعند عودته إلى قريته سهفنة كان قد تمكن ومعه رفيقه فى رحلته الفقيه عبد الله بن أحمد الصعبى من إقناع الفقيه الحسين بن جعفر المراغي بالقدوم

---

[١] طبقات فقهاء اليمن : ص٨٠ ، ٨١.

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢١٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٧١.

[٣] المصدر نفسه : ص٨٠ ، ٨٧.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٨.

معهما إلى سهفنة ، وفيها أخذا عنه "مختصر المزنى" ، و"سنن المزنى" و"سنن الربيع" بالإضافة إلى مؤلفاته فى علم الكلام[١].

ولا شك أن وجود الحسين بن جعفر المراغي إلى جانب القاسم بن محمد الجمحى ومعهما الفقيه عبد الله بن أحمد الصعبي فى سهفنة قد جعل منها قبلة علم أمها كثير من طلاب العلم الذين حرصوا على الاستفادة من الحلقات العلمية لأولئك العلماء المشاهير ، الذين ضربوا بحظ وافر فى العلوم الشرعية ، لذلك كانت قرية سهفنة من أشهر القرى التى انتشر منها الفقه الشافعي إلى غيرها من القرى والمدن اليمينية .

استقر القاسم بن محمد فى قرية سهفنة وانقطع فيها للتدريس ، فكان مقصداً لكثير من طلاب العلم الذين قدموا للأخذ عنه بعد أن ذاع صيته فى بلاد اليمن ، فجاءوا إليه من صنعاء وعدن ولحج وأبين والجند والمعافر والسحول وأحاظة وعنّة ووادي ظبا وغيرها ، وكان من ثمار ذلك انتشار المذهب الشافعي فى كل تلك الأنحاء[٢]. وفى ذلك يقول الجندى "وانتشر عنه المذهب انتشاراً كاملاً وطبق الأرض بالأصحاب ولم يكن لأحد المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرة وفضلاً" [٣].

وكان من أبرز تلاميذ القاسم بن محمد : إسحاق العشاري وجعفر بن عبد الرحيم المحابي وعمر بن إسحاق المصوع ، وأبو الخير أيوب بن محمد بن كديس وعبد الملك بن أبى ميسرة وكثير غيرهم[٤] ، ممن كان لهم دور كبير فى خدمة المذهب الشافعي من خلال ما قدموا من إسهامات فى هذا المجال سواءً فى مجال التدريس أو فى مجال التصنيف.

ومن أقران الإمام القاسم بن محمد ، الإمام أبو الفتوح يحي بن عيسى بن ملامس (ت بعد ٤٢٠هـ /١٠٢٩م) الذى تفقه بالحسين المراغي ومحمد بن يحي بن سراقة

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٨٩ ، ٩٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٢٩ ، ٢٣٠.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٨٨ ؛ الأهدل: تحفة الزمن ، ص١٨١.

[٣] السلوك ، المصدر والجزء ، ص٢٢٩ ؛ وانظر : الأهدل : المصدر والصفحة .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٢٩.

(ت٤١٠هـ / ١٠١٩م) ورحل إلى مكة وجاور بها[١] ، وخلال إقامته فى مكة صنف كتاب "شرح مختصر المزني" الذى يقول عنه ابن سمرة أنه ــ أبو الفتوح ــ استغرق فى تأليفه أربعة أعوام مقابلاً للكعبة[٢] ، واعتمد فى تأليفه لذلك الكتاب على مصنفات القاضي أبو علي بن أبى هريرة (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) وكتب أبى اسحاق المروزي وكتب أبى علي الطبري (ت٣٥٠هـ / ٩٦١م) [٣].

ثم جاء بعد جيل القاسم جيل آخر من علماء الشافعية ، كان كثير منهم ممن أخذ عن القاسم بن محمد ، ومن أبرز هؤلاء : الإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الذى أخذ الفقه وأصوله عن القاسم بن محمد[٤] ، وصفه الجندي بأنه كان "فقيهاً عارفاً محققاً مبرهناً للنصوص نقالاً لها محققاً مدققا" [٥] ، وكان هذا الإمام يسكن الظرافة ، ثم انتقل منها إلى مدينة الجند للفتوى والتدريس وبقى بها حتى قدوم الملك على بن محمد الصليحي ليعود بعدها الإمام إلى قرية الظرافة مرة أخرى . وبالإضافة إلى جهوده الكبيرة فى مجال التدريس ، كانت له إسهامات هامة فى مجال التصنيف ؛ حيث صنف كتاباً فى الخلاف سماه "الجامع" [٦] ، وكتاب آخر سماه "التقريب" [٧].

وممن أخذ عن القاسم بن محمد ، الشيخ أبو الخير أيوب بن محمد بن كديس ، كان مسكنه فى قرية ظبا ، رحل إلى مكة وسمع فيها من الفقيه أبى ذر الهروي سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م ، وكان الفقيه أبو الخير من ذوى اليسار ، فكان كريماً مع طلابه[٨]، وكان يرسل

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩١ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٣٠ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨٢ ، ويذكر اسمه على أنه علي .

[٢] المصدر نفسه ، ص٩١.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١ ؛ الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص٢٣.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩٤.

[٥] المصدر والجزء ،ص٢٣٤.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩٥ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٨٥ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٣٦٢.

[٧] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٣٥ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .

[٨] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٣٧ ؛ أنظر:الأهدل : المصدر نفسه،ص١٨٦ ؛ الخزرجي،طراز الزمن ، ق٩٠.

فى كل عام إلى الحرم من ينادى له "من أراد الورق والورق والسماع العالي ، فعليه بأيوب بن محمد بن كديس فى ظبا من أرض اليمن" [١] ، فلم يقف عطاء هذا العالم عند حلقاته العلمية التى كان يعقدها لطلابه ، وإنما كان يبذل لهم كل ما يحتاجون إليه من مساعدة حتى يتسنى لهم تحصيل أكبر قدر من الفائدة ، وبقى هذا العالم فى عطائه المتواصل حتى وافته المنية عام ٤١٠هـ/١٠١٩م[٢].

وممن أخذ عن القاسم بن محمد ، الفقيه أبو حفص عمر بن إسحاق المصوع ، كان يسكن وادى ظبا ، وتمثلت إسهامات هذا الفقيه فى خدمة المذهب الشافعي فى تصنيفه كتابين ، الأول أسماه "المذهب" والثانى أسماه "الجامع" [٣] ، ولا شك أن هذا الفقيه كانت له حلقات علمية كان يعقدها فى قريته واستفاد منها العديد من الطلاب وفى مقدمتهم ابنه الفقيه عبد الله بن عمر (ت٤٨٠/١٠٨٧م) [٤].

ثم برز بعد ذلك جيل آخر من علماء الشافعية ممن أخذ عن تلاميذ القاسم بن محمد ، ومن أبرز هؤلاء الإمام أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي (ت٥٠٠هـ / ١١٠٦م)، تفقه بوالده الإمام جعفر ، فأخذ عنه "مختصر المزنى" و"مجموع المحاملي" ، وكان الإمام أبو بكر يمتاز بقوة حفظه ؛ فكان يحفظ العديد من التصانيف فى الفقه الشافعي[٥]، وصفه الجندي بقوله "كان فقيهاً جليل القدر شهير الذكر محققاً مدققاً مستخرجاً للنكت الغامضة والمعانى الرائقة ، إليه انتهت رئاسة العلم باليمن..."[٦]. عرف عنه اخلاصه لمذهبه ، فكانت له فى كل سنة رحلة إلى زبيد لمناظرة علماء المذهب الحنفي ، وكان يخرج من تلك المناظرات منتصراً معتمداً فى ذلك على قوة حفظه[٧] ، وقد تتلمذ

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨٦ ؛ الخزرجي : طراز ، ق٩٠.

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٣٧ ؛ الأهدل : المصدر والصفحة ؛ الخزرجى : المصدر والصفحة .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩٦ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٣٦؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٨٥ ، ١٨٦ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ، ج٢ ، ص٣٦٠ .

[٤] الجندى : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٣.

[٦] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٥ ؛ وانظر : الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٩١.

[٧] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٣ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٩١ ، ١٩٢.

على يد هذا الإمام عدد من طلاب العلم كان من أبرزهم الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م)[١] والفقيه مقبل بن زهير الهمداني (ت بعد ٥٠٠هـ/١١٠٦م) [٢] وغيرهم .

ومن ناحية أخرى ، أظهر علماء الإقليم اهتماماً واضحاً بكتب المذهب الشافعى ، فأخذوا يتدارسون ما وصل إليهم منها ، ويضعون لها الشروحات المفيدة[٣] ، وحتى أواخر القرن الخامس الهجري كان تفقه علماء الشافعية فى الإقليم بكتاب "مختصر المزنى" ، وفى أصول الفقه بكتاب "الرسالة" للإمام الشافعي ، وكذلك بمصنفات القاضى أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى ، وبمصنفات الشيخ أبى حامد الإسفرائينى ، ويكتب أبى على الطبرى ، وكتاب ابن القطان ، وكتاب "المجموع" لأبى الحسن المحاملي ، وشروح المزنى المشهورة ، وبكتب الفروع لسليم بن أيوب الرازي[٤] كانت تلك المؤلفات هى المعول عليها لدى علماء الشافعية فى اليمن حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، حيث وصلت إلى اليمن كتب الإمام أبى إسحاق الشيراز ، وأهمها كتاب "المهذب" فى فروع الفقه الشافعي[٥] ، الذى وصفه ابن سمرة بأنه "الكتاب الشريف الفاضل ، والتصنيف المبارك الكامل ، غاية المجتهدين ونهاية المؤثرين ... به تفقه المصنفون وعليه يعتمد المفتون" [٦] ، ويذكر الجندى أن نقل أهل اليمن وفتواهم ومناظراتهم كانت من كتب أبى إسحاق "ومتى نقل ناقل عن غيرها قل أن يستجاد نقله أو يستكمل عقله" [٧].

تأثر علماء الإقليم بمؤلفات الإمام أبى إسحاق الشيرازي فى مجال الفقه الشافعي ،

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٣ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩١.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٥.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩١.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٨ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص٦٣ ، ٦٤.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢٦ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٨ . أما بقية كتب الشيرازي فهى ''التنبيه'' فى الفقه وكتاب ''النكت'' فى الخلاف ، وكتاب ''اللمع'' وكتاب ''التبصرة'' (ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢٦ حاشية ٤) .

[٦] المصدر نفسه ، ص١٢٦.

[٧] السلوك ، ج١ ، ص٢٦٨.

فعكفوا على دراستها والإلمام بها ، ومن ثم قاموا بتدريسها لطلابهم ، ولم يقف الأمر عند تدريس تلك المؤلفات ؛ بل قام عدد من العلماء بالتصنيف على ضوئها ووضع الشروحات المفيدة لها ، وكان من أولئك العلماء الإمام عبد الله بن يحي بن إبراهيم الصعبي (ت٥٥٣هـ/١١٥٨م) ، والذى وصفه الإمام يحي العمراني بـ"شيخ الشيوخ" ، وكانت مدرسة هذا الإمام فى قرية سهفنة وفيها أخذ عنه جمع غفير من طلاب العلم[١] ، كما كانت له إسهامات فى مجال الفقه الشافعي منها : كتاب "التعريف" ، وكتاب "احتراز المهذب" [٢].

ومنهم الإمام يحي بن أبى الخير العمراني (ت٥٥٨/١١٦٣م) الذى كان أبرز علماء الإقليم خدمة للمذهب الشافعي فى القرن السادس الهجري (الثانى عشر الميلادي) ، حيث يذكر ابن سمرة بأن هذا الإمام "انتشر عنه الفقه فى البلدان وجاوز علمه البحر مع السودان ، وسارت بتصانيفه الركبان فى اليمن والشام" [٣] ، برزت جهود هذا الإمام بشكل كبير فى مجالات التدريس والتأليف ؛ فكانت له حلقاته العلمية فى العديد من قرى الإقليم ، حيث درس فى قرية سير ، وذى أشرق وذى السفال وغيرها[٤] ، وتتلمذ على يديه أعداد كبيرة من طلبة العلم من داخل اليمن وخارجها[٥] ، كما كانت إبداعاته فى مجال التأليف خير دليل على عبقريته ، وقد بدا ذلك جلياً فى كتابه "البيان" فى الفقه الشافعي ، الذى يعد من أهم كتب الشافعية وأوسعها[٦] ، واشتهر به العمراني حتى قيل "العمراني صاحب البيان" [٧].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦١ ، ١٦٣ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٩.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٣ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٣] المصدر نفسه: ص١٧٤.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٩ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٤٠.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٥ ــ ٢١٠.

[٦] الحبشي : مصادر الفكر ، ص١٧٣.

[٧] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٢٣ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص٦٨.

سار تلاميذ العمراني على منهجه واقتفوا أثره ؛ فعملوا بدورهم على خدمة المذهب ورفده بمصنفاتهم وحلقاتهم العلمية ، وكان من أبرزهم ولده الفقيه أبو الطيب طاهر بن يحي العمراني (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) والإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهي (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) [١] ، وغيرهم من علماء الإقليم .

جهود دعاة الإسماعيلية فى خدمة المذهب :

حرص الداعي الإسماعيلي سليمان بن عبد الله الزواحي قبل وفاته على أن يعهد برئاسة الدعوة إلى شخص يثق به ، فاختار لهذه المهمة الداعي على بن محمد الصليحي[٢]، وذلك بعد موافقة المستنصر الفاطمي على ذلك الأمر[٣].

بذل الداعي على الصليحي جهداً كبيراً فى دراسة علوم الدعوة الإسماعيلية والإلمام بها حتى تضلع فى معارفها وغدا فقيهاً فى مذهب الإمامية مستبصراً فى علم التأويل[٤] ، كما حرص على الحفاظ على سرية الدعوة وتنظيمها بشكل سليم يضمن لها البقاء والاستمرار ، ومن الوسائل التى اتبعها فى هذا الأمر إقامته دليلاً للحجيج على طريق السراة والطائف لمدة خمسة عشر عاماً[٥] ، استطاع خلالها أن يتواصل مع أتباع دعوته من مختلف مناطق اليمن بعيداً عن أعين المترصدين[٦].

وعندما حانت الفرصة لعلى الصليحي لإظهار دعوته ، أخذ يعد للأمر عدته ، وقام بوضع الترتيبات الكفيلة لنجاحها ، وذلك من خلال التنسيق بينه وبين أتباع الدعوة الإسماعيلية وأنصارها وكانت السيطرة على حصن مسار عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م نقطة

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٠ ، ١٩١ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٧١٧.

[٢] الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص١٢٣ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣.

[٣] إدريس : المصدر والجزء والصفحة ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٦٨.

[٤] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤١١ ؛ الصفدي : الوافى بالوفيات ، ج٢٢ ، ص٥٠ ؛ العامري : غربال الزمان ، ص٣٧٦ ؛ الخزرجي : العسجد ، ص٥٦.

[٥] اليافعى : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص١٠٣ ؛ العامري : المصدر والصفحة ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٤٣؛ بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٦٠.

[٦] عمارة : المفيد ، ص٨٩ ، حاشية .

البداية التى أنطلق منها الصليحى لبناء دولته الصليحية[١] ، ومعلنا عن ظهور دعوته الإسماعيلية وتبعيته للخلافة الفاطمية[٢] وشكل توافد أتباع الدعوة الإسماعيلية إلى الصليحي فى مسار دفعة قوية له فى حروبه المتواصلة مع الزعامات اليمينية[٣] ، واستطاع الصليحي بمرور الوقت من إكمال بناء دولته وتعزيز جانب دعوته باذلاً فى سبيل ذلك بكل ما يملك.

كان الداعي الملك على بن محمد الصليحي يقوم بالإشراف على الشئون الدينية للدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، فمثلما كان ملكاً على دولته ، كان أيضا رئيسياً للدعوة الإسماعيلية، وكان على صلة مباشرة بالدعاة والمأذونين[٤] الذين كانوا يرجعون إليه ويأخذون عنه علوم الدعوة الإسماعيلية من خلال المجالس العلمية التى كان يقوم بعقدها ، وفى ذلك يقول الداعي إدريس "وضم إلى كل مأذون من دعاته من يليه من المستجيبين[٥] والمؤمنين المخلصين ، وأمرهم بالمصابرة وقلة الغفلة عن أمر دينهم ، وأن لا يجرى منهم تفريط فى شئ من أمور دينهم ودنياهم إلى دعاتهم ، وقصر كل منهم على الأخذ من داعيه ؛ وكان جماعة من المؤمنين يحضرون حضرته ويقرأ عليهم من علوم أولياء الله ، ويحضهم على الخير ويرغبهم فيه ..." ويقول أيضا "وكان يأمر كل دعاته بالحضور إلى داره فيعظهم ويذكرهم ويبصرهم ويقربهم ويدنيهم ، ويصلى بالجماعة من المؤمنين فى كل جمعة ويتلو عليهم بعد الصلاة ما تيسر من العلم والحكمة ويدعو فى عقب كل صلاة بما يستحب من الدعاء..."[٦].

---

[١] الهمدانى : الصليحيون ، ص٧٣ ، ٧٤ ،٧٥.

[٢] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٥.

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص٦ ، ٧.

[٤] المأذون : إحدى المراتب الدينية لدى الإسماعيلية ، يختص صاحبها بأخذ العهد والميثاق على المستجيب (مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٣) .

[٥] المستجيب : هو أول المراتب الدينية لدى الإسماعيلية ، يصل إليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق بعد اختباره من قبل داعى الدعاة والدعاة الآخرين (مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٤ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية، ج١ ، ص١٢٧) .

[٦] المصدر والجزء ، ص١٩.

يتبين لنا من النصين السابقين مدى الارتباط الوثيق الذى كان قائماً بين رئاسة الدعوة ممثلة بالداعي الصليحي وأتباع المذهب الإسماعيلي ، فكان الداعي الملك على بن محمد الصليحي هو المرجع الوحيد فى علوم الدعوة والتى ورثها بدوره عمن سبقه من الدعاة ، كما كان المعول عليه فى تدبير شئون الدعوة وإصلاح أمرها . وكان من أبرز الدعاة الذين وقفوا إلى جانبه ، الداعى لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠ هـ / ١١١٦م) الذى كان سنداً قوياً للصليحى فى نشر الدعوة الإسماعيلية التى نشطت فى ذلك الوقت نشاطاً لم تعهده من قبل[١].

لم يكتف الصليحي بإسداء النصائح والعظات وإعطاء الأوامر والتعليمات لأتباع دعوته ؛ وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك عندما سعى إلى فرض القانون الإسماعيلي فى القضايا والأحكام ، وعمل على إظهار شعائر المذهب الإسماعيلي بغرض الترويج له[٢]، فطبق تعاليم مذهبه فى الأذان والمراسم ، وفرض على الرعية دفع الخمس من أموالهم طبقاً للمذهب الإسماعيلي[٣]، وكان يخطب على المنابر للمستنصر الفاطمي ثم للصليحي ولزوجته أسماء بن شهاب[٤] .

استمر الداعي على الصليحي فى العمل على الحفاظ على دعوته الإسماعيلية وتقويتها ونشرها حتى مقتله عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م ، لتبدأ الدعوة الإسماعيلية مرحلة جديدة فى عهد خلفه المكرم أحمد بن على الصليحي .

تعرضت الدولة الصليحية ــ وبالتالى الدعوة الإسماعيلية ــ بعد مقتل الملك على بن محمد الصليحي للعديد من الأخطار ، وكادت النهاية المأساوية التى تعرض لها الصليحي أن تضع حداً لدولته ، بيد أن الجهود الكبيرة التى بذلها خلفه المكرم ومعه كبار رجال الدولة حال دون ذلك الأمر ، فنجحوا فى القضاء على التمردات التي قامت فى العديد من

---

[١] السمين : المذهبان ، ص٤٢٥.

[٢] السمين : المرجع نفسه ، ص٤٢٦

[٣] العقيلي : المخلاف السليماني ، ص١٥١.

[٤] بامخرمة : ثغر عدن ، ص١٦٢ ؛ سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٨٢ ؛ عبد المنعم ماجد : المستنصر بالله ، ص١٠٤.

أقاليم الدولة وتمكنوا من إعادة الأمور إلى نصابها[١].

وفى عهد المكرم نشطت الدعوة الإسماعيلية بشكل غير مسبوق لا سيما بعد عودة القاضي الإسماعيلي لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠هـ / ١١١٦م) من القاهرة ، وكان الملك على الصليحي قد أرسله فى سفارة إلى المستنصر الفاطمي مع عدد من كبار رجال دولته[٢]، وذلك فى عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢م[٣]، بقى بعدها القاضي لمك مدة خمس سنين فى القاهرة فى دار المؤيد فى الدين للشيرازي باب أبواب[٤] الإمام المستنصر ، وخلال فترة إقامته أخذ القاضى لمك عن المؤيد فى الدين الكثير من علوم الدعوة الإسماعيلية وأسرارها[٥]، وكانت السنوات الخمس فترة كافية لأن تجعل من القاضي لمك بن مالك الحمادي واحداً من أبرز علماء الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، وكان المؤيد فى الدين الشيرازي يعلم مكانة القاضى لمك ، ولعله هو الذى أشار على المستنصر أن يبقى القاضى لمك كل تلك السنين فى القاهرة ، حتى يتم إعداده بشكل جيد يمكنه من تحمل مسئوليات الدعوة الإسماعيلية فى اليمن وما يضاف إليها من جهات .

كان المؤيد فى الدين الشيرازي يدرك الخطر الذى تتعرض له الدعوة الإسماعيلية فى مصر ، كما كان يدرك أن الخلافة الفاطمية لم تعد قادرة على كبح جماح وزرائها ، لذلك سعى إلى إيجاد مكان آخر يكون ملاذاً آمنا للدعوة الإسماعيلية إذا ما انفرط عقدها فى مصر ، فوجد فى بلاد اليمن ما يصلح لذلك الأمر ، لاسيما وأن دعوة اليمن هى الوحيدة التى ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية ، لذلك عمل المؤيد فى الدين الشيرازي على تحويل آداب الدعوة وتراثها إلى اليمن من خلال شخصية القاضى لمك بن مالك

---

(١) راجع التمهيد : ص ٣ ــ ٤ .

(٢) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٤٢ ، ص١٤٤.

(٣) الهمداني : الصليحيون ، ص١٧٥؛ Farhard Daftary, The Isma'ilis, p.207

(٤) باب الأبواب : هى من أرفع مراتب الدعوة الإسماعيلية ، تلى مرتبة الإمام ، وهى مرتبة سرية للغاية ، فكان لا يعرف شاغرها سوى الإمام وولى عهده ، ولصاحب هذه المرتبة فصل الخطاب فى أمور الدعوة (مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٣) ؛ Farhard Daftary, Ibid.,

(٥) إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص١٥٧ ، ١٥٨؛ Abbas Hamdani, Arabian studies, p.94

الحمادي[١] ويبدو أن تلك الترتيبات التى كان يقوم بها الشيرازي كانت بالتنسيق مع المستنصر الفاطمي نفسه ، وحتى تكون تلك الترتيبات ذات جدوى ، أتبعها المستنصر بمنح القاضى لمك لقب (داعى القلم) ، وأسند إليه الإشراف على شئون الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، فى حين لقب الملك المكرم بـ (داعي السيف) وأسند إليه المهام السياسية وأمور الحكم ، فنزل المكرم عند رغبة إمامه الفاطمي[٢] ، وفى ذلك يقول الداعي إدريس: "فلم يزل قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادي والداعي الملك المكرم متعاضدين متوازرين متكانفين متظاهرين على إقامة الدعوة والهداية لمن اتبعهما إلى فضل الأئمة ، فهذا قائم فى العلم كالعلم ، وذا قائم بالملك والسيف عن أمر إمامهما..."[٣].

وكان للقاضي لمك دور بارز فى مجال الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، فكان مؤسساً لمدرسة إسماعيلية كان من أبرز تلاميذها : إبنه يحي بن لمك (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي (ت٥٤٦هـ /١١٥١م) الذين أخذوا عنه علوم الدعوة والتى أخذها بدوره عن المؤيد الشيرازى[٤] ، كما أخذت عنه أيضا السيدة الحرة وزوجها المكرم وغيرهما من الدعاة[٥]، وأثمرت جهود القاضي لمك وبقية الدعاة فى إزدهار الدعوة الإسماعيلية داخل اليمن وخارجها ، حيث أضيف إلى رئاسة الدعوة فى اليمن الإشراف على الدعوة الإسماعيلية فى بلاد الحجاز وعمان والإحساء[٦] ، واستمرت الدعوة تسير على قدم وساق حتى وفاة المكرم أحمد عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م .

ومن جهة أخرى كانت السيدة الحرة قد استلمت زمام الحكم قبل وفاة زوجها المكرم ، وذلك بعد أن اشتد عليه مرض الفالج واحتجابه فى حصن التعكر نزولاً عند نصيحة الأطباء له بذلك[٧]، فقامت السيدة الحرة بإدارة شئون الدولة فى حياة زوجها

---

[١] الهمداني : الصليحيون ، ص١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩.

[٢] الهمداني : المرجع نفسه ، ص١٧٩.

[٣] عيون الأخبار ، ج٧ ، ص١٥٩ ، ١٦٠.

[٤] الهمداني : المرجع نفسه ، ص٢٦٨ .

[٥] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٥٩.

[٦] السجلات المستنصرية : سجل رقم ٥٤ ، ص١٧٧ ، ١٧٩ .

[٧] إدريس : المصدر والجزء ، ص١٨٧ ؛ الهمداني : المرجع نفسه ، ص١٣٧.

وبالتالي لم تتعرض دولتها لأية أخطار بعد وفاة زوجها المكرم عام ٤٧٧هـ /١٠٨٤م .

وبالنسبة لأمور الدعوة الإسماعيلية فى عهد السيدة الحرة فقد سارت على النحو المرسوم لها ، وشاركها فى تحمل تبعات الدعوة ومسئولياتها قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادي الذى بقى على وظيفته السابقة ولقب فى عهدها بـ "داعي البلاغ" مكافأة له على جهوده المبذولة فى خدمة الدعوة ، كما أضفى المستنصر الفاطمي على السيدة الحرة لقب "حجة" تقديراً لدورها البارز فى حماية الدعوة وترسيخ قواعدها [١]، وكانت السيدة الحرة جديرة بذلك اللقب ، فقد كانت عالمة فى مجال دعوتها ، يأخذ عنها الدعاة علوم المذهب من خلال مجالس الحكمة التى كانت تعقدها لهم ، وفى ذلك يقول الداعي إدريس "كانت الحرة الملكة الصليحية متبحرة فى علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول ... وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ويأخذون عنها ويرجعون إليها فى مشكلات الدين ، فيجدون عندها ما يريدون ويغترفون من تيار علمها ما يردون" [٢].

بذلت السيدة الحرة جهوداً كبيرة فى سبيل تعزيز مكانة الدعوة الإسماعيلية ، فنالت بذلك ثقة المستنصر الفاطمي الذى عهد إليها بالإشراف على شئون الدعوة فى كل من الهند وعمان ، وفوض إليها أمر تعيين من تراه مناسباً لنشر الدعوة فى تلك البلاد[٣]، وكانت السيدة الحرة عند حسن ظن إمامها الفاطمي ؛ فعملت بإخلاص على تدبير شئون الدعوة فى الجهات المضافة إليها ، ووقفت حائلة دون حدوث الفتن والخلافات الداخلية نظراً لحسن تدبيرها ودرايتها باختيار رجال الدعوة[٤]، وكان من ثمار ذلك انتشار الدعوة فى تلك البلاد[٥].

ظلت السيدة الحرة على ولائها للخلافة الفاطمية حتى وفاة المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وانقسام الإسماعيلية فى مصر إلى نزارية ومستعلية ، وهو الانقسام الذى نتج عنه تصدع كبير فى بناء الدعوة الإسماعيلية التى تميزت منذ ذلك الحين إلى

---

[١] الهمداني : الصليحيون ، ص١٨٠ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١٤٥.

[٢] عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣٣٤.

[٣] السجلات المستنصرية : سجل رقم (٥٠) ، ص١٦٨، ١٦٩ ؛ السمين : المذهبان ، ص٤٣٣.

[٤] مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص١٤٦.

[٥] مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٢٣٥.

فرقتين لكل منهما أتباع ومناصرون هما : الفرقة النزارية والفرقة المستعلية ، ولم يطل العهد بهذه الأخيرة ــ كما سيأتى ــ حتى انقسمت هى الأخرى إلى فرقتين هما الفرقة الطيبية والفرقة الحافظية ، ولا شك أن تلك الانقسامات التى حدثت فى صفوف الدعوة كانت من أهم العوامل التى أدت إلى إضعافها .

ومهما يكن من أمر فقد اختارت السيدة الحرة أن تقف إلى جانب أحمد المستعلي ــ الابن الأصغر للمستنصر ــ دون نزار ــ الابن الأكبر ــ ، ويبدو أن المستعلي كان قد نجح فى إقناعها بمشروعية إمامته للدعوة وأنه مستحق لها دون أخيه نزار[١]، فقامت السيدة الحرة بالدعوة إلى الإمام المستعلي[٢]، وساندها فى ذلك الأمر قاضى القضاة لمك بن مالك الحمادي حتى وافته المنية عام ٥١٠هـ / ١١١٦م ، ثم قام بأمر الدعوة ابنه يحي بن لمك ، الذى وقف مؤازراً للسيدة الحرة فى الدعوة إلى الإمام المستعلي ، وفى ذلك يقول الداعي إدريس "وانتصبت الحرة السيدة الملكة الصليحية وقاضى القضاة وداعى الدعاة فى اليمن يحي بن لمك بن مالك الحمادي بإظهار الدعوة فى أقطار اليمن إلى الإمام المستعلى بالله ... وأنارت بهما الدعوة وكانا للعالمين العاملين خير قدوة وكان أمر جميع الدعاة فى اليمن مصروفة إليهما والتعويل فيه عليهما" [٣] .

لم يدم عهد الخليفة المستعلي على عرش الخلافة الفاطمية أكثر من سبعة أعوام ، فكانت وفاته عام ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، ليعتلي بعد ذلك ولده الآمر بأحكام الله عرش

---

[١] السجلات المستنصرية : سجل رقم (٤٣) ، ص١٤٦ ــ ١٥١ ، وانظر : السجل الذى بعثت به والدة المستعلى إلى السيدة الحرة لإثبات شرعية إمامة ولدها أحمد المستعلي (إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٤٨ ــ ٢٦١) ؛

Moncelon, Lada'wa Fatimid, www.univ – aix, 1995, 10pp.

[٢] المستعلي : أبو القاسم أحمد بن المستنصر ، تولى الخلافة بعد وفاة والده عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م بمساعدة وزيره الأفضل الذى تمكن من إزاحة نزار الإبن البكر للمستنصر ، وتثبيت أخيه أحمد المستعلى على الحكم ، وفى عهده ضعفت الدولة الفاطمية ، وانقطعت دعوتهم عن أكثر مدن الشام ، وكانت وفاته عام ٤٩٥هـ/١١٠١م . (ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٤٩٧ ، ٤٩٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٧٩ ، ١٨٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص١٩٦ ؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٣؛ ابن خلدون : العبر : ج٤ ، ص٨٧.

[٣] المصدر والجزء ، ص٢٦٦.

الخلافة الفاطمية[١]، وظلت الدولة الصليحية فى عهده على ولائها للفاطميين ، حيث قامت السيدة ومعها قاضى القضاء يحيى بن لمك بالدعوة إلى الإمام الآمر بأحكام الله خير قيام ، وفى ذلك يقول الداعى إدريس : "قامت الحرة الملكة السيدة الصليحية بالدعوة إليه قياماً وعضدها فى ذلك داعى الدعاة باليمن وقاضى القضاة يحي بن لمك بن مالك الحمادي ، ونشرا الدعوة فى الحاضر والبادي واستقامت بهما معالم الدين فى أقطار اليمن ووضحت بها الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الأحكام وأقيمت شرائع الإسلامي وعرف الحلال والحرام وعظم فضلهما عند الخاص والعام..."[٢] .

يتبين من ذلك الدور الكبير الذى كانت تقوم به السيدة الحرة ومعها قاضى القضاة يحي بن لمك فى خدمة الدعوة الإسماعيلية من خلال التواصل مع دعاة وأتباع المذهب الإسماعيلي فى بلاد اليمن ، فكانا يعملان على شرح علوم المذهب من خلال المجالس التى كانا يعقدانها لهم ، وكان لتلك المجالس دور هام فى ترسيخ مبادئ الفكر الإسماعيلي لدى أتباع الدعوة ، ويبدو أن تواصلهم لم يكن مقتصراً على دعاة المذهب فحسب وإنما كان يشمل جميع فئات المذهب الإسماعيلي .

بقى داعى الدعاة يحي بن لمك يقوم بدوره الهام فى رئاسة الدعوة حتى وافته المنية عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م[٣] ، وكان قبل وفاته قد أوصى ومعه السيدة الحرة بانتقال رئاسة الدعوة بعد وفاته إلى الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) [٤] الذى قام مع السيدة الحرة بالدعوة للإمام الآمر بأحكام الله حتى بلغهما خبر مقتله عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م على يد جماعة من الفرقة النزارية ، وكان لهذا الحادث أثراً كبيراً فى تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، فى مصر الفاطمية [٥]، حيث نجم عنه انشقاق جديد فى صفوف الدعوة الإسماعيلية التى انقسمت على نفسها إلى فريقين : نادى الفريق الأول

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٦٩ ، ٢٧٠.

[٢] المصدر والجزء ، ص٢٨٥.

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٠٠.

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٩٩ ، ٣٠٠ لا يذكر تاريخ وفاة الذؤيب؛ قطب بن سليمان : منتزع الأخبار ، ص٢ .

[٥] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص١٧١.

بإمامة الطيب بن الآمر ، وعرف هؤلاء بالإسماعيلية الطيبية ، فى حين نادى الفريق الثانى بإمامة الأمير أبى الميمون عبد المجيد الذى تلقب بالحافظ لدين الله ، وعرف هذا الفريق بالإسماعيلية الحافظية[١].

لم تتأثر الدعوة اليمنية بقيادة السيدة الحرة والداعى الذؤيب بن موسى الوادعي بذلك الإنقسام ، فبقوا على ولائهم لإمامهم الطيب بن الآمر ، وذلك بعد أن ثبت لهم مشروعية إمامته وفقاً للمبادئ الإسماعيلية ؛ إذ تذكر المصادر الإسماعيلية المستعلية أن الخليفة الآمر كان قبل وفاته قد رزق بمولود ذكر أسماه الطيب وكناه أبا القاسم ، وأرسل إلى السيدة الحرة سجلاً يبشرها فيه بذلك الخبر وينص على إمامته من بعده[٢]، "ولما وصل السجل الشريف بذلك إلى الحرة الملكة وعرفت معناه وتحققت فحواه عملت بما به مولاها أمرها وأعلمت به من حضرها وأذاعت ذلك فى جميع المؤمنين وعرفتهم أن ذلك نص على الإمام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين" [٣].

وبعد أن تنامي إلى مسامع السيدة الحرة خبر مقتل الخليفة الآمر بأحكام الله عام ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ، سارعت ومعها الداعى الذؤيب بن موسى الوادعي إلى أخذ البيعة لإمامها الجديد الطيب بن الآمر[٤]. وعلى الرغم من المحن الشديدة التى تعرضت لها الدعوة الإسماعيلية فى عقر دارها ــ مصر ــ إلا أن الدعوة اليمنية ظلت على إخلاصها للدعوة الطيبية ، فاتخذت موقفاً صارماً من الأمير عبد المجيد الذى أراد الاستئثار بالخلافة لنفسه بعد أن كان وصياً على الطيب بن الآمر ، ولم تفلح محاولاته فى ثنى السيدة عن موقفها وكسبها إلى صفة ، وكان قد بعث إليها سجلاً ذكر فيه "من ولى عهد المسلمين وابن عم أمير المؤمنين ..." إلا أنه وبعد أن أراد الأمر لنفسه ، عاد ليخاطبها فى سجل آخر "من أمير المؤمنين ..." فلما وصل ذلك السجل إلى السيدة الحرة استاءت منه وعبرت عن ذلك بقولها "لقد جرا فى غير ميدانه وادعى أمراً يبعد عن مكانه" ، "وأعلمت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله وارتقى

---

[١] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص١٧١.

[٢] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣٠٢ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص١٨٢ ، ١٨٣.

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٠١.

[٤] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣١١.

لمقام وليس هو من أهله" [١].

ثم قامت السيدة الحرة إزاء ذلك الوضع باتخاذ خطوة غير مسبوقة فى تاريخ الدعوة اليمنية ؛ حيث قامت بفصل وظائف الدعوة نهائياً عن وظائف الدولة ، وأوكلت أمرها إلى الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الذى جعلته أول داع مطلق[٢] ليقوم بالدعوة نيابة عن الإمام المستتر الطيب بن الآمر[٣] ، وكانت السيدة الحرة تهدف من وراء ذلك إلى إبعاد الدعوة الطيبية عن تدخلات الخلافة الفاطمية فى شئونها[٤].

وبذلك انفصلت الدعوة اليمنية نهائياً عن التبعية الدينية للدعوة الفاطمية فى مصر ، وكانت اليمن هى المركز الرئيسي للدعوة الطيبية ، وكان الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي أول داع مطلق للإمام المستتر الطيب بن الآمر ، الذى أخفاه أتباعه خوفاً عليه من بطش الخليفة الحافظ ، فبقى أمره فى طي الكتمان ولم يعرف بأمره سوى الخاصة من أتباعه[٥] ، ويبدو أن السيدة الحرة وداعيها الذؤيب كانا على معرفة تامة بتفاصيل استتار الطيب بن الآمر ، لذلك أوصت السيدة الحرة بالكثير من ثروتها إلى الطيب بن الآمر بعد وفاتها ، وكلفت أحد رجال دولتها وهو السلطان أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحي بإيصال تلك الأموال إلى باب الإمام الطيب وأن يأخذ عليها ما يفيد بوصولها إليه[٦].

اتخذ الداعى الذؤيب (الداعى المطلق) من السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري

---

[١] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧.

[٢] الداعى المطلق : وهى من أعلى مراتب الدعوة الإسماعيلية ، وإليه حق الإشراف على الدعوة فى جميع الجزائر ، ويكون الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الإمام ، ويكون معروفاً بين الدعاة جميعاً وبين حاشية الإمام فى أدوار الستر والظهور ، وعلى عاتقه تقع مهمة عقد مجالس الحكمة التأويلية (مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٢٣) .

The Encyclopaedia of Islam, vol.IV, p.200.

[٣] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص١٨٥ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص١٨٠ ، ١٨٣.

[٤] أيمن فؤاد سيد : المرجع والصفحة .

[٥] الهمداني : المرجع نفسه ، ص١٨٦؛ Abbas Hamdani, Arabian studies, p.95

[٦] إدريس : المصدر والجزء ، ص٣٣٥ ــ ٣٥٥ ؛ الهمداني : المرجع والصفحة .

معاوناً له فى شئون الدعوة ، وبعد وفاة الأخير عام ٥٣٣هـ / ١١٣٩م[١] ، وأقام مكانه الداعى إبراهيم بن الحسن الحامدي (ت٥٥٤هـ /١١٥٩م) فى رتبة المأذونية ليعاونه فى إقامة الدعوة وتثبيت قواعدها[٢] ، وكان الداعي الذؤيب يتمتع بسلطات دينية واسعة ؛ فكان نائباً عن الإمام الطيب بن الآمر ، والمصدر الوحيد الذى تستقى منه علوم الدعوة ، ولم يكن بمقدور أحد من الدعاة أن يكتب فى علم التأويل إلا بعد الرجوع إليه ، كما لم يكن يسمح لأحد بدراسة علوم الدعوة وتنقيحها إلا بإذنه[٣].

طبيعة العلاقة بين أتباع الفرق المذهبية :

مثل أتباع المذهب الشافعي غالبية سكان الإقليم خلال العهد الصليحي ، واقتصر تمركز أتباع المذهب الإسماعيلي على مدينة جبلة ، وإن وجد ثمة تواجد آخر فى غيرها فلن يكون ذا شأن ؛ إذا لم تشر المصادر المتاحة ــ حسب إطلاع الباحث ــ إلى وجود أى نشاط إسماعيلي فى غير مدينة جبلة خلال تلك الفترة .

وللتعرف على طبيعة العلاقة بين أتباع المذهبين ، لابد لنا من الوقوف على وجهة النظر السنية فى بعض العقائد الإسماعيلية والعكس ، إذ أن تلك النظرة هى الإطار الذى تحددت ضمنه تلك العلاقة ، ويمكن معه من إيجاد تفسيرات منطقية للحوادث التى وقعت بين الطرفين .

يقوم المذهب الإسماعيلي على وجود نوعين من التكاليف هما : العبادة العملية (علم الظاهر) وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه ، والعبادة العلمية (علم الباطن) وهو علم تأويل نصوص الشريعة الذى يأخذونه عن أئمتهم[٤] ، ويرون وجوب العمل بالعبادتين وكفروا كل من اعتقد بالباطن دون الظاهر أو بالظاهر دون الباطن ، وفى ذلك يقول الداعي المؤيد فى الدين "من عمل بالباطن والظاهر معاً فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون

---

[١] إسماعيل قربان : السلطان الخطاب ، ص٥٩ ، ٦٥.

[٢] أيمن فؤاد سيد : المذاهب الدينية ، ص١٩٠؛ قطب بن سليمان : منتزع الأخيار ، ص٥.

[٣] الهمداني : الصليحيون ، ص١٩٣.

[٤] مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٩ ؛ أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات الفكرية ، ص١٢٥.

الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا" [١].

ويعتقد أتباع المذهب الإسماعيلي أن الإمامة ركن أساس لجميع أركان الدين ، فلا تقوم أركان الدين إلا بها ؛ وعليه فقد جعلوا الإمام محوراً تدور عليه كل العقائد والفلسفات الإسماعيلية ، ويرون أن الإمام معصوم من الخطأ[٢] ، وهو جزء لا ينفصل عن الشريعة، فوجوده لازم لوجود الشرائع نفسها إذ هو مستودع لتلك الشرائع ، والمجتهد المطلق فيها القادر على استنباط الأحكام وتفسيرها ، ولا يحق لأحد سواه أن يدعى هذا الأمر[٣] ، فلا استقلال بالمعرفة دون تعليم من الإمام إذ أن البحث والنظر فى مسائل الدين لا يتأتى بالنظر العقلي ، بل عن طريق الاستفادة من الإمام ، لذلك يرون أن كل من لا يتلقى تعليمه عن الإمام فهو غير مؤمن[٤].

وتعتبر قضية التأويل هى القاعدة الأساسية فى الفكر الإسماعيلي[٥] ، وتدور تلك القضية حول مفهوم واحد هو الإمامة ، فكل آية أو حديث نبوي قبلوه ، جعلوا تفسيره يدور حول ذلك المفهوم ، ومن ذلك قوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون)[٦] ، فذكروا أن معنى الكتاب هو الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن المقصود بالذكر هو الوصي ، ومعنى قوله تعالى (فيه) أى منه "لأنه ما كان فى الكتاب فهو منه ، ولذلك كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول "على منى وأنا منه" في غير موطن ... كما قال عز ذكره (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) [٧] هو رسول الله الذى هو من الله على بينة بما أوحى إليه وأنزله ، ويتلوه شاهد منه ، يعنى على بن أبى طالب ، لأنه يتلوه فى الوصية وهو أول من شهد له بالرسالة وهو منه كما

---

[١] مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٩.

[٢] مصطفى غالب : المرجع والصفحة ؛ Lewis.B., The Arabin History, p.106

[٣] عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ج١ ، ص٦٨.

[٤] أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الإتجاهات الفكرية ، ص١٢٥ .

[٥] أحمد عبد الله عارف : المرجع نفسه ، ص١٤٢.

[٦] الأنبياء : الآية ١٠

[٧] هود : الآية ١٧ .

قـــــال

الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : على منى وأنا منه ، ولا يكون لهذا القول معنى أوضح من هذا ولا يصح فيه غيره" [١].

ومن تأويلاتهم أيضا أن معنى الجنابة مبادرة المستجيب إلى إفشاء السر قبل أن ينـــال رتبة استحقاقه ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنى هو إلقـــاء نطفـــة العلم الباطني فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد ، والإحتلام : هو أن يسبق لسانه إلـــى إفشاء السر فى غير محله ، فعليه بالغسل ، أى تجديد المعاهدة ، والطهور : هـــو التبـــرى والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام ، والصيام هو الإمـــساك عـــن كـــشف السر، والكعبة هى النبي والباب على ... إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية [٢].

والتأويل عند الإسماعيلية يختلف عن التأويل لدى المفسرين من أهل السنة وغيـــرهم من أتباع الفرق الكلامية ؛ كالمعتزلة والأشاعرة ؛ فقد وضع هؤلاء معياراً فى التأويـــل ، فقال المعتزلة على سبيل المثال : "إن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره ، علمنا ضرورة أن المراد منه غير ذلك ، ثم بعد ذلك يأخذون فى تأويل النص المـــصادم للعقـــل على معنى من المعانى التى يحتملها اللفظ ، بحيث يكون المعنى المـــؤول مناســـباً للفـــظ بطريق التجوز والإستعارة" ، أما الإسماعيلية الباطنية فلم يرتضوا التأويـــل اللغـــوي ولا قياس العقل ، وإنما قبلوا التأويل الذى يأتى عن طريق الإمام المعصوم فى نظـــرهم عـــن الخطأ ، والذى يعرف أسرار الدين الحقيقية التي هى مستودعة عنده كما يزعمون[٣].

وكانت تلك التأويلات الإسماعيلية تختلف من إمام إلى آخر ، بل كثيـــرا مـــا تـــصدر تآويل متناقضة عن الإمام الواحد ، وهم يعترفون بذلك ولا ينكرونـــه ، ويبـــرر القاضـــي النعمان ذلك الأمر بقوله أن الأئمة "يخاطبون كل قوم بمقدار ما يفهمون ، ويعطون أهـــل

---

[١] أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات الفكرية ، ص١٤٤ نقلاً عن جعفر بن منصور اليمن : الـــشواهد والبيان ، لوحة ٣ .

[٢] الغزالي : فضائح الباطنية ، ص٥٩ ، ٦٠ ؛ وانظر البغدادي : الفرق بـــين الفـــرق ، ص٢٨٠ ؛ الحمـــادي : كشف أسرار الباطنية ، ص٦٣ــــ٧٠.

[٣] عبد العزيز سيف النصر : التأويل الإسماعيلي الباطني ومدى تحريفـــه للعقائـــد الإســـلامية ، ط١ ، مطبعـــة الجبلاوي، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص٥،٤؛ وانظر : Lewis, B., The Arabs in history, p.107

كل حد ما يستحقون ويمنعون منه من يجب منعه ، ويدفعون عنه من استحق دفعه" [١].

ويبدو أن دعاة الإسماعيلية كانوا يدركون جيداً أن التأويلات التى يعتقدون بها لن تجد قبولاً فى أوساط الفرق الإسلامية ، لذلك كانوا يعمدون إلى إخفاء تلك التأويلات حتى لا يقع ما لا يحمد عقباه ، فكانوا لا يسمحون بإظهارها إلا للخاصة من أتباعهم ، ولضمان ذلك كانوا يأخذون العهود والمواثيق على أتباعهم لضمان سرية ما يقع تحت أيديهم من تلك التأويل ، ومن تلك الأيمان ما ذكره الداعي الحارثي اليماني بقوله "وأنا آخذ عهد الله وميثاقه المغلظ المشدد الذى أخذه على أسمائه النورانيين وصفاته الروحانيين وملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وأوصيائه الطاهرين وأئمتهم الميامين وحدود دينه أجمعين من أهل السماوات وأهل الأرضين على كل من وقع كتابي فى يديه وحصل لديه من خاص وعام وعالي الرتبة ودان أن لا (ألا) قراءة ولا وقف عليه إلا بأمر من ذوي الأمر ولا إباحة وبذله وأطلع عليه إلا من يكون أخانا حقاً برئياً ويقول فى فضل أئمة الحق بقولنا ويعتقد فيهم كاعتقادنا" [٢].

ويعتقد أتباع الفرقة الإسماعيلية أنهم مؤمنون موحدون وينظرون إلى كل من خالفهم فى عقيدتهم أنهم كفار[٣] ، فمن اعتقد بظاهر الشريعة دون الباطن الذى يدعون إليه فهو عندهم كافر[٤] ، وبذلك كفروا كل الفرق الإسلامية التى لا تؤمن بفكرة الباطن .

أما بالنسبة لعلماء السنة فقد أجمعوا على أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد بلّغ كل ما أوحي إليه من ربه ، وكما بعث للبلاغ فقد بعث للبيان ، قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[٥] ، ولذلك فقد أجمع علماء أهل السنة على أنه لا يمكن

---

[١] عبد العزيز سيف النصر : التأويل الباطني ، ص٤٥ . نقلاً عن : القاضى النعمان : أساس التأويل ، ص٣٢، ٣٢.

[٢] أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات الفكرية ، ص١٤٣ ؛ نقلاً عن الحارثي : الأنوار اللطفية ، ص٧٨. وحول الأيمان التى تؤخذ على الداخل فى دعوتهم . انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٢٨٨ ــ ٢٩٠.

[٣] الديلمي : قواعد عقائد آل محمد ، ص١٠٥ .

[٤] مصطفى غالب : تاريخ الدعوة ، ص٣٩.

[٥] النحل : الآية ٤٤ .

أن يكون هناك باطن كتمه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن عامة المسلمين ، واختص به أحداً من أهله وذويه[١] ، وفى ذلك يقول المقريزي "والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوهر لا سر تحته ، وهو كله لازم لكل أحد ، لا مسامحة فيه ، ولم يكتم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أحض الناس به من زوجة أو ولد عم على شئ من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ، ورعاة الغنم ، ولا كان عنده ــ صلى الله عليه وسلم ــ سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، ولو كتم شيئاً لما بلغ كما أمر . من قال بهذا فهو كافر بإجماع الأمة" [٢]. أما الغزالي فيقول عن مذهبهم أنه "مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ..."[٣].

وهكذا نجد أن أفكار ومبادئ الإسماعيلية الباطنية لم تستسغ من قبل الفرق الإسلامية، لأنها لم تستطع أن تقيم الدليل على دعواها ، فجاءت بما يخالف معتقد المسلمين فى كثير من المبادئ وحاولت إيجاد صورة مختلفة كل الاختلاف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة التى ترسخت فى عقول وقلوب المسلمين ، مدّعية أن ما جاءت به هو الحق وأن ما دونه كفر بواح ، لذلك نبذها المسلمون وأجمعوا على كفر معتقدها .

وفى بلاد اليمن كانت نظرة علماء السنة وعوام المسلمين هى ذاتها التى كانت فى بقية العالم الإسلامي ، فلم يكن أهل اليمن أقل تمسكاً بالثوابت الدينية من غيرهم ، كما أن لهم تجارب سابقة مع أتباع المذهب الإسماعيلي تعود جذورها إلى زمن على بن الفضل وزميله ابن حوشب (منصور اليمن) أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادى) . ولعل ما كابدوه من مآسي فى ظل سيطرة ابن الفضل فى تلك الفترة نفرهم أكثر من غيرهم من أتباع المذهب ناهيك عن اعتناقه .

ولعل أبرز الأمثلة على تصدى علماء السنة فى بلاد اليمن للمذهب الإسماعيلي ، كتاب "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة" للفقيه السنى محمد بن مالك بن أبى القبائل المعافري ، الذى كان معاصراً للملك الداعي على بن محمد الصليحي ، ويذكر هذا

---

[١] عبد العزيز سيف النصر : التأويل الباطني ، ص٤٧ ، ٤٨.

[٢] الخطط ، ج٣ ، ص٣١٣.

[٣] فضائح الباطنية ، ص٨٦.

المؤلف فى كتباه أنه دخل فى المذهب الإسماعيلي ليتبين حقيقته ، وبعد أن ظهر له فساد عقيدتهم تركهم وأخذ فى تبيين حقيقتهم للناس وكشف أسرارهم[١] ، وعن رأيه فى الملك الصليحي يقول "وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم ... فحرم الحلال وأحل الحرام وناقض بجهده الإسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام..."[٢].

هكذا نظر علماء السنة إلى الدعوة الإسماعيلية ولذلك كانت العلاقة بين الطرفين علاقة عداء شديد ، وفى عهد الدولة الصليحية الإسماعيلية كان ذلك العداء الذى يكنه أهل السنة للإسماعيلية من أهم العوامل التى أدت إلى سقوط الدولة الصليحية عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م[٣].

وبالنسبة لإقليم ذي جبلة فإن علاقة العداء تلك لم تتغير بين الجانبين ، فبقى ذلك الشعور قائماً بين الطرفين ، وكان يترجم فى بعض الأحيان إلى وقائع ــ وإن كانت قليلة الحدوث ــ وسنتناول فيما يلى العلاقة بين الجانبين من خلال علاقة الحكام الصليحيين بفقهاء السنة وموقف فقهاء السنة من أولئك الحكام .

بدأت علاقة الحكام الصليحيين مع فقهاء الشافعية فى الإقليم فى عهد الملك على بن محمد الصليحي ، وذلك من خلال علاقته بالإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ، فقد كان هذا الإمام يسكن قرية الظرافة ثم انتقل إلى الجند للفتوى والتدريس[٤] ، وبقى فيها حتى قدوم على الصليحي عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦١م[٥]، وكان الصليحي قد بلغه مكانة الإمام جعفر وعلمه ، فطلب منه أن يتولى منصب القضاء فى الجند إلا أنه اعتذر عن ذلك الأمر بحجة أنه لا يصلح له وغادر الجند متوجهاً إلى قريته الظرافة ، فغضب الصليحي من رفض الإمام وقرر التخلص منه ؛ فأرسل عدداً من جنوده لذلك الأمر ، فأدركوه بالقرب من قريته وأنهالوا عليه بسيوفهم . وهنا تذكر المصادر أن

---

[١] ص ٦٣ ــ ٧٠.

[٢] الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص١٢٨.

[٣] الهمدان : الصليحيون ، ص٢٣٧.

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٤.

[٥] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٣٦١.

الإمام جعفر نجاه الله من الموت فوقع مغشياً عليه من أثر الضرب ، ويبدو أن الصليحي أدرك خطأ تصرفه فسارع إلى مصالحة الإمام والتقرب إليه[١]، "ولم يزل الصليحي بعد ذلك يعظمه ويحترمه ويحترم أصحابه ، ويعفى أرضهم من الخراج ، ويقبل شفاعته فيما شفع ، ويقول : ليس فى فقهاء السنة مثله" [٢].

ويبدو أن الصليحي رأى أن من الخير له العمل على استمالة فقهاء السنة إلى جانبه من خلال تبجيل كبار علمائهم والإحسان إليهم ، لا سيما بعد أن أدرك أن سياسة العداء تجاههم لن تورثه سوى المزيد من القلاقل التى كان فى غني عنها ، خاصة وأنه لا يزال فى طور بناء دولته الصليحية ، لذلك سلك ذلك المسلك مع الإمام المحابي وبقية الفقهاء ، علّ ذلك أن يشفع له عندهم فلا يناصبونه العداء .

ومن ناحية أخرى سارت السيدة الحرة على السياسة نفسها فأخذت فى التقرب من علماء السنة فى الإقليم ، وذلك من خلال بنائها لمدرسة الصحيحين فى ذى جبلة يتعلم فيها أتباع المذهب السنى علوم مذهبهم[٣] ، وأوقفت لأجلها الأراضى اللازمة للإنفاق عليها[٤]، وفى ذلك دليل واضح على تسامحها المذهبي وابتعادها عن الغلو والتطرف[٥]، كما كانت تجل علماء السنة وتعلى من شأنهم ، ومن ذلك علاقتها بالإمام يحي بن أبى الخير العمراني كما سبق الإشارة إليها .

كانت السيدة الحرة تدرك أنها تعيش فى محيط سني ، وليس بغائب عنها نظرة العداء المذهبي بين أتباع مذهبها والمذهب السنى ، لذلك يبدو أن خير وسيلة لجأت إليها للتخفيف من حدة ذلك العداء هو التقرب إلى أهل السنة من علماء وطلاب علم وغيرهم ، ومن جهة أخرى ، كان لابد لها من اتخاذ تلك السياسة حفاظاً على استقرار الأوضاع فى دولتها .

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٤ ، ٩٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٢ ، ص٣٦٢.

[٢] بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .

[٣] الهمداني : الصليحيون ، ص٢٠٦ ؛ حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن ، ص٢٠٥ ؛ نفسه : الملكة أروى ، ص٩٤ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص١٩٦.

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨٠ ، ٢٨١ ، حاشية ١ .

[٥] حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن ، ص٢٠٦.

ولا شك أن تلك السياسة التى اتبعتها السيدة الحرة كان لها مردود إيجابي ، فباستثناء ما حدث فى عهد وزيرها المفضل (٤٨٠ــ٥٠٤هـ/١٠٨٧ــ ١١١١م) ــ وهو ما سنتناوله لاحقاً ــ عاش أهل السنة فى حرية دينية خلال فترة حكمها الطويل الذى أمتد لما يقارب خمسة وخمسين عاماً (٤٧٧ــ٥٣٢هـ / ١٠٨٤ــ١١٣٨م) كان أهل السنة خلالها يمارسون حقوقهم الدينية دون تدخل من الدولة الصليحية .

أما بالنسبة لموقف فقهاء السنة من حكام الدولة الصليحية ، فكان موقفاً عدائياً فى أغلب الأحيان ، غير أنهم كانوا لا يملكون شيئاً حيال هذه الدولة التى تحكمهم ، لذلك لم يجدوا بداً من مهادنتها إتقاءً لشرهم ، فهادنهم الإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابي فى عهد الملك على بن محمد الصليحي كما هادنهم الإمام يحي بن أبى الخير العمراني فى عهد السيدة الحرة ، وسار على هذه السياسة كثير من العلماء ، ولعل هذا ما يفسر سكوتهم عن مقاومة الوجود الإسماعيلي فى الإقليم خلال العهد الصليحي .

بيد أن تلك المهادنة لم ترق لبعض فقهاء الإقليم ومنهم الفقيه عبد الله بن عمر بن المصوع (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) الذى كان يضمر العداء لاتباع المذهب الإسماعيلي ويتحين الفرصة للقضاء على والي الصليحيين خالد بن أبى البركات الحميري الذى كان حاكماً على بلاده ، فاحتال الفقيه لذلك الأمر وتقرب إلى الوالى الصليحي حتى نشأت بين الإثنين علاقة طيبة ، وعلى حين غرة تمكن الفقيه من قتل الوالى مستغلاً ثقة الوالي به ، إلا أنه دفع حياته ثمناً لذلك إذ تمكن حراس الوالي من قتل الفقيه والأخذ بثأر سيدهم[١].

لم يكن مقتل الفقيه ابن المصوع نهاية لذلك المشهد الدامي بين الفريقين ؛ فقد أعقبه اتخاذ إجراءات انتقامية من قبل المفضل بن أبى البركات الحميري شقيق الوالى المقتول والذى كان المكرم قد أسند إليه ولاية التعكر خلفاً لأخيه خالد ، فكان أول عمل يقوم به المفضل استيلاؤه على أملاك الفقيه ابن المصوع انتقاماً لما فعله بأخيه ، الأمر الذى أثار الخوف لدى بعض الفقهاء الذين خرجوا من قراهم خوفاً من أن ينالهم ذلك الانتقام[٢].

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ الخزرجي : العسجد ، ص٦٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٨٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٠٢ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٦ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٣٩ ، الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٨٨.

لم يكتف الأمير المفضل بالانتقام من قاتل أخيه ، وإنما أخذ فى مضايقة الفقهاء والعمل على الوقيعة بينهم ومن ذلك سعيه للوقيعة بين الإمام أبو بكر المحابي والإمام زيد بن عبد الله اليافعي فى مسجد الجند ، وكان هذان الإمامان قد خرجا ذات مرة فى جنازة لأحد أهالى الجند ، وخرج معهما كثير من الطلاب ، وعندما رآهم المفضل تملكه الخوف من أن يخرجوا عليه[١] ، ولعله تذكر ما فعله الفقيه عبد الله بن المصوع بأخيه خالد ، وقال لمن معه : "هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة فكيف مع الكثرة" [٢] ، وأخذ المفضل يعمل الحيلة فى التفريق بين الإمامين وأتباعهما من الطلاب ، ونجح فى ذلك الأمر فساءت العلاقة بين الفريقين مما دفع بالإمام زيد بن عبد الله اليافعي إلى الارتحال إلى مكة[٣].

ومهما يكن من أمر فقد ازدادت الكراهية بين الفقهاء والمفضل ، فكان الفقهاء يتحينون الفرصة للانتقام منه لما فعل بهم منذ ولى التعكر[٤]، وكذلك الحال بالنسبة للمفضل الذى لم يكن أقل كراهية للفقهاء الذين كفروه واستحلوا دمه[٥] . وقد وجد الفقهاء الفرصة سانحة للانتقام من المفضل وذلك عندما توجه بقواته إلى زبيد[٦] لمساعدة منصور بن قاتك بن جياش ضد عمه عبد الواحد بن جياش عام (٥٠٤هـ / ١١١١م) وكان المفضل يرى فى ذلك الأمر فرصة سانحة لاستعادة السيطرة على تهامة[٧]، بيد أن ذلك الطموح سرعان ما تلاشى بعد أن تنامى إلى سمعه ثورة فقهاء الشافعية فى حصن التعكر ، عندها قرر العودة والقضاء على تلك الثورة[٨].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٢٠ ، ١٢١ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٣ .

[٢] الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٩٤ .

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢١ ؛ الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٠٩ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٤٩٥ .

[٤] الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٩٧.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٢١ ؛ الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٩٧ .

[٦] عمارة : المفيد ، ص١٢٨.

[٧] السروري : الحياة السياسية ، ص١٨٠.

[٨] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٩ ؛ الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٩٧.

كان غياب المفضل عن حصن التعكر فرصة سانحة نجح الفقهاء فى استثمارها ، وساعدهم على ذلك أن المفضل كان قد ترك على حصن التعكر نائباً له يسمى الجمل[١]، كان على علاقة بعدد من فقهاء الشافعية الذين كانوا يأتون لزيارته فى الحصن[٢]، وفى الوقت المحدد لإعلان الثورة ، صعد إلى حصن التعكر عدد من فقهاء الشافعية منهم إبراهيم بن زيدان ، الذى تزعم الثورة ، وتمكنوا من الاستيلاء على الحصن من نائب المفضل[٣]، ولضمان نجاح تلك الثورة ، اتفق الثوار مع الرعايا من أهل السنة لمناصرتهم، وما أن علم أهل السنة باستيلاء الفقهاء على الحصن حتى سارعوا إلى نصرتهم وبلغ عددهم نحو عشرين ألف رجل[٤]، كما اتفق الفقهاء مع الخولانيين على نصرتهم إلا أن الخولانيين رجعوا عن ذلك الاتفاق وتركوا الفقهاء يواجهون المفضل بمفردهم[٥] .

ما إن وصل المفضل بقواته إلى التعكر حتى قام بفرض حصار شديد على الحصن ، عندها شعر الفقهاء بخطورة الموقف لا سيما بعد أن تقاعس الخولانيون عن نصرتهم ، فما كان من قائد الفقهاء ، إبراهيم بن زيدان إلا أن عمد إلى سراري المفضل وحضاياه "فأخرجهن فى أكمل زينة وأحسنه وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدهن المفضل ويسمع هو ومن معه من تلك الأمم أصواتهن" [٦]، وكان الفقيه إبراهيم بن زيدان يهدف من وراء ذلك إلى إضعاف معنوية المفضل لعلمه أن المفضل كان أكثر الناس غيرة وأنفه ، ويقال أن تلك الحيلة كانت سبباً فى مصرع المفضل بعدما هاله ما رأى من ذلك الأمر ، ويقال أنه لم يقدر على تحمل ذلك المشهد فامتص خاتماً

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٢٨ .

[٢] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٨٦ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص١٨٠.

[٣] إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧.

[٤] عمارة : المفيد ، ص١٢٨ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٨٧.

[٥] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٩.

[٦] عمارة : المصدر والصفحة ؛ انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٩٧ ، ٤٩٨ ؛ الخزرجي : العسجد ، ص٦٨؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٨٧.

مسموماً كان لديه فمات ، وذلك فى رمضان عام ٥٠٤هـ / مارس ١١١١ م[١] .

والروايات التى تذكر مصرع المفضل على ذلك النحو ليست منطقية ، فقائد بارز كالمفضل الحميري الذى كانت له صولاته وجولاته لا يعقل أن يمون بمثل تلك الطريقة ، إلا أنه يمكن القول أن هناك من أعدائه من أندس بين صفوفه وقام بتسميمه[٢] .

ومهما يكن من أمر ، فقد دفع المفضل ثمن سياسته العدائية للفقهاء الذين نجحوا فى الثأر لأنفسهم منه والقضاء عليه . وبعد ذلك عملت السيدة الحرة على إيجاد حل لتلك المشكلة ، فخرجت من عاصمتها مدينة ذي جبلة وحطت بقواتها فى منطقة الربادى على مقربة من حصن التعكر وأخذت فى مكاتبة الفقهاء وملاطفتهم وطلبت منهم النزول من الحصن فى مقابل التزامها لهم بما اقترحوه من أمان وأموال ، فقبلوا ذلك ، واشترطوا عليها أن ترحل بقواتها ، وأن تعين على الحصن من ترضاه من الولاة على أن يقيم الفقهاء مع ذلك الوالى حتى تصل غنائمهم إلى حيث يريدون ، فقبلت السيدة الحرة بتلك الشروط منهية بذلك ثورة الفقهاء فى حصن التعكر[٣] .

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٢٩ ؛ انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٩٧ ، ٤٩٨ ؛ الخزرجي : العسجد، ص٦٨ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٨٧.

[٢] السروري : الحياة السياسية ، ص١٨١.

[٣] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الخزرجي : المصدر والصفحة ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص٢٨٨.

الفصل الخامس

الإنتاج العلمي

أولا : العلوم الشرعية

ثانيا : علوم اللغة العربية

ثالثا : التاريخ وعلم الكلام

سنتناول فى هذا الفصل الحديث عن إسهامات علماء الإقليم فى مجالات العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام ، وأهمية تلك الإسهامات بالنسبة لأهل الإقليم وغيرهم ممن عرفت إسهامات العلماء طريقها إليهم .

ويبدو أن جل اهتمام العلماء فى هذه الفترة كان منصباً على المجالات الشرعية أكثر من غيرها ، سواءً فى دراسة تلك العلوم أو فى التصنيف فيها ، ولا غرو فهم يرون فى إقبالهم على تعلم العلوم الشرعية واجب دينى لابد منه ، وقربى يتقربون بها إلى خالقهم ، رغبة فى المغفرة وطلباً للثواب ، لذلك أعملوا فكرهم فى دراسة تلك العلوم ، كعلوم القرآن الكريم والحديث والفقه وغيرها ، وكانوا يسارعون إلى حضور الحلقات والمجالس العلمية لتلك العلوم سواءً ما كان ينعقد منها فى قراهم أو فى المناطق المجاورة لهم ، أو ربما سمعوا عن علماء بارزين فى الآفاق فيشدون إليهم الرحال ، وكان نتيجة ذلك زيادة فى التحصيل وفهم واستيعاب ، ومن ثم فكر يترجم إلى تصانيف مفيدة شُهد لأصحابها بالنبوغ والعبقرية .

ولا شك أن ذلك الإهتمام بالعلوم الشرعية كان على حساب بقية أنواع العلوم لا سيما التطبيقية منها (كالطب والهندسة والفلك والكيمياء وغيرها) ، إذ لم يؤثر عن علماء الإقليم خلال فترة الدراسة ــ بحسب إطلاع الباحث ــ مصنفات فى تلك المجالات ، غير أن هذا لا يعنى بالضرورة خلو الإقليم من المشتغلين بتلك العلوم أو ببعضها ؛ كوجود الأطباء لمعالجة المرضى أو المهندسين البارعين الذين تركوا أعمالا هندسية تدل على نبوغهم فى فن البناء والعمارة[١].

وبالإضافة إلى اهتمام علماء الإقليم بالعلوم الشرعية ، فقد وجدت بعض العلوم الأخرى ؛ كعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام نصيباً من ذلك الاهتمام .

وفيما يلى سنتحدث عن مؤلفات العلماء فى تلك المجالات :

---

[١] أنظر : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٦٨ ، ١٩٧ ؛ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص١٦٨ ، ١٦٩ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٣١٠ ، ٣١١؛ الخزرجي : العسجد ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

أولا : العلوم الشرعية :

تشمل هذه العلوم : علوم القرآن الكريم من قراءة وتفسير ، كما تشمل علوم الحديث والفقه وأصوله وعلم الفرائض إلى غير ذلك من الفروع ، أما بالنسبة لعلوم القرآن فقد لقى اهتماماً كبيراً من قبل علماء وطلاب الإقليم ، فبرز كثير منهم فى مجال القراءات والتفسير[١] ، إلا أنه لم يؤثر عنهم تصانيف[٢] فيهما ، ولعلهم اكتفوا بتدريس ما توفر لديهم من كتب القراءات والتفسير التى وجدت فى ذلك الوقت ، أمثال كتاب "التلخيص" فى القراءات لأبى معشر الطبرى ، وكتاب "المفيد فى القراءات الثمان" لعبد الله بن أبى مشيرح الحضرمي[٣] ، أما كتب التفسير فتوفر منها عدة كتب أمثال كتابى "معانى القرآن" و"الناسخ والمنسوخ" لأبى جعفر الصفار[٤] وغيرها من الكتب . أما بالنسبة لبقية أنواع العلوم الشرعية فتمثلت إسهامات العلماء فيها على النحو الآتى :

أ ـ علم الحديث

الحديث فى اصطلاح المحدثين مرادف للسنة ، وهو أقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله وتقريراته ، وهو المصدر الثانى من مصادر التشريع[٥] ، أما علم الحديث: فهو علم يبحث فى كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، من حيث معرفة أحوال الرواة ضبطاً وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً إلى غير ذلك ، وعرف هذا العلم فيما بعد بمصطلح الحديث ؛ لأنه يعنى بالرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأوصاف المرويات وما يتعلق بها

---

(١) أنظر : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ؛ الجندى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٨٥ ، ٣٣٩ .

(٢) يذكر ابن سمرة عن الفقيه عبد الله بن يزيد اللعفى أن له تصانيف مليحة فى القراءات إلا أنه لم يورد أسمائها (المصدر نفسه ، ص١١٢)

(٣) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٧.

(٤) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٠ ، ١٦٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٦.

(٥) الوشلي : علم الحديث ، ص١٨ ؛ محمد عبد المعطي : الوجيز فى علوم القرآن ، مصطلح الحديث ، أصول الفقه ، ط١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص٨٠ ، ٨١.

من ضبط وتحرير للألفاظ[١].

اهتم علماء اليمن بعلم الحديث اهتماماً بالغاً منذ عصر الصحابة ؛ فكانت بلاد اليمن من أهم البلدان التى يشد إليها طلاب الحديث رحالهم للأخذ عن كبار محدثيها ، أمثال طاووس بن كيسان وابنه عبد الله ، والحكم بن أبان وغيرهم من علماء اليمن ومحدثيها[٢]، وكان ممن قدم للأخذ عن هؤلاء المحدثين أغلب أئمة الحديث أمثال : الإمام عبد الله بن المبارك ، والإمام سفيان بن عيينه والإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم[٣] ، وليس أدل على اهتمام أهل اليمن بعلم الحديث من أنهم كانوا سباقين إلى التصنيف فيه ، ومن ذلك كتاب "الجامع" لمعمر بن راشد الصنعانى (ت١٥٣هـ/٧٧٠م) [٤] ، والذى يعد أقدم من كتاب الموطأ للإمام مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) [٥] ، ثم جاء بعد معمر بن راشد ، أبو بكر عبد الرازق بن همام (ت٢١١هـ/٨٢٦م) الذى قام بوضع موسوعة كبيرة فى الحديث سماها "المصنف" كانت من أهم المراجع التى أخذ عنها أهل الحديث فى تلك الفترة[٦]، ثم تواصلت جهود أهل اليمن فى خدمة هذا العلم ، فظهر العديد من العلماء المحدثين ممن كانت لهم إسهامات فاعلة فى هذا المجال[٧].

---

[١] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٢٤٦.

[٢] الوشلي : علم الحديث ، ص٢١.

[٣] الحبشى : عبد الله محمد : حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول ، ط٢ ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، ١٩٨٠م ، ص١٠٢.

[٤] الحبشى : مصادر الفكر ، ص ٣٧ ، ويذكر الحبشى أنه كانت هناك محاولة مبكرة لتدوين الحديث فى اليمن سبقت محاولة معمر بن راشد قام بها همام بن منبه (ت٣١ أو ٣٢ هـ/٦٥١،٦٥٢م) حيث قام بجمع روايته عن ابن هريرة فى مؤلف مستقل نقل عنه سائر المحدثين (مصادر الفكر : ص٣٧) ، وقد وصلت هذه الصحيفة كاملة كما رواه ودونها ابن منبه عن أبى هريرة ونقلها الإمام أحمد فى مسنده بتمامها ، كما نقل عنها الإمام البخاري عدداً كبيراً من أحاديثها الصحيحة فى أبواب عدة من صحيحه (على بن على بن حسين : الحياة العلمية ، ص٣٥٣) .

[٥] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٦٦.

[٦] الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣٧ ؛ نفسه : حياة الأدب ، ص١٠٢.

[٧] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٦٦ ــ ٧٤.

وفى العصر الصليحي تواصل الإهتمام بعلم الحديث فى اليمن ، فظهر العديد من العلماء الذين عنوا بالحديث الشريف لا سيما فى إقليم ذى جبلة ؛ ومن هؤلاء العلماء المحدثين : الفقيه الحافظ خير بن يحيي بن عيسى بن ملامس (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) الذى كانت له اهتمامات كبيرة بعلم الحديث ، حيث رحل إلى مكة وأخذ فيها عن الإمام أبو بكر السهروردى كتاب "السنن" لأبى داوود ، كما أخذ "صحيح البخارى" عن الإمام الحافظ أبى ذر الهروى ، كما روى الفقيه خير عن والده يحي بن ملامس "جامع السنن" لأبى عيسى الترمذي[١] ، وقد أخذ عن الفقيه خير العديد من الطلاب أمثال ولده أسعد بن خير ، وأسعد بن زيد بن الحسن وأسعد بن الهيثم[٢] ، ورحل إليه من خارج الإقليم وسمع منه الحافظ أبى القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي[٣].

ومن علماء الحديث البارزين أيضا الشيخ الحافظ سراج الدين شيخ المحدثين أبو الحسن على بن أبى بكر بن حمير العرشانى (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م) قال عنه ابن سمرة "كان إماماً فى الحديث متقناً للرواة ، عالماً بصحيحه ومعلوله ، ... قال فيه الإمام يحي بن أبى الخير : ما رأيت أحفظ من هذا الشيخ ــ يعنى على بن أبى بكر بن حمير ــ فى الحديث ولا أعرف منه . قيل له : ولا فى العراق . قال ما سمعت" قال ابن سمرة "وإليه يسند أكثر أصحابنا وعنه يروى جلة مشايخنا" [٤] ، روى هذا الإمام الحديث عن عدد من المحدثين فى الإقليم أمثال : أسعد بن خير ويحي بن محمد وزيد بن الحسن وغيرهم من المحدثين ، كما أخذ عنه العديد من الفقهاء وطلاب العلم أمثال : الإمام يحيى بن أبى الخير العمراني ، وولده طاهر بن يحي ، والفقيه مقبل الدثينى وغيرهم من الطلاب[٥] بالإضافة إلى جهوده الكبيرة فى تدريس الحديث الشريف ، صنف الإمام العرشانى كتاباً فى الحديث أسماه "الزلال والأشراط" [٦].

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٣ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩٠ ؛ الخزرجى : طراز ، ق١١ .

[٢] المصادر السابقة نفس الصفحات .

[٣] السمعانى : الأنساب ، ج٥ ، ص٥٧٧.

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧١ ، ١٧٢.

[٥] ابن سمرة: المصدر نفسه ، ص١٧١؛ الجندى: المصدر والجزء ، ص٣٠٤؛ الأهدل: المصدر نفسه ، ص٢٤٨

[٦] ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٥١ ؛ يذكر الحموى أن هذا الكتاب فى الحديث ويشير=

ومن العلماء الذين برزوا فى مجال الحديث وكانت لهم فيه تصانيف مفيدة ، الفقيه طاهر بن يحي بن أبى الخير العمراني (ت٥٨٧هـ /١١٩١م) كان قد رحل إلى مكة وجاور بها سبع سنين ، روى خلالها الحديث عن كبار المحدثين الذين لقيهم فى الحرم أمثال الشيخ الإمام أبى على الحسين بن على الأنصارى ، والشيخ الإمام أبى حفص الميانشى ، وعبد الدائم العسقلانى ، ومقرئ الحرمين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى مشيرح الحضرمى[١] ، وخلال تلك الفترة التى أقامها فى مكة تضلع الفقيه طاهر فى العلوم حتى كان يقول أنا ابن ثمانية عشر علماً[٢] ، صنف هذا الفقيه فى مجالات علمية شتى كان منها علم الحديث الذى وضع فيه كتاباً بعنوان "معونة الطلاب فى معانى كلام الشهاب" [٣].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من كبار محدثى الإقليم ، فهناك أعداداً كثيرة من المحدثين لم تذكر لهم المصادر تصانيف فى مجال الحديث ، ومع ذلك كان عطاؤهم لا يقف عند حد فى مجال تدريس الحديث وعلومه ، ولا يتسع المجال لذكرهم[٤].

=إلى أن العرشانى "ذكر فيه ما حدث باليمن من الخسف والرجف ، يروى ملاحم" (معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٠٠) فى حين لا يشير ابن سمرة ولا الجندى إلى مادة ذلك الكتاب (طبقات فقهاء اليمن ، ص١٧٢؛ السلوك ، ج١ ، ص٣٠٤) ويذهب الحبشى والشامى إلى أن هذا الكتاب فى مجال التاريخ ولا يشيران إليه فى كتب الحديث (مصادر الفكر ، ص٤٠٦ ؛ تاريخ اليمن الفكرى ، جـ١ ، ص٤٩٥) ، ويبدو أن كتاب العرشانى "الزلازل والأشراط" كما يسميه ابن سمرة أو "شروط الساعة" كما هى لدى ياقوت الحموى ، كتاب فى الحديث تطرق فيه إلى ذكر أحداث تاريخية كالزلازل وغيرها ، ويكون بذلك قد جمع بين المادتين .

[١] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٧.

[٢] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٩٢.

[٣] الجندي : المصدر والجزء ، ص ٣٣٨ ؛ وعنوان الكتاب عند ابن سمرة "معونة الطلاب بفقه معانى كلم الشهاب" ، وعند الأهدل "معونة الطلاب فى شراح الشهاب" (طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٨؛ تحفة الزمن ، ص٢٩٣) وكتاب الشهاب المذكور ، هو كتاب "شهاب الأخبار" لمحمد بن سلامة القضاعي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) يشتمل على أحاديث نبوية فى المواعظ والآداب (الحبشى:مصادر الفكر ، ص٤٠).

[٤] أنظر : ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٣،١٩٠؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .

ب ـ علم الفقه وأصوله :

الفقه لغة هو الفهم العميق الذى يتعرف به غايات الأقوال والأفعال[١] ، قال تعالى : (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)[٢] ، أما فى الإصطلاح فمعناه العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[٣] ، ومن هنا كان موضوع الفقه : الحكم فى كل جزئية من أعمال الناس بالحل أو الحرمة أو الكراهية أو الوجوب أو الندب ، ودليل كل واحد من هذه الأحكام[٤].

أما أصول الفقه فهو علم استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية[٥] ، وبالتالى فأصول الفقه عبارة عن المناهج التى تحدد الطريق الذى يتوجب على الفقهاء السيرفية فى استخراج الأحكام من الأدلة بعد ترتيب تلك الأدلة من حيث قوتها ؛ فيقدم القرآن على السنة ، والسنة على القياس وسائر الأدلة التى لا تقوم على النصوص مباشرة[٦].

حظى علم الفقه وأصوله باهتمام علماء الإقليم الذين عنوا بالفقه أكثر من أى فرع آخر من فروع العلم الشرعى ، ولا غرو فهو علم متعلق بحياة الناس من عبادات ومعاملات ونحوها ، ووجدوا أنه كلما اجتهدوا فى هذا المجال كلما عاد عليهم بالخير فى دنياهم وأخراهم ، فنراهم يحرصون على اقتناء مصنفات مشاهير العلماء فى الأمصار الإسلامية الأخرى ويعكفون على دراستها وفهمها ، حتى إذا ما تشربتها عقولهم يأخذون فى محاكاتها ويقدمون المختصرات الحسنة لما درسوه من تلك المصنفات ، وبمرور الوقت تزداد الخبرات وتتراكم المعرفة ويأتى الإبداع الذى تمثل فى ظهور العديد من المصنفات التى ذاع صيتها فى بلاد الإسلام ، والتى قدمت دليلا قوياً على دراية أهل الإقليم فى

---

[١] الجرجانى : التعريفات ، ج ١ ، ص٢١٦ ؛ محمد عبد المعطى : الوجيز ، ص١٥٩.

[٢] سورة النساء : الآية ٧٨.

[٣] الجرجانى : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] محمد عبد المعطى : المرجع والصفحة .

[٥] القنوجي : صديق بن حسن : أبجد العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨م ، بيروت ، ج٢ ، ص٧٠ .

[٦] محمد عبد المعطى : المرجع والصفحة .

مجال الفقه وعلومه وتفانيهم فى خدمة دينهم وأهل ملتهم . وفيما يلى سنستعرض للإنتاج العلمى فى مجال الفقه وأصوله لعلماء الإقليم :

فمن علماء الإقليم المصنفين : الفقيه أبو حفص عمر بن اسحاق بن المصوع (ت بعد ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، تفقه بالقاسم بن محمد الجمحي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) ، وكان فقيهاً فاضلاً كبير القدر معروفاً بالعلم والصلاح ، كما كان من أغنياء الفقهاء[١] ، صنف هذا الفقيه كتابين ، الأول فى فروع الفقه سماه "المذهب" [٢] ، ويقع فى مجلدين "لطيفين" ينقل فيها النصوص نقلاً حسناً ولا يعلل منها شيئاً[٣] ، ولأهمية هذا الكتاب فقد ظل متداولاً بين طلبة العلم حتى القرن الثامن الهجرى ــ على الأقل ــ إذ يذكر الجندى أن شيخه أبو الحسن الأصبحي (ت٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) نقل عنه فى تصحيحه ، كما أن الفقيه الإمام أحمد بن موسى بن عجيل (ت٦٩٠هـ/١٢٩٠م) كان قل أن يأتيه أحد من أهل الجبال إلا وسئل عن الكتاب المذكور[٤] . أما الكتاب الثانى الذى صنفه أبو حفص فقد أسماه "الجامع"[٥].

ومنهم الإمام الزاهد أبو عبد الله جعفر بن عبد الرحيم المحابى (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) أخذ الفقه وأصوله عن الإمام القاسم بن محمد ، كما سمع من الإمام أبو الفتوح يحي بن عيسى بن ملامس (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) [٦] ، وصفه الجندى بأنه كان "عارفاً محققاً مبرهناً للنصوص نقالاً لها ... مدققاً ... وكان مع سعة علمه عابداً مشهوراً بالصلاح

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٣٦ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٣٦٠ .

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٦ ؛ الجندى : المصدر والجزء والصفحة .؛ بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة ، ص٣٦٠ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٧٨٢ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٧ ، ص٢٧٧؛ الحبشي : مصادر الفكر ، ص١٧١ .

[٣] بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٥] ابن سمرة : المصدر والصفحة .؛ بامخرمة : المصدر والجزء والصفحة .؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٧٨٢ ؛ كحالة : المصدر والجزء والصفحة ..

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٩٤ ، ٩٥ ؛ الجندي : المصدر والجزء، ص٣٢٤ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٣٦١.

والعلم وشدة الورع "[١] ، صنف هذا الفقيه كتابين فى الفقه هما "التقريب" ، و"الجامع"[٢] ، وهو من الكتب المعدودة من الخلاف[٣].

ومنهم : الإمام زيد بن الحسن بن محمد الفائشي (ت٥٢٨هـ /١١٣٣م) ، كانت له دراية ومعرفة بألوان مختلفة من العلوم الشرعية ، واللغوية وغيرها ، مثل القراءات والدور والحساب والأصول ، وكان كثير الرحلة فى طلب العلم ، وقد هيأت له رحلاته العلمية الأخذ عن العديد من المشايخ ، كما هيأت له الفرصة للحصول على ما يحتاج إليه، فحوت مكتبته على ما يزيد من خمسمائة كتاب كانت خير عون له فى مشواره العلمي[٤]. صنف الإمام زيد كتاباً فى الفقه سماه "التهذيب" [٥] ، اعتمد عليه طلاب العلم لفترة طويلة ، إذ يذكر الجندى أن شيخه أبو الحسن الأصبحى (ت٧٠٣هـ /١٣٠٣م) نقل عنه فى كتابه "معين أهل التقوى على التدريس والفتيا" عدة تصاحيح ، وقال "ورأيته فى المشيرق مع ذرية الفقيه الهيثم بمجلدين لطيفين" [٦] ، كما صنف الإمام زيد كتاباً آخر بعنوان "شرح الوسيط" ، ويبدو من عنوانه أنه شرح لكتاب "الوسيط" للإمام الغزالى[٧].

ومنهم : الإمام أبو محمد عبد الله بن يحي الصعبى (ت٥٥٣هـ/١١٥٨م) ، كان فقيهاً جليلاً شهير الذكر ، تفقه بالإمامين زيد بن عبد الله اليفاعي (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) وأبو عبد الله محمد بن عبدويه (ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) ، وكان هذا الإمام زاهداً ورعاً متبحراً

---

[١] السلوك ، ج١ ، ص٢٣٤.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٩٥ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٣٥ ؛ الأفضل الرسولي : العطايا السنية ، ق٤ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٢٥٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ج٣ ، ص١٤٠ .

[٣] الجندي : المصدر والجزء والصفحة

[٤] انظر : ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٥ ــ ١٥٨ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢، ص٥٤١ .

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٨ ، ويذكر أنه مختصر ؛ الجندي : المصدر والجزء، ص٢٨٦ ؛ البغدادي : المصدر والجزء، ص٣٧٦ ، ٣٧٧ ؛ الأفضل الرسولي : المصدر نفسه ، ق١٩.

[٦] المصدر والجزء، ص٢٨٦.

[٧] الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص١٣٠.

فى الفقه وأصوله[١] ، وكانت له حلقاته العلمية فى قرية سهفنة ، حيث أخذ عنه فيها العديد من طلاب العلم[٢] ، وللإمام الصعبى عدة تصانيف فى مجالات مختلفة منها مجال الفقه حيث وضع كتابين هما "التعريف" ، و"احتراز المهذب" [٣].

ومنهم الإمام أبو الحسين يحي بن أبى الخير العمراني (ت٥٥٨هـ/١١٦٢م) ، تفقه على عدد من أبرز المشايخ فى بلاده ، منهم : الإمام زيد بن الحسن الفائشى ، والإمام زيد بن عبد الله اليفاعى ، والفقيه عبد الله بن أحمد الزبرانى ، والفقيه عمر بن بيش اللحجي وغيرهم[٤] ، وكان الإمام يحي العمراني شيخ الشافعية فى بلاد اليمن وأكثر من انتشر عنه العم فى عصره[٥].

أسهم هذا الإمام بتصنيف العديد من المؤلفات فى مجالات عدة منها علم الفقه وأصوله، وقد حظى عدد من مؤلفاته الفقهية بشهرة واسعة ، وفيما يلى نتناول الحديث عن تلك المؤلفات :

كتاب الزوائد : وهو كتاب يتناول المسائل الفرعية فى الفقه والتى لم يتطرق إليها كتاب المهذب للشيرازي والذى كان عمدة الكتب الفقهية الذى كان عليه اعتماد الدارسين والمصنفين ، وكان تأليف العمرانى لهذا الكتابة بمشورة من شيخه زيد بن عبد الله اليفاعى الذى أشار عليه بجمع ما زاد على المهذب من المسائل الفقهية ومطالعته والتعليق

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٩.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦١.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٣ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٩١ ؛ الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٤٠ ؛ ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣١٧ . يذكر كتاب "التعريف" وكتاب آخر هو "غاية المفيد ونهاية المستفيد فى الكلام على المهذب" ولعله هو نفسه كتاب "احتراز المهذب" ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص١٦٧ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٦٤٩ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص١٧٢ ، ويذكر الدجيلي أنه له كتاباً ثالثاً بعنوان "الاختيارات" (الحياة الفكرية ، ص١٣٠) .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٤ ، ١٧٥ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٤ ، ٢٩٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٣٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٢٣ ، ٦٢٤.

[٥] الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٣٧ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٦٢٣.

عليه ، فابتدأ العمرانى بتأليف ذلك الكتاب عام ٥١٧ هـ /١١٢٣م ، واستمر فى تأليفه قرابة أربعة أعوام حيث فرغ منه عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م[١] ، واعتمد فى تأليفه لذلك الكتاب على عدد من الكتب الفقهية الهامة أمثال : "شروح المزني" و"المجموع" للمحاملي ، و"الشامل" لابن الصباغ ، و"الفروع" لسليم بن أيوب ، و"شرح المولدات" للقاضى أبى الطيب وغيرها من الكتب الفقهية الهامة التى وجد فيها ما يفيد فى تأليف ذلك الكتاب ، ويذكر ابن سمرة أن العمراني كان حريصاً فى تأليفه لكتاب الزوائد ؛ حيث لم يبدأ بتأليفه إلا بعد حفظه للمهذب ومطالعته قبل التصنيف أربعين مرة أو أكثر "وكان رحمه الله يطالع الجزء من تجزئة إحدى وأربعين فى المهذب فى اليوم والليلة أربعة عشر مرة لكل فصل منه" وقد رتب العمرانى كتابه المذكور على شروح مختصر المزنى ، وبعد عودته من مكة عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م قام مرة أخرى بمراجعته وتصويبه[٢].

كتاب الدور[٣] **:** صنفه العمراني بعد عودته من مكة ، ويبدو أن ذلك كان فى عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م[٤] ، واعتمد فى تصنيفه لهذا الكتاب على عدد من الكتب الفقهية أهمها كتاب ابن اللبان[٥].

كتاب البيان : ويعد أشهر الكتب التى صنفها الإمام العمراني ، حيث بدأ بتصنيفه عام ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م ، وفرغ منه عام ٥٣٣هـ /١١٣٩م[٦] ، واعتمد فى تصنيفه على

---

[١] انظر : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٥ ؛ اليافعي: مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٣١٩ ؛ ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣٢٨ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٣٨ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص١٧٣.

[٢] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ؛ وانظر : الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٥، ٢٩٦ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٣٩ ، ٢٤٠ .

[٣] الدور : هو توقف الشئ على ما يتوقف عليه ، يقال دارت المسألة أى كلما تعلقت بمحل توقف ثبوت الحكم على غيره فينتقل إليه ثم يتوقف على الأول (الجرجانى : التعريفات ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ الأهدل : المصدر والجزء ، ص ٢٣٩ حاشية ٣) .

[٤] الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٩٥.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٧ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٥.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٧ ، ١٧٨ ؛ابن قاضى شهبة ، المصدر والجزء ، ص٣٢٨؛ وانظر :=

كتب عدة منها : كتاب "المهذب" للشيرازى ، وكتاب "الشامل" لابن الصباغ ، كما أضاف إليه العمراني المسائل التى كان قد وجد أنها زائدة على كتاب المهذب[١] . وقد لقى كتاب "البيان" قبولاً كبيراً فى أوساط العلماء والمتعلمين فى بلاد اليمن ، الذين أكبّوا على فهمه ودراسته ، وفى وصف البيان وما تميز به يقول الجندي "رضيه الفقهاء المحققون وانتفع به الطبقة المدرسون ونقل عنه المصنفون حتى كان كاسمه للشرع تبياناً وللفقه بياناً ، أجاب به عن المعضلات وأوضح به المشكلات وقسم به الأوصاف والاحترازات" [٢]. وعن المنهج الذى اتبعه العمرانى فى تأليف كتابه قال الجندي "وقال بعض المحققين أنه انتحل الشروح المفيدة والأدلة السديدة والمسائل العتيدة ، والأقيسة الأكيدة ، وضمنها الكتاب المذكور مع ما أضاف إلى ذلك من النكت الحسنة والعلل المستحسنة وجمع فيه بين تحقيق العراقيين وتدقيق الخراسانيين بحيث إذا تأمله الحاذق الحاضر وكّد فيه الفكر والناظر وسعه وكفاه واستغنى به عما سواه..."[٣].

لم تقتصر شهرة البيان على بلاد اليمن ، وإنما تجاوزتها إلى غيرها من بلاد الإسلام ومنها بغداد التى ما أن وصلها حتى جعل فى أطباق الذهب وطيف به مزفوفاً ، وقال جماعة من أهل العراق "ما كنا نظن فى اليمن إنسان حتى قدم علينا البيان بخط علوان..."[٤].

ونظراً لأهمية كتاب البيان فقد غدا واحداً من أهم المراجع فى مجال الفقه الشافعي[٥] ومثل مادة غنية للعديد من الفقهاء المصنفين الذين اعتمدوا عليه فى أعمالهم ، ومنهم الفقيه زيادة بن أسعد الخولانى (ت نحو ٥٦٥هـ/١١٦٩م) الذى اعتمد على كتاب البيان فى

=الشيرازي ، إبراهيم بن على : طبقات الفقهاء ، تحقيق خليل الميس ، دار القلم ؛ بيروت ، (د.ت)، جـ١ ، ص٢٥٧ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٢٦٤.

[١] اليافعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٣٢١.

[٢] السلوك ، ج١ ، ص٢٩٨ . وانظر الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٤٣.

[٣] المصادر السابقة : نفس الصفحات .

[٤] المصادر السابقة : نفس الصفحات .

[٥] اليافعي : المصدر والجزء ، ص٣٢٣.

تأليف كتابه المسمى "التخصيص" [١] ، والفقيه أبو الحسن على بن أحمد الأصبحي (ت٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) الذى نقل عن كتاب البيان فى كتابه المسمى "معين أهل التقوى على التدريس والفتوى" ، وأثر عن هذا الفقيه قوله فى وصف البيان "ما أشكلت على مسألة فى الفقه وفتشت لها البيان إلا وجدت فيه تبيانها ووضح تبيانها" [٢].

كتاب "السؤال عما فى المذهب من الإشكال" [٣] أو "مشكل المهذب" [٤] : وهو كتاب يتناول المسائل المشكلة فى كتاب المهذب ، صنفه الإمام العمرانى بطلب من تلميذه الفقيه "محمد بن مفلح الحضرمي" [٥] ، وكان تأليف هذا الكتاب أواخر عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م[٦].

كتاب "غرائب الوسيط" وكتاب "مختصر إحياء علوم الدين" : صنفهما الإمام العمرانى عندما كان مقيماً فى ذى أشرق[٧] ، وكتاب "الفتاوى" ، ذكره ابن قاضى شهبة ، وقال عنه أنه مختصر كما ذكره الشيرازي فى طبقاته[٨] ، وللإمام أيضا مؤلف فى الفروع بعنوان "أوصاف العلل" ، ذلك فيه أوصاف العلل الفقهية والمعاني التى وصفت لها مع احترازاتها ، كما ذكر جملة من الأمور المتعلقة بهذا الأمر[٩].

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص٢١٧ ؛ الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص١٣١.

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٩٨ ؛ الدجيلي : المرجع نفسه ، ص١٣١ ، ١٣٢.

[٣] ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٤،ص١٨٦؛ ابن قاضى شهبة: طبقات الشافعية، ج٢ ، ص٣٢٨.

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٦.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٧٩ ؛ الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : تحفة الزمن،ص٢٤٠.

[٦] الجندى : المصدر والجزء والصفحة

[٧] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٩٧ ؛ الأهدل ، المصدر نفسه ، ص٢٤٤ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٣٢٣ ؛ ابن قاضى شهبة : المصدر والجزء ، ص٣٢٨ ؛ السبكى: المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٣٨ .

[٨] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ؛ طبقات الفقهاء ، ج١ ، ص٢٥٧.

[٩] محمد علي سلمان : يحي بن أبى الخير وآراؤه الاعتقادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفكر الإسلامي ، جامعة صدام ، ٢٠٠١م ، ص٦٥. وذكر أن ذلك المؤلف مخطوط فى خمس صفحات كبيرة (لم يذكر رقم المخطوط) باسم ''أوصاف العلماء'' ، والصواب ''أوصاف العلل'' ، بحسب ما ذكره صاحب الرسالة .

ومن الفقهاء المصنفين ، الفقيه أبو الطيب طاهر بن يحي بن أبـــى الخيـــر العمرانـــي (ت٥٨٧هـــ/١١٩١م) ، تفقه بوالده الإمام يحي ، وخلفه فى حلقته ومجلسه ، وأجاب عـــن المشكلات فى حياته ، جالس العلماء وروى عنهم وجاور بمكة بضع سنين ، أخذ خلالهـــا عن أبرز من لقيه فيها من العلماء[١].

صنف الفقيه طاهر بن يحي عدداً من التصانيف فى مجـــالات مختلفـــة منهـــا الفقـــه وأصوله، فكان له فى هذا المجال كتاباً بعنوان "مقاصد اللمع" فى أصول الفقـــه[٢] ، كمـــا صنف كتاباً آخر بعنوان "الاحتجاج الشافي على المعاند فى طلاق التنافي" كتبه رداً علـــى الفقيه أبى بكر بن محمد العبسى (ت٥٦٧هـــ/١١٧١م) الذى كان لا يرى جـــواز طـــلاق التنافي وكتب فى ذلك قصيدة ـــ سنشير إليها لاحقاً ـــ ضمنها هذا الرأى ، فأجابه القاضى طاهر بتصنيف ذلك الكتاب ، وذلك بتكليف من الشيخين الإمامين ، عبد الله بـــن يحـــي ، ويحي بن أبى الخير العمراني "لما أغضبهما كلامه الخارج عن ميدان الفقـــه إلـــى الأذى بمخالفة الكتاب والسنة" [٣].

أما فيما يتعلق بإسهامات علماء المذهب الإسماعيلي فى مجال الفقه ، فلم يتسن للباحث معرفة وجود تلك الإسهامات من عدمه ، وذلك لأن اتباع المذهب الإســـماعيلي يحيطـــون كتب الدعوة بسياج منيع من السرية ، فلا يمكن لأحد من غير أتباع المذهب أن يقف على تلك الكتب إلا بإذن من كبار دعاتهم ، ويذهب الحبـــشى إلـــى القـــول بـــأن للإســـماعيلية كتب فى مجال الفقه لا يزال أغلبها متكتم عليه ، وقد تمزج تلـــك الكتـــب الفقهيـــة بعلـــم الكلام[٤].

ج ـ علم الفرائض :

هو علم بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث بعد معرفته[٥] ،

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٨.

[٢] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٣٨.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٦ ـــ ٢٠٨ ؛ وانظر : الجندى : المصدر والجزء، ص٣٥٥ ؛ الأهـــدل : تحفة الزمن ، ص٣١٢ ؛ الخزرجى : طراز ، ق١٢٩ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص١٧٥.

[٤] المرجع نفسه ، ص١٥٤.

[٥] القنوجي : أبجد العلوم ، ج٢ ، ص٣٩٦ ، ٣٩٧ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٢٤٤.

"وهو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق فى الوراثات بوجوه يقينية عندما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين" [١].

برز فى هذا العلم عدد من العلماء المصنفين كان من أبرزهم الشيخ الفقيه الفرضى إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي (ت٥٠٠هـ /١١٠٦م)[٢] ، تفقه بجعفر بن عبد الرحيم المحابى وبإسحاق العشارى ، وكان علامة فى علم المواريث والحساب والفرائض[٣]، صنف فى مجال الفرائض كتاباً بعنوان "الكافي فى الفرائض" ، وذلك عندما كان فى قرية سير ، وكان أهل الإقليم قبل تصنيفه لذلك الكتاب يتفقهون فى مجال الفرائض بكتاب أبى بقية محمد بن أحمد الفرضى وكتاب "كفاية المبتدى" لابن سراقة العامرى ، وبمصنفات ابن اللبان ، إلا أنه وبعد ظهور كتاب الصردفي السابق ، استغنى به أهل اليمن عما سواه من تلك الكتب[٤] ، وأخذوا يقبلون على دراسته وفهمه ووضع الشروح المفيدة له[٥].

ويذكر اليافعى فى فضل ذلك الكتاب أنه كتاب "مبارك واضح الأمثلة ، انتفع به خلق كثير وخصوصاً من أهل اليمن ، ويقال أنه لما ظهر فى بعض البلاد الشاسعة ابتاع بوزنه فضة ... وسمعت من بعض شيوخنا يحكى عن بعض العلماء فى الآفاق أنه قال : ما بلغنا فضيلة فى أحد من أهل اليمن إلا فى اثنين صاحب الكافي فى الفرايض وصاحب كتاب

---

[١] ابن خلدون : المقدمة ، ج١ ، ص٤٥٢.

[٢] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩٣ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٥٥.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٠٧ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص١٦٧ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ، ص٤٥٤ .

[٤] أنظر : ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٤٥ ؛ اليافعي : المصدر والجزء والصفحة ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٣٧٧ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٢٥٩.

[٥] ممن قام بشرح كافى الصردفي : الفقيه على بن أحمد بن موسى البجلي (ولد سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م) والفقيه ابن سراقة محي الدين أبو بكر محمد الأنصارى (ت٦٦٢هـ/١٢٦٣م) والفقيه أبو عبد الله صالح بن عمر بن أبى بكر البريهى (ت٧١٤هـ/١٣١٤م) وغيرهم (حاجي خليفة : المصدر والجزء والصفحة).

البيان فى الفقه" [١].

ومنهم الفقيه الزاهد مقبل بن محمد بن زهير (ت بعد ٥٠٠هـ/١١٠٦م) [٢] ، تفقه بالإمام أبى بكر المحابي ، كما أخذ عن ابن أبى ميسرة ثم ارتحل إلى كرمان وتفقه فيها بقطب الدين وجماعة من علماء كرمان ثم عاد بعد ذلك إلى الإقليم وسكن ذى أشرق . اهتم هذا الفقيه بعلم الفرائض فكان له فيه مختصر وصفه ابن سمرة بالملاحة وقال فيه "قرأه عندى القاضى عثمان بن يحي بن عثمان الشاعر الإبي بذى جبلة سنة ٥٧٩هـ" [٣].

وممن صنف أيضا فى هذا المجال ، الفقيه الفاضل على بن عباس بن عيسى بن مفلح المليكى (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) ، أصله من مدينة إب ، ثم سكن عدن وتفقه بها على القاضى أحمد بن عبد الله القريظى وعلى الفقيه حسين بن خلف المقيبعى ، وكان حافظاً ورعاً زاهداً ، كما كان ذا كتب كثيرة ومال وفير ، له فى مجال الفرائض كتاباً أسماه "مختصر فى علم الفرائض" [٤].

ثانيا : علوم اللغة العربية :

اللغة هى أهم وسائل التواصل الحضاري بين الأمم والمعبر الرئيسي عن الثقافات المختلفة ، وقد أولى المسلمون اللغة العربية عناية فائقة ، فهى لغة القرآن الكريم التى نزل بها الروح الأمين على الرسول محمد عليه الصلاة والتسليم،وهى وسيلة هامة لا غنى عنها فى معرفة علوم الدين وأحكامه،لذلك حرص المسلمون على دراستها وفهمها ووضع القواعد اللازمة للحفاظ عليها من عوارض الأزمان، وقد تمثلت اهتمامات المسلمين بلغتهم العربية ــ لغة القرآن الكريم ــ فى سعيهم الحثيث لدراسة علومها المختلفة تحقيقاً لأكبر قدر من الفائدة ، وحتى يكون استدراك أكناه المعانى فى متناول أيديهم .

---

[١] مرآة الجنان ، ج٣ ، ص١٦٧.

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢١٩.

[٣] طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٥ ؛ وانظر : الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٧٥ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٢٠ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٢٥٩ .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢١٩ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٣٦٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٦٨٧ ؛ الحبشى : المرجع نفسه ، ص٢٦٠.

ويذكر ابن خلدون أن علوم اللسان العربى تتكون من أربعة أركان هى اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفة هذه العلوم ضرورية لا سيما للمهتمين بالعلوم الشرعية "إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين... فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة" [١].

وفيما يلى سنتناول الحديث عن الإنتاج العلمى فى علوم اللغة العربية من خلال الحديث عن علم النحو واللغة والأدب :

أ- علم النحو :

اهتم أهل اليمن بعلوم اللغة العربية وفى مقدمتها علم النحو الذى كان له شأن كبير فى حياة العلماء وطلاب العلم ، إذ كانت دراسته تستغرق جل أوقاتهم ، حتى وجد منهم من أوقف حياته لتعلم النحو وتعليمه ، ونظراً لأهمية هذا العلم ، فلم يكن يعد الفقيه مشاركاً فى العلوم الشرعية إلا بعد أن يحقق هذا الفن ويتقن أصوله[٢] ، وكان علماء الإقليم كغيرهم من علماء اليمن يعتمدون فى بداية أمرهم فى دراساتهم النحوية على عدد من الكتب النحوية المشهورة أمثال كتاب "مختصر العين" للخوافي ، وكتاب "الجمل" للزجاجي ، وكتاب "الكافي" لأبى جعفر الصفار[٣] إلى غير ذلك من كتب النحو ، إلا أنه وبمرور الوقت برز من علماء الإقليم اللغويين من صنف كتباً قيمة فى هذا المجال ، حظيت بشهرة واسعة واهتمام كبير من قبل العلماء وطلاب العلم داخل الإقليم وخارجه . ومن هؤلاء العلماء :

أبو محمد الحسن بن اسحاق بن أبى عباد (كان موجوداً أوائل القرن الخامس الهجري) [٤]، وكان إمام النحاة فى اليمن فى عصره[٥] ، برز فى مجال النحو وذاع صيته ، فأقبل عليه الدارسون من كل مكان يأخذون عنه ، وبرزت عبقريته فى مختصره الشهير المنسوب إليه "مختصر الحسن" الذى صاغه بأسلوب فريد ، فاعتمد عليه العلماء والطلاب فى

---

[١] ابن خلدون : المقدمة ، ج١ ، ص٥٤٥ .

[٢] الحبشى : حياة الأدب ، ص١١٣.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦٤ ، ١٧٥ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩١ ، ٢٩٤.

[٤] الجندى : المصدر والجزء، ص٢٤٨.

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١١٤ ؛ الخزرجى : طراز، ق ١٠١.

دراساتهم النحوية فى مختلف أقاليم اليمن ، بعد أن وجدوا فى ذلك الكتاب مادة تستحق الإهتمام ، وفى ذلك يذكر الجندى أن "غالب فقهاء اليمن وأنحائها كل منهم لا يستفتح الاشتغال بصناعة النحو إلا به ، فيجد له بركة مع تساهل ألفاظه واقتراب عباراته" [١] ، ويُذكر أن الحسن بن أبى عباد قد ألف مختصره فى الحرم تجاه الكعبة ، وكان كلما فرغ من كتابة باب من أبوابه طاف أسبوعاً ودعا لقارئه ، لذلك يرى الفقهاء أن فى ذلك الكتاب بركة ظاهرة[٢].

ومن العلماء المصنفين ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن أبى عباد (كان موجوداً أوائل القرن الخامس الهجرى) [٣]، وكان إماماً للنحاة مثل عمه الحسن بن أبى عباد[٤] ، وكان طلاب العلم يرتحلون إليهما من أنحاء مختلفة من بلاد اليمن[٥] ، وللإمام إبراهيم مختصر فى النحو منسوب إليه يسمى "مختصر إبراهيم" ذكر أنه اختصره من كتاب سيبويه فى النحو[٦] ، وله أيضا كتاب آخر يسمى "تلقين المتعلم" وهو من الكتب المفيدة فى هذا المجال[٧].

كما أشتهر بعلم النحو عدد من علماء الإقليم الذين اكتفوا بالتدريس دون أن يكون لها مصنفات ومن هؤلاء :

الفقيه يحيى بن محمد بن عمران بن أبى عمران (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، كان فقيهاً جليل القدر متضلعاً من العلوم الفقهية والحديثية ، كما كان ملماً بعلوم النحو واللغة ، وهو أحد

---

[١] السلوك ، ج١ ، ص٢٤٨ ؛ وانظر : الأهدل : تحفة الزمن ، ص١٩٤ ؛ الخزرجي : طراز ، ق١٠١ ؛ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج٢ ، ص٤٥٦.

[٢] الجندى: المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل: المصدر والصفحة ؛ الخرزجي:المصدر والصفحة .

[٣] الجندى : المصدر والجزء والصفحة .

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٤.

[٥] الجندى : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٩٤ ، ١٩٥.

[٦] ابن سمرة : المصدر والصفحة ، حاشية ٧ ؛ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج١ ، ص١٠٤ ، الخزرجي: المصدر نفسه ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣٦٩.

[٧] ابن سمرة : المصدر والصفحة ،حاشية ٧ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص١٩٥؛ الخزرجى: المصدر نفسه ، ق٥٦ ؛ الحبشى : المرجع والصفحة .

مشايخ الحافظ العرشاني[١].

ومنهم الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى (ت٥٥٨هـ/١١٦٣م) الذى برز إلى جانب الفقه فى علوم كثيرة منها علم النحو[٢] ، وكان ممن أخذ عنه الفقيه سليمان بن فتح بن مفتاح الذى قرأ عليه كتاب "مختصر العين" للخوافي[٣] ، كما أخذ عنه القاضي محمد بن جرير كتاب "كافي الصفار فى النحو" [٤].

ومنهم الإمام سيف السنة أبو الحسن أحمد بن محمد البريهي (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) كان عارفاً مع الفقه والحديث بالنحو واللغة وغيرها من العلوم ، فقصده كثير من الطلاب وانتفعوا بعمله[٥].

ب ـ علم اللغة :

يرجع اهتمام أهل اليمن بهذا العلم إلى فترة مبكرة ، وكان دافعهم فى ذلك ، حرصهم على فهم لغة القرآن الكريم ومعرفة أسراره فاشتدت عنايتهم بلغة القرآن حتى كادت أن تذوب معها كثيراً من لهجاتهم المحلية التى لم يعد لها أثر يذكر إلا فيما يتعلق بأسماء البلدان والأعلام[٦].

وكان اعتماد طلاب الإقليم فى دراساتهم اللغوية على مؤلفات غير يمنية ــ فى بداية الأمر ــ إذ لم يكن لعلماء اليمن اللغويين مساهمات واسعة فى هذا المجال ، لذلك كان اعتمادهم على ما يصل إليهم من مؤلفات مشاهير علماء اللغة فى العراق ، ومصر والشام وغيرها[٧] ، ومن هذه المؤلفات كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ/ ٧٩٩م) [٨] ، وكتاب "غريب الحديث" لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٩م)

---

[١] أنظر : ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦٩ ، ١٧٠ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٩١ ، ٢٩٢.

[٢] السبكى : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٣٣٦ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص١٨٦.

[٣] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٩٥.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٣.

[٥] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣١٨ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٧.

[٦] الحبشى : حياة الأدب ، ص١١٢ ، ١١٣.

[٧] المختار : الحياة العلمية ، ص٣٢٣.

[٨] الشجاع : الحياة العلمية ، ص٣٢٧.

وكتاب "مختصر العين" للخوافي (٤٣٠هـ/١٠٣٨م) [١].

وفى فترة الدراسة برز عدد من علماء الإقليم فى مجال اللغة ، وكان لهم إسهامات هامة اعتمد عليها العلماء وطلاب العلم لفترات طويلة ، وقد شكلت تلك الإسهامات مع ما كان موجوداً من مؤلفات لغوية ــ غير يمنية ــ أساساً قوياً اعتمدوا عليه فى دراساتهم اللغوية ، وكان من أبرز المهتمين فى هذا المجال العالمان اللغويان : عيسى وإسماعيل إبنا إبراهيم الربعي . فبالنسبة لعيسى بن إبراهيم الربعى (ت٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) فكان على رأس علماء اللغة فى بلاده[٢] ، وكان طلاب العلم يرحلون من كل مكان إلى أحاظة حيث يقيم رغبة فى الأخذ عنه[٣] ، وتمثلت اسهامات هذا العالم اللغوى فى تصنيفه لكتاب "نظام الغريب" [٤] فى اللغة[٥] ، والذى وصفه الجندى بأنه كتاب "مجود فى النقل كامل فى الفضل وعليه يعول كثير من أهل اليمن من وقت وجوده إلى هذا الزمن (أى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادى) [٦] ، وليس أدل على أهمية هذا الكتاب وجودته من شهادة الجندى له بقوله أن "من لا يقرأه ويتكرر فيه لا يعده كثير من الناس لغوياً" [٧] ، ولا شك أن تمسك العلماء والطلاب بدراسة ذلك الكتاب والاهتمام به على ذلك النحو حتى عصر الجندى ــ على الأقل ــ يعطى دلالة واضحة على المستوى العلمي الرفيع

الذى بلغه ذلك الكتاب حتى ليصبح متطلبا ضرورياً للعلماء والمتعلمين لا يكتفون بقراءته والمرور عليه وإنما لابد لهم من إعمال فكرهم فيه والمثابرة على قراءته لتحقيق فهم أكبر

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٩٢.

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٢٩ .

[٣] الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣٧٨.

[٤] طبع هذا الكتاب بتحقيق المستشرق الألماني "بولس برونلى" فى القاهرة ، عام ١٩١٢م (الحبشى : المرجع نفسه ، ص٣٦٨).

[٥] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٦؛ الحموى : معجم الأدباء ، ج٤ ، ص٥١٩ ؛ الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : المرجع والصفحة ؛ حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٩٥٩ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٨٠٧.

[٦] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٤ ، ٢٨٥.

[٧] الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٥.

لمادته اللغوية .

اقتصر الربعى فى كتابه "نظام الغريب" على المستعمل من غريب اللغة وما ورد فى كلام العرب وأشعارهم ، وجعله فى مائة وأربعة أبواب تناول فى الباب الأول ما جاء من الغريب فى خلق الإنسان ، وأما الباب الأخير فقد أسماه "من المجموع وإجابات عن سؤال يعن" [١]. وذكر المؤلف فى مقدمة كتابه تعريفاً لمادته حيث قال : "هذا كتاب مختصر اقتصرت فيه على المستعمل من غريب اللغة وما قالته العرب وتداولته فى أشعارها وخطبها ، وتجاذبته فى أمثالها ومقاماتها ومخاطبتها، وجعلته له كالأصل للشئ ، والقاعدة للبيان ، وسميته "نظام الغريب" [٢].

أما بالنسبة لإسماعيل بن إبراهيم الربعى (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) فكان هو الآخر من علماء اللغة وأئمتها[٣] ، صنف فى هذا المجال قصيدة بعنوان "قيد الأوابد" [٤] ، رتبها على ترتيب كتاب "العين" للخليل بن أحمد ، وجعل لها شرحاً ضمنه نوادر وطرائف من الأخبار والأشعار ، واشتملت على أكثر كتاب العين[٥] ، وبالإضافة إلى القصيدة السابقة كان لإسماعيل الربعى مساهمات أدبية أخرى تمثلت فى رسائل وصفت بأنها مليحة وأشعار حسنة "تجمع معانى من أبواب اللغة والنحو" [٦].

---

[١] الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٤٩٨ ، ٤٩٩.

[٢] الشامي : المصدر والجزء ، ص٥٠٠ . وقد قام عدد من العلماء بوضع الشروح المناسبة لذلك الكتاب ، ومنهم : الشاعر محمد بن عبد الله شرف الدين ، والفقيه إبراهيم بن عجيل وغيرهم (أنظر : الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٤١٥ ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣٧٢ ؛ الشامى : المصدر والجزء ، ص٥٠٣) ، ومن خارج اليمن وضع جمال الدين يوسف القاهرى مختصراً لهذا الكتاب أسماه ''تحفة البلغا فى نظام اللغا'' (حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٩٥٩).

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٧ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٨٥.

[٤] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندي : المصدر والجزء والصفحة ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٣٠ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٥٨ ؛ حاجي خليفة: المرجع والجزء ، ص١٣٦٧؛ شوقىضيف: تاريخ الأدب، ج ٥ ، ص٦٦.

[٥] ابن سمرة : المصدر والصفحة ، حاشية ٣ ؛ شوقى ضيف : المرجع والجزء والصفحة.

[٦] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٥٧ ؛ أنظر : الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٨٥ ؛ الأهدل : تحفة

كما برز فى الإقليم عدد من العلماء اللغويين الذين أسهموا بفاعلية فى مجال تدريس اللغة ، وإن لم يتركوا مؤلفات فيها ، ومن هؤلاء : الإمام زيد بن الحسن الفائشى (ت٥٢٨/١١٣٣م) الذى كان يجيد علوماً كثيرة منها علم اللغة[١] ، وقد أخذ عنه عدد كبير من الطلاب منهم الإمام يحي العمراني ، والفقيه عمر بن إسماعيل الجماعي اللذان رويا عنه كتاب "غريب الحديث" فى اللغة لأبى عبيد ، وكتاب "مختصر العين" للخوافي[٢].

ومنهم الفقيهان : عمر بن إسماعيل بن علقمة الجماعى (ت٥٥١هـ/١١٥٦م) وأبو عبد الله محمد بن موسى العمراني (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) اللذان كانا يتقنان اللغة إلى جانب العلوم الفقهية وقد أخذ عنهما كثير من الطلاب[٣].

ج ـ الأدب :

الأدب فن كسائر الفنون يشف عن كيان الأمم ويتحدث عن صورة حياتها ، ويوضح ما اشتملت عليه تلك الحياة من عواطف وميول وآراء وأهواء . والأدب يفوق الفنون جميعاً فى هذا النحو من الإبانة والإيضاح لأنه تصوير حى واستدلال ناطق ولأنه يبدى فى وضوح ما اشتملت عليه أنظمة الشعوب وعقائدها ومدنياتها وأطوارها[٤].

وفيما يلى سنتناول الحديث عن الأدب فى العصر الصليحى وذلك من خلال الحديث عن الشعر والنثر ، وذلك كما يلى :

١ـ الشعـــر :

ازدهرت الحياة الثقافية فى اليمن خلال العهد الصليحي ازدهاراً كبيراً على الرغم من الإضطرابات والفتن التى كانت تحدث بين الفينة والأخرى[٥] ، وكان الشعر من أكثر الفنون التى حظيت باهتمام الصليحيين ، فقد كان الصليحيون يدركون أهمية الشعر كأهم

الزمن ، ص٢٣٠ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٥٨.

(١) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٦.

(٢) ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٥٦ ، ١٦٤ ؛ الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٤.

(٣) الجندى : المصدر والجزء، ص٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٣٦.

(٤) الأعظمى: عبقرية الفاطميين ، ص١٠٣.

(٥) إسماعيل قربان : ديوان الخطاب ، ص٢٦ ؛ جرادة : الأدب والثقافة ، ص١١٦ ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكري ، ج٢ ، ص٨.

وسائل الدعاية لهم ولمذهبهم ، لذلك بالغوا فى الاهتمام بالشعراء وأجزلوا لهم العطاء[١].

وساعد الصليحيون على ذلك الأمر غناهم الواسع ؛ إذ تجمع لديهم الكثير من الأموال التى جنوها بعد قضائهم على الإمارات اليمنية التى كانت موجودة قبل قيام دولتهم ، كما توفر لهم دخلاً مادياً من خلال أخذهم الخمس من أموال الناس ، ونتج عن ذلك الأمر تمتع الصليحيين بثراء فاحش انعكس على اهتمامهم بالجوانب الثقافية لا سيما الشعر الذى يعد مظهراً من مظاهر الحضارة والرقي فى الأمة ، ولذلك علا شأن الشعر فى عهدهم[٢].

وبالإضافة إلى تشجيع الصليحيين للشعراء ، كانت هناك عوامل أخرى ساعدت على ازدهار الشعر فى تلك الفترة ، منها الموهبة الشعرية التى كان يتمتع بها كثير من الشعراء، ومنها صفاء الطبيعة وجمالها ، ومنها أيضا الخلافات المذهبية واستعداد الأطراف المتصارعة لاستخدام الوسائل للدفاع عن معتقداتها ، وكان الشعر واحداً من أهم الأساليب الدفاعية فى ذلك الوقت[٣].

تأثر الشعر فى هذه الفترة بتيارات وعوامل جدت على المجتمع اليمنى ، كان على رأسها الأفكار والمبادئ الإسماعيلية التى استمدت قوتها من قيام الدولة الصليحية ، فظهرت علانية بعد أن توارت فترة من الزمن ، ومن العوامل التى جدت أيضا ما نتج عن توثيق العلاقات بين مصر واليمن فى هذه الفترة ، تلك العلاقات التى كانت مبنية على أساس دينى ، فكان الصليحيون دعاة لخلفاء وأفكاء وتعاليم الفاطمين فى مصر ، وترتب على ذلك الأمر تواصل فكرى وسياسي وتجارى بين البلدين ، فزار اليمن عدد من العلماء والشعراء المصريين ، كما ارتحل إلى مصر أوزارها بعض الأدباء والعلماء اليمنيين ، وكان لذلك كله أثراً واضحاً من خلال الأساليب الكتابية ، والليونة والرقة الحضارية فى قصائد شعراء العصر الصليحي[٤].

أما بالنسبة لأغراض الشعر فى هذه الفترة ، فكان للشعر أغراض متعددة لم تقتصر

---

[١] حسن سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن ، ص٢٣٢ ؛ إسماعيل قربان : ديوان الخطاب ، ص٢٦.

[٢] حسن سليمان محمود : المرجع والصفحة .

[٣] عطية محمد أمين : اليمن فى عهد السيدة ، ص٤٣٧.

[٤] الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص٨.

على جانب دون آخر ، وإن كان شعر المديح هو الغالب على شعر هذه الفترة ، ثم تأتى بقية الأغراض الشعرية بعد ذلك وهى الرثاء والهجاء والعتاب والزهد وغيرها من الأغراض[١].

وسنتناول فيما يلى نماذج من الإنتاج الأدبي فى مجال الشعر ، وذلك من خلال الحديث عن فئات ثلاث للشعراء فى الإقليم هى : الحكام والأدباء والفقهاء .

فبالنسبة لفئة الحكام ، فمعروف عن حكام الدولة الصليحية وسلاطينها حبهم للشعر والأدب ، فكانوا فرسان بيان وأرباب أقلام ، برع بعضهم بقول الشعر شأنه فى ذلك شأن بقية الشعراء ، ومن هؤلاء الحكام الشعراء : الملك على بن محمد الصليحي ــ مؤسس الدولة الصليحية ــ كان على جانب كبير من الإلمام بالثقافة الإسماعيلية ، فكان عالماً وفقيهاً فى مذهب الإمامية مستبصراً فى علم التأويل[٢] ، وكان فارساً شاعراً له أشعار جيدة فى تصوير فروسيته ، وفتكه بأعدائه فى القتال[٣].

ومن شعره :

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم فرؤوسهم عوض النثار تثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار[٤]

ومنهم : السلطان سبأ بن أحمد الصليحي (ت٤٩٢هـ/١٠٩٩م) كان واحداً من أبرز قادة الدولة الصليحية ، وعاملاً للصليحيين على حصن أشيح وما يتبعه من مخاليف[٥] ، قال عنه عمارة "كان جواداً وشاعراً يثيب على المدح ويثيب به" ، ومن ذلك قول الشاعر ابن القم فيه :

ولما مدحت الهزبرى بن أحمد أجاز وكافانى على المدح بالمدح

---

[١] عطية محمد أمين : اليمن فى عهد السيدة ، ص٤٣٧.

[٢] عمارة : المفيد ، ص٨٤ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٣٥٨.

[٣] شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، ج٥، ص٩٤ ، ٩٥.

[٤] عمارة : المصدر نفسه ، ص ٢٢٥؛ الأصبهانى : خريدة القصر ، ج٣ ، ص٢٢٥ ؛ بامخرمة : المصدر والجزء ،ص٣٥٩.

[٥] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٢٠ ؛ الشامي : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٣٨٥.

فعوضنى شعراً بشعـــر وزادنـــــى عطاء فهذا رأس مالـــى وذاربحى[١]

غير أن عمارة لم يورد قصائد للسلطان سبأ بن أحمد وإنما اكتفى بأن جعله فى عـــداد الشعراء .

ومنهم : السلطان عبد الله بن يعلي الصليحي ، كان أميراً شاعراً ، عده عمـــارة بـــين الشعراء فى تاريخه ، وكان السلطان عبد الله عاملاً للصليحيين على حصن خـــدد المطـــل على ذى جبلة[٢] ، وله من القصائد قصيدة رد بها علـــى الـــشريف حمـــزة بـــن وهـــاس السليمانى على لسان السلطان سبأ بن أحمد الصليحي ، وذلك بعـــد أن اعتـــذر الـــشريف حمزة للسلطان سبأ على مناصرته للنجاحيين فى معركم الكظائم سنة ٤٧٩هـــ/١٠٨٦م ، والتـــى هـــزم فيهـــا الـــصليحيون ، حيـــث قـــال الـــسلطان عبـــد الله فـــى مطلـــع تلك القصيدة :

يا راكباً راح لا يلـــوى على أحـــد لقيت داعيـــة التوفـــيق والنعـــــم

إلى أن قال :

والسيف يأكلنا حينـــــا ونرتعـــــه حيناً إذا شاء فى الأعناق والقمـــم[٣]

ومن قصائده : قصيدة فى وصف مدينة جبلة قال فى مطلعها :

هـــب النـــسب فبـــت كـــالحيران شـــوقاً إلـــى الأهلـــين والجيـــران

ما قطـــر بغداد وما طبريـــــــــة كمدينـــة قـــد حفهـــا نهـــــران

خدد لها شـــــام وحـــب مشـــرق والتعكر العالى المنيف يمانـــــــى[٤]

وله قصيدة فى رجل أدعى بأنه شاعر ومـــدح الملكـــة الحـــرة بكـــلام أدعـــى أنـــه شعر كى ينال به عطاءً من السيدة ، فاستشفع له السلطان عبد الله بقصيدة قال فى مطلعها:

قاس الأمور فلم يجـــد فـــى فكـــره أمـــراً يقـــوم بواجـــب مـــن عـــذره

---

[١] المفيـــد : ، ص١١٩ ، ١٢٠ ؛ وانظـــر : الجنـــدى : الـــسلوك ، ج٢ ، ص٤٩١ ؛ بامخرمـــة : قـــلادة النحر ، ج٢ ، ص٤٣٩.

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٢٥ ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج١ ، ص٣٨٧.

[٣] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٠٧ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٥٣ ، ١٥٤.

[٤] بامخرمة : النسبة إلى المواضع والبلدان ، ق ٨٥.

فمضى يلفق راتقاً من نشره وشرى ينفق كاسراً من شعره[١]

أما بالنسبة لشعراء الفئة الثانية وهم الأدباء ، فبرز منهم عدد من الشعراء الفطاحل الذين قدر لبعضهم أن تصبح أشعاره مادة للأدب الراقي فى قصور الوزراء العباسيين ، وهؤلاء الشعراء ــ إن جاز لنا الوصف ــ هم الشعراء المحترفون الذين تمرسوا على قول الشعر وتميزوا عن غيرهم بإجادته إلى حد بعين ، فتناقلت أسماؤهم مصنفات المؤرخين فى بلاد اليمن وخارجها، ومن أبرز هؤلاء الشعراء:
عمرو بن يحيى الهيثمى ، وكان واحداً من مشاهير الشعراء فى العصر الصليحي[٢] اختاره الملك على بن محمد الصليحى ليكون لسانه الذى يجادل وينوب عنه فى معارك البيان[٣] ، وشعره غاية فى البلاغة[٤]. كان قد عرف بقول الشعر قبل اتصاله بالصليحيين، وشارك مع أهله بنى الهيثم فى حروبهم ضد بنى الكرندي والتى انتهت بانتصار بنى الكرندى وانتهاء حكم بن الهيثم من التعكر ، ولعله اتصل بخدمة الصليحيين عقب تلك الأحداث[٥] . ولهذا الشاعر ديوان شعر ذكر ابن سمرة أنه اطلع عليه[٦] ، وتناول فى شعره أغراضاً شعرية مختلفة كالفخر والمديح والرثاء والوعيد وغيرها من الأغراض التى سنذكر بعضاً منها فيما يلى :
فمن شعره فى الفخر ما قاله على لسان الداعي على بن محمد الصليحى فى قصيدة مطلعها :

سلى فرسى عنى ودرعى وصعدتى وسيفى إذا ما المشرفية[٧] سلت

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٢٢٥.

[٢] عمارة : المصدر والصفحة .

[٣] الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص١٨٢.

[٤] الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣١٥.

[٥] الشامي : المرجع والجزء ، ص١٨٣.

[٦] طبقات فقهاء اليمن،ص١٠٦؛ الحبشى: المرجع والصفحة ؛ الشامي: المرجع والجزء ،ص١٨٢.

[٧] المشرفية : سيوف منسوبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب (الرازي : مختار الصحاح ، ج١،ص١٤١).

أنا ابن ربيـــع المنشـــدين محمـــــد إذا المعصرات السود بالماء ضنت[١]

ومن شـــعره فـــى الوعيـــد قـــصيدة قالهـــا علـــى لـــسان الـــداعى الملـــك علـــى بن محمد الصليحي رداً على تهديد والـــى مكـــة الـــشريف شـــكر الحـــسينى قـــال فـــى مطلعها :

دم الأبطال فى اليوم العبـــوس[٢] مدامـــــــى لا شراب الخندريس[٣]
ولهـــــوى بالنشيـــج[٤]إذا تلاقـــى الوشيج[٥] بمعرك حامى الوطيـــس[٦]

ومن شعره فى الرثاء ، قصيدة يرثى بها الأمير الأعز بن على الصليحى بعد وفاتـــه عام ٤٥٨هـــ/١٠٦٦م جاء فيها :

وتزلزلـــت شـــمم الجبـــال لفقـــده وأضل ســـالكه الطريـــق اللهجـــم[٧]
فالشمس كاسفـــه عليـــه حســـــرة والجو فى وقت الظهيرة مظلـــــم[٨]

وله قصيدة أخرى فى رثاء الملك علـــى بـــن محمـــد الـــصليحي بعـــد قتلـــه عـــام ٤٥٩هـــ/١٠٦٧م جاء فيها :

لمـــا أصـــطفى حـــام وأدناهـــــم وعمهـــم منـــه العطـــاء الجزيـــل
وأنشـــأ الحـــــج إلـــى مكـــــــة يبغـــى رضـــا الله وآل البتـــــول[٩]

---

[١] عمارة : المفيد ، ص٢٢٤ ؛ الأصبهانى : خريدة القصر ، ج٢ ، ص٢٧٩.

[٢] العبوس : الشديد (ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ، ص١٢٨).

[٣] الخندريس : الخمر (الرازي : مختار الصحاح ، ج١ ، ص٧٢).

[٤] النشيج : صوت الطعنة (ابن منظور : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٨).

[٥] الوشيج : الخليط (ابن منظور : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٩٩).

[٦] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٢٥ ــ ٢٨ . والقصيدة يوردها إدريس فى ٤٥ بيتاً .

[٧] اللهجم : المذلل (ابن منظور : المصدر نفسه ، ج١٢، ص٥٥٥).

[٨] مجهول : السيرة الصليحية ، ق ٥ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ص١١٩ ؛ الهمداني: الـــصليحيون ، ص٩٥ ،٩٦.

[٩] مجهول : السيرة الصليحية ، ق١٣ ؛ إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص١٤١.

ومن شعره فى المديح ، قصيدة مدح بها الملك المكرم أحمد بن على الصليحي بعد انتصاره على أعدائه فى إحدى المعارك ، جاء فيها :

لك الله ذا السيفين كال وناصر فجدك بعد الأوحد الملك قاهر
تمنى الأعادي إذا مضى لسبيله مُنى رغمت منهم لهن المناخر[١]

ومن شعراء هذه الفئة المبرزين ، الشاعر أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد بن القم ، ولد فى زبيد وتأدب بها[٢] ، وكان والده صاحب ديوان الخراج بتهامة من قبل الصليحيين[٣] ، برز الحسين بن القم فى مجال الشعر والأدب ، وفى ذلك يقول عنه الجندي "كان معدوداً من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها وكان من المكثرين والشعراء المفلقين" [٤]، فكانت له بذلك حظوة كبيرة ومنزلة رفيعة لدى الملوك الصليحيين[٥] ، ولهذا الشاعر ديوان شعر منسوب إليه[٦]، ضمنه روائع قصائده فى الأغراض الشعرية المختلفة.

ومن أشعار ابن القم قصيدة له يهنئ بها المكرم على زواجه من السيدة الحرة قال فيها :

وكريمة الحسبين يكنف قصرها أسد تهاب الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تغضى عن تمثالها المرأى فى مرآتها[٧]

ومن شعره قصيده فى تحريض أنصار الصليحيين للأخذ بثأرهم من النجاحيين بعد مقتل الملك على بن محمد الصليحى جاء فى مطلعها :

---

[١] مجهول : المصدر نفسه ، ق ٢٢ ؛ إدريس : المصدر والجزء ، ١٤٦.

[٢] عمارة : المفيد ، ص١٩٤.

[٣] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٥٨.

[٤] المصدر والجزء والصفحة .

[٥] الهمداني : الصليحيون ، ص٨٦ ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكري ، ج٢ ، ص٩٤.

[٦] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٩٥ ؛ الحبشي : مصادر الفكر ،ص٣١٥.

[٧] عمارة : المصدر والصفحة ؛ الأصبهاني : خريدة القصر ، ج٢ ، ص٢٥٤.

أقحطان هزى البيض[١]واعتقلى السمرا[٢] وردى العوالى[٣] من دما العدا حمـــــــرا
وأمى الوغى[٤]وافرى الطلى واطلبىالعلا وخوضىالردى واستشعرى الصبروالنصرا[٥]

ومن شعره فى المدح ، قصيدة يمدح بها الملك المكرم أحمد بن على الصليحي جـاء فيها :

ملك متـى تحلـل بظـل فنائـه تحلـل بـساحة ماجـد مفـضال
بحر يفيض بلا سـؤال موجـه ويحن إن هاجته ريـح سـؤال[٦]

ومن قصائده فى المدح قصيدة مدح بها السلطان سبأن بن أحمد الـصليحى ، وكـان الشاعر قد التحق به بعد خلافه مع النجاحين فى تهامة[٧] ، وفى هذه القصيدة يقـول ابـن القم:

إن ضامك الدهرفاستعصم بأشيح أو أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سـبا
ما جاءه طالب يبغـى مواهبـه إلا وأزمع منـه فقـره هربـا[٨]

ومن شعره فى العتاب قصيدة يعاتب فيها السلطان سبأ جاء فيها :

أبا حمير إن المعالـى رخيصـة ولو بذلت فيها النفوس الكرائـم

إلى أن قال :

---

[١] البيض : السيوف (الرازي : مختار الصحاح ، ج١ ، ص٢٩) .

[٢] السمراء : الرماح (شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، ج٥ ، ص١٤٨ حاشية).

[٣] العوالي : أسنة السيوف والرماح (شوقي ضيف : المرجع والجزء والصفحة).

[٤] الوغى : الحرب (الرازي : المصدر والجزء ، ص٣٠٤).

[٥] مجهول : السيرة الصليحية ، ق٤٩ . أوردها فى ٥١ بيتاً ؛ إدريس : عيـون الأخبـار ، ج٧ ، ص١٦٩ ، ١٧٠ أوردها فى ٢٣ بيتاً .

[٦] بامخرمة : ثغر عدن ، ص٩ ، ١٠ ؛ وذكر بأنها طويلة فى نحو ٥٠ بيتاً .

[٧] عمارة : المفيد ، ص١٩٦.

[٨] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٩٥؛ الأصبهانى : خريدة القصر ، ج٢ ، ص٢٨٧.

فلا تحتقر جفنـــا يبيـت مسهـداً ليدرك ما يهوى وجفنك نائـــم[١]

ومن شعره فى الوصف ، قصيدة يصف فيها شعره ، جاء فيها :

فلأهـــدين إليـــك كـــل كريمـــة يمسى الحسود بها مغيظـاً موجعـا
طوراً ترى بين الورى جوالـــــة فى الأرض تقطع مغرباً أو مطلعا[٢]

ومن الـشعراء الأدبـاء ، الخطـاب بـن الحـسن بـن أبـى الحفـاظ الحجـورى (ت٥٣٣هـ/١١٣٩م) ، كان واحداً من شعراء اليمن المجيدين[٣] ، ولد فى منطق الجريب ، وكان والده حاكماً عليها ، ونشأ بها على الفروسية والأدب ، فكان إلـى جانـب كونـه فارساً لا يشق له غبار ، كان يتميز بالعلم والفصاحة وبلاغة الشعر ورقته[٤] ، وله ديـوان شعر منسوب إليه[٥] ، وظف جزءاً كبيراً منه فى مدح آل بيت الرسول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ والأئمة الفاطميين وفى الحكم والرد على المعترضين على دعوته ، كما تناول فى قصائده أغراضاً شعرية أخرى[٦].

ويتميز شعر الخطاب بأنه سهل خال من التعقيدات اللفظية والمعنويـة ، كمـا يتميـز بالعفة ؛ فم يصف الخمر والنساء والغلمان ، ومجالس الطرب ، كما لم يكن الخطاب مـن الشعراء المتكسبين ، فلم يمدح أحداً فى شعره سوى الأئمة والسيدة الحرة ومعلمه الـذؤيب بن موسى الوادعي[٧] ، وفيما يلى نورد نماذج من شعر الخطاب :

فمن شعره ــ فى المدح ــ قصيدة مدح فيها السيدة الحرة جاء فيها :

---

[١] عمارة : المفيد ، ص١٩٧ ؛ الأصبهانى : خريدة القصر ، ج٢، ص٢٥٦؛ الجندي: السلوك،ج١، ص٢٥٩.

[٢] عمارة : المصدر نفسه ، ص١٩٩.

[٣] عمارة : المصدر نفسه ، ص٢٠٤.

[٤] عمارة : المصدر والصفحة ، حاشية ٢ .

[٥] الحبشي : مصادر الفكر ، ص٣١٥ ، نشره إسماعيل قربان فى مصر عام ١٩٦٧ ، وللخطاب أيضا القصيدة الميمية ، ذكرها إيفانوف (الحبشى : المرجع والصفحة) .

[٦] حسن سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن ، ص٢٣٨ ؛ الهمدانى : الصليحيون ، ص١٩٥.

[٧] إسماعيل قربان : ديوان الخطاب ، ص٨٤ ، ٨٥.

أنتم بنو الأصلوح جـوهر يعـرب وسـواكم أصـدافها ومحارهـا
ولأنت يا ابنة أحمد تنميـك مـن تلك اللآلى الفائقـات كبارهـا[١]

ومن شعره فى المدح قصيدة أخرى يمدح فيها معلمه الذؤيب بن موسـى الـوادعي ، جاء فى مطلعها :

أنـا أدرى وإن كنـت أدرى ليس يعلـو إلـى صـفاتك قـدرى
لى بيان مصور يسحر السحـ ر إذا شبّـه البيـان بسحـر[٢]

ومن شعره ــ فى الرثاء ــ قصيدة يرثى فيها السيدة الحرة بعد وفاتهـا يقـول فـى مطلعها :

عليـك سـلام الله والـصلوات ورحمتـه مـا شـاء والبركـات
وقـدس منك الله نفسـاً نفوسنـا تقدسها من نورها اللحظـات [٣]

ومن شعره فى المناجاة قصيدة جاء فى مطلعها :

يـا مـن رضـيت مـسلماً لقـضائه ورضـيت حكمـه
وعلمـت أن جميـع مـا يأتى بـه عـدل وحكمـة[٤]

وله العديد من القصائد التى تضمنها ديوانه والتى تناول فيهـا مختلـف الأغـراض الشعرية .

ومنهم محمد بن أحمد بن عمران اليامي ، وكان واحداً من مشايخ وقضاة همدان الذين كانوا يشكلون سنداً قوياً للدولة الصليحيية[٥]، وكان شاعراً مبرزاً له عدد من القصائد قالها فى الفخر والمدح والرثاء .

فمن شعره فى الفخر قصيدة بعث بها إلى قومه يفتخر فيها ببلائه مـع الموفـق ابـن نجيب الدولة بعد كسر الحصار المفروض عليهما فى الجند عام (٥٢٠هـ /١١٢٦م) يقول

---

[١] إسماعيل قربان : ديوان الخطاب ، ص١٩٤ يوردها فى ١٨ بيتاً .
[٢] إسماعيل قربان : المصدر نفسه ، ص١٤٦ يوردها فى ١٣ بيتاً .
[٣] إسماعيل قربان : المصدر نفسه ، ص١٣٣ ، والقصيدة فى ٢٣ بيتاً .
[٤] إسماعيل قربان : المصدر نفسه ، ص ١٥٩ والقصيدة فى ٢٣ بيتاً .
[٥] الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص٢١١.

فى مطلعها :

خليلي إنى قـد قصـصت عليكمـا مع الركب مـن أنبائنـا مـا تقـدما
وها أنا واللـــه الموفـق مـورد من القول ما يشفى الغليل المضرما[١]

ومـن شـعره فـى المـدح قـصيدة يمـدح بهـا الـسلطان علـى بـن عبـد الله الصليحى بعد أن اختارته السيدة الحرة خلفاً لابن نجيب الدولة فى الدفاع عـن دولتهـا ، يقول فيها:

يا غادياً مزمعاً فى السير معتزمـا لا يتقى الأيـن والوعثـاء والألمـا
واحمل سلامي إلى المختارمن كثب فخر الخلافة والثـم كفـه أممـا[٢]

ومن شعره فى الرثاء ، قصيدة يرثـى بهـا الـسيدة الحـرة بعـد وفاتهـا ، جـاء فيها :

نأت ربة القصرالشريف عن القصر فأيأس راجى النصر فيها عن النصر
إذا اجتث دهر الشردوحة روضـة فقضبانها لا تستقيم على الهصـر[٣]

وبالإضافة إلى ما ذكر آنفاً من الشعراء الأدباء ، فهناك العديد منهم ممن كانـت لهـم فى آل الصليحي العديد من القصائد[٤].

أما بالنسبة للفئة الثالثة من الشعراء فهم الفقهاء الذين أجادوا نظم الشعر أو كان لهـم نصيب منه ، ويتميز شعرهم بأنه واقعى أقرب إلى الصدق منه إلى الصنعة ، وهـم فـى المرتبة دون الفئة السابقة من الشعراء الأدباء فى إجـادة الـشعر ونظمـه ، وهـو أمـر بديهي ، إذ أن الفقهاء لا يحترفون الشعر وإنما يتخذون منه وسيلة للتخفيف مـن جفـاف

---

[١] إدريس : عيوب الأخبار ، ج٧ ، ص٢٩٥ ، ٢٩٦ ، والقصيدة فى ٢٥ بيتاً .

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص١٧٤.

[٣] الهمداني : المرجع نفسه ، ص٢٠٩، الهصر أى الجذب (ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص٢٦٥).

[٤] أمثال : القاضى عمران بن الفضل اليامى ، والحسين بن عمران ، والحسين بن أبى عقامة وأحمد بـن علـى التهامى (انظر : مجهول : السيرة الصليحية ، ق١٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ؛ إدريـس : المـصدر والجـزء ، ص١٧٥ ، ٣٧٠ ــ ٣٧٢ ؛ الهمداني : المرجع نفسه ، ص ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٢٧ ، ٢٠٨.

العلم الـذي يدرسـون ، ويتميـز شـعرهم بالاسـتقامة والمحافظـة علـى الجوانـب الأخلاقية والآداب الإجتماعية[١].

أما عن الأغراض الشعرية التى تناولها الفقهاء الشعراء فى قصائدهم ، فكانـت إمـا مدحاً لشيوخهم أو مدحاً لكتبهم العلمية أو نظماً للعلوم الفقهية حتى يسهل حفظها[٢] ، أو فى الزهد والورع أو فى الدفاع عن قضية يعتقدون بصحتها .

ومن الفقهاء الذين أجادوا نظم الشعر الفقيه يحـي بـن محمـد بـن أبـى عمـران (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، كان فقيهاً جليل القدر مجيداً لعدة علـوم منهـا العلـوم النحويـة واللغوية ، وله قصيدة مشهورة قالها فى شيخه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعى عندما قـرر الارتحال إلى مكة بعد الخلاف الذين حدث بينه وبين شيخه الإمام أبى بكـر بـن جعفـر المحابي ، فكتب هذا الفقيه إلى شيخه اليفاعى قصيدة يثنى عليه فيها ويتمنى عليه البقـاء ، حتى ينتفعوا بعلمه ، ومنها هذه الأبيات :

أحييت ذكـر العلـم وهـو يبـيس وقتلـت جهـلاً والمقانـب شـوس
وهدمت ركن الزيغ وهو مشيـد وعمرت آى الخير وهـى دروس[٣]

ومنهم الفقيه عمر بن على السلالي (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م) ، كان من الفقهاء الشعراء، أورد له ابن سمرة قصيدة يرثى فيها عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدويه ، وصـف فيهـا جودة علمه ومدحه فيها بالمعرفة والكمال ، وجاء فى بعض أبياتها :

أمـن بعـد عبـد الله نجـل محمـد يصون دموع العين من كـان مـسلماً
وقد غاض بحر العلم مذ غاب شخصه ولكن بحر الوجـد من بعده طمـا[٤]

ومنهم الإمام زيد بن الحسن الفائشى (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م) قال عنه الجندى "وله مـع

---

[١] الحبشي : حياة الأدب ، ص١٥٥.

[٢] الحبشي : المرجع نفسه ، ص ١٥٨ ، ١٥٩.

[٣] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٢٦٣ ـــ ٢٦٦ ، والقصيدة أوردها الجندى فى ٥٦ بيتاً ، وقال أنهـا مـن القصائد الطناطة بين الفقهاء (الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٦٦).

[٤] طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٤٨ ، ويذكر أن القصيدة طويلة تزيد على ٥٠ بيتـاً . وانظـر : الجنـدى : المصدر والجزء ، ص٢٨٢، ومعنى طما أى ارتفع (الرازي : مختار الصحاح ، ج١ ، ص١٦٧.

كمال العلم أشعار مستحسنة" ومن ذلك قصيدة قالها فى عتاب السلطان أسعد بن وائل سلطان أحاظه بعد أن بلغ الإمام أن ذلك السلطان عاتب عليه لعدم قبوله منصب القضاء ، عندها قرر الإمام الإرتحال إلى دمت وكتب فى عتاب السلطان قصيدة منها هذه الأبيات :

ألا إن لى مولى وقد خلت أننى أفارق طيب العيش حين أفارقه
جفانى فأقصانى بعيداً جفائه وصرت بلحظ من بعيد أسارقه[١]

ومنهم الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهى (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) قال عنه الجندى"وكان له مع كمال العلم شعر رائق[٢]ومن ذلك قصيدة زهدية جاء فى بعض أبياتها

ألا لص عقلى فى التشاغل سارق وقد جاءنى بالنعى فى النوم طارق
أتى منذراً لى بارق الموت منذرا وكل سحاب ممطر فيه بارق

ومن قصيدة زهدية أخرى هذه الأبيات :

أترجو وقد جاوزت ستين حجة لذاذة عيش إن ذاك من الجهل
يريك الهوى أن القوى فيك كالقوى بمقتبل غض الشبيبة أو كهل[٣]

ومن شعره قصيدة قالها بعد أن ضرب زلزالاً عدداً من المناطق ومنها مدينة إب عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م[٤]، جاء فيها :

خليلي من ذا عيشه قبلنا طابا فلا تجزعا إن ناب إب الذي نابا
فآدم فى الفردوس ما طاب عيشه ولا طاب فى الدنيا وإن كان قد تابا[٥]

ومن شعره قصيدة مدح بها كتاب "البيان" فى الفقه للإمام يحيى العمرانى جاء فيها:

---

[١] السلوك : ج١ ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧.

[٢] المصدر والجزء ، ص٣٢٣.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩١.

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٦٢، ٣٦٣.

[٥] الجندي : المصدر والجزء ، ص٣٢٣ ؛ وانظر : بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٧١٨.

سقى الله يحيى سلسبيلاً وخصه بقصر من اليـاقوت أعلـى جنـان
لتصنيفه هذا الكتـاب الذى حـوى تصانيف أهل الفقـه قـاص ودان[١]

ومن الفقهاء الشعراء محمد بن عمر بن محمد العمراني (ت٥٧٢هـ /١١٧٦م) كـان فقيهاً ورعاً وشاعراً مفلقاً ، له قصيدة يمدح فيها عبـد النبـى بـن مهـدي منهـا هـذه الأبيات:

وضحت شموس الحق بعـد أفولـه ورسـت هنالـك قاعـدات أصـوله
وتألقت منه الريـاض وفتحّـت أكمامها بالنـور بعـد ذبولـه[٢]

ولهذا الفقيه أبياتاً قالها عندما عز عليه وجود شجر العفص بمدينتى إب وجبلة عنـدما كان يهم باستنساخ كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالى ، فاستعاض عن شجر العفص بشجر الكلبلاب لاستخراج الحبر ، وفى ذلك يقول :

قـولا لإب ولـذى جبلـة إن منعـا الحبـر وشـحّا بـه
فـإن فـى وادى شواحطنـا بحراً غزيـراً من كلبلابـه[٣]

ومنهم الفقيه أبو بكر بن محمد العبسى الوعلى (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً ، وكان لا يرى صحة طلاق التنافى ولا يفتى بصحته كما كان ينكر التحايـل على ما يأخذه المقترض ويرى فيه استحلالاً لمحض الربا ولـه فـى هـاتين المـسألتين قصيدتان تنسبان إليه ، فمن قصيدته فى إنكار طلاق التنافي قوله :

طلاق التنافي قد نفى الحق ظـاهراً وإنـى لـه والله يـشهد لـى أنفـا
إذا طلق الـزوج المكلـف زوجـه وليس بمجبور ثلاثـاً فقـد أوفـى[٤]

ومن قصيدته فى إنكار حيلة الربا قوله :

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٢٣.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٩٣.

[٣] ابن سمرة : المصدر والصفحة .

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٦ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٥٣.

أضحى الربا قد فشا من أجل حيلتهم　　فى كل أرض سوى أرضى بها فقدوا
والله حـــرم معنـــــاه وباطنـــــــه　　وما لهم فيه برهان ولا سنـــــــد[١]

٢ــ النثـــــر :

أولت الدولة الصليحية عنايتها ــ كما أسلفنا ــ بالحياة الأدبية على اعتبار أنها مظهـــر من مظاهر الحضارة والرقي ، والنثر واحد من فروع الأدب الذى نال نصيباً مـــن ذلـــك الاهتمام . وتنوعت الكتابة النثرية فى هذا العصر سواء ما كان متعلقـــاً منهـــا بالرســـائل الديوانية أو المراسلات الشخصية أو بالخطب والمواعظ الدينية ، وسنشير فيما يلى لتلـــك الأنواع :

فالنسبة للرسائل الديوانية ، تطلب التواصل بين الدولـــة الـــصليحية والخلافـــة الفاطميـــة الاهتمام بديوان الإنشاء والذى من مهامه تحرير المراسلات باســـم الدولـــة الـــصليحية ، ونظراً للمستوى الرفيع الذى كانت عليه سجلات الخلفاء الفاطميين ، فكان الأمـــر يتطلـــب اختيار كاتب موهوب حتى يمكنه مجاراة تلك الأساليب البلاغية ، فوقـــع اختيـــار الدولـــة الصليحية على الشاعر والأديب الحسين بن القم ، وكان ذلك الاختيار دقيقاً إلى حد بعيـــد ، نظراً للموهبة الأدبية التى كان يتمتع بها ذلك الأديب ، حيث اختاره الملك على بن محمـــد الصليحي رئيساً لديوان إنشائه ، ومحرراً لمكاتباته مع إمامه الفاطمى المستنصر بـــالله[٢] ، ثم شغل ابن القم المنصب نفسه بعد ذلك فى عهد المكرم أحمد[٣] ، ثم فـــى عهـــد الـــسيدة الحرة ، التى كان يكتب عنها إلى خلفاء الفاطميين فى مصر وغيرها من الأقطار[٤].

ومن الأمثلة على تلك الرسائل الديوانية رسالة كتبها ابن القم على لسان الملك على بن محمد الصليحي إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله جاء فيها :

---

[١] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٠٧ ، ٢٠٨ أورد منها ١٥ بيتاً . وقال أنها أطول من ذلـــك ؛ الجنـــدى: المصدر والجزء ، ص٣٥٤

[٢] الهمدانى : الصليحيون ، ص٨٦ ؛ الشامي : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص٩٤.

[٣] الشامي : المرجع والجزء ، ص٩٥ ، ٩٦.

[٤] عمارة : المفيد ، ص١٩٤ . وقد جمعت تلك المراسلات التى كان يكتبها ابن القمم على لسان الـــصليحيين إلى الخلفاء الفاطميين باسم (رسائل القمي) ونشر قسماً منها حسين الهمداني فى كتابـــه ''الـــصليحيون ، ص٣٠٨ ــ٣١٨.

" صلوات الله وبركاته وسلامه وتحيته على باب هديه الذى شرعه لذوى البصائر وعلم دينه المهتدى به كل حائر ويده الواكفة على كل باد وحاضر وبيته الذى أذن لوفده فأتوه رجالاً وعلى كل ضامر ، مولانا وسيدنا معد ابى تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الأئمة الطاهرين شموس الحاضر وبدور الدياجر وأبنائه الصفوة الأكرمين المفاخر وبنّاء المآثر والحمد لله ذى السلطان القاهر والبرهان الباهر العالم بلحظات النواظر وخطوات الخواطر واهب نعمائه لكل شاكر وصارف نقمته عن كل صابر وصلى الله على نبيه المنتخب من خير العشائر المبعوث إلى منجد وغائر وعلى أخيه ووصيه على بن أبى طالب أساس الباطن وإمام الظاهر المرغم بيوم غديره أنف كل غادر وعلى عروسه الطاهرة أم النجباء الأطاهر وعلى أبنيها الحسن والحسين إمامي كل بار وفاجر وعلى الأئمة من ذريتهم الذين سخر لهم بحر علمه الزاخر وقصدهم بقوله (وترى الفلك فيه مواخر) وسلم لهم أجمعين ما هجع سامر وسجع طائر" [١].

وكانت مناسبة تلك الرسالة استياء العلاقة بين الملك على الصليحي ووالى مكة شكر الحسينى وطلب الصليحى من المستنصر أن يأذن له فى محاربة الشريف[٢].

ومن إنشائه على لسان الملك المكرم أحمد بن على ، رسالة موجهة إلى الخليفة المستنصر بالله جاء فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم سلام الله وصلواته وبركاته الطيبات وتحياته على ينبوع العلم والحكمة ، وولى الإحسان والنعمة ، وارث الأنبياء والأئمة ، المفترض طاعتهم على الأمة، باب العصمة المقصود ، ومنهل الرحمة المورود ، ومطلب الفوز الموجود ، ومعدن الفضل والجود ، وحبل النجاة الممدود ... والحمد لله القديم القديم ، الرحمن الرحيم ، المبدئ البديع ، القوى الرفيع ، الفرد الأحد ، العزيز الصمد ، الذى جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون ... واحتج باستحالة ما أدعاه المشركون ، بقوله الذى عجز عن الإتيان بمثله القائلون (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ... المملوك يناجى حضرة إمامه ، ويناهى سدة الخلافة ، جعل الله عزها باقياً على الأيام ، ومجدها غير منقطع الدوام ، عالماً أنه يلبس

---

[١] حسن سلمان محمود: الصليحيون فى اليمن،ص٢٤٣ نقلاً عن حسين القمي:مجموع المكاتبات،ص٢٣ــ٢٦

[٢] حسن سليمان محمود : المرجع نفسه ، ص٢٤١ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٩٠.

بذلك شرف الدارين ، ويستولى به على الحسنيين ، شائماً من مولاه برقاً مضياً ، ومستظلاً من سحاب الإكرام ودقا روياً ومتبوئاً من رتب الاختصاص مكاناً علياً..."[١].

ومناسبة تلك الرسالة إبلاغ المستنصر الفاطمى بما آلت إليه أوضاع اليمن بدءاً بخروج على بن محمد الصليحي من صنعاء ثم غدر النجاحيين به ، وما حدث على أثر ذلك من اضطراب الأوضاع فى اليمن حتى تمكن المكرم من إعادة الأمور إلى ما كانت عليه [٢].

وبمقارنة تلك الرسائل الديوانية مع مثيلاتها من السجلات التى بعث بها الخلفاء الفاطميون يتضح فيها إشتراكهم بأمور عدة منها : التزامهم السجع والاقتباس من القرآن الكريم ، كما اشتركوا أيضا فى كتابة المقدمات المسجعة والتى كانوا يبدءون فيها بالحمد لله ثم بالصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم على الوصى والأئمة من أهل البيت ، ويتعمدون دائماً أن يذكروا أن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ جد الأئمة ، وهى ظاهرة واضحة فى جميع رسائلهم ، ومثلما كانوا يبدءون كتاباتهم بتلك الديباجة كانوا يختمون بها أيضا[٣] ، وهم فى ذلك يحاولون إثبات ما يرون أنه حق لهم فى خلافة المسلمين وأنه لا يحق لغيرهم أن يشاركهم فى ذلك الأمر .

ومما سبق نلحظ بوضوح مدى تأثر الأدب الصليحى فى هذا المجال بمثيله فى الدولة الفاطمية التى ازدهرت فى عصرها الآداب إلى حد بعيد ، نالت منه الدولة الصليحية نصيباً وافراً[٤].

أما بالنسبة للمراسلات الشخصية فمنها رسالة كتبها الأديب ابن القم إلى السلطان سبأ بن أحمد الصليحي يستعطفه فيها[٥] ، ويبدون أن السبب فى لك راجع إلى اشتراك الحسين

---

[١] الهمداني : الصليحيون ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ نقلاً عن الحسين القمي : رسائل القمي ، ص٣٦ ــ ٧٢، والرسالة طويلة أوردها حسين الهمداني من ص٣٠٨ــ ٣١٨.

[٢] حسين سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن ، ص٢٤٢.

[٣] حسين سليمان محمود : المرجع نفسه ، ص٢٤٢ ، ٢٤٣.

[٤] حسن سليمان محمود : المرجع نفسه ، ص٢٤٣.

[٥] شوقى ضيف : تاريخ الأدب ، ج٥، ص٢١٥ ، ٢١٦.

بن القم فى التآمر على الصلحيين لإزالة حكمهم من تهامة وإعادة السلطة إلى النجاحيين بقيادة جياش ، ولما فترت العلاقة بين الحسين القمي وجياش أراد أن يعيد علاقته بالسلطان سبأ [١] فكتب إليه رسالة استعطاف جاء فيها :

"كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاى ربيع المُجديين ، وقريع المتأدبين ، جلوة الملتبس ، وجذوة المقتبس ، شهاب المجد الثاقب ، ونقيب ذوى الرشد والمناقب ، أطال الله بقاءه ، وأدام علوه وارتقاءه ... وأما حال عبده ، بعد فراقه فى الجلد ، فحال أم لتسعة من الولد ، ذكور ، كأنهم عقبان وصقور ، كنّوا فى وكور ، اخترم منهم ثمانية وهى على التاسع حانية نادى النذير ، الغربان فى البادية للعادية ، يا للعادية ، فلما سمعت الداعي ، ورأت الخيل وهى سراع ، جعلت تنادي ولدها : الأناة ! الأناة ! وهو ينادى العداة ! العداة ... وما هذه الأم الثكلى بأشد من عبدك تأسفاً ، ولا أعظم كمداً وتلهفاً ، وأنه ليعنف نفسه دائماً ، ويقول لها لائماً ، لو فطنت لقطنت ولو عقلت لما انتقلت ، ولو قنعت لرجعت ... أيها السيد ! أمن العدل والإنصاف ، ومحاسن الشيم والأوصاف ، إكرام لمهان، وإذلال جواد الرهان ، يشبع فى ساجورة كلب الزبل ويسغب فى خيشه أبو الشبل ... أقول لنفسى الدنية هُبيّ طال نومك ، واستيقظى لاعزَّ قومك ، أرضيت بالعطاء المنزور ، وقنعت بالموعد الزور ، يقظة فإن الجد قد هجع ، ونجعة فمن أجدب انتجع..."[٢].

أما عن الخطب والمواعظ فهناك العديد من الخطباء الذين برزوا فى الإقليم ممن كانت لهم خطباً دينية أو سياسية ، وسنشير هنا إلى مثالين من تلك الخطب الأولى كتبها المكرم أحمد إلى أنصاره الذين وفدوا يشكون إليه ضيق حالهم وأنهم مستعدون لتحمل ذلك حتى يتمكن من القضاء على أعدائه ، فكتب إليهم المكرم خطبة أمر بقراءتها عليهم جاء فيها :

"... أيها المؤمنون الدنيا رحا تدور بالآجال وتطحن بكلكلها جسد الآمال وتهدم أعمار بنيانها هدماً ، وتنعشهم قبل الفطام دماً غبيطاً بل سما ، إذا أرادت فرحة أعقبت ترحة وإن تبسمت ادالته عبوساً وإن انعمت ضمنت جسم انعامها بؤساً ، فما الإخلاد إليها وقد نشرت

---

[١] الشامى : تاريخ اليمن الفكرى ، ج٢ ، ص٩٦ ، ٩٨.

[٢] ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج٣ ، ١٨٦ــ ١٨٩؛ شوقى ضيف : المرجع والجزء ، ص٢١٦ــ٢١٩.

لكم صحايفها وبالاغترار بأنفها وقد أرتكم سالفها ، أحين حلت بـآل محمـد ــ صـلى الله عليهم ــ قاصمة الظهور ومبلبلة الصدور ومزيرة القبور وجعلتهم لآل مـروان فرصـاً ، وجرعتهم من كيدها غصصها وكانوا فى مهاد الأمن لا يمهدون وفى أرض الطمأنينـة لا يسرحون ..."[١].

أما الخطبة الثانية فجاءت فى مقدمة الوصية التى كتبتها السيدة الحـرة قبـل وفاتهـا والتى جاء فيها ما يلى :

" ... لا إله إلا الله تعالى مبدع المبدعات وخالق المخلوقات ، جلا وعلا أن تناله صـفة أو تدركه معرفة ، وأن الخلائق فى قبضته ، والأشياء صادرة عن أمره وإرادته ، لا معقـب لحكمه ولا راد لأمره ... وتشهد أنه له ملائكة انتخبهم من بريته ، وانتخبهم للسفارة بينـه وبين المصطفين من أمته ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ... وتشهد أن الجنة حـق ، خلقها الله للمطيعين من بريته ، الخائفين من سطوته ، المؤمنين به المـصدقين لوعـده ، الموفين بعهده ، المتبعين لرسله ، العاملين بمتضمن آياته وكتبه ، وتشهد أن النار حـق ، أعدها الله لمن جحد أنبياءه وخالف أولياءه ، وأنكر آياته وتعدى حدوده ، وألحد فى سـبيله وتمادى فى غيه ، وأسرف فى أمره وأصر على كفره وأدى معه سبحانه إلهاً آخر ، لا إله إلا هو ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ..."[٢].

ثالثا : التاريخ وعلم الكلام :

أ ـ التاريـخ :

اهتم أهل اليمن بالكتابة التاريخية اهتماماً واضحاً ، ويرجع ذلك الأمر إلى فتـرة مـا قبل الإسلام ، حيث كانوا يؤرخون لحدث معين بكتابة الشهر والسنة التى وقع فيهـا ذلـك الحدث، وهو أمر استوحى منه المسلمون فكرة التـأريخ الهجـري[٣] ، إذ تـشير بعـض الروايات التاريخية إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد وصله كتاب من أهـل اليمن مدون عليه تاريخ كتابته فاستحسن ذلك الأمر وشرع فى وضع بدايـة يـؤرخ بهـا

---

[١] مجهول : السيرة الصليحية ، ق٢٣.

[٢] إدريس : عيون الأخبار ، ج٧ ، ص٣٣٥ ، ٣٣٦ ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص٣٢٣.

[٣] الحبشى : مصادر الفكر ، ص٣٩٩.

المسلمون أحداثهم ، فكان التأريخ الهجرى[١].

وفى العصر الإسلامي زاد اهتمام أهل اليمن بالكتابة التاريخية وتمثل ذلك فى بروز عدد من المؤرخين أمثال عبيد بن شرية[٢] فى القرن الأول الهجرى (ت٦٧هـ/٦٨٦م) ، ووهب بن منبه[٣] فى القرن الثانى الهجرى (ت١٢٦هـ/٧٤٣م) ، وأبو محمد الكشوري[٤] فى القرن الثالث الهجرى (عاش أواخر القرن الثالث الهجرى / العاشر الميلادى) [٥].

ومنذ القرن الرابع الهجرى ، تطورت الكتابة التاريخية فى اليمن ، فظهرت الكتابة التاريخية المتخصصة من خلال مؤلفات عدد من المؤرخين ، أبرزهم الحسن بن أحمد الهمداني (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) الذى تخصص فى كتابة الأنساب وتدوين أخبار حمير ، ثم تلاه جماعة من المؤرخين كل أدلى بدلوه فى مجال معين من مجالات الكتابة التاريخية[٦] كالسير والتواريخ العامة والطبقات وغيرها .

وفى إقليم ذى جبلة ، برز عدد من الفقهاء المؤرخين ممن كانت لهم مصنفات تاريخية فى مجال السير أو فى التاريخ العام أو فى الطبقات ، وفيما يلى أسماء ومؤلفات هؤلاء المؤرخين :

الفقيه طاهر بن يحي العمرانى (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) ، برز هذا الفقيه فى مجالات عدة

---

[١] عطية محمد أمين : اليمن فى عهد السيدة ، ص٤٥٧.

[٢] عبيد بن شرية الجرهمى : من أهل اليمن ، كان من المعمرين ، أدرك النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عام ٦٧هـ/٦٨٦م تقريباً ، له كتاب ''أخبار عبيد بن شرية'' ، توجد نسخة منه بمكتبة المتحف البريطاني (الحبشى : مصادر الفكر ، ص٤٠٢).

[٣] وهب بن منبه الصنعانى الذمارى (ت١٢٦هـ/٧٤٣م) كان من كبار التابعين ، له كتاب التيجان "ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورياهم وأشعارهم '' (الحبشى : المرجع والصفحة).

[٤] أبو محمد الكشورى : أبو محمد عبيد بن محمد الكشورى الأزدى ، عاش أواخر القرن الثالث الهجرى / القرن العاشر الميلادى ، وهو شيخ الحافظ الطبرانى ، له كتاب ''تاريخ الكشورى'' (الحبشى : المرجع نفسه، ص٤٠٢، ٤٠٣).

[٥] الحبشى : المرجع نفسه ، ص٤٠٣.

[٦] الحبشى : المرجع نفسه ، ص٣٩٩.

منها مجال التاريخ حيث صنف فيه عدد من المصنفات منها "تاريخ طاهر بن يحي العمراني" تناول فيه الأحداث التاريخية بأسلوب حولى منذ بداية الإسلام حتى عصره[١] ، ولعل هذا الكتاب أول مصنف تاريخي فى اليمن يعتمد الكتابة التاريخية بأسلوب الحوليات[٢]. وله كتاب آخر فى مجال السير بعنوان "مناقب الإمامين أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما" [٣] ، وهو كتاب يدلل على حب الفقهاء لأئمتهم واتباع سيرهم وإبراز مناقبهم حتى يقتدى بهم عامة المسلمين[٤].

ومن مؤرخي الإقليم ، الفقيه أحمد بن على بن أبى بكر العرشانى (ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) ، هو ابن الحافظ العرشاني ، وصفه الجندى بأنه كان "فقيها حاذقاً مصقعاً وخطيباً فاضلاً مؤرخاً" [٥] ، وقال عنه الحموى : "كان مشاركاً فى النحو واللغة والطب والتواريخ[٦] ، تولى منصب رئاسة القضاء فى ذى جبلة ثم انعزل عنه وأنشغل بمطالعة العلوم والتصنيف فيها[٧].

صنف هذا الفقيه العديد من الكتب التاريخية ، منها كتاب "ذيل تاريخ الطبرى" ، كتاب "ذيل تاريخ القضاعى" بدأه من أيام الحاكم بأمر الله (٤١١هـ/١٠٢٠م) حتى زمن المستنصر (٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م) ، وكتاب "تاريخ اليمن وصفتها ومن ملكها" ، ويقع فى جزئين ، وكتاب "تاريخ من قدم اليمن من العلماء والوزراء والشعراء وغيرهم" [٨] ويذكر

---

[١] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ، ص١١٢ . ويذكر أن نسخة من ذلك الكتاب موجودة لدى القاضى محمد بن على الأكوع .

[٢] الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص١٥٦.

[٣] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٨ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٣٨ ويسميه ''كتاب مناقب الشافعي'' ؛ الأفضل الرسولى : العطايا السنية ، ق٢٢.

[٤] الدجيلي : المرجع والصفحة ..

[٥] المصدر والجزء ، ص٣٦٥.

[٦] معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٦٠.

[٧] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص٢٣٦.

[٨] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٦٦ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج١،= =ص٨٨ . يذكر كتاب ''من دخل اليمن من الصحابة'' ، ولعله الكتاب الذى ذكره ابن سمرة بعنوان ''من

الحموى كتاباً آخر بعنوان "طبقات النحويين" ، وذكر أنه لم يتمه[١].

ومن مؤرخى الإسماعيلية فى هذه الفترة ، مؤرخ مجهول الإسم يبدو أنه كان مقرباً من الملك المكرم (ت٤٧٧هـ/١٠٨٤م) فأرخ سيرته المشهورة بالسيرة الصليحية والتى تحمل عنوان "سيرة السلطان المعظم الأمير الأجل المكرم شرف الأمراء عز الملك منتخب الدولة وغرسها ذى السيفين الداعى الأريحي أحمد بن على بن محمد الصليحي أعلى الله قدسه" [٢].

يبدأ المؤلف هذه السيرة بالحديث عن الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن من خلال حديثه عن الدعاة الإسماعيليين بدءاً من ابن حوشب (منصور اليمن) حتى الداعى سليمان الزواحى الذى انتقلت من خلاله رئاسة الدعوة إلى الداعى على بن محمد الصليحي ودور هذا الأخير فى مجال الدعوة بعد انتقالها إليه[٣].

تحدثت السيرة بعد ذلك عن أبناء الداعي على بن محمد الصليحى بذكر ألقابهم ونبذا من حياتهم ، وأسهبت فى الحديث عن الأمير الأعز محمد بن على الصليحى وانتقال ولاية العهد بعد وفاته إلى أخيه المكرم أحمد بن على[٤] ، كما تحدث أيضا عن خروج الداعى علي بن محمد الصليحى إلى الحج ثم مقتله على يد النجاحيين عام ٤٥٩ هـ/١٠٦٧م[٥].

تناولت السيرة بعد ذلك الدور السياسي والحربى للمكرم بعد مقتل والده وجهوده فى القضاء على التمردات التى شهدتها دولته ودوره فى إنقاذ أمه أسماء من الأسر وعلاقته بالقوى الزيدية ونجاحه فى الأخذ بثأره من النجاحيين وإعادة جثمان والده وعمه إلى

قدم اليمن من العلماء" ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٤٠٨ ؛ الدجيلي : الحياة الفكرية، ص١٥٩.

[١] ياقوت الحموى :معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٠٠ ؛ الدجيلي : المرجع والصفحة .

[٢] مجهول : السيرة الصليحية ، ق١

[٣] مجهول : المصدر نفسه ، ق١ ، ٢ . ويذكر أنه اعتمد فى ذلك على سيرة "الأجل الأوحد" ، ويقصد به الداعى على الصليحى ، إذ يبدون أنه سبقه مؤلف آخر لكتابة سيرة صليحية أخرى هى سيرة الداعى على الصليحي نفسه (المصدر نفسه ، ق١،٢) .

[٤] مجهول : المصدر نفسه ، ق٢ ــ ق١٠.

[٥] مجهول : المصدر نفسه ، ق١٠ــ ١٥.

صنعاء عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م[١].

وكان آخر ما تناولته السيرة ذكر السجل الذى أرسله الخليفة المستنصر الفاطمى إلى المكرم يعزيه فيه بفقد والده وأخيه ، ويمنحه فيه بعض الألقاب تشجيعاً له ، ويدعوه فيه إلى اتباع سياسة اللين مع رعيته ، ويبارك له انتصاراته المتتالية إلى غير ذلك من المواضيع التى تناولها ذلك السجل[٢].

ب ـ علم الكلام :

"هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة فى الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة" [٣].

وهذا العلم يهدف إلى "إقامة البرهان على وجود الله تعالى وصفاته وأفعاله وصدق الرسل ...واقناع الضُلال الذي يُتفرس فيهم مخايل الذكاء والفطنة ، ويتوقع منهم قبول الحق بما اعتراهم فى عقائدهم من الريبة" [٤].

كانت الأحداث السياسية التى مرت بها بلاد المسلمين فى القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد ــ مثل حروب الجمل وصفين ــ ثم موقف العلماء المسلمين من تلك الأحداث وتحديدهم المخطئ فيها ، وما إذا كان خطأه كبيرة أم صغيرة ، وهل إذا كانت كبيرة توجب التكفير أم التفسيق ؟ كانت جميع تلك الأمور هى البداية التى نشأ عنها علم الكلام ، والذى أخذ يتطور بمرور الوقت ويتأصل كعلم على أيدى علماء المعتزلة ، كواصل بن عطاء والنظام والجاحظ وغيرهم ، وبمرور الوقت ، ظهرت مذاهب كلامية واضحة المعالم ، رفض بعضها المنهج المعتزلى وهم أصحاب الأثر والحديث ، في حين كان البعض الآخر حذراً فى الاقتراب منهم وهم الأشعرية تلاميذ المعتزلة [٥].

---

[١] مجهول : السيرة الصليحية ، ق١٥ــ٦٠.

[٢] مجهول : المصدر نفسه ، ق٦٠ ــ٦٣ . وانظر : السجلات المستنصرية : سجل رقم (٤٠) ، ص١٣٧ ــ١٤٠.

[٣] ابن خلدون : المقدمة ، ج١ ، ص٤٥٨.

[٤] السمين : المذهبان ، ص٢٩١ . نقلاً عن الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص٧ ، ١١ ، ١٢.

[٥] أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات ، ص١٨،١٧.

وبظهور المذاهب الكلامية ظهر الخلاف واشتد أواره وسعى أتباع تلك المذاهب إلى الدفاع عن ما يعتقدوه من آراء ، فخرج المتكلمون بذلك عن الهدف الذى أنشئ من أجله هذا العلم ، وهو أمر لم يقبل به كثير من علماء المسلمين الذين شككوا فى جدوى هذا العلم وطعنوا فيه[١].

غير أن ذلك لم يمنع من قيام عدد من علماء السنة بدراسة علم الكلام وتدريسه لطلابهم لا سيما بعد أن رأوا ضرورة ذلك الأمر للوقوف أمام الخصوم من أتباع المذاهب الكلامية ، خاصة فى الأقاليم التى تتعدد فيها المذاهب وتكثر فيها الفرق[٢] ، ومنها إقليم جبلة ، وعموم بلاد اليمن التى ظهرت فيها العديد من المذاهب الدينية .

وفى إقليم ذى جبلة كان هناك مذهبان هما : المذهب الشافعي ، والمذهب الإسماعيلي، وكان لكل من هذين المذهبين وجهة كلامية يعتمد عليها فى إثبات صحة معتقده ؛ فبالنسبة للمذهب الشافعى ، كان اتباعه يتخذون من المذهب الحنبلى مذهباً لهم فى الجانب المتعلق بأصول الدين ، وهو معتقد غالب فقهاء الجبال فى ذلك الوقت[٣] ، ولعل ذلك راجع إلى تأثرهم بما وقفوا عليه من كتب تناولت المعتقد الحنبلى ، مثل كتاب "الشريعة" للآجرى ، وكتاب "التبصرة لأبى الفتوح ، وكتاب "الحروف السبعة" للمراغي[٤] ، وبالإضافة إلى ذلك وجد علماء الشافعية أن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل تتسم بالبساطة والقبول دون التعمق والغوص المتكلف فى بواطن النصوص[٥]. وهو أمر قريب إلى نفسية الفقهاء الذين لم يكن لكثير منهم باع فى المسائل الكلامية المعقدة ، نظراً لإنشغالهم الزائد فى المباحث الفقهية التى حرصوا على دراستها أكثر من أى شئ آخر[٦].

أما بالنسبة للمذهب الإسماعيلي (الباطنى) ، فكانت تقوم آراؤه وعقائده على الجدل ومزج الفلسفة بالدين ، وقد استخدم علماء هذا المذهب لإثبات معتقدهم ما وجدوه من نظم

---

[١] السمين : المذهبان ، ص٢٩١. نقلاً عن : عبد الفتاح الفاوى : المقالات العشرة المقدمة أ .

[٢] السمين : المرجع والصفحة .

[٣] بامخرمة : ثغر عدن ، ص٨٢.

[٤] الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص٢٧ ؛ أحمد عبد الله عارف : مقدمة فى الاتجاهات، ص١٨.

[٥] أحمد عبد الله عارف : المرجع نفسه ، ص٢١.

[٦] أحمد عبد الله عارف : المرجع نفسه ، ص١٩.

فكرية فى الأفلاطونية الحديثة وفى كلام المانوية وفى نظريات الهند ، وصاغوا من ذلك كله نظاماً فلسفياً خاصا بهم يتفق مع آرائهم فى قضايا التوحيد والخلق والكون والنبوة والإمامة والبعث[١] وغيرها من المسائل التى لهم فيها اتجاها بعيدة عن الفرق الإسلامية.

لم تكن الفرق المذهبية التى وجدت فى إقليم جبلة منعزلة عن غيرها من الفرق فى بقية أنحاء اليمن لا سيما الزيدية ، وإذا كان هناك ما يمكن تسميته بهدنة غير معلنة بين أتباع المذهبين الشافعي والإسماعيلي فى الإقليم ــ كما سبقت الإشارة إليه ــ فإن المعارك الكلامية بين تلك الفرق وأتباع المذهب الزيدى على وجه الخصوص كانت على أشدها سواءً فى هذه الفترة ــ فترة البحث ــ أو ما أعقبها من فترات ، وهذا ما سيتضح من خلال الحديث عن مؤلفات علماء الكلام خلال فترة الدراسة ونبدأهم بالحديث عن علماء الشافعية ومؤلفاتهم وهم :

عبد الله بن يزيد بن عبد الله اللعفي (ت بعد ٥٠٠هـ/١١٠٦م) ، كان فقيها عارفاً له تصنيف فى أصول الدين يسمى "السبع الوظائف على مذهب السلف الصالح" [٢]. أخذ عنه جماعة من طلاب العلم ، أمثال : عبد الرحمن بن عثمان الخطيب وأبو بكر بن أحمد الخطيب[٣].

الإمام عبد الله بن يحي بن إبراهيم الصعبى (٥٥٣هـ/١١٥٨م) ، وكان إلى جانب إلمامه بالعلوم الفقهية ملماً كذلك بعلم أصول الدين ، ومن تصانيفه فى هذا المجال "عقيدة" حسن على مذهب الإمام أحمد بن حنبل[٤] ، وله أيضا كتاب بعنوان "إيضاح البيان ونور على مذهب السلف[٥] ، أخذ عنه جماعة من طلاب العلم[٦].

---

[١] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٩٣.

[٢] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١١٢ ؛ الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٢٥١.

[٣] الجندى : المصدر والجزء، ص٣٠٥.

[٤] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٣ ؛ الجندى : المصدر والجزء ،ص٢٨٩؛ الأفضل الرسولي: العطايا السنية ، ق٢٣.

[٥] الجندي : المصدر والجزء والصفحة . انظر : الأفضل الرسولي : المصدر والصفحة ؛كحالة: معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص٢٤٧.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٦٣.

الإمام يحيى بن أبى الخير العمراني (ت٥٥٨هـ/١١٦٣م) ، برز الإمام يحيى العمراني فى علوم عدة منها علم أصول الدين ، وتمثلت مشاركاته فى هذا المجال فى تصنيفه لكتاب "الانتصار فى الرد على القدرية الأشرار" [١] ، وذلك فى عام ٥٥٤هـ/١١٥٨م أو فى السنة التى تليها[٢]، ويرجع تأليف العمرانى لذلك الكتاب إلى ما حدث بين فقهاء زبيد وفقهاء ذى أشرق من خلاف فى المعتقد أدى إلى تكفير بعضهم لبعض ، ثم قدوم القاضى الزيدى جعفر بن أحمد بن عبد السلام المعتزلى (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م) إلى الإقليم وإظهاره فيها بعضاً من مبادئ المعتزلة كقولهم بأن العباد يخلقون أفعالهم وأن القرآن مخلوق ، إلى غير ذلك من المبادئ التى ينادون بها ، وطلب من أهل السنة مناظرته ، فأرسل إليه الإمام العمراني رسالة يرد فيها على ما دعا إليه القاضى جعفر المعتزلى ، وعندما وقف القاضى على مضمون تلك الرسالة ، صنف فى الرد عليها كتاباً أسماه "الدامغ للباطل من مذاهب الحنابل" ، وعندما وقف العمرانى على ذلك الكتاب صنف بدوره كتاباً فى الرد عليه هو كتاب "الإنتصار" الذى حظى باهتمام فقهاء السنة فى إقليم جبلة[٣].

الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهي (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) ، كان مجيداً لعدة علوم منها علم أصول الدين ، وتمثلت مشاركاته فى هذا المجال بتصنيف العديد من الكتب التى رد بها على المعتزلة والأشعرية[٤] ، وكان هذا الإمام ينكر على من يخالف مذهب السلف ويعتقد خلال مذهبهم ، وكان ذلك واضحاً فى علاقته بالفقيه طاهر بن يحي العمراني الذى تحول إلى المذهب الأشعرى بعد أن كان حنبلياً فى الأصول ، فأجمع

---

[١] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٠ ؛ الجندي : السلوك ، ص٢٩٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٣٣٨ ؛ ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣٢٨.

[٢] ابن سمرة : المصدر والصفحة .

[٣] ابن سمرة : المصدر والصفحة ، حاشية ٢ ؛ الجندي : المصدر والجزء ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ ، حقق كتاب ''الانتصار'' فى رسالة لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من قبل سعود بن عبد العزيز الخلف سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م، وطبع لأول مرة عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م فى ثلاثة أجزاء متوسطة ، تحتوى على مائة وستة وعشرين فصلاً (محمد على سلمان : يحي بن أبى الخير ، ص٦٥،٦٤).

[٤] الجندى : المصدر والجزء ، ص٣١٨ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٢ ، ص٧١٧.

الفقهاء على هجره وكان الإمام سيف السنة أكبر المعارضين للفقيه طاهر وله فى الرد عليه كتاب "كبير "[١] شرح فيه ثلاث قصائد لنفسه فى المعتقد[٢].

الفقيه طاهر بين يحي العمرانى (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) ، كان واحداً من الفقهاء البارزين فى الإقليم ، تتلمذ على يد والده الإمام يحي الذى كان يرى فى ولده نباهة ونبوغاً علمياً جعله يقول فيه "طاهر فقيه شافى الذكر لكن أخمل ذكره بلد السوء" [٣] ، نشأ هذا الفقيه على معتقد أبيه الحنبلى فى مجال الأصول إلا أن ذلك تغير بعد فترة من الزمن ، لتأثر الفقيه طاهر بالمعتقد الأشعري ، وهو أمر جر عليه الكثير من المشاكل والتى كان على رأسها استياء علاقته بوالده وببقية علماء الإقليم ، وعندما لم يطق ذلك الأمر ، قام فى إحدى المرات بالتبرؤ من معتقده الأشعرى والعودة إلى معتقد أبيه وعلماء السلف فى الإقليم[٤] ، غير أن هذا الفقيه لم يلبث أن عاد إلى المعتقد الأشعرى مرة أخرى ، ويبدو أن ذلك كان بعد وفاة والده ، ليدخل مرة أخرى فى صراع فكرى مع بقية العلماء[٥].

جمع الفقيه طاهر بين عدة علوم وغلب عليه علم الكلام وله فى هذا المجال مشاركات منها : كتاب "كسر قناة القدرية" [٦] ، فى الرد على القاضى جعفر بن عبد السلام[٧] ، وكتاب "جلاء الفكر فى الرد على نفاة القدر" [٨].

عبد الرحمن بن منصور بن أبى القبائل (ت٦٠٩هـ / ١٢١٣م)[٩] ، كان رجلاً

---

[١] الجندى : السلوك ، ج١ ، ص٣٢٢.

[٢] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٦٧ ؛ الدجيلي : الحياة الفكرية ، ص١٩٤.

[٣] الجندي : المصدر والجزء، ص٣٣٧ ؛ الأهدل : المصدر نفسه ، ص٢٩٣.

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص١٨٨ ، ١٨٩ ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧.

[٥] الجندي : المصدر والجزء ، ص٣٢٢.

[٦] ابن سمرة : المصدر نفسه ، ص١٨٨.

[٧] الحبشى : مصادر الفكر ، ص٩٩ ؛ الدجيلي : المرجع نفسه ، ص١٩٥.

[٨] ابن سمرة : المصدر والصفحة ؛ الجندى : المصدر والجزء ، ص٣٣٨ . يذكر عنوانه "حد الفكر ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٢٩٣ . يذكر عنوانه "حد الفكر" ؛ الحبشى : مصادر الفكر ، ص٩٩.

[٩] الدجيلى:المرجع والصفحة . ويذكره ياقوت الحموى باسم "أبو الفضائل بن منصور بن أبى الفضائل وأنه=

صالحاً فقيهاً ، عاش فى ذى جبلة وتمثلت مشاركته فى مجال علم الأصول بمصنف أسماه "الحجة الخارقة لأهل الملة المارقة" ، يتضمن الرد على المعتزلة[١].

أما بالنسبة لعلماء المذهب الإسماعيلي المصنفين فى علم الكلام فهم :

الملك الداعى المكرم أحمد بن على الصليحي (ت٤٧٧هـ/١٠٨٤م) ، تولى حكم اليمن خلفاً لوالده عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م ، وبالإضافة إلى الدور السياسي الذى لعبه المكرم فى شئون الحكم فقد كان داعية من دعاة المذهب الإسماعيلي ، كما كان خطيباً مفوهاً ، تحوى خطبه على قدر كبير من البلاغة والفصاحة ، ينسب إليه فى مجال علم الكلام كتابين هما "قصة الرؤيا" و "حداثة الأرواح" [٢].

لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠هـ/١١١٦م) ، شغل منصب قاضى القضاة فى الدولة الصليحية ويعد أبرز الدعاة الإسماعيليين فى اليمن فى العهد الصليحى ومؤسس المدرسة الإسماعيلية فى عهده والتى كان من كبار فلاسفتها ابنه القاضى يحي بن لمك والداعى الذؤيب بن موسى الوادعي ، وغيره ممن أخذ عنه علوم الدعوة والتى أخذها بدوره عن المؤيد فى الدين الشيرازي[٣]. وقد تمثلت مشاركة القاضى لمك بالعديد من المصنفات التى تبحث فى كافة العلوم المذهبية إلا أن تلك المصنفات وأسمائها لا تزال حبيسة خزائن الدعوة الإسماعيلية البهرية فى الهند[٤].

يحي بن لمك بن مالك الحمادي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، تتلمذ على يد والده لمك بن مالك ، وسار على نهجه فى خدمة الدعوة الإسماعيلية وأثمرت جهوده فى تخريج العديد من دعاة الدعوة الإسماعيلية الذين انتشروا فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ووصلت وفودهم إلى بلاد الهند[٥] ، وتمثلت مشاركة القاضى يحي بكتاب عنوانه "فصل فى بيان

=توفى عام ٥٩٠هـ (معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٠٦) .

[١] الدجيلى : الحياة الفكرية ، ص١٩٥.

[٢] الأعظمى : عبقرية الفاطميين ، ص١٢٤.

[٣] الهمداني : الصليحيون ، ص٢٦٨.

[٤] مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٤٤١.

[٥] مصطفى غالب : المرجع نفسه ، ص٦٠٥.

الأرض وما عليها من المعادن" [١].

الذؤيب بن موسى الوادعي (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) ، كان واحداً من فلاسفة الدعوة وكبار دعاتها ، تولى رئاسة الدعوة بعد وفاة القاضى يحي بن لمك عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م ، وفى عهده انفصلت دعوة الطيبية عن مركز الدعوة فى مصر ، وعينته السيدة الحرة فى آخر عهدها داعياً مطلقاً للإمام المستور الطيب بن الآمر ، وتمثلت مشاركته فى مجال علم الكلام بمصنفين اثنين هما : رسالة تسمى "رسالة النفس" وتتضمن بعض آراء اسكندر الأفروديسى التى تتفق مع مسائل الدعوة الإسماعيلية ، أما المصنف الثانى فهو "رسالة الدرج فى معرفة الموجودات" أوردها الداعى محمد بن طاهر الحارثي فى كتابه "مجموعة التربية" [٢].

---

[١] الهمداني : الصليحيون ، ص٢٦٩ ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص٦٠٥ ، ويذكر عنوان الكتاب "فصل فى بيان الأرض وما عليه من الماضيين" نقلاً عن إيفانوف : المرشد إلى أدب الإسماعيلية ، ص٥٠.

[٢] أنظر : الهمداني : المرجع والصفحة ؛ مصطفى غالب : المرجع نفسه ، ص٢٩٣ ؛ أيمن فؤاد سيد : المذاهب ا لدينية ، ص١٩٨ ؛ الحبشي : مصادر الفكر ، ص٩٥.

الخاتمة

عاشت بلاد اليمن قبيل قيام الدولة الصليحية فترة اتسمت بالكثير من الإضطرابات نتيجة لغياب الدولة المركزية ، الأمر الذى أتاح الفرصة لظهور العديد من الكيانات السياسية ذات الولاءات المتعددة وأنعكس ذلك الأمر على مظاهر الحياة المختلفة فعاش الناس حياة قاسية من جراء تصارع تلك القوى فيما بينها .

كان لقيام الدولة الصليحية بقيادة مؤسسها الملك على بن محمد الصليحي دور هام فى توحيد بلاد اليمن وكبح جماح القوى المتصارعة فيها ، وقد أهله لذلك الأمر ما كان يتمتع به من ميزات قيادية وعلمية ، ودراية فى التعامل مع مختلف أبناء دولته ، أكتسبها من قيادته لقوافل الحج لمدة خمسة عشر عاماً قبل أن يعلن عن قيام دولته ، وكان لوقوف المخلصين له من أهل دعوته أبلغ الأثر فيما حقق من نجاحات على حساب المناوئين له ، ولم يأت عام ٤٥٥هـ /١٠٦٣م إلا وقد دانت له جميع بلاد اليمن ، غير أن جراح بعض أعدائه لم تندمل لا سيما بنى نجاح الذين نجحوا فى تدبير مؤامرة نجحوا من خلالها فى الإطاحة بالملك على بن محمد الصليحي ، والثأر لمقتل والدهم عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م .

تحمل المكرم أحمد بن على مسئولية إعادة الأوضاع المضطربة التى عاشتها دولته بعد مقتل والده إلى ما كانت عليه ، ونجح بفضل شجاعته واستبسال قواده فى إخماد ثائرة أعدائه وإرغامهم على الخضوع ، كما نجح أيضا فى تخليص أمه من أسر النجاحيين ، والثأر لمقتل والده ، وبلغت الدولة الصليحية فى عهده أقصى درجات القوة والمنعة والاستقرار ، غير أن المرض الذى أصيب به أقعده عن تدبير شئون الدولة ، فعهد بذلك الأمر لزوجته السيدة بنت أحمد والتى قامت به خير قيام .

لعبت الملكة الصليحية سيدة بنت أحمد دوراً بارزاً فى تاريخ اليمن خلال عهد الصليحيين ، فكانت سياسية ماهرة ، حكمت اليمن فى عهد زوجها ثم وصية على أبنها ، ثم انفردت بالحكم بعد ذلك رغم ما واجهتها من صعاب ، وتمكنت من أن تسوس البلاد بحنكة واقتدار على مدى تاريخ حكها الطويل الذى أمتد لأكثر من خمسين عاماً ، يساندها فى ذلك عدد من قادتها الأكفاء .

ولم تكن الملكة الصليحية سياسية فقط ، بل كانت إلى جانب ذلك متعلمة من الطراز الأول ، ومتبحرة فى علوم مذهبها الإسماعيلي ، مما جعل الإمام الفاطمي يسند إليها الإشراف على شئون الدعوة والدعاة فى اليمن والبلاد الملحقة به مثل الهند وعمان وغيرها.

وقد أولت هذه السيدة عناية كبيرة بأهل دولتها فسعت إلى تحسين أوضاعهم المعيشية من خلال ما أدخلته من إصلاحات اقتصادية هامة كان لها مردوداً نافعاً لشعبها ، ولم يقف عطائها عند ذلك ، بل عملت على تشجيع التعليم من خلال الاهتمام بإنشاء دور العلم وتشجيع العلماء وطلاب العلم وإيقاف الأراضي اللازمة لهم ، وأكثر من ذلك ما كانت عليه من التسامح المذهبي والابتعاد عن أي مظهر من مظاهر التعصب الدينى .

غير أن الأوضاع السياسية فى دولتها لم تكن على ما يرام في آخر عهدها ، شأنها فى ذلك شأن بقية الدول عندما تمر بآخر أطوارها ، فانسلخت عنها العديد من الأقاليم الهامة مثل تهامة بيد النجاحيين واليمن الأعلى بيد الأشراف الزيدية والحاتميين ، ثم الزريعيين فى مناطق اليمن الأسفل ، ولم يكن للدولة الصليحية فى آخر عهدها سوى مجموعة من المدن والحصون .

أما عن علاقتها بالخلافة الفاطمية فقد كانت علاقة وطيدة حتى وفاة الخليفة الآمر ، فكانت السيدة تحظى باحترام الخلفاء وتقديرهم ، ويظهر ذلك جلياً فى الألقاب العديدة التى منحت لها من قبلهم خلال فترات حمكها ، إلا أن ظهور الخليفة الحافظ على مسرح الأحداث واعتلائه عرش الخلافة وضع حداً لتلك العلاقة ، فقد كان من وجهة نظرها مغتصباً لعرش ليس من حقه ، فكان خروجها عن الخلافة الفاطمية واتباعها للدعوة الطيبية بإمامها المستور الطيب ابن الآمر الفاطمي ، لتفقد بذلك سنداً كانت فى أمس الحاجة إليه .

تعددت المراكز العلمية فى الإقليم سواءً كانت مدنا أم قرى علمية ، وكان أغلب تلك المراكز ذات اتجاه سنى ، إذا لم يكن لأتباع المذهب الإسماعيلي ــ حسب إطلاع الباحث ــ سوى مدينة ذى جبلة ، حيث قصدها كثير من دعاة المذهب وأتباعه ومارسوا فيها حريتهم الدينية تحت حماية الدولة الصليحية ، وبالنسبة للمراكز السنية فكانت منتشرة فى معظم أرجاء الإقليم ، وتفاوتت من حيث شهرتها بتفاوت شهرة علمائها ، وربما ارتبط مركز منها بعالم او أكثر من مشاهير العلماء ، حتى إذا ما قضى ذلك العالم لم يكن لذلك المركز فضلاً على غيره ، وكان من أهم تلك المراكز وأكبرها أثراً قرية "سهفنة" التي ارتبطت بالإمام الجليل القاسم بن محمد الجمحى الذى كان له دور هام فى نشر المذهب الشافعي فى كثير من بلاد اليمن ، ومن المراكز المتميزة قرية "سير" التى برز فيها العالم الجليل الإمام يحيي بن أبى الخير العمراني الذى تخرج على يديه عدد من كبار فقهاء

الإقليم ، وبالإضافة إلى هذين المركزين كان لبقية المراكز فى الإقليم أدوار هامة فى مجال الحياة العلمية ، حيث برز فيها العديد من العلماء أصحاب للتصانيف المختلفة سواءً فى مجال العلوم الفقهية أو اللغوية أو نحوها مثل قرية "ذى السفال" ، و"ذى أشرق" ، و"ظبا" ، و"أحاظة" ، و"المشيرق" وغيرها .

لعبت المؤسسات العلمية دوراً هاماً فى إزدهار الحياة العلمية فى الإقليم ، سواءً ما ارتبط منها بالتعليم الأولي فى الكتاب ، أو ما كان مرتبطاً بالتعليم العالى في المساجد والقصور ومنازل العلماء ، وكان الكتّاب أولى المؤسسات التى يتلقى فيها الطلاب تعليمهم الأولى ، وكان موضع الكتاب فى زوايا المساجد الصغيرة ، وربما فصل عنها فى بناء مستقل تنزيها له من عبث الصبيان .

وبالنسبة لمؤسسات المرحلة العليا فتمثلت بصورة أساسية فى المساجد وبيوت العلماء وقصور الأمراء ، وإذا ما خرجنا عن إطار مدينة ذى جبلة فسنجد غياباً واضحاً لدور الدولة ــ الصليحية ــ فى العملية التعليمية سواءً فى بناء المؤسسات أو فى تمويلها ، واقتصر الأمر على جهود أبناء الإقليم فى بناء المساجد الصغيرة ، والتى أتخذ منها بعض العلماء أماكن لإلقاء دروسهم ، كما كان للخيرين إسهامات طيبة فى مجال وقف الكتب على تلك المساجد ، فظهر عدد من المكتبات المسجدية مثل مكتبة جامع ذى أشرق ، وبالإضافة إلى تلك المكتبات كان هناك مكتبات خاصة لعدد من علماء الإقليم ، استفاد منها طلاب العلم استفادة كبيرة فى دراستهم وأبحاثهم .

كان لمنازل العلماء دوراً مكملاً للدور الذى كان يلعبه المسجد ، وكان هذا النوع من المؤسسات مرتبطاً فيما يبدو بخواص طلاب العلم ، أو بالمبرزين منهم ، وهو أسلوب سار عليه عدد من العلماء ، لا سيما فى سنى حياتهم الأخيرة ؛ ربما لبعد المساجد عن مكان إقامتهم أو لعدم رغبتهم فى الظهور خوفاً من الرياء .

ارتبط النوع الرابع من المؤسسات العلمية (قصور الأمراء) بأتباع المذهب الإسماعيلي لا سيما الخواص منهم ، حيث كانوا يتلقون علوم دعوتهم على أيدى كبار الدعاة فى تلك القصور ، كما كان لتلك القصور دوراً تثقيفياً تمثل فى إقامة المجالس الأدبية التى كان يحضرها كبار الأدباء والشعراء فى ذلك الوقت .

كان نظام التعليم فى الإقليم ينقسم إلى مرحلتين هما المرحلة الأولى وتعنى بصغار الطلاب ، ومكانها الكتاب ، وفيها يتوجب عل الطلاب حفظ القرآن الكريم بالإضافة إلى

دراسة بعض المواد الأخرى كالخط والشعر والنحو ، وبعض المسائل الفقهية كالصلاة والطهارة ، وربما بعض مبادئ الحساب ن وكان من اختصاص المعلمين اختيار الطرق والأدوات المناسبة فى عملية التدريس ، وكان اليوم الدراسي للطلاب يبدأ مع ساعات الصباح الأولى وينتهى بغروب الشمس فى حين كانت الجمع والأعياد عطل لأولئك الطلاب، وكان انتقال الطلاب من هذه المرحلة إلى ما بعدها مرهون بحفظ القرآن الكريم.

أما بالنسبة للمرحلة العليا فلم تكن الدراسة فيها محددة بفترة زمنية محددة وإنما كان ذلك متروكاً لرغبة الطالب وميوله ، فربما اكتفى بحصوله على إجازة فى مجال معين ورما أفنى عمره فى طلب العلم .

اعتمد الطلاب فى هذه المرحلة على العديد من المواد الدراسة فى المجالات العلمية المختلفة ، ففى مجال القرآن وعلومه كان جل اعتمادهم فى دراستهم للتفسير على مصنفات غير يمنية ، في حين توفرت لهم بعض المصنفات اليمنية فى مجال القراءات ، أما فى مجال الحديث فكان اعتمادهم بدرجة أساسية على كتب الحديث المشهورة مثل "صحيح البخارى" ، و"صحيح مسلم" ، وغيرها من كتب الحديث ، مع وجود بعض المشاركة لعلماء اليمن فى هذا المجال ، وفى مجال الفقه برزت مجموعة من كتب الفقه لعلماء غير يمنيين عول عليها طلاب العلم في دراستهم ثم ظهرت بمرور الوقت كتباً فقهية لعلماء يمنيين ذاع صيت عدد منها ، ونافست الكتب الأخرى على الصدارة ، وفى مجال اللغة والنحو وعلم الكلام ، اعتمد الطلاب كذلك على عدد من المؤلفات الهامة سواءً ما ألفها علماء اليمن أو ما وصل إليهم من حواضر العالم الإسلامي .

تمثلت الأنظمة التعليمية المتبعة فى نظامين اثنين هما : نظام الحلقة ونظام المجالس ، وكان المسجد مكاناً لعقد الحلقات العلمية ، فى حين كانت منازل العلماء وقصور الأمراء مكاناً ملائماً لنظام المجالس العلمية .

وبالنسبة لنظام المجالس فكان يتألف من أنواع عدة ؛ فمنها ما كان يعقده الفقهاء لتدارس العلوم الدينية ، ومنها مجالس الحديث التى يكون الحديث فيها مادة أساسية للبحث والدراسة ، ومنها مجالس المناظرة التى كانت تعقد بين طرفين مختلفين فى قضية معينة سواءً كانا من مذهب واحد أم من مذهبين مختلفين ، ومنها مجالس الحكمة التى ارتبطت بأتباع المذهب الإسماعيلي ، والتى كانت تعقد فى قصور الصليحيين لضمان سريتها .

تمثلت الطرق المتبعة فى التدريس فى طرق عدة منها طريقة السماع التى ارتبطت

بدرجة أساسية بعلم الحديث ، وطريقة الإملاء التى كانت حلاً عملياً لمشكلة نقص الكتب الدراسية فى ذلك الوقت ، وطريقة القراءة حيث يقرأ الطالب على شيخه ، ومن ثم يقره على ما يقرأ ، وطريقة الإجازة والتى كانت بمثابة الشهادة التى يمنحها الشيخ لتلميذه بالرواية على لسانة فى أمر محدوداً وغير محدود ، ولها أنواع عدة فمنها الإجازة فى كتاب ، والإجازة لمعين فى غير معين ، والمكاتبة وإجازة السماع .

أسهمت مجموعة من العوامل فى ازدهار الحركة العلمية التى شهدها إقليم جبلة خلال العهد الصليحي ؛ فكان من تلك العوامل : توفر الموارد اللازمة للإنفاق على العملية التعليمية والمتمثلة فى الصدقات والأوقاف والنذور ، ومع غياب الدور الرسمي للدولة الصليحية ــ خارج مدينة ذى جبلة ــ فقد ساهمت تلك الموارد فى تمويل العملية التعليمية، وتوفير المناخ الملائم لطلاب العلم بعيداً عن تدخل الدولة وسيطرتها .

حرص طلاب الإقليم على الارتحال فى طلب العلم إلى العديد من المراكز العلمية داخل الإقليم وخارجه ، وكان لما قاموا به من رحلات أثر هام فى توسيع مداركهم وزيادة تحصيلهم العلمي كماً ونوعاً ، وكان من أبرز المراكز العلمية التى تأثروا بها مدينة الجند ، نظراً لقربها الجغرافي وكثرة من بها من كبار العلماء ، كما أرتحلوا أيضا إلى المراكز الأخرى داخل اليمن كجزيرة كمران ومدينة زبيد وعدن وغيرها ، كما أن الرحلات العلمية لم تقتصر على الأقاليم اليمنية فحسب وإنما توفرت لعدد من الطلاب فرصة الالتحاق بعدد من المراكز الأخرى خارج اليمن ، كان أبرزها مكة المكرمة .

اهتم علماء الإقليم بتوريث علومهم إلى أبنائهم وترتب على ذلك الأمر ظهور مجموعة من الأسر العلمية أثرت بفاعلية فى مجال الحياة العلمية سواءً فى مجال التدريس أو التأليف ، أمثال : بنو اليزيدي ، وبنو الصعبي ، وبنو عمران ، وبنون الهيثم وغيرهم .

سعى حكام الدولة الصليحية إلى استرضاء فئة العلماء والأدباء وتقريبهم والمبالغة فى إكرامهم بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية ، ودافعهم إلى ذلك الأمر رغبتهم فى كسب ود رعيتهم من خلال تلك الفئة ــ العلماء والأدباء ــ التى كان لها ثقلها ومكانتها بين عامة الناس .

كان للاستقرار السياسي الذى شهده الإقليم خلال حكم الصليحيين أثراً واضحاً على الحياة العلمية ؛ إذ انعكس ذلك على حياة الناس فأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، ولا شك أن لذلك الأمر أثره على العملية التعليمية ، فبغياب الأمن يصبح من المتعذر على العلماء

وطلاب العلم المضى فى طلب العلم وتحصيله ، وهو الأمر الذى عاشوه لفترة بعد غياب الدولة الصليحية عن مسرح الأحداث .

أدى التنافس بين أتباع المذاهب المختلفة إلى سعي كل منهم للذود عن ما يعتقدون من أفكار ، وترجموا ذلك الأمر فى مناظراتهم وكتبهم ، وإن بدا فى ظاهر الأمر فرقة وانقسام إلا أن محصلته النهاية كانت إضافات فكرية هامة فيما ألفه العلماء من كتب عرفت بكتب النقض والردود .

تعددت المذاهب الدينية فى بلاد اليمن بين مذاهب سنية وشيعية وإباضية ، دخلت إلى اليمن بأساليب متعددة ، وفى أزمنة مختلفة ، تمكن بعضها من الظهور والانتشار لفترة من الزمن كالمذهبين الحنفى والمالكي ، ثم لم يلبث أن حل محلهما فى الصدارة المذهبان الزيدي والشافعي ، في حين كانت هناك مذاهب أخرى معتمدة فى جانبها العقائدي دون الفقهي ، كالمذهب الحنبلي الذى دان به كثير من شافعية اليمن قبل أن ينافسه المذهب الحنبلي بعد ذلك ويتفوق عليه .

ظهر فى إقليم ذى جبلة فرقتان مذهبيتان هما : الشافعية والإسماعيلية ، وكان أتباع المذهب الشافعي على مذهب الإمام الشافعي فى الفروع ، في حين كانوا يعتقدون بالمذهب الحنبلي فى الأصول ، واستمر ذلك حتى القرن السادس الهجري قبل أن يتحول أكثرهم إلى المذهب الأشعري فى مجال الأصول .

بذل علماء الشافعية فى إقليم جبلة جهوداً كبيرة فى خدمة المذهب الشافعي ، وكانت البداية القوية منذ عهد الإمام القاسم بن محمد الجمحى الذى كان له دور هام فى انتشار المذهب الشافعي فى مختلف أنحاء اليمن ، ثم توالت جهود العلماء الآخرين بعد ذلك بوتيرة قوية ، كل منهم يسعى من خلال حلقاته ومصنفاته إلى ترسيخ مبادئ المذهب فى عقول وقلوب طلابه ، حتى غدا الإقليم من أهم معاقل المذهب الشافعي فى بلاد اليمن .

وجد أتباع المذهب الإسماعيلي فى قيام الدولة الصليحية ذات الإتجاه الإسماعيلي فرصة سانحة لإظهار معتقداتهم الباطنية تحت حماية الدولية الصليحية ، فكانت مدينة ذى جبلة أهم معاقلهم خلال العصر الصليحي ، عملوا فيها على ترسيخ جذور دعوتهم فى أوساط أتباعهم ، وغدت مدينتهم قبلة يقصدها الكثير من أتباع مذهبهم يأخذون فيها علوم المذهب من كبار الدعاة المقيمين فيها أمثال قاضى القضاة "لمك بن مالك الحمادي" الذى كان مؤسسات للمدرسة الإسماعيلية في اليمن فى العصر الصليحي ، كان أبرز تلاميذها

ابنه القاضى "يحيى بن لمك" ، و"الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي" ، وغيرهم ممن كان لهم دور فى خدمة المذهب الإسماعيلي .

لم تقتصر خدمة المذهب الإسماعيلي على دعاة المذهب فحسب ، وإنما شاركهم فيها حكام الدولة الصليحية ، الذين كانوا يتبوؤون مراتب دينية عالية بداية بالداعي الملك على بن محمد الصليحي الذى كان يقوم بالإشراف على الشئون الدينية للدعوة الإسماعيلية ، ثم بالداعي الملك المكرم أحمد بن على الصليحي ، وانتهاءً بالسيدة الحرة التى تلقبت بلقب حجة الإمام ، وهى من أعلى المراتب الدينية فى الدعوة الإسماعيلية ، وليس أدل على تفانيها فى خدمة مذهبها من تبرعها بما تملك من أموال طائلة أمرت بوضعها بعد موتها تحت تصرف إمامها والقائمين على شئون دعوتها .

كانت العلاقة بين أتباع المذهبين الشافعي والإسماعيلي فى الإقليم تتسم بعداء شديد ، إذ أن أتباع المذهب الشافعي لم يقبلوا بالمعتقدات التي يدين بها أتباع المذهب الإسماعيلي ، لا سيما فيما يتعلق بتآويلهم الباطنية ، التى جعلوا للدين بموجبها ظاهراً لعوام الناس ، وباطناً مقصور فهمه على إمامهم ومن رضيه من خاصة مذهبهم ، فى حين كان علماء الشافعية يرون أن الدين ظاهر لا باطن فيه وأنه متاح لجميع الناس ، فلا واسطة بين الخالق والمخلوق ، وعليه كانت الهوة واسعة بين الطرفين ، وكان كلاً منهما يرى أن الآخر خارج عن الملة على ضوء معتقده .

وعلى الرغم من انتماء الحكام الصليحيين إلى المذهب الإسماعيلي ، إلا أنهم كانوا أميل إلى الاعتدال فى تعاملهم مع رعاياهم أتباع المذهب السني ، ولم يظهر ما يدل على تعصب مذهبي ، إذ كانوا يحرصون على الحفاظ على مملكتهم واستقرار الأوضاع فيها ، لا سيما وأن اتباع المذهب السني يشكلون أغلب سكانها ، لذلك كانوا يسعون إلى تحسين علاقاتهم بكبار علماء المذهب السنى واسترضائهم ، كما كانوا يحرصون على حل ما يحدث من خلاف بأفضل السبل ، كما حدث فى تعامل السيدة الحرة مع ثورة الفقهاء فى حصن التعكر .

كان لعلماء الإقليم العديد من الإسهامات العلمية فى مجالات العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ وعلم الكلام ، إلا أن جل اهتمام أولئك العلماء كان منصباً على المجالات الشرعية أكثر من غيرها ، وكان ذلك على حساب بقية أنواع العلوم ، لا سيما التطبيقية منها ، في حين حظيت بعض العلوم الأخرى كالعربية والتاريخ وعلم الكلام

بنصيب من ذلك الاهتمام .

ظهر اهتمام أهل اليمن بعلم الحديث فى فترة مبكرة ؛ فكانوا سباقين إلى التأليف فيه ، لذلك حرص أغلب أئمة الحديث على الارتحال إليه والأخذ عن كبار علمائه ، واستمر هذا الاهتمام بعلم الحديث خلال فترة الدراسة ، حيث برز فى إقليم جبلة العديد من المحدثين ، غير أن مؤلفاتهم كانت معدودة ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى اكتفائهم بتدريس أمهات كتب الحديث المتداولة بينهم فى ذلك الوقت .

حظى علم الفقه وأصوله بعناية كبيرة من علماء الإقليم وطلابه ، واستأثر بأغلب اهتمامهم ؛ فكانوا يحرصون على اقتناء أمهات الكتب الفقهية ، لا سيما كتب "الإمام الشيرازي" ، وأهمها "كتاب المهذب" الذى تفرد باهتمام العلماء وطلاب العلم حتى ظهور كتاب "البيان" فى الفقه الشافعي للإمام يحيي العمراني الذى كان مع المذهب من أهم المراجع الفقهية للعلماء وطلاب العلم خلال فترة الدراسة وما بعدها ، كما وجدت إلى جانب كتاب العمراني العديد من المؤلفات الفقهية الأخرى لعلماء الإقليم ، وإن لم ترق إلى مستوى كتاب العمراني ، إلا أنها شكلت تراثاً فقهياً استفاد منه كثير من الدارسين .

كانت أبرز المصنفات الفقهية فى مجال الفرائض كتاب "الكافي فى الفرائض" للفقيه "الفرضى إسحاق بن يوسف الصردفي" ، الذى استغنى به طلاب العلم عما سبق من كتب فى هذا المجال ، وكان كتاب "الصردفي" وكتاب "البيان" للعمراني أبرز المؤلفات العلمية لعلماء الإقليم والتي لقيت رواجاً كبيراً فى بلاد اليمن وخارجها .

اهتم علماء الإقليم بعلوم اللغة العربية ، وبرز منهم عدد من أئمة النحو واللغة فى بلاد اليمن كالحسن بن أبى عباد وابن أخيه إبراهيم فى النحو ، وعيسى وإسماعيل إبنا "إبراهيم الربعي" فى مجال اللغة ، وكان لهؤلاء أعمالاً متميزة استحسنها العلماء وطلاب العلم وأقبلوا على دراستها لفترات طويلة .

ازدهرت الحياة الأدبية خلال العهد الصليحي نتيجة عوامل عدة منها : تشجيع الحكام الصليحيين الذين كان الشعر والأدب من الوسائل الهامة التى اعتمدوا عليها فى محاربة خصومهم والدعاية لمذهبهم . وقد برز عدد من الشعراء الأدباء أصحاب الدواوين ، كما كان هناك العديد من الإسهامات الشعرية للحكام والعلماء ، وإن لم ترق إسهاماتهم تلك إلى المستوى الأدبى للشعراء الأدباء ، على أن ما يميز شعر العلماء عن غيره اتسامه بالبساطة والواقعية والاستقامة .

يظهر بوضوح مدى تأثر الأدب الصليحي بمثيله الفاطمي من خلال عدد من الكتابات النثرية التى أثرت عن تلك الفترة ، كاشتراكهم فى كتابة المقدمات المسجعة واقتباسهم آيات من القرآن الكريم إلى غير ذلك من صور التأثر الأدبي .

يرجع اهتمام أهل اليمن بالكتابة التاريخية إلى فترة ما قبل الإسلام ، ثم أخذت تلك الكتابة تتطور مع مرور الزمن ، فظهرت العديد من المصنفات التاريخية الهامة ، وخلال فترة الدراسة ظهر عدد من العلماء والمؤرخين تناولوا فى كتاباتهم عددا من مجالات الكتابة التاريخية كالسير والتاريخ العام والطبقات .

شكل الخلاف المذهبي فى الإقليم مادة هامة فى كتابات علماء الكلام الذين وظفوا طاقاتهم فى سبيل الدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم وإظهار الآخرين بأنهم أضعف حجة منهم، وقد أثرت تلك المؤلفات الكلامية المكتبة اليمنية فى الجانب الفلسفي .

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

الأسرة الصليحية[1]

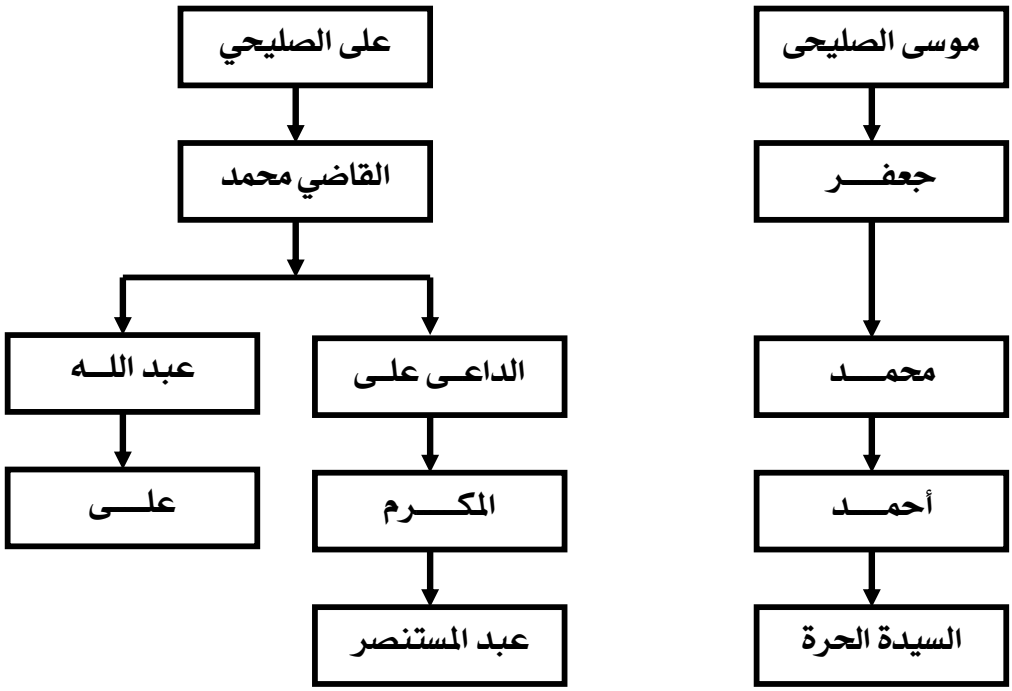

الحكام الصليحيون :

١ــ على بن محمد الصليحي (٤٣٩ ــ ٤٥٩هـ/ ١٠٤٧ ــ ١٠٦٧م)

٢ــ المكرم أحمد بن على الصليحى (٤٥٩ــ٤٧٧هـ/ ١٠٦٧ ــ ١٠٨٤م)

٣ــ عبد المستنصر على بن أحمد الصليحي (٤٧٧ ــ بعد ٤٨١هـ/١٠٨٤ــ١٠٨٨م) .

٤ــ السيدة بنت أحمد الصليحي (بعد ٤٨١ ــ ٥٣٢هـ / ١٠٨٨ ــ ١١٣٨م) .

---

[1] نقلا عن : أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب ، ص٢٧٧.

ملحق رقم (٢)

رأي محمد بن مالك الحمادي في عقائد الصليحيين[1]

"عباد الله إنى لم أزل أتلطف بخاصته وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه وضلالته وكفره وبدعته وأعماله الشنيعة وضلالته الفظيعة التي تنكرها القلوب وتشمئز منها النفوس .

وذلك أن الصليحي ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفي كلّ مجهول غبي بعهود مؤكدة ومواثيق مغلّظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ، ودعى إليه ، وأنه لا يكشف لهم سراً، ولا يظهر لهم أمراً ، ثم يطلعه على علوم مموهة ورواية مشبهة يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها باطل ، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإذا أنقاد له وطاوعه أدخله في طرق المهالك تدريجاً ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً وتعويجاً بكتب مصنعّة وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة ، لأنه صادف أكثر الناس عواماً ، فأجابه إلى دعوته الرعاع والطعام ، ومن لم يكن له معرفة قبل الإسلام من جنب وسنحان ويام ، فحرم الحلال وأحل الحرام ، وناقض بجهده الإسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق".

---

[1] كشف أسرار الباطنية ، ص١٢٧ ، ١٢٨.

ملحق رقم (٣)

القسم الذى يؤخذ على المستجيب في المذهب الإسماعيلي[1]

"أقسم بالله ، الذى لا إله إلا هو ، الحي الجبار القهار ، عالم الغيب والشهادة ، والنقص والزيادة ، القائم على كل نفس بما كسبت ، القوي الشديد الآخذ لها بما ظهرت وأضمرت ، العليم بما فى الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر ، الذى لا تخفي عليه خافية فى الأرض ، ولا فى السماء ، ولا تفوته غوامض الأشياء ، الذى من أقسم به كاذباً ، واستشهده باطناً ، استحق الخزي والخذلان ، وحل فى مقام السخط والهوان . وأقسم به ثانياً وثالثا ورابعا ، كما أقسمت به أولاً ، وأقسم بجميع أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، وأشهد ملائكته المقربين ، وأرواح أنبيائه المرسلين ، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين ، أننى طالب راغب في المذهب الإسماعيلي من خالص اعتقادي ، وصميم فؤادي ، اعتقاداً لا يشوبه باطن الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة فى الإيمان ، وليس لى قصد فى هذه الرغبة إلا تحقيق أمر الدين ، وطلب معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الإعتقاد ، والدخول مع الفرقة الناجية ، ومعرفة مولانا صاحب الوقت ، وإمام الزمان . وأنى إذا فهمت أمراً ، وعرفت سراً ، أكتمه وأخفيه عمن لا يعتقد بمعتقدي ، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ، ولا إشارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وإن أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كنيت أو تخليت أو تفكرت أو توهمت ، أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محارباً لهم ، ومنكراً أمرهم ، ومخالفاً قولهم ، وذابحهم وشارب دمائهم ، وبريئاً منهم فى الدنيا والآخرة ، وخارجاً من دين الإسلام والمروءة والإيمان ، والله على ما أقول وكيل وشهيد".

---

[1] عارف تامر : أربع رسائل إسماعيلية ، ص٥٥،٥٤.

ملحق رقم (٤)

مقدمة كتاب نظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الربعي[1]

"الحمد لله مخرج الأشياء من العدم إلى الوجود ، وجاعلها في الاختلاف والتغاير جارية إلى أجل محدود ، ومفضل الإنسان على سائر المخلوقات ، من الحيوان والجمادات ، بما خصه به من الفكر العقلية ، والفطن الفهمية ، المميزة بين رتابتها ، الناظرة في بدائع تصويراتها ، وما فضله به من النطق المعبر عن الحقائق ، وإبانة رتبة الخالق ، إظهاراً للحكمة واللسان أداة إظهارها ، ونشر لفضيلة الربوية والبيان آلة انتشارها ؛ وإذ جعل تعالى جده العلم من صفاته الذاتية ، وأسمائه الأزلية ، وإحلاله إياه المنزلة الرفيعة التى لا خُلف عند سائر المختلفين فى تفضيلها وإجلالها ، وتشريفها وإعظامها ، وإياه أسأل دوام صلواته ، واتصال تحياته ، على الذي أحله من هذه الفضيلة أرفع منازلها ، وألبسه أسنى فضائلها ، محمد المختار من بريته ، المبعوث إلى الكافة من خليقته ، صلى الله عليه وآله صلاة مشاكلة لفخره ، باقية فى الأنام بقاء شريف ذكره .

هذا كتاب مختصر اقتصرت فيه على المستعمل من غريب اللغة وما قالته العرب وتداولته في أشعارها وخطبها ، وتجاذبته في أمثالها ومقاماتها ومخاطبتها ، وجعلته له كالأصل للشئ ، والقاعدة للبنيان ، وسميته "نظام الغريب" وبالله استعين ، وعليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل" .

---

[1] الشامي : تاريخ اليمن الفكري ، ج١ ، ص٥٠٠،٤٩٩.

ملحق رقم (٥)

مقدمة كتاب "الإنتصار" للإمام يحي بن أبى الخير العمراني[1]

"قال الشيخ الإمام الأوحد جمال الدين ، مبطل حجج الزائغين ، يحي بن أبى الخير بن أسعد العمراني اليماني ــ قدس الله روحه ــ الحمد لله خالق الأشياء ومحكمها وموجد البرايا ومعدمها ، وناقض العزائم ومبرمها ، ولا شريك له فى الخلق والتصوير ، ولا شبه له فى الفعل والتقدير ، سابق الأشياء فى القدم ، المنزه عن الخرس والصمم ، وهادي المهتدين بفضله ، وخاذل الضالين بعدله ، والعالم بكل مظهر ومكنون ، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، الواحد الملك التواب غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، الموصوف بأكمل الصفات ، المتعالي عن الوصف بالآفات ، أحمده على إفضاله وإنعامه ، وأشكره على نواله وإلهامه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله للخلق داعياً ، وإلى الجنة هادياً ، ختم به النبيين وأنزل عليه قوله الحق المبين ، وجعله معجزة له فى الأولين والآخرين ، وشفى به صدور المؤمنين وجعله حجة على الضالين ، فقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)[2].

صلى الله عليه وعلى أهل بيته الأكرمين ، وعلى صحابته وخلفائه الراشدين وسلم وكرم وشرف وعظم ، وبعد .

فانتهى إلىّ العلم بأنه قدم إلى قرية إب رجل من ولاة القضاء بصنعاء ينتحل مذهب الزيدية والقدرية ، لقبه أهله شمس الدين فأظهر القول هناك بأن العباد يخلقون أفعالهم وأن القرآن مخلوق ، وغير ذلك من مذاهبهم ، ودعا الناس إلى ذلك وسأل الناس

---

[1] الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار ، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف ، ط١ ، المدينة المنورة ، مكتبة أضواء السلف ، ١٩٩٩ ، ج١ ، ص٨٩ ــ ٩٧.

[2] الإسراء : آية ٨٢.

المناظرة من أهل السنة .

فرأيت من الحق الواجب والفرض اللازب إنشاء رسالة ونصيحة إلى أهل السنة ، فيها بيان مذهب أهل الحديث بخلق الأفعال وإثبات الإرادة وما تشعب عليهما ، وجعلت افتتاحها ذكر الأخبار المروية عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتحذير عن القدرية ، فلما وقف عليها هذا الرجل عبس وبسر ، وغضب من ذلك ونفر ، وصنف فى الرد على ذلك كتابا سماه "الدامغ للباطل من مذاهب الحنابل" ، أبان فيه خفي مقاتله بما ذكر من حججه ودلائله .

فقد قيل : من لم يطلع على دلائل خصمه لم يقدر على قطعه وقصمه . ومن نظر من المحققين في كتاب هذا القائل وتبين فى معناه الحاصل سماه (الدامغ الباطل) ، لأنه جعل جل كلامه فيه الأذى والشتيمة والجفا ، ولم يراع بنفسه منصب القضاء ، ولا تأدب بآداب العلماء، الذين صنفوا الكتب الموضوعة للمخالفين في كل فن من العلوم أصولها وفروعها ، فاعتمدوا فيها على ذكر المعاني الدقيقة بالألفاظ الحسنة الأنيقة ، ولو كان له بصر بالقرآن لتأدب بما أدب الله به أنبياءه ، قال تعالى : (وجادلهم بالتى هى أحسن)[١] وقال لموسى وهارون عليهما السلام : (إذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى)[٢].

لكنه سلك طريق أسلافه وأئمته من المعتزلة والقدرية فى الوقيعة والشتيمة لمن هو مبرأ مما رموهم به وهم الصحابة رضى الله عنهم وأصحاب الحديث فهم الداخلون تحت قوله تعالى (لن يضروكم إلا أذى)[٣].

وتحت قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا) [٤].

---

[1] النحل : آية ١٢٥.

[2] طه : آية ٤٣، ٤٤.

[3] آل عمران : آية ١١١.

[4] الأحزاب : آية ٥٧،٥٨.

ولا يلزم على قولي هذا افتتاحي الرسالة بذكر الأخبار المروية عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى القدرية ولا في الرد عليهم ، فإن تلك مذمة واردة عن النبــي ــ صــلى الله عليه وسلم ــ وعن الصحابة والعلماء ولقب لهذه الفرقة لا يسع أحد إنكارها ، بل كــان فريق يرد ذلك عن نفسه بما أمكنه من التأويل ، والله يعلم المفسد من المصلح .

وما أورده من الكلام السخف يدل على إنقطاعه وقلة علمه بلا شك ولا ريــب عنــد المحققين من أهل النظر ، ولولا خشية دخول الشك والإرتياب على من أطلع على كلامــه أو بلغه ممن لا خبرة له بمذهب القدرية من أهل السنة لكان الإعراض عن الجــواب مــن الصواب.

فقد روي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال "لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا كافراً أما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما الكافر فيقمعه كفره ، وإنما أخاف عليكم منافقاً علــيم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون). وليس يعرفهم إلا من استحكم معرفة أصــول الدين الذي يعرف به الحق من الباطل وهم الحجة في كل عصر .

وروى أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : "إن الله لا ينزع العلم مــن صــدور الرجال انتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء فيتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلوا وأضلوا".

وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم "لا يخلو عصر من قائم لله بحجة" .

وقال النبي ــ "لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من لاوأهم"

ومن المفترض على من عرفه الله طريق الرشد وأبان له سبيل الهــدى إذا ظهــرت بدعة فى الدين أن يردها بما قدر عليه .

قال الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)[١].

وقال الله تعالى لنبيه (إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[٢].

وقد أخذ الله العهد على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، والعلماء ورثة الأنبيــاء . قال علي ــ رضى الله عنه "خرج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوماً ، فقــال : اللهــم

---

[1] يوسف : آية ١٠٨.

[2] النحل : آية ١٢٥.

أرحم خلفائي ، قلنا له : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يحفظون سنتي وأحاديثي ويعلمونها الناس".

وروي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال "نضر الله إمرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها من لم يسمعها" .

وقال صلى الله عليه وسلم "إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم" وأدلة العلماء كمعجزات الأنبياء .

ولم يزل العلماء العلماء يردون على القدرية أقوالهم ويبطلون استدلالهم يكشفون تلبيسهم ويظهرون تدليسهم . وبذلك أخبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

ولا تزول الشبه عن قلوب العامة إلا من حيث دخلت وقد كان صلى الله عليه وسلم يزيل الشبه من حيث علم دخولها .

روي أن رجلاً أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال "يا رسول الله إن امرأتي أتت بولد أسود ونحن أبيضان ، فعلم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن الشبهة قد دخلت عليه بولده ، وأنه قد وقع عنده أن زوجته أتت به من غيره ، ولو قال له النبي صلى الله عليه وسلم هو ابنك الولد للفراش ، لم تزل عنه الشبهة ، فعدل عن ذلك وقال له : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ ، قال : حمر ، قال له : هل فيها من أورق ؟ ــ والأورق ما لونه كلون الرماد ــ قال : نعم إن فيها لورقاً قال : فأنى ترى ذلك؟ قال : لعل عرقاً نزعها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وهذا لعل عرقاً نزعه" . فأزال عنه الشبهة من الوجه الذى يعلم أنه يفهمه.

وروي أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال "لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، فقال له أعرابي كالمعترض عليه : فما لنا نرى الإبل كالضباء فتكون النقبه بمشفر البعير فتجرب الإبل عن آخرها ؟ فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فما أجرب الأول" ، فقمعه بالحجة من حيث علم زوال الشبهة عنه ، ولم يقتصر على قوله إن الله يخلق الداء .

وقد أدخلت المعتزلة والقدرية على الإسلام وأهله شبهاً فى الدين ليموهوا بها على العوام ، ومن لا خبرة له بأصولهم التى بنوا عليها أقوالهم ، فاتبعوا متشابه القرآن وأولوا

القرآن على خلاف ما نقل عن الصحابة والتابعين المشهورين بالتفسير ، لينفقوا بذلك أقوالهم ، فهم أشد الفرق ضرراً على أصحاب الحديث ، ثم بعدهم الأشعرية . لأنهم أظهروا الرد على المعتزلة وهم قائلون بقولهم .

فاستخرت الله سبحانه على كشف تلبيسهم ، وإظهار تدليسهم بهذا الكتاب ، وجعلته فصولاً كل فصل فيه يشتمل على ذكر فائدة منفردة ليقرب على قارئه أخذ الفائدة منه ، وقدمت ذلك مذاهب أصحاب الحديث جملة ، ثم الأصول التي بني أصحاب الحديث أقوالهم عليها وبينت انسلاخ القدرية منها .

وأما الأصل الذى بنوا عليه أقوالهم فقد ذكرت الآيات والأدلة التى استدللت بها على خلق الله لأفعال العباد وعلى الإرادة والتعديل والتجويز وما أورده هذا المعترض عليها بدامغه.

فأجبت عما ذكر من الأدلة ، وتركت من كلامه ما لا فائدة تحته إلا الأذية ، فقدمت الأهم منها فالأهم ، ثم ذلك بعد ذلك المسائل التى وقع فيها الخلاف بين أصحاب الحديث والمعتزلة والقدرية والأشعرية وما حضرنى من الأدلة من الكتاب والسنة التى نقلها أئمة الحديث فى أصولهم المشهورة ــ كالبخاري والترمذي ومحمد بن الحسين الآجري ، واللالكائي ، وغيرهم ، وحذفت ذكر الأسانيد طلباً للإيجاز ليخف حمله ويسهل حفظه لمن أراد مطالعته ، والله أسأله أن يجعله خالصاً لوجهه وينفعنى والمسلمين به ، آمين ... .

ملحق رقم (٦)

جانب من مدينة جبلة[1]

[1] www.almotamar.net/15477/htm

ملحق رقم (٧)

جانب من جامع السيدة في مدينة جبلة[1]

(1) www.khayma.com/ibbyemen/gebapict..html.

ملحق رقم (٨)

خريطة اليمن[١]

(١)

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

إدريس : عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبد الله (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) :

١ ـ "عيون الأخبار وفنون الآثار فى ذكر النبى المصطفى المختار ووصيه على بن أبى طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار" ، الجزء السابع ، مخطوط مصور ، مكتبة الفاو ، صنعاء ، د.ت .

الأفضل الرسولى : عباس بن على بن داود بن يحيى (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) :

٢ ـ "العطايا السنية والمواهب الهنية فى المناقب اليمنية" ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية رقم (٣٣٢) تاريخ .

بامخرمة : الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) :

٣ ـ "النسبة إلى المواضع والبلدان " ، مخطوط بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء ، رقم ٦٣١ ، جغرافيا .

الحجورى : أبو محمد يحيى بن سليمان (ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٩م) :

٤ ـ "روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار" ، الجزء الرابع ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، رقم (٤٣٦) تاريخ (بعثة اليمن الشمالى) .

الخزرجى : شمس الدين أبى الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢هـ / ١٤١٠م) :

٥ـ "طراز أعلام الزمن " ، مخطوط تحصل الباحث على نسخة منه عن صورة الأستاذ / عبد الرحمن جيلان الصغير.

٦ـ العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك" ، مخطوط مصور ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١م .

قطب بن سليمان برها نيورى :

٧ ـ "منتزع الأخبار فى أخبار الدعاة إلى القرن الثالث عشر" ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، رقم (١٢٦١) تاريخ .

مجهـــول :

٨ ـ "سيرة السلطان المعظم الأمير الأجل المكرم شرف الأمراء عز الملك منتخب الدولة وغرسها ذى السيفين الداعى الأريحى أحمد بن على بن محمد الصليحى أعلى الله قدسه" ، صورة لدى الباحث من صورة المكتبة المركزية بجامعة صنعاء ، غير مفهرسة .

يحيى بن الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م) :

٩ ـ "أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ، مخطوط مصور عن نسخة الدكتور / عبد الرحمن الشجاع .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

ابن الأثيـــر : عز الدين أبو الحسن على بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :

١ ـ الكامل فى التاريخ ، الأجزاء ٤ ، ٥ ، ٨ ، تحقيق : عبد الله القاضى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م .

الأشرف الرسولى : عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) :

٢ـ طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ، تحقيق : ك . و . ستربستين ، الطبعة الثانية ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

الأصبهانى : عماد الدين الأصبهانى الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٣٣١م) :

٣. خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء العراق ، تحقيق : محمد بهجة الأثرى ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٦٤م ، قسم شعراء مصر ، تحقيق : أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م .

ابن الأكفانى : هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفانى (ت ٥٢٤هـ / ١١٣٠م) :

٤. ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ، الجزء الأول ، تحقيق : عبد الله بن أحمد بن سلمان ، الطبعة الأولى ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٩٨٩م .

الآنسى : عبد الملك بن حسين (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٥م) :

٥ . إتحاف ذوى الفطن بمختصر أنباء الزمن ، تحقيق : القاضى إسماعيل بن أحمد الجرافى ، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ١٩٨١م .

الأهدل : بدر الدين أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) .

٦ـ تحفة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الأولى ، دار التنوير للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

بامغرمة : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) :

٧. تاريخ ثغر عدن ، الطبعة الثانية ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) :

٨ . صحيح البخارى ، الجزء الأول ، مصر ، ١٩٣٦م ، وطبعة دار ابن كثير، بيروت ، ١٩٨٧م.

البربهى : عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت بعد ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) :

٩. طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البربهى ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٤م .

البغدادى : أبو بكر أحمد بن على الخطيب (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :

١٠. تاريخ بغداد ، الأجزاء ٩ ، ١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

البغدادى : عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) :
١١ . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، الطبعة الرابعة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

البكـــرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :
١٢. معجم ما استعجم ، الجزء الأول ، تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م .

ابن تغرى بـــردى : جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :
١٣. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الخامس ، وزارة الثقافة ، مصر ، د.ت .

الجرجانى : على بن محمد بن على (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) :
١٤. التعريفات ، الجزء الأول ، تحقيق : إبراهيم الأبيارى ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربى ، بيروت، ١٩٨٥م .

الجنـــــدى : أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) :
١٥. السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، جزءان ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٥م .

ابن الجـــوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٣٣١م) :
١٦. المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، الأجزاء ٩ ، ١١ ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٣٩م .

حاجى خليفـــة : مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجى خليفة (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) :
١٧. كشف الظنون ، الأجزاء ١ ، ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :
١٨. الإصابة فى تمييز الصحابة ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) .

الحمادى : أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبى القبائل (ت نحو ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :
١٩. كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الأولى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، ١٩٩٤م .

الحمزى : عماد الدين إدريس بن على بن عبد الله (ت ٧١٤هـ / ١٣١٤م) :
٢٠. تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار فى معرفة السير والأخبار ، تحقيق : عبد المحسن مدعج المدعج ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الشراع العربى ، الكويت ، ١٩٩٢م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل (ت أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) :
٢١ . كتاب صورة الأرض ، القسم الأول ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧م .

ابن خلـــــدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :
٢٢. مقدمة ابن خلدون ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٤م .
٢٣. العبر وديوان المبتدأ والخبر ... ، المعروف بتاريخ ابن خلدون ، الجزء الرابع ، الطبعة الخامسة ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٤م .

ابن خلكـــــان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
٢٤. وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، الأجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، د.ت .

أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) :
٢٥. سنن أبى داود ، الجزء الثالث ، دار الفكر ، د.ت .

ابن الديبع : أبو الضيا عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) :
٢٦ـ بغية المستفيدين فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، (د.ت) .
٢٧. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،تحقيق:محمد بن على الأكوع ؛ المطبعة السلفية ، القاهرة ، د.ت.

الديلمـــى : محمد بن الحسن (من علماء أوائل القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) :
٢٨. قواعد عقائد آل محمد فى الرد على الباطنية ، مكتبة اليمن البكرى ، صنعاء ، ١٩٧٨م .

الذهبـــى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
٢٩ـ العبر فى خبر من غبر ، الجزء الثانى ، تحقيق : صلاح المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٨٤م .
٣٠ـ سير أعلام النبلاء ، الأجزاء : ١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسى ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢م .

الـــرازى : أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت نحو ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) :
٣١ ـ تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبد الله العمرى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م .

الربعـــى : مفرج بن أحمد الربعى :
٣٢. سيرة الأميرين الجليلين القاسم ومحمد ابنى جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى ، تحقيق : رضوان السيد ، عبد الغنى محمود عبد العاطى ، الطبعة الأولى ، دار المنتخب ، بيروت ، ١٩٩٣م.

السبكى : تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) :
٣٣ـ طبقات الشافعية الكبرى ، الأجزاء : ٢ ، ٤ ، ٧ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحى ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ، هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢م .

السجلات المستنصرية :

٣٤. "سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، إلى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين" ، تحقيق : عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) :

٣٥. الطبقات الكبرى ، الجزء الخامس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

ابن سمرة : عمر بن على بن سمرة (ت بعد عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) :

٣٦. طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق : فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

السمعانى : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :

٣٧. أدب الإملاء والاستملاء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١م .

٣٨ـ الأنساب ، الأجزاء : ١ ، ٣ ، ٥ ، تحقيق : عبد الله عمر البارودى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :

٣٩. تاريخ الخلفاء ، الجزء الأول ، تحقيق : محمد محى الدين ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة،مصر ، ١٩٥٢م .

٤٠. طبقات الحفاظ ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م .

الشرجى : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) :

٤١. طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، الطبعة الأولى، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م

الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) :

٤٢. الملل والنحل ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلى ، الطبعة الثانية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠١م .

الشيرازى : أبو إسحاق ابراهيم بن على بن يوسف (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) :

٤٣. طبقات الفقهاء ، الجزء الأول ، تحقيق : خليل الميس ، درا القلم ، بيروت ، د.ت .

الصفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

٤٤ ـ الوافى بالوفيات ، الأجزاء : ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، تحقيق : احمد الأرناؤوط ، وتركى مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) :

٤٥. مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ، منشورات دار الحكمة ، دمشق ، د.ت .

٤٦ ـ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

الطبـــــرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) :

٤٧. تاريخ الرسل والملوك ، المعروف بتاريخ الطبرى، الأجزاء :٥ ، ٧، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت

العامـــرى : يحيى ابن أبى بكر بن محمد (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م) :

٤٨ـ غربال الزمان فى وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه محمد ناجى زعبى العمر ، دار الخير للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٥م .

عبد الباقى بن قانع (ت ٣٥١هـ / ٩٦١م) :

٤٩ ـ معجم الصحابة ، الجزء الأول ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ١٩٩٧م .

ابن عبد المجيد : تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) :

٥٠ـ تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق : مصطفى حجازى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

العرشانـــى : نظام الدين سرى بن إبراهيم بن أبى بكر (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

٥١. كتاب الإختصاص ، ذيل تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبد الله العمرى ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م .

ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :

٥٢ ـ شذرات الذهب ، الأجزاء : ٢ ، ٣ ، ٤ ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، محمد الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دار بن كثير، دمشق ، ١٩٨٦م .

عمـــــــــارة : نجم الدين عمارة بن على اليمنى (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) :

٥٣. تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء ، وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدباؤها ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثالثة ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٩٨٥م .

العمرانـــــــى : يحيى بن أبى الخير (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م) :

٥٤ . الإنتصار فى الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، الجزء الأول ، تحقيق : سعود بن عبد العزيز الخلف ، الطبعة الأولى ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ١٩٩٩م .

العمـــــــرى : ياسين بن خير الله (ت بعد ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م) :

٥٥ ـ الروضة الفيحاء فى تواريخ النساء ، تحقيق : رجاء محمود السامرائى ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٧م .

الغزالـــــى : أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ / ١١١٢م) :
٥٦. فضائح الباطنية ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠١م .

أبـو الفـــــداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) :
٥٧. تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

ابن قاضى شهبة : أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٨٧م) :
٥٨. طبقات الشافعية ، الجزء الثانى ، تحقيق : الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٧م .

القلقشنـــــدى : أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :
٥٩. صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الخامس ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت .

الكبســـى : محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) :
٦٠. اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ت .

ابن كثيـــــر : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧١م) .
٦١. البداية والنهاية ، الأجزاء : ١ ، ١٠ ، ١٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ت .

ابن المـــجاور : أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) .
٦٢. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحها أو سكر لوفغرين ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٦م .

المقدســـى : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) :
٦٣. أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق : غازى طليمات ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٠م .

المقريـــــزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ / ١٤٤١م) :
٦٤. إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات فى مصر ، دار المدى ، دمشق ، ٢٠٠٣م .

ابن منظـــور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) :
٦٥. لسان العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

ابن النديـــم : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) :
٦٦. الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨م .

نشوان الحمـــيرى : نشوان بن سعيد الحميرى (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) :
٦٧ ـ الحور العين ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة الثانية ، دار أزال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٦٨ـ منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، اعتنى بنسخها وتصحيحها عظيم الدين أحمد ، الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

النعمـــان بن محمد بن حيون (القاضى) (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) :

٦٩ ـ كتاب افتتاح الدعوة ، الطبعة الأولى ، دار الأضواء ، ١٩٩٦م .

الهمـــدانى : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد عام ٣٤٤هـ / ٩٥٥م) :

٧٠. كتاب الإكليل ، الجزء الثانى ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٧١. كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الجزء العاشر فى معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الأولى ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٩٠م.

٧٢. صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الطبعة الأولى ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٠م .

اليافعـــى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) :

٧٣. مرآة الجنان ، الجزءان الثاني والثالث ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

ياقوت الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

٧٤. معجم البلدان ، الأجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

٧٥. معجم الأدباء ، الأجزاء : ١ ، ٤ ، ١٠ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١م .

يحيى بن الحسين : يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) :

٧٦ ـ غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

أحمد تيمـــور :

١ ـ نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ، الحنفى ، المالكى ، الشافعى ، الحنبلى ، وانتشارها عند جمهور المسلمين ، الطبعة الأولى ، دار القادرى ، بيروت ، ١٩٩٠م .

أحمد شلبـــى (الدكتور) :

٢ ـ تاريخ التربية الإسلامية ، الجزء الرابع من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٣ ـ التشريع والقضاء فى الفكر الإسلامى ، الجزء الثامن من موسوعة الحضارة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

ـ أحمد عبد الله عارف (الدكتور) :

٤ ـ مقدمة فى دراسة الإتجاهات الفكرية والسياسية فى اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجرى ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩١م .

أحمد محمود صبحى (الدكتور) :

٥. الزيدية ، الطبعة الثانية ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٤م .

إسماعيـــل قربان حسين :

٦. السلطان الخطاب حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

الأكـــوع : إسماعيل بن على (القاضى) :

٧ ـ البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٨٨م .

٨. الزيدية ، نشأتها ومعتقداتها ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠م .

٩. المدارس الإسلامية فى اليمن ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

١٠ ـ هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، أربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

الأكـــوع : محمد بن على (القاضى) :

١١. اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

الأعظمـــى : محمد حسن :

١٢. عبقرية الفاطميين ، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمى ، دار الحياة ، بيروت ، د.ت .

أيـــمن فؤاد سيد (الدكتور) :

١٣. تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٤ـ الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات ، الجزء الثانى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، د.ت .

١٥. مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

باروزيـــر : سعيد عوض (الأستاذ) :

١٦. صفحات من التاريخ الحضرمى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

البغـــدادى : اسماعيل باشا :
١٧ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، الجزء الأول ، طبعة وكالة المعارف ، استانبول ، ١٩٥١م .

الثـــــور : عبد الله أحمد :
١٨ـ هذه هى اليمن ، الجزء الخامس ، الطبعة الثانية ، صنعاء ، ١٩٧٢م .

جـــــرادة : محمد سعيد :
١٩ـ الأدب والثقافة فى اليمن عبر العصور ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

الجرافـى : عبد الله بن عبد الكريم (القاضى) :
٢٠ـ المقتطف من تاريخ اليمن ، الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤م .

جـــمال بن مدكور (الدكتور) :
٢١ـ الفرق الإسلامية ، ضمن موسوعة الأديان فى العالم ، بيروت ، ٢٠٠٠، ٢٠٠١م .

الحارثى : سالم بن حمد بن سليمان (الشيخ) :
٢٢ـ العقود الفضية فى أصول الإباضية ، وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان ، ١٩٨٣م .

الحبشـــى : عبد الله محمد (الأستاذ) :
٢٣ـ حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول،الطبعة الثانية،منشورات وزارة الإعلام والثقافة،١٩٨٠م
٢٤ـ مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، د.ت .
٢٥ـ معجم النساء اليمنيات ، الطبعة الأولى ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٩٨٨م .
٢٦ـ اليمن فى لسان العرب ، الطبعة الأولى ، مطابع المفضل للأوفست ، تعز ، ١٩٩٠م .

الحجـــــرى : محمد بن أحمد (القاضى) :
٢٧ـ مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، جزءان ، تحقيق : اسماعيل بن على الأكوع ، الطبعة الثانية ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٩٩٦م .
٢٨ـ مساجد صنعاء عامرها وموفيها ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٧٨م .

الـحـــداد : محمد يحيى :
٢٩ـ التاريخ العام لليمن ، التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، منشورات المدينة ، بيروت ، ٩٨٦م.

الحريـــرى : محمد عيسى (الدكتور) :
٣٠ـ الاتجاهات المذهبية فى اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (٦هـ / ٦٢٧م ـ ٣٠٠هـ / ٩١٢م) ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٧م .

٣١. دراسات وبحوث فى تاريخ اليمن الإسلامى ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٨م .

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) :

٣٢ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

حسن سليمان محمود (الدكتور) :

٣٣. تاريخ اليمن السياسى فى العصر الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ساعد المجمع العلمى العراقى على طبعه ، بغداد ، ١٩٦٩م .

٣٤. الملكة أروى سيدة ملوك اليمن ، دار الثناء للطباعة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د.ت .

الحضرمـــى : عبد الرحمن طيب بعكر :

٣٥. نظرات فى التاريخ العام لليمن ، الطبعة الأولى ، مركز عبادى للدراسات والنشر ، عالم الكتب اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م .

الخضـــــرى : محمد الخضرى (الشيخ) :

٣٦. تاريخ التشريع الإسلامى ، الطبعة التاسعة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٧٠م .

الدجيلـــــى : محمد رضا حسن (الدكتور) :

٣٧ـ الحياة الفكرية فى اليمن فى القرن السادس الهجرى ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ، ١٩٨٥م .

زامبـــاور : أدوار فون :

٣٨. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، أخرجه : زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨٠م .

زبـــارة : محمد بن محمد :

٣٩. أئمة اليمن ، الجزء الأول ، مطبعة النصر الناصرية ، تعز ، ١٩٥٢م .

٤٠. "إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ومن قام باليمن الميمون من قرنا الكتاب المبين وابنا سيد الأنبيا والمرسلين" ، مطبعة المقام الشريف ، صنعاء ، ١٩٢٤م .

أبو زهـــرة : محمد :

٤١ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د.ت .

ســـــرور : محمد جمال الدين (الدكتور) :

٤٢. تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٤٣. سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٤٤. النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠م .

الســـــرورى : محمد عبده محمد (الدكتور) :

٤٥ـ الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن فى عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ـ ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، الطبعة الأولى ، مطابع الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

الشامـــى : أحمد بن محمد :

٤٦ـ تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسى ، الجزءان : ١ ، ٢ ، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٧م .

الشجـــاع : عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور) :

٤٧. تاريخ اليمن فى الإسلام فى القرون الأربعة الهجرية الأولى ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٢م .

٤٨. اليمن فى عيون الرحالة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٩٣م .

شرف الدين : أحمد حسين :

٤٩. تاريخ الفكر الإسلامى فى اليمن ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

شوقـــى ضيف (الدكتور) :

٥٠ـ تاريخ الأدب العربى ، الجزء الخامس ، عصر الدول والإمارات ، الجزيرة العربية ، العراق ، إيران ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

عـــارف تامر (الدكتور) :

٥١. أربع رسائل إسماعيلية ، الطبعة الثانية ، منشورات دار الكتب ، الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٥٢. أروى ملكة اليمن ، الطبعة الأولى ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٨م .

٥٣ـ تاريخ الإسماعيلية ، الجزءان : الأول والثالث ، الطبعة الأولى ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، ١٩٩١م .

٥٤. معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٠م .

عبد الله كامل موسـى (الدكتور) :

٥٥ـ الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

عبد العزيز سيف النصر (الدكتور) :

٥٦. التأويل الإسماعيلى الباطنى ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

العبدلى : أحمد فضل بن على :

٥٧. هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، الطبعة الثانية ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

٥٨ـ الإمام المستنصر بالله الفاطمى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٥٩ـ ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٦٠ـ نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

العرشى : حسين بن أحمد (القاضى) :

٦١. كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، عنى بنشره الأب أنستانس مارى الكرملى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، د.ت .

عفت وصال حمزة :

٦٢. نساء حكمن اليمن ، الطبعة الأولى ، دار بن حزم ، بيروت ، ١٩٩٩م .

العقيلـــى : محمد بن أحمد :

٦٣. تاريخ المخلاف السليمانى ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، د.ت .

العمرجى : أحمد شوقى إبراهيم (الدكتور) :

٦٤ـ الحياة السياسية والفكرية للزيدية فى المشرق الإسلامى (١٣٢هـ ــ ٣٦٥هـ / ٧٤٩ــ ٩٧٥م) ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

العمرى : حسين بن عبد الله (الدكتور) :

٦٥ـ الأمراء العبيد والمماليك فى اليمن ، بحث تاريخى مقارن بين الشرق والغرب حتى القرن العشرين ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م .

فرهارد دفترى (الدكتور) :

٦٦ـ الإسماعيليون فى العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ، ترجمة : سيف الدين القصير ، الطبعة الأولى ، دار المدى ، دمشق ، ١٩٩٩م .

الفقـــى : عصام الدين عبد الرؤوف (الدكتور) :

٦٧. اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

القنوجى : صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) :

٦٨ـ أبجد العلوم ، الجزء الثانى ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

كحالـــة : عمر رضا :

٦٩ـ أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام،الجزء الأول،الطبعة الثالثة،مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٧٧م .

٧٠. معجم المؤلفين ، الأجزاء : ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٣ ، دار مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، د.ت .

كليفورد .أ . بوزورث :

٧١ـ الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، دراسة فى التاريخ والأنساب ، ترجمة : حسين على اللبودى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشراع العربى ، ١٩٩٥م .

اللميلم : عبد العزيز :

٧٢. رسالة المسجد فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مؤسسة فؤاد بعينو ، بيروت ، ١٩٨٧م .

المتوكل : عبد القدوس محمد :

٧٣. ملكات وعبقريات شهيرات ، الطبعة الأولى ، مكتبة العزيزية ، الرياض ، ٢٠٠٠م .

محمد عبد العال أحمد (الدكتور) :

٧٤ـ الأيوبيون فى اليمن مع مدخل فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م .

محمد عبد المعطى :

٧٥. الوجيز فى علوم القرآن ، مصطلح الحديث ، أصول الفقه ، الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

محمد كريم إبراهيم (الدكتور) :

٧٦ـ عدن ، دراسة فى أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦ ـ ٦٢٦هـ / ١٠٨٣ـ ١٢٢٨م) ، مركز دراسات الخليج العربى ، جامعة البصرة ، ١٩٨٥م .

محمد متولى ، محمود أبو العلا :

٧٧. جغرافية شبه جزيرة العرب ، الجزء الثالث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

مشكور : محمد جواد (الدكتور) :

٧٨. موسوعة الفرق الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

مصطفى غالب (الدكتور) :

٧٩. تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، الطبعة الثانية ، دار الأندلس ، بيروت ، د.ت .

٨٠. أعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٦٤م .

المطـــاع : أحمد بن أحمد بن محمد :

٨١. تاريخ اليمن الإسلامى من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الأولى ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

المقحفـــى : ابراهيم بن أحمد :

٨٢ ـ معجم البلدان والقبائل اليمنية ، جزءان ، دار الحكمة ، صنعاء ، ٢٠٠٢م .

منير الدين أحمد (الدكتور) :

٨٣ ـ تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى ، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ترجمة سامى الصقار ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١م .

مؤسسة العفيف الثقافية :

٨٤ ـ الموسوعة اليمنية ، أربعة أجزاء ، الطبعة الثانية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

الهاشمـــى : رحيم كاظم محمد (الدكتور) وعواطف محمد العربى :

٨٥ ـ الحضارة العربية الإسلامية ، دراسة فى تاريخ النظم ، الدار المصرية اللبنانية ، المكتبة الجامعية ، غريان ، د.ت .

هاينز هالم :

٨٦ ـ الفاطميون وتقاليدهم فى التعليم ، تعريب : سيف الدين القصير ، الطبعة الأولى ، دار المدى ، دمشق ، ١٩٩٩م .

الهمدانى : حسين بن فيض الله بالإشتراك مع الدكتور / حسن سليمان :

٨٧ ـ الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن من (سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ) ، الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

الواسعى : عبد الواسع بن يحيى الواسعى :

٨٨ ـ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، الطبعة الرابعة ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م .

الوشلى : عبد الله قاسم (الدكتور) :

٨٩ ـ علم الحديث فى اليمن والعناية اليمانية بالجامع الصحيح وحكم إقامة حلقاته فى شهر رجب ، الطبعة الأولى ، مطبعة أوان ، صنعاء ، ١٩٩٨م .

الويســى : حسين بن على :

٩٠. اليمن الكبرى ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩١م .

رابعا : الدوريـــات :

الأكوع : اسماعيل بن على (القاضى) :

١ ـ طائفة من أوزان أسماء القبائل والبلدان فى اليمن ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الثانى والستون ، الجزء الثانى ، دمشق ، ١٩٨٧م .

٢ ـ الملكة الصليحية والإسم الصحيح لها ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٧م

زاهـــر رياض :

٣. دولة حبشية فى اليمن ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٥٩م .

السروري : محمد عبده محمد (الدكتور) :

٤ـ قيام الدولة الصليحية فى اليمن ، مجلة دراسات يمنية ، العددان : ٥١،٥٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٩٣م .

عارف تامر (الدكتور) :

٥. الملكة أروي الصليحية ، مجلة الفيصل ، العدد ٦٠ ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض، ١٩٨٢م .

عبد البارى طاهر :

٦. اليمن والحجاز كما رآها ابن المجاور ، مجلة دراسات يمنية ، العددان : ٣١،٣٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٨٨م .

عبد الملك منصور :

٧ـ المساجد والأوقاف فى حضارتنا الإسلامية ، مجلة اليمن الجديد، العدد الحادى عشر ، السنة الخامسة عشر ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

٨. المساجد والأوقاف فى بلادنا ، مجلة اليمن الجديدة ، العدد الثانى عشر ، السنة الخامسة عشر ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

العـش : محمد أبو الفرج (الدكتور) :

٩ـ المسكوكات فى الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة الإكليل ، العدد الخامس ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨١م .

الفرفـور : محمد عبد اللطيف صالح (الدكتور) :

١٠ـ أدب الإجازات عند المسلمين ، مجلة الفيصل ، العدد ٧٩ ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٩٨٣م .

الفلاحـى : عبد الله محمد (الدكتور) :

١١ـ البنيان الإجتماعي والثقافي لمحافظة إب ، مجلة الباحث الجامعى ، العدد الخامس، جامعة إب ، ٢٠٠٣م .

محمـد أمين صالح (الدكتور) :

١٢ـ العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس والعشرين ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٩م .

محمد سيف النصر (الدكتور) :

١٣ـ نظرة عامة إلى المدارس اليمنية ، تخطيطاتها وعناصرها المعمارية ، ومجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٥م.

خامسا : الرسائل العلميـة :

حسن سليمـان محمود :

١. الصليحيون فى اليمن وعلاقتهم بالفاطميين فى مصر ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٢م .

السميـن : حسن أحمد عبد الرازق :

٢ـ المذهبان السنى والشيعي فى اليمن فى القرنين الرابع والخامس الهجريين وأثرهما على الحياة السياسية والاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م.

الشجـاع : عبد الرحمن عبد الواحد :

٣. الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٦م .

الصغيـر : عبد الرحمن محمد جيلان :

٤. قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، الجزء الثانى ، القسم الثانى لأبى محمد الطيب بن عبد الله بامخرمـة (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) ، رسـالة ماجـستير غـير منـشورة ، كليـة الآداب ، جامعـة صـنعاء ، ٢٠٠١.٢٠٠٢م .

صلاح السيد عبده رمضـان :

٥. تطور المدارس فى العالم الإسلامي منذ نشأتها حتى الفتح العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، فرع بنها ، ١٩٩٠م .

عطيـة محمد أمين عبده :

٦. اليمن فى عهد السيدة "أروي بنت أحمد الصليحي " (٤٨٤ ــ ٥٣٢هـ / ١٠٩٠ــ ١١٣٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٥م.

على بن على بن حسين :

٧ـ الحياة العلمية فى مدينة تعز وأعمالها فى عصر بن رسول (٦٢٦ـ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ـ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٩٩٤م .

فتحى على حسن هلال :

٨ـ الحياة الاجتماعية والفكرية فى اليمن من مستهل القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن التاسع الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٩٢م .

محمد على سلمان :

٩. يحي بن أبى الخير العمرانى وآراؤه الاعتقادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفكر الإسلامي ، جامعة صدام للعلوم الإنسانية ، ٢٠٠١م .

المختار : عبد الرحمن أحمد :

١٠. الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م .

الوجيه : محمد قايد حسن :

١١ـ الحركة الإسماعيلية فى اليمن (٢٦٨ـ ٥٧٠هـ / ٨٨٣ـ ـ١١٧٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ٢٠٠٢م .

سادسا : المراجع الأجنبية :

1. The Encyclopaedia of Islam , vol.IV., Leiden, 1978.
2. Hamdani, Abbas, Evolution of the organisational structure of the Fatimi Da'wah the Yemeni and persian contribution, in Arabian studies, vol.III, University of Cambridge .
3. Lewis, B. The Arabs in History London, 1950.
4. Madelung, W., The sirat Al – Amirayn, Al – Qasim Wa – Mohammed Ibnay Jafar, in : Studies in the history of Arabia, vol.I, Sources for the history of Arabia, Part 2, Riyad, 1977.
5. The new Encyclopaedia Britanica, vol.12 ,1968.

سابعاً : مواقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

1. Moncelon, Jean, La Da'wa Fatimide Au Yemen.
   WWW.univ – aix.fr/cfey/chronic/moncelon.html-1995, lopp.
2. WWW.Khayma.com/ibbyemen/geblapict.htm.
3. WWW.almotamar.net/15477.htm.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمـــــة	**هـ**
التمهـيـــد :	**١ـ٦٧**
أولا : الموقع الجغرافي للإقليم	٢
ثانيا : الأوضاع السياسية فى اليمن خلال عهد الصليحيين	٩
الفصل الأول : المراكز العلمية وأماكن التعليم :	**٦٨ـ١٠١**
أولا : المراكز العلميـة :	٦٩
١ـ مدينة ذى جبلـة	٦٩
٢ـ مدينة إب	٧٣
٣ـ قرية ذى السفال	٧٥
٤ـ قرية ذى أشـرق	٧٦
٥ـ قريـة سهفنـة	٧٩
٦ـ قريـة أحاظـة	٨٠
٧ـ عزلة مشيرق أحاظة	٨٢
٨ـ قريـة سيـــر	٨٣
٩ـ قرية عرشـان	٨٥
١٠ـ مخلاف بعدان	٨٥
١١ـ قرية الملحمـة	٨٦
١٢ـ قرية الظرافة	٨٧
١٣ـ عزلة نعيمـة	٨٨
ثانيا : أماكن التعليم :	٨٨
١ـ الكتـــاب	٨٩
٢ـ المساجـد :	٩٠
أولا : المساجد الجامعة :	٩٢
أ ـ مسجد ذى جبلة	٩٢
ب ـ مسجد إب	٩٣
ثانيا : المساجد الصغيرة :	٩٤
أ ـ مسجد السنة (فى مدينة ذى جبلة)	٩٤
ب ـ مسجد السنة (فى مدينة إب)	٩٤
ج ـ مسجد سير	٩٥
د ـ مسجد ذى أشرق	٩٥
هـ ـ مسجد ذى السفال	٩٦

الموضـــــوع	الصفحة
و ـ مسجد الجعامـى	٩٦
ز ـ مسجد عرشـــان	٩٦
ك ـ مسجد ألـــخ	٩٧
ل ـ مسجـد المحلـة	٩٧
م ـ مسجد قاسم	٩٧
٣ـ المكتبـات :	٩٧
٤ـ القصـــور :	٩٩
٥ـ منازل العلماء :	١٠٠
الفصل الثانى : نظـام التعليـم :	**١٠٢ـ١٣٤**
أولا : نظام التعليم فى المرحلة الأولى	١٠٣
ثانيا : نظام التعليم فى المرحلة العليا	١٠٨
المواد المقررة :	١٠٩
أولا : القرآن وعلومـه	١٠٩
١ـ التفسيـــر	١٠٩
٢ـ علم القراءات	١١١
ثانيا : علم الحديث	١١٢
ثالثا : علم الفقه وأصوله	١١٣
رابعا : علوم اللغة والنحو	١٦
خامسا : علم الكـــــــلام	١١٨
أنظمـــة التعليـــم :	١١٩
١ـ نظام الحلقـة	١٢٠
٢ـ نظام المجالس	١٢٢
أ ـ مجالس الفقهاء	١٢٢
ب ـ مجالس الحديث	١٢٣
ج ـ مجالس المناظرة	١٢٤
د ـ مجالس الحكمـة	١٢٥
طرق التدريس :	١٢٧
١ـ طريق السمـاع	١٢٧
٢ـ طريقة القراءة	١٢٩
٣ـ طريقة الإجازة	١٣١
أ ـ الإجازة فى كتاب	١٣٢
ب ـ الإجازة لمعين فى غير معين	١٣٢
ج ـ المكاتبـة	١٣٣
د ـ إجازة سماع	١٣٤

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث : عوامل ازدهـار الحركة العلميـة :	**١٣٥-١٨١**
١- الإنفاق على التعليم	١٣٦
٢- الرحلات العلمية :	١٣٩
أ - الرحلات الداخلية	١٤٢
ب - الرحلات الخارجية	١٥٣
٣- وراثة العلـــــــم:	١٦١
بنـو اليزيـــدي	١٦٢
بنـو الصعبـــي	١٦٢
بنى ملامـــــس	١٦٣
بنو الهيثـــــم	١٦٣
بنو العمرانـــى	١٦٤
بنو العرشانـــى	١٦٤
بنو عمـــــران	١٦٤
٤- تشجيع الحكـــام :	١٦٥
٥- الإستقرار السياسي:	١٧٥
٦- العامـل المذهبـــي:	١٧٦
الفصل الرابع : الفرق المذهبية فى الإقليـم :	**١٨٢-٢٣٣**
المذاهب الدينية فى بلاد اليمن	١٨٣
أ - مذاهب أهل السنـة :	١٨٣
١- المذهب الحنفي	١٨٥
٢- المذهب المالكى	١٨٦
٣- المذهب الشافعى	١٨٧
٤- المذهب الحنبـلي	١٨٩
ب - المذاهب الشيعيـة :	١٩٠
١- الزيـديـة	١٩٢
٢- الإسماعيلية	١٩٦
ج - الخـــــوارج :	٢٠٣
الفرق المذهبيـة فى الإقليم	٢٠٦
جهود علماء الشافعية فى خدمة المذهب	٢٠٧
جهود دعاة الإسماعيلية فى خدمة المذهب	٢١٣
طبيعة العلاقة بين أتباع الفرق المذهبية	٢٢٣
الفصل الخامس : الإنتـاج العلمـى :	**٢٣٤-٢٨٣**
أولاً : العلوم الشرعيـة :	٢٣٦
أ - علم الحديث	٢٣٦
ب - علم الفقه وأصوله	٢٤٠

الموضـــــوع	الصفحة
ج ـ علم الفرائـــض	٢٤٧
ثانيا : علوم اللغة العربيـة	٢٤٩
أ ـ علـم النحـو	٢٥٠
ب ـ علم اللغـــة	٢٥٢
ج ـ الأدب	٢٥٥
١ـ الشعـــــر	٢٥٥
٢ـ النثـــــر	٢٦٩
ثالثا : التاريخ وعلم الكلام	٢٧٣
أ ـ التاريـخ	٢٧٣
ب ـ علم الكلام	٢٧٧
الخاتمـــــــــة	**٢٨٤**
الملاحـــــــــق	**٢٩٤**
المصـادر والمراجـــع	**٣٠٧**
فهـــرس الموضوعـات	**٣٢٦**